مِعْرَاجُ الأَرْوَاحِ وَالمَنْهَجُ الوَضَّاحُ

كتابٌ يتحدث عن مصطلحات التجلّيات الكشفيّة
الخاصّة بالسالكين والعارفين والمحققين من السّادة الصوفيّة

تأليف الشيخ الإمام أبوبكر
بن سالم باعلوي الحسيني

المتوفى ٩٩٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

معراجُ الأَرْوَاحِ والمَنْهَجُ الوضاح تصنيفُ الشيخ الأمام ومصباح الظلام ، والرحمة الشاملة للخاص والعام ، مبدي غَوَائب[1] الغيب ودافع كل شُبْهَةٍ ووَصْمَه وسبب وشبهة ، من امتدت جميع الموجودات من مكارمه وعَمّتْ فضائله في عُرْبِه وأعاجمه ، قَلمُ الله ولَوْحُه وجسد [العالمين][2] ورُوحُه ، الفَلَكُ الدائرُ والعلمُ الزّاهِر ، خلاصةُ الخُلاصةِ من بني هاشم ، القطب الغوث الصّمَدَانِي ، الفرد العَالِم الرّبّاني ، سيدنا ومولانا الشيخ أبي بكر بن سالم بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن السقاف بن محمد بن علي بن علوي ين محمد ين علي بن محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبدالله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ين الحسين السبط بن الأمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن البتول فاطمة بنت سيدنا رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ .

❁❁❁

(١) في (ب ، ج) : غرائبَ .

(٢) في الأصل : العالمون .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بدأ بالإحسان وختم ، وجعل مِنَّتَه سابقة في القِدَمْ ، وغَذَا أرواحَ العارفين بشكر النِّعَمْ ؛ فَفَاضَتْ فضائلُهُم من جُودِ مولاهم والكرم ؛ فأشرفوا بنور البصيرة على قلوبِ المتوجهين ، بتحقيق(١) العبودية ، ونَاخَتْ(٢) ركائبهم في ميادين العارفين بالله ، أَركانُ الدِّينِ المَاشِينَ على الصراط المستقيم . ذاقوا نسيم خَمْرَةِ الذات ، التي تَجَلَّتْ عليهم ؛ فغمرت الآفاقَ بأمطارِ القَبُولِ على الطالبين . وهم النُجَباء الخلفاءُ الهادون المهتدون الراشدون ، الراسخون على القدم المحمدي(٣) الذي تُورثُ منه علوم اليقين ، وطَالَتْ أعناقُهم بنزولِهم إلى مقام الخاملين المتواضعين ، ورشَحَتْ ونَفَحَتْ من أنفاسهم ثمراتُ القُرْبِ والنعيم ، فَخِلَعُ الحُسْنِ والجمال لِبَاسُهُم بعد شهودهم ، فَنَظَرَاتُهُ(٤) شَمِلَتْهم وتولَّتْهم ؛ فَنَجَحَ مطلبُ الطالبين في مطلبِهم ، ورَمَقُهُمْ في فَضْلِهِ وكرمِهِ وجودِهِ ، وَتَخَلَّوا من كُلِّ غَيْرٍ وَسِوَى ، ثم بعد ذلك غاصوا في البحر المحيط ؛ فَالتَقَطُوا من جواهر ذلك البحر . فَهُمْ في أَتَمِّ النَّعِيم يَتَقَلَّبُون وارِدِينَ وصَادِرِين ، وهو حق اليقين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وَبَعْدُ : فقد أَيَّدْنَاكَ أيها الطالبُ الراغِبُ إلى طريقتنا ، وأَرْشَدناك إلى سلوك عين اليقين ، وألبسْنَاكَ من سَنَاها ، وأَشْرَقْنَا عليك شمسَها ، التي [لا تغيب](٥) ولا تزول عن مُشَاهَدةِ العارفين ، أما المُعْتَقِدُ فله منها نصيبٌ على قَدرِ نيته ، فهي الرحمة المُهْدَاةُ لأَرْبَابِ القلوب ، فنَارَتْ(٦) في مِشْكَاةِ

---

(١) في (ب) : بحقيقة .

(٢) لعله : فأنخت .

(٣) في (ج) : المحمدية الذين تورث منهم .

(٤) في (ب) : فنظرته .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل :لا لها مغيب .

(٦) لعله : فأنارت.

هيكَل الجسم الترابي ؛ من الطينة المشرَّفة[1] بهذا السِّرِّ ، المعجونَةِ بماء التوفيق . فمن [هنا][2] طَاحَتْ الإشارات ؛ لأنه أعز المقامات وأكملها وأجلها وأعظمها . فَكُلُّ خَالٍ عنها فليس به عِبْرَه ، وكل من عَرَفَهَا صَانَهَا لِعِزِّ قَدْرِها ؛ لأن المتحقق الذاتي تكون فيه واحده ، ثم تَفْتَرِقُ علىٰ أَبْوابٍ مشتركة ، متشابهه في رأي العين الإنسانية ، ثم تجتمع في عين واحدة لانفِرادِ ذاتِها ، ومِنْ أين العَبدُ هنا إلاَّ مِنْ رَبِّه[3] ؛ وما ظَهَرَ في الخَلْقِ إلا الحَقُّ سبحانه [وتعالىٰ][4] ، وَمَظْهَرُ العَبْدِ مِنْ رَبِّه ؛ فالشكر لله علىٰ ذلك .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١)

وإن التَبسَ عليك أَوْهَامُ [وُهُوم][5] أو رسومٍ أو نسب أوحسب أوجِدٍ أو اجْتِهَادٍ وَفَقدٍ، وُجُودُهُ في مَوْجُودِهِ ، فَكُلُّ من كانت أَعْمَالُهُ لائقة بها في الكتاب والسنة ؛ فله من ذلك نصيبٌ وحِصَّةٌ، لكن قد تكون فيه من صفات وذات ، وإن كان مِمَّنْ يتوبُ عن ذلك كُلِّه ، ويحفظه ولا يسكن إليه ؛ بل ينظر ما يفنيه[6] عن حِسِّهِ[7] ويُغيِّبُه عن كَوْنِهِ وجثمانيته مُتَرَقِيًّا إلىٰ مقامِ الفناءِ وعَدمِ العَدمِ . وكان يدل علىٰ مقام القهر قوله تعالىٰ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[سورة الأنعام : آية ١٨] ، اللهم اجمَعْنَا عليك بلطفك ورحمتك ، التي وسعت كل شيء . وكان نبينا محمد ﷺ عينُ الرحمةِ ، المُسْتَحِقُّ للمقامِ

(١) في (ج) : المشرقة .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ج) ، وغير موجود في الأصل ولا (ب) .
(٣) في (ج) : الأَمْنُ مِنْ ربِّه .
(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) .
(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : وهو .
(٦) في (ب) : يغنيه .
(٧) في (ج) : عن جسده .

المحمود. وخُلِقَ جبريلُ ـ عليه السلام ـ من نورِ عقلِهِ ﷺ . وركبوا(١) أهل الله معه ـ ﷺ ـ على النَّجَائبِ السَّابِقات، إلىٰ حضرة القُدسِ ، وعَرَجَتْ أرواحُهم إلىٰ فيضِ الفضل العظيم ، وكانوا في مقامَاتِهم وعوالِمُ السماوات تحت نظراتهم العالية . وَسَمَتْ هِمَمُهُم إلىٰ العلم اللَّدني والمشربِ الصافي الهَنِي ؛ فَنَفَحَتْ مِنْ أَنْفَاسِهم ، ولاحَتْ من بوارقِ أنوارهم ، وفَاحَتْ من مناطقهم ؛ فكان لِكُلٍّ منْهُمْ مقامٌ علىٰ قَدْرِ ما يُفِيْدُه . فالوَلِيُّ له كَرامةٌ تظهرُ علىٰ يَدَيه ؛ لِيُصْلِحَ بها قلوبَ المُريدين المتوجهين ، فينالون ذلك(٢) من فيض أَمْدَادِه الربانية ، وغَيرَ ذلك ، وقد يَقَعُون في نِعمٍ وبَسْطٍ . فَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّه نَالَهَا وأَتَتْهُ مِنْ حُسْنِ سيرتِهِ وعبادتِهِ وعَمَلِهِ وَنَسَبِهِ ؛ فَقَدْ ضَلَّ عن هذه الطريق ، ومن رَآها مِنْ مَدَدِ أستاذِهِ واعتنائه(٣) به دَامَتْ له ﴿ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال : آية ٤] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٢)

وقد يكونُ وَلِيٌّ ويَعْلَمُ أَنَّهُ وَلِي ، وَوَلِيٌّ لا يَعْلَمُ أَنَّهُ وَلِي ؛ كُلٌّ علىٰ قَدرِ وُسْعِهِ ، ويكون الأولياء مختلفين ، أحدُهُما وَهْبِيٌّ والآخَرُ كَسْبِيٌّ ؛ فالوهَبِيُّ إذا عَلِم ولايتَهُ ؛ كان ذلك زيادةً له وكمالاً ، والكَسْبِيُّ لا يعلمها ؛ لِئَلاَّ يرىٰ ذلك من إحسَانِه وثمرةِ عَمَلِهِ وكَسْبِهِ ، ويكونُ تَحْتَ مقامِهِ ، والوهبي مُنَزَّهٌ عن كُلِّ عِلْمٍ وَعَمَلٍ ؛ فيكون أعلىٰ شَأناً مِنْهُ ، والكَسْبِيُّ مقامُه جُنْدِي مِن جنودِ الولاية الكبرىٰ ؛

(١) لعله : وركب ، أو على لُغَةِ : (أكلوني البراغيث) .

(٢) لعله : بذلك .

(٣) في (ب) : واستغنائه .

إلا أنها قد تكون بنعت[1] النبوة وميراثِها ، ولكن ليس له في ذاته خِيرَةٌ ولا اختيار . وفي الحقيقة أن جميع أحوالِهم ومقاماتهم اختصاصيه ؛ لقوله تعالىٰ ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء ﴾[سورة البقرة : آية ١٠٥] ، فهو اختصاص إلهي معبودي[2] ، وقد خَفِيَ عن جملة أهل البصائر إلاَّ خواصهم ؛ الذين ارتقوا إلىٰ المقام الأعلىٰ ، الفائق علىٰ كُلِّ درجةٍ ومقامٍ وحَالٍ . فالحال حال ، والمقام مقام ، وهذا من معدن سِرِّ الحقيقة المحمدية ، ودَائِرَتُهَا واحِدَة ، وتورث من واحدٍ إلىٰ واحد ، وليس الوارثون سوىٰ[3] . وانقطع ظاهرُ النبوةِ بالوحي ، وبَقِيَ باطِنُها وسَرَتْ منها علومٌ لَدُنِّيَّه ، ما لِلَّفْظِ فيها مجالٌ ولا مدخل ، فيَعودُ الشيءُ إلىٰ أصلهِ . قوله تعالىٰ ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[سورة الحشر : آية ٧] ، فَلزِمَ كل طَامعٍ في ذلك ؛ أن يكونَ مُتَّبِعاً علىٰ الرَّأسِ والعين . وهم[4] طَوَائفٌ في ذلك ، ولهم تَفْصِيل وتجميل[5] ، وفيها جُمْلَةُ أبوابٍ متفَرِّقَةٍ ، وليس في كُلِّ بابٍ ما في الثاني ، وقد يبرُزُ من التَّفْصِيلِ شيءٌ ما يُفِيْدُ صَاحبَه ؛ لِقِلَّةِ وُسْعِهِ في هذا العلم ؛ ولكِنْ لَهُ نَصِيبٌ . والباب الإجمالي يجمعُ جوامعَ الكَلِمِ ، قوله تعالىٰ: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾[سورة سبأ : آية ٣] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[سورة الرعد : آية ٧] ، نطق به القران العظيم ، وتكون له الخلافةُ ، وهي خَفِيَّةٌ ، ولا عليها حُكْمٌ للظاهرِ ، وللباطِنِ[6] وَحْيٌ إلهاميٌ، فهو مَجمعُ البحرين والعِلْمَين[7] ؛ فان ظهرَ من الحقيقةِ ظاهراً ؛ أَظْهَرَتْ مشكاتها . وهي الزجاجةُ ، وخُمرَتُها مَعْنَوِيَّة ذاتِيةٌ ، لا يظهرُ منها إلا ما فيه مصلحةٌ للطالبِ ؛ لأنها تظهرُ[8] علىٰ ظاهِرِهَا

(١) في (ج) : نَبعت .
(٢) لعله : من الإله المعبود .
(٣) لعله : سَوَاءٌ .
(٤) في (ب) : ولهم طرائق في ذلك .
(٥) لعله : إجمال .
(٦) في (ب ، ج) : والباطن .
(٧) في (ب) : العَلَمين .
(٨) في (ج) : تُزْهِرُ .

وسِرُّهَا في باطِنِها ؛ ليشربَ الذائِقُ والعاشقُ بِإِذْنِهِ شيئاً يليقُ به لا يُسْكِرُهُ ولا يُدْهِشُهُ ؛ يكون غالباً ولا مغلوباً.

*　*　*

﴿ فصل ﴾

(٣)

[وتصبح](١) حقيقة ذلك العارفِ لا يَسَعُهَا شيءٌ من المخلوقات غَيْرُهُ ؛ لأنه قد وَسِعَ الحَقَّ ؛ كما في الحديث الصحيح : (ما وسعني أرضي ولا سمائي و وسعني قلب عبدي المؤمن) ؛ وليس هو قلب كل مؤمن من جملة المؤمنين ؛ وإنما هو الذي وَرِثَ الخلافةَ المحمدية ، على نص الحديث الصحيح . فهو عينُ الحقيقة المحمدية ، الذي(٢) أخذ منها [أولوا](٣) العزم من الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم . هذه المواثيقُ الذي(٤) أُخِذَتْ منهم لهذا المقام المحمدي ، وكذا سائر الأنبياء والأولياء الجميع ، فهي دَائِرَةُ الكُلِّ وجَامِعَةٌ للكلِّ ، قال الله تعالى :﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سورة ق : آية ١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ، ولأنها جَرَتْ بعدالةِ وظهورِ الحَقِّ الصِّرْفِ ، وكلٌّ عاجزٌ عن ذلك الفَنِّ والوصف .

*　*　*

(١) ما بين المعقوفتين في (ج) وفي (أ ، ب) : وتصحيح .
(٢) لعله : التي .
(٣) ما بين المعقوفتين في (ب ، ج) وفي الأصل : ألو.
(٤) لعله : التي .

﴿ فصل ﴾

(٤)

ومَنْ عَرَجَتْ روحُه إلىٰ وُصُولِه ، فما وَصَلَ إلا بِهِمَّةِ الدَّاعِي وعَزْمِهِ ، فصار سيرُهُ إليه وخدمتُهُ له ؛ مِنْ مِنْحَتِهِ وجُودِهِ ، فيكون شاكراً لمن أَنْعَمَ عليه ، لا لِنِعْمَتِهِ الذَاتِّية ؛ لأن شكره قاصرٌ عن النِّعْمَةِ الذَّاتِيَّة ، ومن أين بَرَزَ ذِكْرُهُ وَوُجُودُهُ ؛ إلاَّ بفيض الوراثَةِ المحمدية ؟! ، فلها الإرادةُ (إرادةُ الخالقِ) ، فلها في الخَلْقِ الإرادةُ والتمكين ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[سورة الحجر : آية ٢١]،نص القرآن ، ولكنَّ وقُوفَكَ علىٰ الباب ، ولزومَكَ الآدابَ ؛ ضَمِيْنٌ لك وكَفِيْلٌ بنصِيْبِكَ من ذلك الفن الغَالِي ، فإن قَصُرتْ هِمَّتُك عن مُطَالعةِ ذلك ؛ فارجع إلىٰ باب الذِّلةِ والإفتقار.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٥)

ومن نوَّر اللهُ قلبَه وجَلَىٰ بصيرتَه ؛ كانت له مُنَازَلَةٌ في كُلِّ شيءٍ ، وله في كل المخلوقاتِ فِكْرَةٌ وَعِبْرَةٌ ، فهو لا يزال في حضرة القدس ؛ أَعْنِي : الحضرة المحمدية ، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ ﴾[سورة الشورىٰ : آية ٥١] ، فإن أَعْطَىٰ أَحَداً منهم ؛ فهو يُعْطِي كُلَّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ ، فَمَرَاكِزُ أولياء الله تعالىٰ ، ودائرتهُم الكُلُّ تحت دائرةِ القطب ؛ لأن أَحْكَامَهم تدور بأمره ؛ فَتَصحُّ(١) وتَثْبُتُ له . فمنها ما يبرز علىٰ تمامِ نعمتهِ ؛ لأنه يَرَىٰ ويَشْهَدُ المنعمَ قبل ظهورِ بشريتهِ ؛ فما بقىٰ هنا حجابٌ . ولا يزالُ له مِنها سلطانٌ يتولَّىٰ جُنُودَ النَّفْسِ والهَوىٰ ؛ وكَيدُ الشيطانِ في ذلك

(١) في (ج) فتصبح .

ضعيفٌ ، وقوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ .... ﴾ [سورة هود : آية] الآية ، ويصيرُ مَظْهراً لكل وُجْهَةٍ(١) لقوله تعالىٰ: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[سورة البقرة : آية ١١٥] ، فما تكون حقيقة الكمال الكُلِّي إلا لله سبحانه وتعالىٰ ، وصار صاحبُ هذا المقامِ يدعوا إلىٰ الله علىٰ بصيرة ، نص علىٰ ذلك القران العظيم ؛ حيث ذَكَره(٢) اللهُ سبحانه وتعالىٰ الإتباعَ(٣) في قوله تعالىٰ: ﴿ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[سورة يوسف : آية ١٠٨] ، ليسقُطَ العبدُ إلىٰ(٤) تحقيقِ العبوديةِ الرِّقية المحضة(٥) ، فربوبيته مُتَوَلِّيَةٌ(٦) للعبوديةِ ؛ بلا شك ولا ريب . فأظهرَ الحقُّ سبحانه وتعالىٰ علىٰ عبدهِ الكاملِ نعمتَه ، لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾[سورة الزخرف : آية ٥٩] ، فصار العلمُ الحقيقي في ذلك لا نهايةَ له ؛ لكمالِ الولايةِ التي لا يَعْتَرِيها بها خَوفٌ ولا حُزْنٌ ، لأن قلوبَهم مُنَوَّرةٌ ، ووجوهُهُم نَاضِرةٌ إلىٰ ربها ناظِره . ولهم مقامات ومراتب ودرجات ، كُلٌّ علىٰ قَدْرِ وُسْعِه وَشَرْحِ صَدْرِهِ لأن مقامه الإخلاص لقوله تعالىٰ: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[سورة الزمر : آية ٣] .

❊ ❊ ❊

(١) في (ب) : مَظْهر الكُلُّ وَجْهَه .

(٢) لعله : ذكر .

(٣) في (ب) : حيث ذكره تعالى الإتباع والسُنة .

(٤) لعله : على .

(٥) في (ب) : المحصَّنه .

(٦) في (ب) : متوالية .

﴿ فصل ﴾

(٦)

وَأَلبَسْنَا كُلَّ مخلصٍ خِلعةَ الكاملين ؛ فَتَاقَتْ وتَاهَتْ ألبابُهم إلىٰ أعلىٰ عليين ، وهو المقام الأسنىٰ الذي عاشت فيه قلوبُهم ، واستغرقوا في علومهم اللدنية ودليله في الآية: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[سورة ق : آية] . ونَظْرَتُنَا إليهم أَرْفَعُ وأعلىٰ مِن نظرةِ المُتَوَجِّهِ إلينا ؛ لأنها الإكسيرُ والكبريتُ الأحمر ، والترياقُ المجربُ[١] ، فصاروا في أشرف المنازل، ولكنهم لا [يخلون][٢] من حُسْنِ الأدب ، فَهُمْ بين الرَّجَاءِ والخَوفِ ، يخشونَ من اختيارِهِمْ وطَلَبِهِم ؛ لأنها من الحُظُوظِ النَّفْسَانِيةِ . و نحنُ ما ننطق إلا بما يُقَالُ لَنَا بِهِ ، فَمَنْ دَخَلَ تَحتَ أَمرِنَا ونَهْيِنَا وطاعَتِنَا ؛ فهي طاعةُ نبينا محمد ﷺ . فَكُنْ يا مُرِيدَنَا مَعَنَا في مقامِ الفناء ؛ ولكِنَّ الإقامَةَ مِنَّا وليس لَكَ مدخلٌ في ذلك ، فَإِنَّا إذا نَظَرْنَا إلىٰ المريدين بعين الرحمةِ ، فَرَّقْنَا عنهم الخِيرَةَ والإِخْتيارَ ؛ فليس لهم في نفوسِهِم مدخَلٌ ولا مُرَادُ ولا وُجُودٌ ؛ بل نفوسُهُم مع ذلك مطمئنة ، رَاجِعةٌ بالرِّضى ، وداخِلَةٌ في جنةِ المَعَارِفِ الأولىٰ . ولا يزالون[٣] فيما هُمْ فيه من التَّلَذُّذِ والذوق ؛ فيما أَفْنَاهم عن وجودِهِم الكُلِّي[و][٤] نَسبهم وحَسَبِهم وأعمالِهم ؛ فليس يَعُدُّونَها لأنهم قد ذاقوا الثمرةَ ؛ فلا ينظرون إلىٰ الشجرةِ ، فَزَالَتْ عنهم بقَايَاهُم ، وبذلوا مُهَجَهم ، واستحلوا واستحقوا سَفْكَ دِمَائِهِمْ ؛ فكانت أَنْفَاسُهُمْ ساعات ، وأيامهم شهور ، وشهورهم سنين وأعوام ، فأدركوا بذلك المرهم[٥] مالا يُدْرِكُه[٦] غيرُهُم من

---

(١) في (ب) : المجربة .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل : يخلوا .

(٣) في (ب) : فلا يزالون .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السياق .

(٥) لعلها : الأمر .

(٦) في (ب) : يدرك .

السالكين والعابدين القائمين الصائمين ؛ لأنَّ مقامَ العُمَّال طريقة[1] ؛ والأولى طريقة حقيقة ، وكُنْ[2] مع الأولِ مِنْ أَلْفَاظِنَا ، وذلك لهم طبقة[3] ، صلاحهم في ذلك .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٧)

وأما البصيرة ، التي نطق بها القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [سورة يوسف : آية ١٠٨] ، في دائرة أمره السَّابِقِ واللاحق ؛ لأنها من جَذْبَةِ عينِ الجَمْعِ الأصلي ، اللائِذُ به كُلُّ شيءٍ ، وَوَسِعَ كُلَّ شيء ، مدد رباني منزه وقائم معه على ذلك من الخلافة ، لِمَا أَمَره[4] به من الموافقة للخليفة ، فانتشرت وبرزت من الإتباع و الإقتداء بحقيقة الخلافة.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٨)

وإِيَّاك أن تَقَرَّ عينُك إلا بشهودِ الحقيقةِ التي شمسُها لا تغيب ، لِيُنْفِقَ ذو سِعَةٍ من سِعَتِه. والبيانُ علينا أسرعُ من طَرفَةِ عين بعينِ الإيجاد ، والشُّكْرُ قيدٌ للنِّعْمَةِ لقوله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [سورة إبراهيم : آية ٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سورة سبأ : آية ١٣] ، وَنَظَرُ

(١) لعل العبارة : لأن مقام العمال طريقة سلوك ، ...

(٢) لعله : فكن .

(٣) لعل العبارة : وذلك المقام ـــ يعني : مقام العُمَّال ـــ له طبقة صلاحهم في ذلك .

(٤) في (ب) : لما أمره من الموافقة ، ولعله : لما أمر به من الموافقة للخليفة .

العارفِ بالله يُوجِدُ السِّرَّ(١) ، ويَجِدُهُ من غير واسطة ، فيكون مُتَلَقِّي الكَلِمَ الآدمية الأبوية التي تَجْلِي القلوبَ بنورِ ابتسَامها ؛ مِنْ تَجَلِيَّاتِ المعاني المعيَّنة شعراً:

(٣)أمسى بروق الوصل والإنعامِ يبسم ويهدي من سناه السامي

فتلقى من أسمائه يا أدمي ماء الحياة ونعمة وإكرامي

فترى المحبين صرعى في ثملة كَفِتْيَةِ الكهفِ يُقَّظٌ(٢) نوامي

* * *

﴿ فصل ﴾

(٩)

والذِّكْرُ إذا صَحَّ أَفْنَى الذَّاكِرَ في المَذْكُورِ ، وصَحَّتْ له الحياةُ الأبدية ، فحُكْمُهم حُكْمُ أهلِ الخُلود في الجِنَان العالية(٤)، وهم أهلُ جنةِ المعارفِ ، فإذا وَرَدَ عليهم كشفٌ ، لا يُقْتَضَى(٥) بيانه ، فليس(٦) في ذلك مصلحةٌ ولا صوابٌ ؛ لأن الحقَّ لا يحتاجُ إلى ظُهورِ دليلٍ يَدُلُّ عليه ، ولا عِلم وخَبرٍ يُتَوجَّهُ به إليه ، فهو قبل وجود(٧) العِلْمَينِ الصحيحين ؛ فمن أَتَى إليهِ فما أتى إليه إلاَّ بِهِ ، ولا شافع(٨) إلاَّ من شفاعته ، والإحسانُ ما بَدَأَ إلا مِنْ إحسانه ، وقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٠] الآية ، فلا جاز(٩) للعبد طَلَبُ الخروج من ذلك ؛ فإن عين

(١) في (ج) : السرور .
(٢) في (أ) : أيقظ في (ب) : يُقَّظ .
(٣) في (ب) : البيت الثاني قبل الأول .
(٤) في (ب) : العَلِيَّة .
(٥) لعله : فلا يُقْتَضَى .
(٦) في (ب) : وليس .
(٧) في (ب) : وجوده .
(٨) في (ب) : فلا شافع .
(٩) لعله : فلا يجوز .

الحقيقةِ تستغرقُ الكُلَّ فيها ، فلا لأحدٍ عنها خروج ، ولا دخول إلا بها ، والأَمر أعظمُ مِمَّا يُتَوهَّمُ في ذلك . وقف جبريل عليه السلام ليلة الأسرىٰ عن الرسولِ محمد ﷺ ، فلو تَقَدَّمَ حَدَّ الشَّعْرَةِ لاحترقَ ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [سورة الصافات : آية ١٦٤] ، فإن السِّرَّ العظيم والمقامَ الكريم خُصُّوا(١) به أَهْلُهُ ، وَحَمَوهُ وحَفِظُوهُ عن غيرِ أهلهِ . وعينُ الامتنانِ ناظرةٌ ـ في عَيْنِهِ ـ لمن أقبلَ عليه واندرجَ وانطوىٰ فيه ظِلُّهُ الباسِطُ(٢) علىٰ سمائه وأرضه ؛ وقد تكون عَطِيَّةُ الطالبِ لَهُ ما هِيَّ عَطِيَّة(٣) المطلوب ، وليس عَطِيَّةُ الُمحِبِّ كمِثلِ [عطية](٤) المحبوب ، ولا بُدَّ مِن الفرقِ بين المقامات والعطايا الُمْكِنَات وقوله تعالىٰ: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ [سورة النساء : آية ٧٩] . فقف علىٰ باب واحدٍ ترىٰ الوجودَ مضبوطاً مفعولاً به ؛ تحت رأيِ الشارعِ محمد ﷺ ، والتَمِس من ذلك الحَكَمِ كُلَّ عِلْمٍ،قوله تعالىٰ : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [سورة الزمر : آية ٤٧] ، فنظروا إلىٰ العلم الأَسْنَىٰ الذي هو أعلىٰ درجة عند أهله ؛ لأنه إمامُ كُلِّ عِلْمٍ ، فأخذوا(٥) منه العلماءُ ، كُلٌّ علىٰ قَدْرِ عِلْمِهِ وفَهْمِهِ ؛ لأنهم من طائفة المقَلِّدين فسيرتهم(٦) ، تابعون وسامعون لما نطق(٧) لهم به ، فهم يأخذون عنه ما يقدِرُون ؛ ويتركون ما لا يحتملون من ذلك .

❊ ❊ ❊

(١) لعله : خُصَّ .
(٢) في (ب) : الباسطة .
(٣) لعلله : ليست كعَطِيَّةِ .
(٤) ما بين المعقوفتين في (ج) وفي (أ ، ب) : كمثل المحبوب .
(٥) لعله : فأخذ .
(٦) لعله : في سيرتهم .
(٧) في (ب) : ينطق .

﴿ فصل ﴾

(١٠)

وأما أهلُ الكمالِ فأنهم يأخذون من العلم الفائق ، وخَاضوا بحوراً عميقة ؛ لأنه العلم الواسع و البحر المحيط ، وأكثرُ ما يُبْدُونَ منه الإشارة(١) ، ولا ينطقون بالعبارة ، يخشونَ من الغَلَطِ ، إلا لمن له فَنٌّ في ذلك . وقوله تعالىٰ : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [سورة فصلت : آية ٥٣] ، وهو في ذاته منزه مقدس من لا له فيه مدخل ؛ لكن لهم فيهِ فَنٌّ العجز؛ لأن " العجز عن درك الإدراك إِدراكٌ " ، ومرادي بذلك هيبة(٢) وصيانة ، لأنها عزيزةُ قدر(٣) عن أن تُنَالَ بالجَدِّ والاجتهاد ؛ حاشا وكَلاَّ ، وقوله تعالىٰ للشَّيءِ : كُنْ ؛ فيكونُ . فما يستحق الأزل المطلق إلاَّ لنفسه في أزلِهِ وقِدَمِهِ ، فالسِّرُّ المصون بين الكاف والنون ، وهو سبحانه وتعالىٰ لا يُسْأَلُ عَمَّا يفعلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ، فوقعوا العلماء علىٰ تلك في حقيقتهم وشريعتهم ، يأخذون بدلائلها وبحِصةِ الحديث النبوي ، وركبوا علىٰ سفن السلامة ؛ لأنهم رشدوا باتباع الشريعة ، وكان قائدهم الرسول محمد ﷺ بالاتباع له والمحبة والإنقياد قوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : آية ١٢٨] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، فهذه النعم التي أتت منه ﷺ.

*   *   *

---

(١) في (ب) : ما يبدون منه إلاَّ الإشارة .

(٢) لعله : هيبتها وصينَتها .

(٣) لعله : القدْر .

﴿ فصل ﴾

(١١)

فكُنْ مُتَحَقِّقَاً بأن عِلمنا هذا لا يَسَعُه إلا أهلُه ، ولا يفهموه[١] إلا من فَهَّمُوه ، والكُلُّ عاجِزٌ عن ذلك ؛ فله العِزَّةُ ، وإلاَّ فَفُنُونُهُ كثيرةٌ كَمَفْتُوحَةٍ مغلقةٍ ، لأَنَّ هذه الحقيقة مشتملة على فنون ومراتب يعجزُ الواصفون عن وصفتها ؛ لأن العلوم والمعلومات تقتَضِي : عِلْماً ظاهراً ، وعِلماً غيباً[٢] فَفَنُّهُ الإشارة ولا تسعه العبارة ، قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[سورة الأنعام : آية ٧٥] ، وهذا من طريق الذوقِ والمشاهدةِ ، وقد يكون مِن المُقَرَّبِ الإطلاعاتُ والمكاشفاتُ ؛ فليس فيها [إلا][٣] التجردُ إلى بلوغ المعاني ، وكثير من العارفين الفضلاء لا يلتفِتون إلى طلبِ ذلك ؛ لأنه قد يقعُ خَطَرٌ [عظيم][٤] من طَلَبِ جَاهٍ أو منزلةٍ عند الناس ، فهي ناقصةٌ فلا فيها فائدة ولا كمال ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[سورة الحج : آية] ، لأن الحقيقةَ حقيقتُها مِنَ النُّورِ العقلي ، فإذا صحَ نُورُ العقلِ مَعَكَ ؛ بَقِيَ كُلُّ شيءٍ تَابعٌ ولا يَضُرُّكَ ما يظهرُ من ذلك ، فَسُمِّيَ معراجُ الأرواحِ على سُفُنِ الرَّوَاح المعنوي ، ففيه شيءٌ عميق وعلمٌ ما أَحَاطَ به إلاَّ أهلُه.

❋ ❋ ❋

---

(١) لعله : ولا يفهمه .

(٢) في(ب) : غيبيَّاًفَنَّهُ الإشارة ...

(٣) ما بين المعقوفتين في (ج) ، وفي الأصل و(ب) : فليس فيها التجريد .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) : عظيم .

﴿ فصل ﴾

(١٢)

وغايةُ أهلِ الكمال التَّجَرُّدُ عن طلبِ الحقائق ؛ فإن لها مراتباً وشأناً فوق شأن ، وفيه مقامُ المخلصين ، قوله تعالىٰ : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [سورة الزمر : آية ٣] . ومرتبةُ السِّر الخفِي عِلمٌ وهبي لَدُنِّي ، وسيفٌ صارمٌ قاطعٌ كُلَّ غفلةٍ وفَتْرةٍ ؛ فصح له أن يُمَدَّ من ذلك العلم ؛ علىٰ وُسْعِ الطالبِ بأمر أستاذه ؛ لأنه ـ أي : أُستاذه ـ بحرٌ مغرق ونار تحرق ، فما بقي هنا ضِدٌ و لا شَكٌ ولا وَهْمٌ ، وفي الحديث الصحيح : (ما وسعني[١] سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن) ، وكل شيء مفروض علىٰ ذلك ، ومُعْتَبَرٌ بذلك ؛ أَعْنِيْ : الحقيقةَ الأحديةَ ؛ وهي حقيقةُ الجمعِ ، لأنه [سِرٌّ][٢] لا يحتاج إلىٰ التصريح ، وكُلُّهُمْ راجعون إلىٰ تلك الحقيقة التي انتشر معنَاهَا في جميع المخلوقات ، وَسرَتْ بلُطْفِها سَريَانَ النَّسيم ؛ فَمنْ شَهِدَتْهُ شَهِدَهَا ، ومن جَحَدَتْهُ جحدها ، فما وَصَلَها وَاصِلٌ إلا بوَصْلِها إليه ؛ بسابقة إحسانها إلىٰ الكل ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾[سورة السجدة : آية ١٣] الآية.

❋ ❋ ❋

﴿ فصل ﴾

(١٣)

فباب الهدية مفتوح لكن عليه حُجَّابٌ ، ولا بد من الإذن فَمَنْ لا مَعَهُ إِذْنٌ فلا يمكن دخُوله وولوجه ؛ لأَنه مقامٌ عزيز ، وكلُّ بابٍ راجعٌ إليه ، وهو القدم المحمدي الراسخ القوي ؛ فسعوا[٣]

---

(١) في (ب) : أرضي ولا سمائي .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ج ، ب) ، وفي الأصل : ستر .

(٣) في (ب) : فتتبع ، ولعله : فسعى .

العارفون وَرَاءَ القدمِ [المحمدي][1] علىٰ صُفُوفِهِم ، كُلٌّ علىٰ مقامه ومكانِهِ لازمٌ الأدبَ لا ينظرُ إلىٰ مقام غيره ؛ بل يكونُ طائعاً راضياً بما أُقِيمَ فيه ، لأنه يُعْطِي كُلَّ ذي حقٍ حَقَّهُ ، وربما وقعت الصفاتُ التامةُ اللازمة المستعدة المشتملة علىٰ باب الرِّضَى والسخط ؛ فيكون تارةً إلىٰ محو اسمِهِ ، وتارةً إلىٰ محو رَسْمِهِ ، فبذلك صح نورُ قلبِهِ من فَيضِ النُّورِ الإلهي ؛ فيكون له في كل وَقتٍ استشرافٌ علىٰ علومٍ ورُموزٍ وكُنوزٍ خَفِيَّة ، وَيُدَلُّ علىٰ ذلكَ بدليل الكتاب والسُّنة ؛ حيث لا يدخله غيرُ أهلِهِ ، لأنهم أهلُ الحضرة المقدسَةِ ، فَكُلٌّ له اسمٌ من اسمائها ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ .... ﴾[سورة الشورىٰ : آية ٥١] . فَصَحَّت الخلافة التي وَعَدَ بها الحقُّ ونَطَقَ بها القرآن العظيمُ في قولهِ تعالىٰ : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[سورة النور : آية] الآية ، وهي الخلافةُ المحمدية بعد انقطاعِ النبوةِ ، فتكون مختلفة علىٰ تمام دائرتها ، فتنتظم من واحِدٍ إلىٰ واحد ؛ قوله تعالىٰ : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَاد ﴾ [سورة الرعد : آية ٧] ، ويستكمل في ذلك ويحوي كل مقام ، ويَعْلَمُها ويَحُسُّهَا أولوا القلوبِ والبصائر ، ويظهرُ سلطانُها وقهرُها لِكُلٍّ بالمَعْنَىٰ ، ويكون علمٌ خفي وسِرٌ لطيف ، وربما حصل له علم ذوقي ؛ فلا يَبوحُ به ولا ينطقُ به إلاَّ لأهله المتشوِّقِين إليه ، لأنه شَرِبَ لِعَطَشِهِ من صَفْوِ المعدِنِ المحمدي ، الذي منه إمداد المخلوقاتِ من النفائس والأسرار المعنويات ؛ فينظرُ تارةً إلىٰ عَدَمِهِ في وُجُودِ ذلكَ ، وتارةً ينظرُ إلىٰ وجودِهِ فيه ، فله المِنَّةُ في ذلك الشُّرْبِ الصِرفُ الذي [لم][2] يمازِجُهُ غير ، وبعد ذلك[3] يرتفعُ الحجابُ بينَه وبين السِّر الخَفِي المطلق ، الذي تَشَرَّفَتْ به البِقَاعُ والجهات والمعلوماتُ والموهوماتُ ؛ وذلك مَظْهَرُ الذَّاتِ، ويجتمع بعضُه ببعضٍ ، فَتَتَبَعَّضُ المشروباتُ ؛ لأنَّ كُلَّ ما في الوُجُودِ دَليلٌ علىٰ الغيبِ ،

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) .
(٢) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .
(٣) في (ج) : وبعد ذلك يرجع يرتفع .

وبعد هذا يَتَرَقَّىٰ إلىٰ مقامٍ عالي لا يُخَامِرُه غيرُ أهلِه ، فهنا وقع الفرط[1] العظيم قال الله تعالىٰ: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [سورة الفتح : آية ٢٩] الآية .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٤)

وأربابُ الكشفِ لا يَسْتَنِدُونَ إلىٰ عَينِ الكشفِ إلاَّ لأنَّه دليلٌ علىٰ الغيبِ ؛ فآمنوا به لطلب الشُّهودِ والإطلاعِ علىٰ أسرار غَيبيَّةٍ ، فتزُولُ عنهم الظُّلَمُ والشُّكوكُ والأوهام ، فليس لهم شُغْلٌ بغير الحَقِّ وذِكْرِهِ ، فَحَصَلَ لهمُ الشُّهودُ . ولا كَشْفَ حقيقي تام إلاَّ لحقيقةِ مَظْهَرِ الرَّسول محمد ﷺ ، والموافقة له ، والمتابعة لأَمْرِهِ ، والمحبة والرِّضى في طَلَبِ رِضَاه ؛ لأَنَّه أَبُ الأرواحِ ، وآدمُ أَبُ الأَشْباح . فاعدل إلىٰ رؤية المقام المحمدي ؛ لأنه المقام الجامع الخاتم قوله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] ، فَاغْتَنِمْ بذلك المقامِ الطَّاهرِ الزَّكي الوفي ، فمن كان طَلَبُهُ ذلك ؛ كانت له العزةُ الكُبْرىٰ ، فَيَالها مِنْ عِزَّةٍ بَرَزَتْ مِنْ عينِ الفَضْلِ والجُودِ ..! ، ونَارَت قلوبُ أهل البصائر من ذلك ، فهم ممن ظهرت محبتُه في أهل السموات والأرض ، فَيُنَادي المُنَادي بمحبته ،وتصرح الملائكة باسمه . وقوله تعالىٰ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١١٠] ، والرسول محمد ﷺ شاهد علىٰ سائر الأمم ، والصحيحُ أن عيسىٰ عليه السلام من خَوَاصِّ أمةِ محمد ﷺ ، ولم يُجْعَل مِن أمةِ غيرِهِ من الأنبياءِ ؛ فقد دَخَلَ في أَعْدَادِنَا ومِنْ جُمْلَتِنَا . فهذه أسرار غيبية معنوية لطيفة يدركها العارفون الكملاء ، وتُحْمَىٰ عن العابدين[2] السالكين ، وقد حَبَانَا اللهُ بذلك ، وتَقْصُرُ أوهامُ الواهمين

---

(١) لعله : الفرق .

(٢) في هامش (أ) : عن المقصرين .

عن إدراك ذلك . وسلطانُ الجَمَالِ علىٰ أهلهِ ؛ كَسَاهُمُ الحَقُّ ذلك ، فهم مع ذلك راجعون إلىٰ حقيقة عبوديتهم ، وخالعون عنهم الهوىٰ ، والشيطانُ عنهم بمَعْزِلٍ : ﴿ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [سورة المائدة : آية ١٠٥] الآية ، فكم [من][١] عارفٍ أَشْعَثُ أغبرُ لو أقسَمَ علىٰ الله لأبرَّه فيما أقسم به عليه ، وأعظم من ذلك ، لكن أَخْفَيْنَاه ، فلا يبوح[٢] به إلىٰ غير أهله ، والدِّينُ النصيحةُ ، فمن كَثَرَتْ نصائحه ؛ كَثَرَتْ في الخَلْقِ أعداؤه ، لكن العارفَ يَتَخَلَّقُ للناس بأخلاقهم لئلا يقعون في المحذور ؛ فهذه رحمة بهم ولطف .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٥)

وعند الخواصِ علومٌ باطنةٌ وعلومٌ ظاهرة ، فالذي فيه قَبَول للعلم وامتثال [للأمر][٣] والإتباع ؛ يُبْدونَ عليه ما يليقُ به ، لأنهم مَطْلَعُ ومنبعُ أسرارِ الحقيقة ، وهي شارقةٌ وغاربةٌ فيهم ، لا لها أفول عنهم . والإنسانُ لا يزال بين أَمْرَيْنِ : رَبَّه ونَفْسه ، فمن عَرفَ نفسَه عرفَ ربَّه ، ويُنَادِي[٤] في سِرِّه : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة الشورىٰ : آية ٢٢] ، لأن الحقيقةَ مشتملةٌ علىٰ فنونٍ و رموز ولُطفٍ وقهرٍ ورِضىً وسخط ، فوجب علىٰ العارف امتثال الأمرِ واتباعِه ، فإن رأىٰ شيئاً من العلوم اللدنية والكشف الغيبي ؛ فيرجع إلىٰ حضرة الجمال الجامع ، لأنها جامعةُ الإجتباءِ والأصطفاءِ ، فهذا مقام المِنَّة السابقة ، فذو الجمالِ المطلقِ الذاتي يَنْسَخُ كُلَّ عِلَّةٍ تعارضُ أو تضادُ ؛ وهو صَعبٌ جداً لا

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب).

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فلا نبوح .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ج) وفي الأصل : لأمر .

(٤) لعله : وَيُنَادَى .

مَطْمَعَ فيه إِلاَّ لأَهله لقوله تعالىٰ : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء ﴾ [سورة آل عمران : آية ٧٤] ، وقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [سورة التين : آية ٤] ، فآخرُ الآيةِ لِغَيْرِنَا ، ونورُ البصيرة ومِنَّةُ الله سبحانه وتعالىٰ عند القوم الفضلاء الكملا ، أهلُ الرتبة العالية والجمال المطلق ، ويجمعُ عوالِمَ المثالِ فإنه مظهرُ أسماء الله تعالىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [سورة الكهف : آية ١٠٩] وعينُ الحقيقةِ لا شيءَ يخرجُ مِنها ، وصفاتُها متعددةٌ لأنها الحضرة الجامعةُ لكل علمٍ وصورة ، فكانت المعاني تجري مجرىٰ الأنفاسِ ؛ ولا يُدْرِكُها الأمثال والقياس ، ولا تُحْصَرُ بزمان ، وهو عالي مظهر النور ، وكذلك المفاتيحُ الثِّقَالُ هي مفاتيحُ نورِ الحقيقةِ الشاملةِ لكلِّ علمٍ ونورٍ وعقلٍ وروحٍ وقَبْضٍ وبَسْطٍ وعَطَشٍ ورَيٍّ . والنفس المطمئنة الراجعة إلىٰ ربها لها حصةٌ ونصيبٌ من ذلك الرَّي ، لأنَّه لا يمكنُ شرحُ مظهرِ ذلك ؛ لأنه يدخلُ سِرٍّ[1] في جميعِ الموجودات ، ويَسري ـ سريانَ النسيم في نَفْسِ الأمر ـ عِلمٌ ربانيٌ يظهرُ بظاهِرِهِ ، وينزلُ في باطنه ، لكثرة لطفه وأُنْسِهِ ، وسرٌّ خفي ، والذَّكِيُّ والنَّبِيهُ ليس له فيه مجال ؛ لكن يقفُ ويَتوهَّم أنه له نصيبا . وعلمُ الغَيبِ مُسْتَأْثَرٌ بِهِ ، نؤمن به ونصدق ، لأن جواهره عَامِقَة في قَعْرِ بحر هذا السر الكبير ، والعلمُ يَدلُّ عليه ، ويَأْخُذُ منه ما يقدِرُ له ويفهمُهُ فيه أكابرُ أولياء الله الفضلاء النُّجَبَاء ، فكانوا في عين الحقيقة الجامعة لكلِّ عِلمٍ وفَنٍّ من فنونها ، فَيَرْقَونَ فيها درجاتٍ غير متناهيات ومُتشابهات ، ولا يأخذُهُم فيها شيءٌ لأَنه أَخْذُ عزيزٍ مُقْتَدِرٌ ، وَرَقَوا مَنَازِلاً بمحْوِهِم وَعَدَمِهِم وسُقُوطِهِم عن رُسومِهم وعلومهم ، فهم علىٰ القدم المحمدي ، فما بقي فيهم إلا مَشهدُ الحق الصِّرْفِ ، ورجاله معروفون بطريقتهم الصِّدِيقِيَّةِ الأولىٰ ؛ لأنها أعلىٰ مقام ، ونسبتُها إلىٰ العارِفِ نسبة الهيكَلِ إلىٰ الرُّوحِ ، لأن الجسمَ جامع الروح قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا

(١) لعل العبارة : لأن يدخل في سِرِّ جميع الموجودات .

أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٥] . وإِيَّاكَ من قِلَّةِ التِفَاتِك إلى الحضرةِ المقدسةِ ، فهي جامعةٌ للكُلِّ ، وتَقَدَّمَتْ على الكُلِّ ، فما بقي وصَحَّ فيها إلا لأهلها[1] ، ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٧٤] ، فإن لم تَكُنْ مِنْهُم فَكُنْ من أهل التَّقْلِيد لَهُمْ ؛ فَلَكَ نَصِيبٌ وحَظٌّ.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٦)

ويُشْتَرَطُ على كُلِّ طالبٍ أن يَقْصُدَ بالهِمَّةِ ؛ ولكل قَاصِدٍ نَصِيبٌ ، فإذا صح قَصَدَ المريدُ مع شيخه وأستاذه ؛ لا يصعب عليه أَمْرٌ ولا مَطْلَبٌ ، ويكون بِهِمَّةِ شيخِهِ في مطلبِهِ وقَصْدِهِ وَيَصْدُقُ ، الحديث النبوي : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) ؛ لأن نيةَ المؤمن أَبْلَغُ من عَمَلِه ، لَكِنَّ التَّمامَ أن تكون نِيتُهُ سابقة ـ لله سبحانه ـ قَبلَ عَمَلِهِ . فالعارفون سَمَوا بِهِمَمِهِمْ بالله مقامَ الإِجْتِبَاء والإصطفاءِ ؛ فَأَتَتْهُم المِنَّةُ الكبرى في سُؤدُدِ الولايَةِ العُظمى ، قوله تعالى ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة يونس : آية ٦٢] ، فنفى عنهم مولاهُم الحَقُّ جميعَ الخَوفِ والحُزْنِ ؛ لأَنَّه قد تَوَلاَّهم بكُلِّ فَضِيلةٍ ومِنْحَة وعَطِيَّةٍ ، فإن ظهرَ منهم شيءٌ من خَرْقِ العاداتِ فلا لهم فيه مَطمعٌ ولا مَجَال ؛ بل هم نَافِينَها[2] إلاَّ لصلاحِ مُرِيدٍ أو كِفَايةِ فِتْنَةٍ أو مُهِمَّةٍ عن الأُمَّةِ جميعُ الإنس والجَانِ ، فَنَارتْ[3] بهم الكائناتُ الكل ، فهم أوتادُها ونجومها وأقمارها وشموسها ، واليقينُ وكَمالُه حَقُّهم ،

---

(١) كذا في (أ ، ب ، ج) ولعلَّها : إلاَّ أهلها .

(٢) لعله : نَافونَ لها .

(٣) لعله : فأنارت .

ومَسْلَكُهُم علىٰ الصراط المستقيم ؛ لأنه قد أَنْعَمَ عليهم بالهدايةِ ، ونفىٰ عنهم الضلالةَ والشكوكَ ، وغَمَرَهُم بالأُنْسِ به ، وأزالَ عنهم الشَّكَّ والرَّيْبَ ؛ فلهم المناجاةُ والخشوعُ وإِسْبَالُ الدموعِ في حال السجودِ والركوعِ ، حاضرين غائبين وفانين[1] في سُرَادِقات الجَمَال المطلق من غير دَهْشَةٍ ، ويشربون من المُدَامَةِ ولا يأخذهم فيها السُّكْرُ لِكَمالِهِم وقُوةِ يَقِينِهم ، ولا يلتفتون إلىٰ شيءٍ دَقَّ أو جَلَّ ، فيَرَونَ ويسمعون في حضرة القُدْسِ وإليها يأوون . قوله تعالىٰ : ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [سورة التوبة : آية ٢١] الآية ، فنالوا الرحمةَ الشاملةَ ، البارزةُ من عينِ الرحمةِ السابقة والسعادة الأبدية . وقوله تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [سورة الواقعة : آية ١٠ـ١٢] ، فاقطع عنك كل مطمع لغير ذلك ، ولا تُعَرِّجْ علىٰ شيءٍ من المقاماتِ والأحوالِ ؛ لكن كُنْ في ذلك الشَّيء العزيز فإن المِنَّة والمِنْحَةَ والخصوصيةَ قَدْهَا[2] لهم بمِنَّةِ الله سبحانه وتعالىٰ ، فكانوا في ذلك في مقام الإحسان : (فان لم تكن تراه فأنه يراك) ، ولا عليكَ حجابٌ ولا رقيب من هذه المِنْحَة ؛ لأنَّه السَّابِقُ بإِحْسَانِه في مظهر وُجُودِ عبدِهِ ، مع خضوعِ العبدِ واستسلامِهِ وانقيادِهِ لأَمرِهِ ، لأنه تحت فِطْرَةِ رحمتِهِ الواسعة التي وَسِعَتْ كُلَّ شيء ؛ بخلاف شِدَّةِ نقمته لأعدائه ، والمرادُ هُنا والطَمعُ في هذه الرحمة الواسعة ؛ لأن الجَنَّةَ حُفَّتْ بالمكارِه ، والنَّارُ حُفَّتْ بالشَّهوات ، وبين ذلك سِرٌّ خفي عظيم (هؤلاء في الجَنَّةِ ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أُبالي) فَقَبْضَةٌ رحمةٌ وقبضةُ شِقوه ، ولكِنَّ العبدَ تحت أمرِ سيِّدِه في أي الحَالتين كانت ، له العبوديةُ لا يخرج عنها بنفسه ، ولكن يخرج منها بوسع الرحمة التي سَبَقَتْ لِعبَادِه الصالحين ، ومن هنا إشارةُ سبحان الله وبحمده .

* * *

(١) لعله : حاضرون وغائبون وفانون ...

(٢) يعني : حاصلة لهم .

﴿ فصل ﴾

(١٧)

ومقامُ الجمعِ يجمعُ الصفاتِ والذَّاتِ ؛ فيبرزُ من كُلِّ شيءٍ ثَمَرتُه ، فمن طلب واختار ، فهو تحت قهرِ المطلوبِ والإختيار ، والعارف ليس له في نفسه طلبٌ ولا خِيرَةٌ ، ولو خُيِّرَ في أمورِهِ لم يخترْ شيئاً إلاَّ ما اخْتَارَ له مولاهُ ولو فيهِ(١) سخطُ نَفْسِه ؛ لأن الفائدة في ذلك والراجح الصحيحُ في علمنا العلم اللدني هُوَ الأدبُ والتسليم من تأدّبِ ، واستسلم أقبل عليه بذلك اللطف الخفي وأعطاه ما فيه مرادَهُ ومناه ، وقول الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس : آية ٨٢] ، والدليل علىٰ ذلك أنه يكون مصاحِبُ الكتابِ والسُّنة ، ملازم استماع الشريعة المطهرة لأنَّها الشجرة الزكيّة الطاهرة المحمَّديَّة ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[سورة الحشر : آية ٧] ؛ وعلم التصوفِ كالثمرةِ وهو لموافقة للنبي محمد ﷺ ، والمستخلفين الراشدينَ المخلصينَ الذائقين الذين شربوا من معدن الرسول الخاتم للنُبوَّة والمقتدين به الرسل المتقدمين مع أُمَمِهِمْ، فيأخونَ عنه بالسِّرِ والعلم الربَّاني ، وقوله تعالىٰ : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [سورة البقرة : آية ١٠٦] ، فهذا من ثمرةِ الخلافةِ المحمَّديَّةِ ، فكل رسولٍ ونبيٍّ ووليٍّ يأخذ عنها ومن معدنها فهي عين الهداية .

❋ ❋ ❋

---

(١) لعله : ولو كان فيه ...

﴿ فصل ﴾

(١٨)

ولا بُدَّ لكل عارف بالله أن يكونَ ملازم حُسْنِ الخُلُق ، والتوفيق عزيز ، عَزَّ ما نطق به القرآن وقَلَّ لفظه لعظم ذاتِهِ وعِزَّتِهِ ، فيأخذونَ مِنْهُ الصُّوفِيَّة فُنونهم وشروطهم المعروفة وحُسن السّيرة الحميدة ، والدَّني والسوىٰ عندهم الكُلُّ عدم في عدم ، إلاَّ أن يكونَ مطيَّة إلىٰ الآخِرة علىٰ ما ثبت اللدُّني مطيَّة المؤمن إلىٰ آخرته ينال بها ويَكسب من بذلِهَا والسَّخا بها ، وإذا وجدها أَنْفَقَها علىٰ من يستحقها وغير مُستحقها ، وقد أَمَرَ نبيُّنَا محمد ﷺ بالزُّهدِ فيها للجميع ، والعبدُ ليسَ له شيءٌ سِوىٰ ما أَحَبَّهُ له في سيِّده ، ولكن ترقَّوا عن ذلك العلاج في ملكها ونظرها وغضوا أبصارهم عن جميع المألوفات والمستحسنات فَغَابَت عنهم ظاهراً وباطناً لا يرونَ فيها سكونٌ ولا وطن ويرونها كأنها ساعة أو نَفَسٍ أو أَقَلَّ من ذَلِكَ ، والرِّجالُ أهلُ علم اليقين وعينه وحقه ما حل في قلوبهم إلاَّ محبَّة الحق سبحانه وتعالىٰ ؛ وهي المضغة التي إذا صلحت صلح سائر الجسد ، وإذا فسدت فسَدَ سائر الجسد كله ، ألا وهي القلب ، فأهل القلب العارفين الفضلاء ما عبدوه إلا للجنان العالية ، ولا لخوف من النار بل هم في عبادتهم لله لا لشيءٍ سِوَاه .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٩)

واعلم أنَّ صفةُ الكمال للعبدِ فناهُ عن نفسِهِ وهو في فناه وخموله راقي مراقي الرِّجال الأكياس الأكبار الفضلاء لأنهم في مقامهم أوجب عليهم إخفاء السِّر وكتمه عن غير مُسْتَحِقِّهِ ؛ لأنه درجة

عالية لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ... ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٧٢] الآية ، وعليها حِجَابٌ فهي خَافِيةٌ لعِزَّتِها ، وَشَمْسُها ضاحيةٌ محرقةٌ ، ولا ترىٰ لغير أهلها من ذاتها ؛ لأنها شمس من حقيقة معدن الرسول محمد ﷺ ، وحقيقتها أن الله سبحانه وتعالىٰ قد أظهر ربوبيته في عبوديته . فاعدِلْ إلىٰ ذلك العِلمِ والفَنِّ ، ولا تأخذه من السطور ، وَخُذْهُ من الصدور ، والعلم من أَفْواهِ الرجال ، وشُرْبِهم من عين الحقيقة ؛ ولو مَاتُوا الموتَةَ الأولىٰ لقوله تعالىٰ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ٣٥] ، فهم أحياء لقوله تعالىٰ : ﴿ بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١] الآية ، فتأتيهم بروق لامعة فلا تأخذهم ؛ لأنهم قد عرفوا نُفَوسَهُم وأفنوا وجودهم في موجودهم ، فلا يلتبس عليهم حال ، ولا يرون في عيونهم إلا مظهرَ الحق الصِرف الذاتي ، وقد جعلت لهم إشارات ، ولا لهم فيه عبارات . قوله : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة يوسف : آية ٧٦] ، وهو الكشف النوراني ، وهو الغاية التي ما بعدها غاية ، والمراد الذي ما بعده مراد ؛ لأن هذا أعز المقامات عند العارفين ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللهَّ رَمَىٰ ﴾ [سورة الأنفال : آية ١٧] ، فانْتَسِبْ إلىٰ حقيقتهم ، وكن متابعاً(١) لهم ، ولازِمْ علمَهم بالآداب ، والاستشراف علىٰ خزائن القلوب الشاهدةِ لكل علمٍ يدل علىٰ الحق ، ولا يأخذه ريبٌ ولا شك فيما ظهر له ؛ لأنه مرشد يرشد ويهدي ويمنح الْمُتَوَجِّه إليه علىٰ قَدْرِ ما يَسَعْه ويقْبَلُه ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٣٠] ، ولو نعتُوه [و](٢) بَجَلُّوهُ لا يرىٰ نَعتَهم ولا تَبْجِيلَهم واحترامهم ومدحهم ؛ لأنه في حقيقة المشهدِ الصِّرفِ الذوقي ، غارقٌ في بحر الحقيقة المحمدية ، وهو المقام الأسنىٰ العالي الْمُنَزَّه الذاتي ، الذي أشرقت به قلوبُ العارفين . ولاحَتْ منهم اللوائح للطالبين ؛ لكن بخصوصيةٍ منهم ، لأن تَجَلِّيهِ تَجَلِّي الذاتِ

(١) في (ج) : تابعاً .

(٢) في الأصل : في بجلوه .

الأحدي ، وتجلي غيره تَجَلِّي الصِّفاتِ ؛ الذي هو يعدل إلىٰ مقام الهياكِلِ الجسمانية ، ولو هو يعودُ إلىٰ مدار الشريعة للكل ، فالشريعة المحمدية المطهرة سابقةٌ لكلِّ شريعة ، ويغرس من ثمارها في الهياكل الجسمانية الترابية ، ولها ترجمان وابتسام بحقيقتها ؛ [لأنَّ](١) العلمَ الذاتي الأحدي منزه عن الشركة فيه ، والخوض في التَّنْزِيه ضَلاَلٌ ، كان اللهُ ولا مكان وهو الآنَ علىٰ ماعليه كان . والجمال من سابق الرحمةِ والجَلالُ أَسْبَقُ ، لكنَّ(٢) من الجمال وأهله لا يرونه رأي العين الإنسانية ، وكذلك عين(٣) البصير لا كتختفي عنه ولا تُحْجَب ؛ بل هي مشكاة سرها مصونة محفوظة لصاحبها ، وكل عدد من أعْدَاد هذا العلم اللدني يكون فيه غامضةٌ . قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ [سورة الأحقاف : آية ٩] الآية ، ولا سبيل ولا فائدة إلىٰ طلب إدراك ذلك ، والخَلْقُ مُتَفَاوِتُونَ في ذلك ، لأن هذا العلم الأحدي ليس له نهايةٌ حتىٰ كل أحدٍ [يصِلُها](٤) ؛ بل هو سر خفي يمنحه من يشاء من عباده . قوله تعالىٰ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْه ﴾ [سورة الجاثية : آية ١٣] الآية ، وقوله : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهَّ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ، فصح عند الْمُوحِّدِينَ أن الفناء في الله سبحانه وتعالىٰ هو حقيقة البقاء الأبدي ، لأن الحقيقة لا يصح أظهارها وكشفها ، ولا يَعْلَمُ كُنْهَهَا ويستحِقُّ عِلمها إلاَّ الله سبحانه وتعالىٰ .

❋ ❋ ❋

(١) في الأصل : لأنَّه .

(٢) في (ج) : لك ، ولعل العبارة : لكن من الجمال وأهل لايُرى رأي العين الإنسانية .

(٣) لعله : عن .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل و (ج) : يضلها .

﴿ فصل ﴾

(٢٠)

وحُكْمُ الأحديةِ علىٰ النصوص الصحيحة هي الحقيقة المحمدية ؛ لأنه ﷺ خاتم النبوة والوراثةُ انتقلت إلىٰ الباطن إلىٰ القطبية في سائر أولياء الله تعالىٰ مطلقة ، وهي تُورَثُ من واحدٍ إلىٰ واحد ، فله الأَمرُ والحُكْمُ النافذ ، وكل أمر وحكم تحت حكمه ، [لأن][1] الحق سبحانه وتعالىٰ أظهر تجليه عليه ؛ لأنه الجامع والخاتم ، وهو نور المحققين ، وارِثُ سِرَّ المرسلين والنبيين والشهداء والصالحين ، وشهدت به ألسنتهم الناطقة وقلوبهم الواعية ، لأنه ليس له مُنافي ولا معارض ولاضد ، قوله تعالىٰ: ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[سورة البقرة : آية ٢٨٥] الآية ، وقوله تعالىٰ : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٥٣] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ ﴾ فكُلُّ عارفٍ في ذلك ثابتٌ علىٰ القدم المحمدي ، ومن أين للعارف معرفة إلاَّ مِنْ معرفته ، ولا علم إلاَّ من عِلمه ، وهو السر المصون بين الكاف والنون ، فكن ممتثلا لأوامِرهِ وأقواله وأفعاله ، فهو فرض عين ، ودَلَّ علىٰ ذلك الحديث النبوي : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عُضُّوا عليها بالنواجذ) ؛ لأن صاحب المقام المحمدي موضع نظر الحق وهو قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[سورة الشورىٰ : آية ٥٢] ، لجلالتِهِ وعَظَمتِهِ ؛ فمدِدِه من مولاهُ الحق لأنه الهيكل الإنساني الذي هو قطب العالمِ الدنياوي والأخراوي ، فالله الحمد والمِنَّة علىٰ ذلك ، ولكونها لازمة رائضة مع أهلها أوتاد أرض اللهِ وسماهُ ، وحقيقتهم إلىٰ عين الحقيقة ومشدهم كُلٌّ علىٰ مرتبتِهِ ومقامِهِ فهم في غاية

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل : لأنَّه .

الامتثال وحسن الآداب والتسليم واللطف ، بهم سرىٰ لهم من حيث جاؤوا في هذه الصفات المحمودة فهو لهم العطاء ، فإنَّ الله يباهي بهم الملائكة بنَظرتِهِ إليهم فتَمتَحي عنهم البقايا والرسوم فيكون مع ذلك قائم مستقيم علىٰ طريقتهم وصراطهم ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾[سورة الحجر : آية ٨٧] ، فبذلك انتشرت معالمُهُم ، وظهرت شُموسَهُم الضَّاحية ؛ فهي مندرجة في طيِّ سَترها ، ولا يراها غير أهلها صيانة لها لئلا يدعيها الناظر إليه لأنَّها أتته وقابلته فسترها عنه لصلاحِهِ ، كمثل النجوم بالنهار تسترها الشمس الضاحية ، وكلٌّ في مقامه ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [سورة الصافات : آية ١٦٤] ، لأنَّ ذلك يقتضي ظهور الحق ويتولىٰ ذلك ، ولا بُدَّ من الإذن والعلم ما هو علم الإذن لأنه تحت أمر الاذن ، فربما أُمِرَ بشيءٍ فيصعب علىٰ المأمور به ، فيدخل فيه بالإذن والتمكين ، لأنَّ الراسخ يرشح منه ، واقتفاءِ الهداية واتباعُكَ له هو عينُ الهداية ، وامتثالَكَ إلىٰ عين الهداية فهو دليلك إلىٰ وصولك إليه ، لأنَّه الواسطة في وصولك إلىٰ حضرة الحقِّ ، فهم شفعاء لك إلىٰ وصولك إليهم ، ووصولك إليهم هو النعمة الكبرىٰ ؛ فيالها من نعمة .

❊ ❊ ❊

﴿ فصل ﴾

(٢١)

قولهم : قد أسدىٰ إليك نعمة الإيجاد فالإمداد قد سبقت الإيجاد ، قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠١] الآية ، وكل من لم يعلم ذلك ويعجز عنه فلزوم الآداب خيرٌ له ، لأن آداب القلب جامعة لفنون علم الرَّقائِق ، فتسري منه آداب الجوارح وهي ثمرة علم الشريعةِ والعمل بها ، ولو تفرقت الصفات وتناهت إلىٰ علوم متفرقة فهي تجتمع في

علم الذات الأحدي ، فإن اعتبرتَ وفهمتَ يكون النطق فيها عزيز قليل لأنها علمُ ذوقٍ لا يدخُلُ فيها الذهن فيكونُ ، يظهر من الأخلاق المفيدة والإشارات المعنوية ، لأن مرقاها عالي فوقَ كل ذي علم وفهم . ومن جلس في دَرَكَاتِ الذُّلِّ لها والخمول والانتظار لقرع الباب ؛ يوشك أن تُفْتَحَ له منازلٌ ودرجات عالية فوقِيَّة فَيُنتَخَب لك منها ما يُؤَيِّدُكَ به ، وينظر ما تحمله وتُطِيقُهُ ، لأن علم الغيب المطلق والعَالَمَ الرَّوحَانِي لا لغيره فيه مدخل ، ومحال أن يَدَّعِيهِ غيرُ أهله ؛ لأن الحق قد تولاَّهم ورَعَاهُم وحَمَاهُم وحرسهم عن كل غيرٍ وسِوىٰ . قوله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] ، فتَعَيَّنَ العطاءُ لهم بحكم المِنَّة والفَضْلِ ، فهم أهلٌ لذلك ، فهم في مراتب مختلفة بعضها فوق بعض . وقوله تعالىٰ: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات : آية ٢١] ، لأنَّ الواردات والتجليات قد تَهْجُمُ علىٰ المريد وتَغْشَاهُ وتُدْهِشُه ، فإذا لم يكن معه شيخ مربي مُلَقِّحٌ يحفظه عن ذلك ؛ وإلا يُخْشىٰ عليه الزَّلَل والهلاك ، لأنها طريق عزيزة ، صِراطُها الاستقامة علىٰ الكتاب والسنة ، لأنها من فنون العبودية الرَّاسِخة ؛ منها توفيقُ العارفين النجباء ، فرشحها من بحر الحقيقة العالي في مقامات العبودية ، وهي لواء الحَمْد الشامِخ المانع الواسع لِلْكُلِّ ؛ مثالُ الشمسِ الضَّاحيةِ نقطة من السِّرِّ في السماء بظاهرها ، وهي تَبْلُغ علىٰ سائر الأرض . قوله تعالىٰ: ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [سورة الزمر : آية ٦٧] ، بأمرِهِ النَّافِذ ومشيئته القاهرة ، وهذا المشهد العظيم ، وهو مقام من[1] أَعَزِّ مقاماتِ العارفين بالله ؛ لأنه مقام تَخْلِيةِ النفوسِ وفناء الكائنات الجميع ، ولا يُرَىٰ في الوجودِ شيءٌ من الموجوداتِ إلاَّ دَالَّةٌ علىٰ وُجُودِ الحق ، ولا يعزُبُ عن عِلمه مثقال ذرةٍ ولا يخفاهُ ؛ لأن شمسَ اليقين علىٰ قلبه شارقةٌ ولا تأخذُهُ ولا تضُرُّهُ الخطراتُ والهواجِسُ ، ولا يمسه شيء من كيد الشيطان الضعيف ، ولهم سلطان علىٰ كُلِّ غَيرٍ ولا ثَمَّ غَيرٌ ؛ بل هم في قُرْبِهم فقراءُ مجردين ، وفي

---

(١) في (ب) مِ ، وفي (ج) : منه .

مَعْنَاهُم وأسرارهم ملوك ، لأنه قد مَلَّكَهُم مُلَكَ البلاد وقلوب العباد ، فهم أُمنَاءُ الله في أَرْضِهِ ، بهم يرفع اللهُ عن الخَلق البلاءَ والقحطَ ، ويسبِلُ الرَّحْمَةَ . فلهم الشَّأن العظيمُ من مولاهم الكريم ، وعطائهم مِنَّهُ لا يتناهىٰ ولا يُعَدُّ ولا يحصىٰ ، عطاءً بغير حساب ، ولا فيه حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولا طلب ولا استعداد وفي نص القران العظيم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠١] الآية ، فقد أظهر لهم سَابقةً من فيضِ الجود.

❊ ❊ ❊

﴿ فصل ﴾

(٢٢)

والمكاشفات القلبية تأتي من علم الغيب مقارِنَةً للبشرية ؛ من حيث سكون البشرية ، لأن مقام الروحانية يسري في لطفه مثل النسيم الرقيق ، لا يُحَسُّ به بظاهر البشرية ، إلاَّ أنها تظهر سِيَماهُم في وجوههم ، وتفوحُ روائحُ[1] طيبة كرائحة المسك من قُرْبِكَ إليه ومجلسك بين يديه ؛ يشملك بشمول الرحمة الواسعة ؛ التي من ذَكَرَتْهُ أو ذَكَرَها رَشَّتْهُ من مَطَرِها ، وأعادت إليه ثمرها ؛ فظهرَ وبان منه السر الأعظم ، وهو الإكسير المجرب والتاج الأفخم . واللائق منهم التخلق واللطف والرفق في كل حال من الأحوال ، فلا يعاقبون مسيءً بإساءته ؛ لأنهم في مقام الرحمة الشاملةِ ، ومن شِيمتِهم وصفاتهم العَلِيَّة أن ينظرون إلىٰ الكلِّ بعين الرحمة الشاملة الواسعة . وقوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا ...﴾ [سورة الأعراف : آية ١٥٦] الآية ، نص القران العظيم ، وفي الحديث أن اللهَ خَلَقَ مائة رحمة أنزل منها رحمةً واحدةً بها يتراحمون وبها يتعاطفون ، وادخر منها تسع وتسعون رحمة

(١) في (ج) : أرواح .

إلىٰ الآخرة ، وهي المنة العظيمة قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧]، فجزىٰ اللهُ سبحانه وتعالىٰ سيدنا محمداً ﷺ أفضل الجزاء ، وأعطاه الوسيلة والرضى يوم العرض الأكبر ، وقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران : آية ١١٠] الآية ، والمشي علىٰ القدم المحمدي هو طريقة العارفين الأجِلاَّء الفضلاء الذين ظهرت فضائلهم وكمالهم ؛ لأنهم أفنوا نفوسهم الأمارة بالسوء ، وبقيت لهم نفوسهم المطمئنةُ الراجعةُ إلىٰ سبيل الخيرات.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٢٣)

وأما أرباب القلوب الواسعة الواعية فلهم المشهد العالي والدرجة الفائضة من صفات الذات الأحدي ؛ لأن نوره سابق لذكره ، والصفاتي يكون ذكره سابق لنوره ، فبين الصفتين فرقٌ متباين ؛ لكن يجمعهما[1] طريقة واحدة وهي الحضرة المحمدية التي أظهرت الكائنات كُلَّها ، وتكون في حقيقة وجودها من ذلك المظهر ، وكل له نصيب علىٰ قَدْرِه ، وانتظام المعاني والأسماء كذلك منها وهي لا تنحصر ، ولكن النَّفَسَ الرحماني يكون مقامه مقام البسط والضبط ؛ ولكن الأمدادُ تتضاعفُ ، وقوله تعالىٰ: ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[سورة الإسراء : آية ٢٠] الآية ، وهو محمول علىٰ محَامِل وانتظام ولكن إذا رأت العينُ غاب الأثرُ ، ومن مشىٰ علىٰ رَمَقٍ وطمعٍ في الوصلِ إلىٰ الحضرة الغيبية بالبصيرة المنورة فلا يحجبه عنها حاجب ولا يعوقه عائق ؛ لأنها دائمة في تجليها وكشفها ، فَيَرَىٰ عَالَمَ الغيبِ كشهادةِ العَينِ ، فيُبْسَطُ نورُها في ساعة البسط واعتدال مزاج

(١) في (ب ، ج) : يجمعها .

الجسم ، حتىٰ لا يكون منها دهشة في الجِسْمِيَّةِ الظاهرة ، ويكون في عين التوفيق فيما يرضي الله ورسوله ﷺ علىٰ دوام الله تعالىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [سورة هود : آية ٨٨] ، فحصل التوفيق هنا قبل كل شيء ، وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَّ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُّ... ﴾ [سورة آل عمران : آية] الآية ، فالتوفيق أعلىٰ درجة ومقام لأنه نَسَبَهُ إليه ، وكذلك المحبة للرسول محمد ﷺ وهي أعظم الوسائل ، وقوله تعالىٰ[١]: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَّ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُّ ﴾ الآية ، فالعارفين[٢] استغرقتهم محبته ، فهم أهل الوفاء والكرم ، والمِنَحُ من تلك المحبة ؛ لأنهم علىٰ موافقته فيما أَحَبَّه لا فيما يحبونه ، فمحبته تنتج نتائج وأسرار عالية وكنوز خفية.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٢٤)

وحقيقة الاتباع للقدم المحمدي وسيرتِه ، هو إقبالك إليه والتِوَاؤُكَ به ، فهو المصطفىٰ محمد ﷺ ، لأن به الكمال والفوز في أعلىٰ الجنان ؛ أعني جنةَ المعارف الأولىٰ وجنة الخلدِ ، لأنك اِتبعتَ وامتثلتَ وسعيتَ علىٰ ما يحبه ويُرْضِيه ، وهي المشاهدات قوله تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[سورة إبراهيم : آية ٧] الآية ، وهذه وسيلة المتوجهين الصادقين المخلصين ، فلما[٣] ثبت وصح حوته درجة المتقين الصادقين ، والغيبة عن الكونين الكل ، فلا لهم إلىٰ شيء من السِّوَىٰ اِلتِفَاتٌ ؛

---

(١) لعله : لقوله تعالىٰ .
(٢) لعله : فالعارفون .
(٣) في (ب) : فَلَها .

لأنهم مستغرقين في بحر الحقيقة ، فَحَظُّهُم وشربهم من [معدنها][1] ليسقونَ العطشان منها ؛ فتُكْحَلُ عينهُ بأثمد كُحلِ البصيرة النافذة ، ويظهر علىٰ لسان العارفِ ناطقُ حقٍّ مقبول ، وتظهر لوائح أنواره في الخافقين ، ولو أُذِن له لَعَطَّرَ الكونين ، وغابت أشكال السِّوىٰ والغير قوله تعالىٰ: ﴿ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [سورة المائدة : آية ١٠٥] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [سورة يونس : آية ٣٢] ، وقد تحصل وتهدف هذه المنة والمنحة من غير واسطة ولا استعداد ولا تَشَوُّقٍ ؛ بل تأتي بغْتَةً من فيض الإحسان ، قوله تعالىٰ : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [سورة التوبة: آية ٩١] ، فإحسانه السابق قبل العطاء اللاحق ، والعطاء والإحسان كُلُّهُ من فيض عين الجود ، وجذبات الحق ما توازنها الأعمال ؛ لأنها من عين الإخلاص ، تكون للصديقين الفضلاء الكملاء ، ولو ظهر منهم مظهرُ البشرية من قِلِّ رِضى وتَعبٍ وبُكاءٍ وخشوع لا ينافي ما ذكرنا ؛ لأنهم بمعزِلٍ عن ذلك ، لأن الحقيقة مشتملة علىٰ الجهات كلِّها والعلوم ، لأن عُرُوجَهم إلىٰ عينِ تحقيق الحقيقة المقدسة المحمدية ، لأن أرواحهم غارقةٌ مُسْتَهامَةٌ مُتَشَوِّقَةٌ إِلَيْها وَالِهَةٌ ، ويظهر لهم بعض لوائح جمالهم[2] ، ولا يعلم كُنْهَهَا إلاَّ الله وحده لا شريك له . قوله : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِّ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [سورة غافر : آية ١٦] ، ولو كشف بعض شيء فيرقىٰ بذلك مراقي ربانية وعلوم لدنية ، وتطلع لهم شمسٌ في قلوبهم ، ليرون[3] ما يُقَوِّيهِم وَيُمَكِّنُهُم من غير أَخْذةٍ ولا اصْطِلام ؛ فتسري منهم أنفاسٌ رحمانية ، وهي ماشيةٌ علىٰ شريعة الرسول محمد ﷺ والاتباع للخفاء الراشدين رضي الله عنهم .

* * *

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي (أ ، ج) : معدنها.

(٢) لعله : جمالها .

(٣) في (ب) : فيرون .

﴿ فصل ﴾

(٢٥)

وأَشَرْنَا علىٰ كل متَوَجِّهٍ إلىٰ فنونهم بِمَحْوِ رَسْمِهِ وفناءِه ولزومِه آدابَهم وخضوعَهم وخشوعَهم ؛ فقابلهم الشُّهودُ ، فيكون لهم مع ذلك اللَّذاتُ والسَّكَرَاتُ وهم في ظاهرهم في حقيقة الصحو والتدبير الإلهي ، ولا يظهر منهم شيء إلا علىٰ الشريعة المطهرة ، فهي شجرة أعمال البِّر والتقوىٰ . قوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، نص القران العظيم ، وهذا المشهد والتجلي لا يظهر علىٰ أحد إلاَّ أن يكون من أهله ، ويجب كَتْمَه وإخفائه ؛ لأنه مقام عظيم عالي ، لا يُفْشَىٰ به إلا لأهله ، لأنَّ مقام الولاية وسؤددها يعجز الواصفون عن وصفها[١] علىٰ الدوام ، ولا يَعْرف حق معرفته إلاَّ هو ، مُنَزَّهٌ في أحديتِهِ . والمراتب والمقامات للمرسلين والنبيين والأولياء والصالحين كُلٌّ علىٰ حَسَبِهِ وما كُتِبَ له وقُدِّرَ له ، وأرباب القلوبِ الواعيةِ من تلك ؛ ولهذا حَقُّهُم ومَنْحُهُم ومَحَلُّهُم وعَطِيتُهم من فيض الجود ، قوله تعالىٰ : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ﴾ [سورة طه : آية ٧] الآية ، ودُنُوُّهُمْ وقُربُهم ورَشْحُهُم من قوله تعالىٰ: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [سورة النجم : آية ٩ـ١٠] ، قوله تعالىٰ : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٥٣] ، وصِفاتٌ وذَاتٌ تَسْتَهلِكُ الخَلْقَ في الحق ، و الحقيقة مجردة عن الصفات[٢] ، فبظهور الواحدية والإلهية المشتملةُ علىٰ فنون العارفين نفع الله بهم . والذاتي الحقيقي يكون مقامه الجمع ، وإذا اعتبرت فيحق لهم نفي الحَدَثْ بنورِ القِدَمْ ، فاضمحلت صور العدمِ ، فنارت[٣] بصائرهم

---

(١) لعله : عن وصفه .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : فتكون الحقيقة مجردة عن الصفات بظهور الواحدية . . .

(٣) لعله : فَتَنَوَّرَتْ .

وضمائرهم ؛ فتنقلب علومهم إلىٰ عِلْمَين : العلمُ العيني ، والعِلم الغيبي ، فهنا وقع الفَرقُ إلىٰ هنا فيه علم عزيز[1] غامض واضح لمن فَهَّمَه الله ، فيكون الكامل نَظَرُهُ الحقيقي حَقٌّ صِرفٌ ، وغَيرُهُ يَرَىٰ حَقاً وخلقاً ؛ فيَعدِمُ مظاهرَ الخلقِ في الحق ، قال رسول الله ﷺ فيما يَرْوِيهِ عن رَبِّهِ : (إذا أَحْبَبْتُ عبداً كنت له سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً ولساناً ، فَبِي ينطقُ وبِيْ يُبْصِرُ وبي يسمع وبي يبطش)الحديث .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٢٦)

والكاملُ لا يحجبه شيءٌ من المخلوقات ؛ لأنها برزت ونشأت من صَميم عنصر التوحيد والتَّفْرِيد ، فرفعت الأقلام وجفت الصحف ، كما أن الحق ينادي عبدَه فيلبيهِ ويسمعه بسماع اليقين ، ويخاطبهم بقوله تعالىٰ : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[سورة الشورىٰ : آية ٢٢] الآية نص القران العظيم ، فلا غير ذلك ؛ لأن المُتَمَكِّنَ يدخلُ في كل مقام ويرجع إلىٰ شهوده[2] التوحيد فتارةً يظهر له في صفةِ الخلق الحق ؛ فيخالقهم بالخُلُق الحَسَنِ ، المأمورُ به نبيه محمد ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[سورة القلم : آية ٤] فهذا يدركه اللطف الإلهي ، فيشاهد الخَلْقَ والحَقَّ ، فلا يَحْجُبُونَه عن الحَقِّ ، فيرجع لهم إلىٰ المشيئة ؛ لأن كل شيء يستند إليها ، وهي تشتمل علىٰ فنون ورموز وعلوم لدنية ، فإذا فَهِمَ ذلك وعَرَفَ يكون مقامه مقام السَّلامةِ والنجاةِ ، ويعود من الواصلين ، والثاني ولو قَصُرَ عن درجة الأول تكون حصته علىٰ قَدْرِ طلبه ، فتنقطع عنه الكُلَفُ ، فيصير في ذلك في مطالب علوم القوم ؛ فتتولاه عنايتُهم وفيض فضلهم بِنَفَسِ التِوائِهِ بهم ورجوعه إليهم ، فيحقُّ له من صفاتهم وذاتهم ما يليق به

---

(١) في (ب ، ج) : غزير .

(٢) لعله : إلى شهود التوحيد .

ويحتمله ، فتشمله رأفتهم به ، ونظرهم بعين الرحمة الشاملة ، فتنعمت بِهِمْ حياته ، فلا يفوته شيء من مطلبه ؛ إذا رَمَقَهُ ومَنَحَهُ أستاذه وشيخه من عين الفضل والجود ، فيالها من مِنْحَةٍ وعطيةٍ ، فَيَشْكُرُ سَعْيَهُ لأنه أبرز له علوم غيبية لا ينالها بسلوكه وجهده ، فَعَرَفَ واعْتَرَفَ أنه بهم نالَ كُلَّ فضيلةٍ ، وحفظه من كل سُوءٍ من العوارض التي تعترضه ، لأن المريد تَفْنَىٰ حواسُّهُ الجميع ؛ فيرىٰ المِنَّة من فيضه وبركاته ، ويكون له التَّوَجُّه الكلي ، فلا له مُرادٌ ومطلب سِوَىٰ فنائِه ، وامتثاله بين يديه كالميت بين يدي الغاسل . وقوله تعالىٰ: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٥٧] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [سورة البقرة : آية ٢] الآية ، ولا سيما إذا كان العبد تحت أوامر ربه وحكمته البالغة ومشيئته القاهرة ؛ فحصل له الفيض القدسي[1] الإلهي ويكون منه العلم (علم الحقائق) فَمَحَلُّهُ القلوب المُنَّوره ، لأنه لا يُحَدُّ ولا يُحْصَرُ ، وهو شراب روحاني ، وله كأس وهو القدح المملوء من الشراب ، فيفهمها ويذوقها الذائق لها ، وأهل البصائر والسرائر يكون لهم شربُ الخمرةِ المُسْكِرةِ مع الصحو ، وهم الأبرار الكملاء ، أهل القلوب المنورة والبصائر الخارقة ، فيظهر لهم الجمالُ المطلقُ ، وهي المحبة السابقة . قوله تعالىٰ: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [سورة المائدة : آية] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [سورة طه : آية ٣٩] الآية ، فيفوح ويظهر[2] منهم الصِفَةَ الرَّبانية بلا [مزاج][3] ؛ بل هي تأتي بغتة والمواد تفيض من علوم اليقين ، يُهدي[4] بها الطالبين ويُرْشَدُ السالكين ، فلزومهم مع ذلك [الأدب][5] وخفض الجناح ، ومسايرة الكل باللطف والوفاء منه . ونظرهم بعين الرحمة إلىٰ المتوجه نظرة الوفاء ، فتشرق في قلوبهم شمسُ اليقين بما فيه الفائده لهم

---

(١) في (ب) : الأقدس .

(٢) فتفوح وتظهر منهم الصفة ...

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب ، ج) وفي الأصل : بلا مزاح .

(٤) لعله : يُهْدَى .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ج) ، وفي الأصل : الآداب .

ويحتملونه ، فيبرز منهم محاسن الأخلاق الحميدة ، فينطقون بألسنتهم مناطق الحكمة البالغة ، فيستفيده[1] السامع لهم ومن عَمَّهُ مجلِسُهُم القدسي الشريف ، فهم القوم الذي لا يشقى جليسهم ، ويَحِقُّ[2] عند لقائهم اللِّقَاحُ والنجاح فيما يطلبه ومالا يطلبه ؛ لأنهم أهل الله سبحانه وتعالى تجلى عليهم برحمته الشاملة ؛ فيكون لهم المدد الرباني على قدر طلباتهم ، وتكون لهم منح وعطايا على صدق نياتهم وحسن ظنونهم . قوله تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة الشورى : آية ٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [سورة الكهف : آية ٦٥] ، فحصل العلم اللَّدني والمشرب الصافي الهني ، من صافي خمرة الذات للشاربين لها في كمال الصحف وحسن الاستقامة ، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [سورة فصلت : آية ٣٠] الآية ، فهذا من النعم الطائلة التي لا تحصى ولا يَبْلُغُ شُكرَها الشاكرُ لها ؛ ولكن الشكر للنعمة قيد لها ، والراجح من تَوَلَّتهُ نعم الله تعالى ؛ فعندنا في التحقيق أن شكرها قد كان سَابقٌ في سابقِ النعمةِ القديمة قبل ظهورِها ، فلله الحمد والشكر حيث ظهرت على العبد من غير استحقاق ولا وجوب ، لكن[3] عطاء وهبي ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [سورة فصلت : آية ـ٣٢] الآية ، فسبحان الذي لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

* * *

(١) لعله : فيستفيد السامع منهم .

(٢) لعله : ويحق له عند . . .

(٣) لعله : لكنه .

﴿ فصل ﴾

(٢٧)

فعَالَمُ الأعيان مظاهر للأسماء كلها ظاهرها وباطنها ؛ وكذلك عَالَمُ الأرواح شامل كل اسمٍ ، والإنسان الكامل هو الحاكِمُ في جميع العوالِمِ كُلِّها وجميعُ الأجناس ، العالية القاصية والدَّانِية تجتَمِعُ وتشتَمِلُ بِجَمْعِهِ ، وشُمُولُه بكل شيء ، والمراتب الحقيقية[١] كذلك ، ولا هي متناهية كذلك ، ويَعْلَمُ كُلَّ موجود ، ولها صفات متعدده ، ويجتمع[٢] الظاهر والباطن ، وشرب الحقيقة التي هي ماء الحياة الذي شرب مِنه الخضر عليه السلام ، وهو الحقيقةُ ونورُ سِرِّ المعرفة قوله تعالى: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٥] ، فغلب على العارف المعرفة الحَقِيقِيَّةُ . قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ ﴾[سورة الكهف : آية ٨٢] الآية ، فهي دالة على الخطاب المعنوي الحَقِّي ، لكن بيان الحقيقةِ المحمدية هي الاسمُ الأعظمُ ، مُظْهَرُهُ يجمعُ كُلَّ حقيقةٍ ودقيقةٍ وطريقةٍ ، وهي محيطةٌ بكلِّ شيء لا يخرج منها شيءٌ إلا بإذنٍ منها وتمكين ، ولا لأَحدٍ سيادة وسَعادة إلا من مَعْدِنِها وبحرها المحيط ؛ لأنه خليفةُ الرحمن الرحيم ، وكانت الخلقيةُ في حَقِّهِ رَعَايَا وتابعين وسامعين الأمرَ من غيرِ قَهرٍ ظاهر ، وربما تجلى عليه من سرادقات الجمال ما يلتذ به ويشتهيه ويؤنسه ، ويتجلى بالمناجاة في الخَلَوات؛ وتغيبُ عنه المخالطاتُ وذِكْرُ الوعدِ والوعيدِ ، وتظهرُ الأحوالُ السَّنية وإذا رَآه[٣] مريضُ القلب والغفلات استيقظَ من غفلته ، فلما أشرق في قلوبهم بنوره الشارق ؛ خَلَعُوا العِذَارَ ومَالُوا إلى الوَجْدِ وحَنَّتْ قُلُوبُهم وَأَنَّتْ إلى مقامِ أهل الصفاء ، الذي تفوحُ منه روائحُ القدس ، فهي ذروة الكمال ، وتطمع بالصلة والوصال ، وتطلع على السر الخفي ، فكانوا في أعلى عليين وقوله تعالى: ﴿ أَلْزَمَهُمْ

(١) في (ب) : الحقيقة .

(٢) لعله : ويجمع .

(٣) في (ب) : وإذا رءآهم .

كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾[سورة الفتح : آية ٢٦] الآية ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [سورة الشورىٰ : آية ٥١] ، فتعين وجوبُ ظُهورِ الخلافَةِ والكمال الكلي له في كل زمَانٍ ، فظهرت تلك الحقيقيةُ من تَصَوُّرِ خَاصِيَّتِهِ ، وفي كل مرتبة صورُ الكمالِ جامعةٌ النبوةَ ، قوله تعالى: ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٨٥] ، فالقطب الذي عليه مدار أحكام العالم هو دائرة الوجود الأزلي ، فله حكم الوحدة وهو الحقيقة المحمدية ﷺ ، قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[سورة الرعد : آية ٧] ، وقوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[سورة ق : آية ١٥] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٢٨)

ومن اكتحلتْ عيناهُ وتَنَوَّرَ قلبُه ؛ شهد العلمَ الغيبي بطلوع شمس العيان ، لا سيما باختفاء الكواكبِ عند ظهور الشمس ، وكذلك مظاهر جسميته(١) مظهر وجه العبودية بحقيقة ؛ وجه الربوبية فظهر الرب سبحانه بظهوره ظاهراً والعبد مختفياً ، فهذه مقابلةُ الصفاتِ البشرية ، كُلَّما ارتفعت صفةٌ من صفاتِها ؛ قامت صفةٌ من صفاتِ الإلهية فيكون الحقُّ حينئذ سمعه وبصره كما نطق به في الحديث ، فيكون له التَّصَرُّفُ في الوجودِ بما أراد اللهُ تعالى ، وقد يكون مُعَجَّلاً وقد يكون مُؤَجَّلاً ، وهذا الأمر الموعود به والفناء العلمي هو الفناء الحاصلُ للعارفين ، فهم أرباب الشهود عيناً وصفةً

(١) لعل العبارة : وكذلك تَخْتَفِي مظاهرُ جِسْمِيَّتِهِ ومَظهَرُ وجهِ العبوديةِ في حقيقةِ وَجْهِ الربوبية .

، وهذه[1] لأرباب القلوب ، والعلم بكيفيته مختص بالله سبحانه وتعالىٰ ، لا يَطَّلِع عليه غيرُه إلاَّ مَنْ شاء من عباده العارفين الكاملين ، أهلُ مشهد التَّجلِّي الذاتي للأعيان بالأصالة . قوله[2] تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَىٰ صَعِقًا ﴾[سورة الأعراف : آية ١٤٣] ، وشهودُكَ عند[3] اتحاد قطراتِ الأمطار بعد تَعَدُّدِها وإيجادِها ، واتحادُ الأنوارِ مع كثرتها ـ مثلا إذا شَهِدَّتَ نورَ الشمسِ والكواكبِ هو الدليلُ الواضحُ ، فكُلُّ شيء مكتفي بمقامه وبروزه علىٰ أي حال من الأحوال ، وموافقٌ من هو فوقه بأمره ، فيستمع أمرَه ويَمْتَثِلُه ؛ حتىٰ يصلَ كُلٌّ منهم إلىٰ مَوضِعِ كمالِهِ ظاهراً وباطناً ، وهو المعنىٰ الحقيقي ، والقطب الأزلي الأبدي أولاً وآخراً ظاهر و باطناً ، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ قوله : (كنتُ نبياً وآدم بين الماء والطين) معناه بين العِلمِ والجِسم ، وهو المبعوث إلىٰ الخَلقِ ليكونَ هاديا ومُرشداً إلىٰ كمالهم المُقَدَّر لهم في الحضرة ، وهي اختصاصيةٌ من الفيض والمعدن الأقدس ، كما هي إلىٰ الحقيقة ، قوله تعالىٰ: ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ .... ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٧٥] ، الآيةُ دَالةٌ علىٰ شمولِ وَصْلِ الواصلين من السالكين العارفين ؛ لأنهم مع ذلك في مقام الفناء فلا يترقون إلىٰ مقام البقاء ، والفناءُ إنعدامُ عينِ العبدِ وحِسِّيَّتِهِ ، ونَفْيُ جِهةِ بشريته ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[سورة البقرة : آية ١٤٨] الآية ، وبه يحصُلُ التَّوَجُّهُ إلىٰ جَنَابِ الحَقِّ المُطْلَقِ سبحانه وتعالىٰ.

* * *

(١) لعله : وهو .

(٢) لعله : قال تعالى :

(٣) لعل العبارة : وشهودك اتحادَ قطرات الأمطار .

﴿ فصل ﴾

(٢٩)

ومن أين للعبد وُجودٌ بعد فناءِ حَواسِّهِ وبشريتِهِ ، إلاَّ من حقيقة الذات الأَصلي ، فما صارَ هناللعبدِ مظهرٌ ؛ بل هو في حقيقة عبوديته الرِّقِّية المحضة ، هو الكمال له[1] والترقي إلىٰ تعلق جناب الربوبية . قوله تعالىٰ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾[سورة الزخرف : آية ٥٩] ، قوله تعالىٰ: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلىٰ الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير ﴾[سورة الإسراء : آية ١] الآية ، فَلَمَّا أَسْرَىٰ به علىٰ براقه ليلاً وخَاطَبَهُ[2] خِطاباً بَيِّناً فأراه من الأيات والمعجزات . قوله تعالىٰ: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىَ ﴾ [سورة النجم : آية ٩] ، فَمَنَّ عليه بالرضى شفاعة لأمته ، وَعَدَهُ بذلكَ وهو لا يُخْلِفُ المِيعَاد ، فرجع من إسرائه إلىٰ كمال بشريته ؛ لقوةِ قُرْبِهِ من الحَقِّ واستغرَاقِهِ في مَولاَه الحق ، فوقفت الملائكة الأبرارُ ؛ وأكملهم جبريل عليه السلام فقال : (وما منا إلا له مقام معلوم) ﷺ . فربما تأتي العبدَ الوارداتُ الربانيةُ والتجليات الرحمانية باللطف والتمكين ؛ فيرجع إلىٰ مقام العبودية الذي هو غاية الكمال الكلي . فبرزت الأسرار[3] وانتشرت الفضائل فنارت بهم الكائنات المتلاشية فيهم ؛ فكانت الخليقةُ الجميعُ الجنُ والإنسُ ودائرةُ الوُجودِ هُمْ رُوحُه وحياتهُ ، قوله تعالىٰ : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [سورة الفتح : آية ٢٩] الآية . فأنبأكَ وعَلَّمَكَ عِلْماً لَدُنِّياً ، وفيه عِلْمُ المَحْوِ والإثبات ، قوله تعالىٰ: ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الرعد : آية ٣٩] ، فَافْتَقَرَتِ العلماءُ إلىٰ علمِ الدائرة الربانية ؛ التي هي مَالِكَةٌ لأَزِمَّةِ العلوم اللَّدُنِيَّة ، قوله

---

(١) لعل العبارة : فهذا هو الكمال له والترقي بالتعلق بجناب الربوبية.

(٢) لعله : فلما أسرى به على براقهِ ليلاً خاطبه …

(٣) لعل العبارة : فلما برزت الأسرار و انتشرت الفضائل ؛ نارت بهم …

تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[سورة الكهف : آية ٦٥] ، فنَاخَتْ العارفون[1] ولَزِمَت الوقوفَ على الباب ، الذي هو مفتاح أبواب السرائر ، ومظهر علوم الأسماء المجردة في علم الذات . وقد تَجَرَّدَتُ وَعُلِّمْتُ علم الصفات ؛ فصارت جواهرُ العلومِ الربانيةُ في صَدْرِي وعلى لِساني ؛ فَنَنْطقُ للعارفين ولمن له فيه فَنٌّ ورَمَقٌ . فكن أيها المتوجه المخلص الصادق بحضرةِ العِلْمِ متأدباً خاشعاً خاضعاً في حُسْنِ الأدب[2] ، وَامْحُ اسْمَكَ ورَسْمَكَ ، وافْنِ عنك كل فَانٍ ؛ يظهر لك البقاءُ الأبدي ، فيكون لك في الحضرة الأحدية نصيبٌ وَافِر ، فاطمع في ذلك فإن فيه العِزَّةُ الكبرى ، وهو الوصول إلى حضرة الجَمْعِ ، قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾[سورة الأحزاب : آية ٤] الآية.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٣٠)

وأما السَّالِكُ الطالبُ لهذا الفَنِّ العظيم والرَّمَقِ الجليل ؛ فيحتاج إلى مرشدٍ يُرْشِدُهُ ويُنْجيه من المهالِك النَّفْسَانية ؛ حتى لا تَضُرُّه الحوادثُ ولا يَمَسُّه من الشيطان طَائِفٌ ؛ فيشاهد اليقين ، وتظهر عليه أنوار القلوب . والبصيرة لأرباب الشهود ، فهم في بدايتهم في النهاية ؛ ولهذا حصل الشهود[3] ، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[سورة طه : آية ٧] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [سورة الإسراء : آية ٨٥] ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [سورة ق : آية] الآية ، وهذه العلوم لأرباب القلوب الراسخين في العلم بالله دون غيرهم ،

---

(١) لعل العبارة : فأناخ العارفون ولزموا .

(٢) لعلها : مع حسن الأدب .

(٣) لعله : حصل الشهود لهم .

فحُكْمُ باب الجمع شيء واحد ، فإن ظَهَرتْ أي : الحقيقة ؛ فتكونُ مَكْنُونَةٌ في الصدور إلا[1] عند أهل النظر المفتقرين إلى علم ذلك الفَنِّ العظيم ، والخطابُ الجسيمُ مِنْ مِنَنِ عطاءِ الرحمن الرحيم ؛ لأن للحق تجلياتٌ ذاتِيةٌ ، قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ﴾[سورة الزمر : آية ٦٨] الآية ، وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٨٠] ، وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] الآية ، فطلعت شمس الحقيقة ونارت[2] في جميع المخلوقات ، وظهورها في برزخ القضاء والفصل بينهم بما اقتضاه الحق سبحانه وتعالى ، وظهرتْ القبضتين : (هذه في الجنة ولا أبالي وهذه في النار ولا أبالي) حِكْمةُ [أحكم][3] الحاكمين ، قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣٠] ، فربما ظهرت الحقيقة وانتشرت بمظهر الطريقة ؛ فثمرتها الأخلاقُ الحَسَنَةِ ، فيكون لها الشأنُ العظيمُ ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : آية ٤] ، وقوله تعالى : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾[سورة التوبة : آية ٢١] ، فهو أعظم[4] الوسائلِ والقُرَبِ والجذبات الآلهية والإكسير المُجَرَّبِ ، وهو الدليلُ والمدلول عليه والشهود والمشهود به ، وليس لكل أحدٍ من العارفين فيه مدخل إلا بالإذن والتَّمْكِينِ مع الرسوخ في اليقين واقتفاءِ القَدَمِ المحمدي ، فرشح منه ـ أي : اقتفاءُ الرسول محمد ﷺ ـ متابعةً على الرأس والعين . قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[سورة المائدة : آية] ، فَبِمَحْوِ الرسومِ يكون القُربُ والعيانُ وزيادةُ البيانِ ، فتضمحل الحُجُبُ فلا ينال الحضرة الأحدية إلاَّ عارف مستقيم ، لا يلتفتُ لشيء غير حقيقةِ الذَّاتِ ، ولا تأخذه الذَّات إذ كان مظهر السِّر الأعظم . قوله تعالى:

---

(١) فما ظهرت أي : الحقيقة بل تكون مكنونة في الصدور لا تفشى إلا عند أهل النظر . . .

(٢) لعله : وأنارت .

(٣) في الأصل : أحكم .

(٤) لعله : فهو من أعظم .

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[سورة الجن : آية ١٩] الآية ، يقتضي مظهر الحق ؛ لأنه يعطي كُلَّ ذي حَقٍ حَقَّهُ بالتخلقِ المرضي ، وشُمُولُ الرحمةِ من معدنه المحيط وكوثرِهِ الفاخرِ الزاخر ، وحوضه الرَّاوي الزلال الذي يروي أكباد كل عطشان من أمته.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٣١)

والحقيقة المحمدية هي الدائرة الجامعة للأجناس كُلِّها ، وهو الاسم الأعظم والمقام العزيز المكرم ، لمن أَلْزَمَ[1] الحَقُّ إجابَتَه فيما أمر به ونَهَىٰ عنه ، فالعارف الكامل يرىٰ العينَ الواحدة في صِوَرِ الكثرةِ ، فالنَّفَسُ الرحماني هو المرتبةُ القلبيةُ الوَاعِيَةُ لأهل التمكين ، وهم أصفياء الله تعالىٰ وَأُمَنَاؤه ؛ الذين صَفَتْ سرائرهم عن رؤية الغَيرِ ، فإنهم في مقام الفناء عند رُؤية الخَلْقِ في الحق سبحانه وتعالىٰ . قوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[سورة الفرقان : آية ٤٥] الآية ، وصبح الأزل يشرق علىٰ هياكل التوحيد ، وعَينُ الفَرْقِ تَضْمَحِلُّ بعينِ الجمع ، وهو بعينه معنىٰ أحدية الفرق والجمع بالله ؛ وهو مشربنا ومشربُ إخواننا ؛ شراباً طهورا لإتحاده ، وهو شهودُ الوجود للحق الواحد المطلق ، الذي الكل به موجود بالحق[2] ، كل شيءٍ موجودٌ به معدومٌ بنفسه ، فاتحد مع ذلك العلمُ والعَالِمِ والمَعْلومُ ، فلما تَوَجَّهَ بحُسْنِ الإرادة في كل شيءٍ ، وَقَعَ له التوفيقُ والطَّاعَةُ ، فَوِرْدُهم ـ أعني : المحققين ـ إسقاطُ الهوىٰ ومَيل القلبِ إلىٰ نور الحقيقة . وَوَسْمُ السعادة معرفة الحق والتواضعِ لأهله ، وهو عين الكمال ، وَوَسْمُ الشقاوةِ جحودُ الحق والتَّكبُّرُ علىٰ أهله ، وإن عمل بأضعاف الأعمال فلا

---

(١) لعلها : من ألزم الحق .

(٢) لعل العبارة : الذي الكل به موجود ، فالحق كل شيء به موجود به معدوم بنفسه .

تنفعه ؛ إشارة إلىٰ مِنَح الحق ومِنَّتِه في من تَوَلَّتْهُ عنايتُهم ، ومَطَرَتْ[1] في قلبه رحمتُهم ، ومثاله إذا أمطرت السماءُ فرشحت وفاضت علىٰ أرض الجَدْبِ ؛ إخضرتْ أشجارُها وأثمرت ثمارُها ، ولاحَتْ لهم لوائح القِدَمِ بالكشف ؛ وهو سبحات وجهه الكريم قوله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦] ، فتجلت لهم سبحات جَمَالِهِ فأحرقتْ ما سِوَاه.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٣٢)

إعلم أيها الطالب : عليك بالمَحْوِ والفناء والوحدة ؛ حتىٰ يشرق فيك نور أحسنِ الطُرُقِ إلىٰ المنهج الأول ، فتُقْبِلُ عليك لطائف القُرْبِ والإتصال ؛ فتكون لك الهداية والسيادة . ومَنْ جلس مَعَنَا في مجلسنا ، فإن كُشِفَ له كشف ذوقي[2] وشهود العيان ؛ فوصفه فيه الكَتْمُ له ويَصُونَهُ عن[3] غير أهله ، إلاَّ إن وَقَعَ إذنٌ وتمكين ؛ فينطق به رسالةً معينةً عن نَاطِقها حتىٰ يكون الشهود الحقيقي ، ويهدي إلىٰ طريق التوحيد الذي لا يكون مع الحق سواه ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[سورة الفرقان : آية ٦٣] ، فيكون في الأشياء إلىٰ طَوْرِ العقل ، ثم إلىٰ نورِ الكشف الجلي . والاتحاد والعقل يحتاج إلىٰ دليلٍ ؛ فإن نُورَ الحقيقةِ لا يُدْرَكُ لشدةِ ظهورهِ وقوةِ نُورَانِيَّتِهِ ، ولا في[4] مقام التوكل سبب لقوة يقينك ، أَعنِي : لا مؤثِّر إلاَّ الله تعالىٰ . وكُلُّ ما قَابَلَنَا من الحَدَثِ أعدمناه عن الرؤية ، والحقيقة فناؤه وعدمُه ، فتكون الأشياءُ علىٰ ما في سابقِ

---

(١) لعله : وأمطرت .

(٢) لعله : إن كُشِفَ له كشف ذوقي وشهود عياني ؛ .

(٣) في (ب) : من .

(٤) لعله : وليس في مقام .

علم الله ، في حضرة الصفات والأسماء ، أي الحضرة : الواحدية ، فَبرَحْموِيَّتِها[1] تضمحل الرسوم مع حضرة التوحيد الثالث ، الذي اختصه لنفسه ويستحقه بقدرته ، (كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان) ، وإذا ظهر سبيل القدم ضاقت الحدث[2] ، قوله تعالى : ﴿ اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[سورة البقرة : آية ٢] ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[سورة النحل : آية ٤٠] ، فأعطت صحبتهم العافِيةَ الأبدِيَّةَ : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ، قوله تعالى: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ٢٣] ، قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[سورة هود : آية ١١٢] الآية.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٣٣)

فمن فَهِمَ هذا العلمَ تَرَقَّى إلى أعلى درجةِ أهل الكمال ، وتَهَنَّى برؤيةِ الجمالِ المطلق المتعين وجوده ؛ الذي هو أشرفُ وأعلى المقامات والمراتب العالية ، فَأَلْزَمَكَ تصحيح الإفتقار إلى الحضرة الكمالية ، وربما أُلزمك النهوض إلى أشرف مطلب المتوجهين إلى الله تعالى ؛ الذين فاضت عليهم من سرادقات الجمال عِوضاً عما أفنوه في سلوكهم من الجود الحَقَّانِي . والعلم الإلهي من حيث برزَ من أوصاف الحضرة الرحمانية فضلاً وكرماً وجوداً ورحمةً شاملة وسعادة سابقة ، وهذا صرف المحبة

---

(١) لعله : فبرحموتيتها .

(٢) لعله : ضاق الحدث .

والامتثال ، الذي أَوْصَلَهُمْ إلىٰ ذَروةِ الكمال ؛ لأنهم قد زالت عنهم الصفات الإنسانية . وعندنا إذا صح لك الفقرُ الحقيقي ثبت لك الغنىٰ ؛ لأنه تحقق بالحَقِّ واطمأنَّ بصفاتِ تَحَقُّقِهِ وثبتَ له الغنىٰ الصحيح الذي حققه العارفون بالله أهل الوفاء والمِنَن الذي[1] يستغاث بهم ، فهم أمطار القلوب وأمطار حياة الأرض ، تُثْمِرُ بهم ثمارُها ؛ لأنهم أخلصوا تجردهم إلىٰ الحضرة المحبوبية ، ورَمَقُوهَا وعاشوا في أكنافها ، وهم أهلُ تلقي عطايا الحق ومنحهِ فهم لازمين المرشد المهدي لهم من عين الهداية ؛ لأنهم وقفوا في امتثالهم معه ، وعملهم من أعمال أهل البِرِّ لأَنَّ السعادةَ تُكْسَبُ بنَظْره ، فيالها من نظره . . ! . فاعدل إلىٰ ما أقول لك : إنما هي ربوبية تولت عبودية ، وإذا رأيت الأجسام والبشرية فاعدل إلىٰ رؤية المعاني ، ولا يَخْفَىٰ علىٰ من صَدَق بين أيديهم ولحظوه بأعينهم بالعين الرحيمة ، وشَمَّةٌ من عارفٍ بالله خيرٌ لك من أَنْ تَعبُدَ الله كذا كذا سنيناً عديدةً جمه ؛ اختَصَرْنَا عَدَّهَا لئلا يستكثرها ضعيف اليقين.

*   *   *

﴿ فصل ﴾

(٣٤)

وأما المريد الفانِي المخلص فرمقه لشيخه وأستاذه شيء فوق الوهم ؛ لأنه مريد ومراد ، وما ثَمَّ إلاَّ مُراد دخل في عين الفضل والكرم ، وفاضت عليه النعمة وهو شاكرها . وقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ... ﴾ [سورة هود : آية ٥٦] الآية ؛ لأنه الجامعُ ، الحاكمُ علىٰ مقامات السالكين والطالبين ، وهم بين يديه أطفال في حِجْرِهِ ولو هُمْ[2] علماء بالله فهم لازمين الأدبَ والامتثالَ الموصل

(١) لعله : الذين .

(٢) لعله : ولو أنهم .

إلى الحضرة الإلهية ، وهي مشتملة على الجهتين الإلهية والعبودية ، والمعنى هو الخلافة ، وفيها اللطف والقهر والرضى والسخط [و][1] جميع الصفات كلها ، يتصرف في العالم بنفوذ أمر الحق سبحانه وتعالى وفي نفسه وفي بشريته أيضاً ؛ لأنه مِنه . وبكاؤه ﷺ وضجره وضيق صَدْرِه لا ينافي ما ذكرناه ، فهو من بعض مقتضيات ذاته وصفاته ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، فيصير مجمع البحرين ومظهر العالمين ، فنزوله ومقامه و عروجه إلى أعلى الكمالات الربانية قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ ﴾[سورة الشورى : آية ٥١] الآية ؛ لكون عين تلك الحقيقة المحمدية جامعة لِنُبُوَّةِ كل منهم بتعين الأسماء والصفات ، وإذا اعتبرت حقيقتهم فهم راجعون إلى الحضرة الواحدية . قوله تعالى: ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٨٥].

* * *

﴿ فصل ﴾

(٣٥)

والقطبُ الذي عليه مدار أحكام العالم ، ومركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد واحِدٌ باعتبار حُكْمِ الوَحْدةِ ، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ وخاتم الأنبياء وخاتم الأولياء ، وهو الخاتم للولاية المطلقة فَنَفَى عنها الإشكال ، وهو الروح الأعظم ، هو الروح الإنساني[2] مظهر الذات الإلهية ، ولا يمكن أن يحوم حولها حائم ، ولا يَرُومُ وصلها رائم من حيث ربوبيتها ، ولا يعلم كُنْهَهَا إلا الله ؛ لأن جَنَابَها بحار مغرقة ، فَكُلٌّ لازمٌ الأدبَ معها ، ولو لاحَ له لا ئح من جمالها ؛ فيغضُّ الطَّرفَ عنها

(١) ما بين المعقوفتين ليس في الأصل .

(٢) لعله : وهو الروح الإنساني ومظهر الذات الإلهية .

إجلالاً لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[سورة طه : آية ٧] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [سورة الإسراء : آية ٨٥] .

❋ ❋ ❋

﴿ فصل ﴾

(٣٦)

فأرباب القلوب هم الراسخون في العلم بالله دون غيرهم ، فيتحققون[١] العارفون حَظَّهم وحِصَّتَهم من فيض أنواره مع سكونه واستقامته وحُسْن سيره حميده ؛ لأن قلوبَهُمْ مغمورةً بنور التجلي الإلهي ، وظَهَرَ سُلطانُ الحقِّ فيهم من الهَيبَةِ وظُهورِ الأُنس ، وسُلطان مظهرها في العالم قهراً، فبه تشرق قلوب السائرين إليه ، والمُعَوِّلين في مطالِبهم ومقاصدهم عليه ، فَجُلِيَتْ[٢] عليهم عرائس مَعَانيه من حضرة العليم الخبير ، قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ٣] . وأهل البصائر لا يزالون في عرائس المعاني المتلألئة من وراء الحُجُبِ ، وشاخصةٌ في بُروق سَنَاء العارفين ؛ لأن مقامهم الأعز مقام الكمال ، ورجوعهم إلى خصائص الأعمال الطيبة ؛ التي تَنْفَحُ منها روائح القَبولِ و الرِّضى الدائم ، قوله تعالى: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [سورة المائدة : آية ١١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة يونس : آية ١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ... ﴾ [سورة الحديد : آية ٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ [سورة الواقعة : آية ٨٥] ، وقوله تعالى : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة النور : آية ٣٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً ﴾

---

(١) لعل العبارة : فيتحقق للعارفين حظهم وحصتهم من فيض أنواره مع سكونهم واستقامتهم وحُسن سيرهم الحميدة .

(٢) لعلها : فَتَجَلَّتْ .

[سورة النساء : آية ١٢٦] ، هذه أسرار المنَّة والمنحَة ، فيالها من مِنَّة[١] التي خضعت لها الرقاب [وانّمَحَتْ][٢] عندها الأحساب والأنساب ، فما هنا إلا مجرد العبودية المحضةِ الرِّقيَّة التي غمرها فيض جُودِ الربوبية ؛ فغابت عنهم الصفات والمعلومات وظهور هيكل الجسمانية ، فصارلهم سؤدد الولاية ورمقتهم وتولتهم بفيضها الإلهي . قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠٧] الآية ، أي جميع العوالِم العلويات والسفليات ، فقد عَمَّتْ رحمتُه الأولين والأخرين ، وهو خاتم النبيين وصفوة المرسلين أجمعين عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٣٧)

والرسول محمد ﷺ يقول : (أنا مِنَ الله ، والمؤمنون مِنِّي) ، وهو الخاتم الجامع للكل ؛ لأنه جامع الصفات والذات ، وهو النَّفَسُ الرحماني الذي أشار إليه ﷺ بقوله: (إِني لأَجِدُ نَفَسَ الرحمنِ مِنْ قِبَلِ اليمن) ؛ لأنه روح جميع الموجودات ، فالكل دخل فيه ولا يخرج عنه لقوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة يس : آية ٨٣] فله الحمد . والصحابة رضي الله عنهم ، لَمَّا فَاضَتْ عليهم من منبع الفيض الإلهي وكذلك التابعون المحققون ؛ عاشوا فيما عاش فيه الصحابة الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، ولهم فَوائدُ جميع الإلهاماتِ الإلهية الرحمانية ، فَقَرَّتْ عيون العارفين من التابعين مِنْ قِبَلِ الإنعام والإحسان الإلهي مقابل للعمل بقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [سورة الحشر : آية ٧] ؛ فَهُمْ في ذلك

---

(١) ولعلها : فيالها من مَنَّة خضعت ...

(٢) في الأصل : وامحت .

لازمون وآخذون وثابتون في الأمر والنهي ، فقابلهم الوفاءُ والعطاءُ والمواهب ، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[سورة فصلت : آية ٣١ـ٣٢] الآية ، فانظر إلىٰ ما وعدك وطَمَّنَكَ به مِنْ سابقِ الرحمة[1] الشاملة التي وسعت كل شيء ، فالرحمة سارية في كل موجود ؛ لأن الإنسان الكامل لا بد أن يسري في جميع الموجودات كسريان الحق فيها ، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، ويرتفع عنه حكم تجلي الوحدة ، ويرجع إلىٰ عالم البشرية ، ويتجلىٰ له الحق بحكم الكثرة ، فَأَقَرَّ بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت أحكام الأسماء الإلهية ، وبرزت منه أنفاس إلىٰ جميع المخلوقات والسموات والأراضين والجنة والنار وجميع السِّوىٰ ؛ فالجنة للمحسنين والنار للكافرين الجاحدين ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[سورة الإسراء : آية ٢٠] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾[سورة التوبة : آية ٩١] ، وهذه من أحكام المُشَرِّع ﷺ لأنه تعين عليه ﷺ ، وكذلك الخلفاء الراشدين الذين اقتفوا آثاره وقال ﷺ : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ) ورضي الله عن الصحابة أجمعين ، والتابعين لهم والعارفين المحققين المؤيدين ؛ لأنهم فاضت عليهم أنوارها وشملتهم المِنَنُ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴾[سورة يونس : آية ٦١] ، وكذلك الإرادة والقدرة تابعة للمراد في المقدور وفي العلم ، أي تلك الحقيقة التي تعلق بها العلم ، ولها إحاطة بالكليات مشتملة علىٰ جزئيَّاتها ؛ لكون علمه مطابقاً لما في علم الله سبحانه وتعالىٰ ، فيكون فائضاً من الذات الإلهية من الفيض الأقدس ، وطلب مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله ظهور الشيء من أصله ، مع لوازمها وتوابعها ، ويحصل له العيان والشأن والبيان ، والعلم اللَّدني الموصل إلىٰ الحضرة الأحدية المنورة ، وكل من رمقاها بالعلم ولو مَا حَقَّ له العيان ؛ فلزومه العلم

(١) في (ب) : من سباق عِلمه الرحمة .

يوصله ولو بعد حين قال الله تعالى: ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ﴾[سورة الروم : آية ٤] ، ولكن من طلب شيئاً أدرك ولو بعضه.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٣٨)

وأهل الخصوصيه الذين وقعت لهم الجذبات الموصلات في لحظهِ ، العارفين(١) المحققين كالفضيل ابن عياض وإبراهيم ابن أدهم نفع الله بهم . ونفحات الحق لا تزال باقية ، ولكن لا بد من التَّعرُّض لها ، ولو أن عطائهم من غير تعرض ولا سبب ، فالنادر لا حكم له ، ولكن انظر بعينك إلى أعلى طريقتهم في السلوك بعد ما فتح الله عليهم ، لا أحد يعمل بأعمال السلوك مثلهم ؛ حتى لا أحد يَدَّعِي الوهبية من غير سلوك ، فبداية المجذوبين نهاية السالكين ، ونهاية السالكين بداية المجذوبين ، قال الله تعالى: ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[سورة الإسراء : آية ٢٠] ، فهم أهل القرب الأَسنى والمقام الأعلى مع خمولهم وخضوعهم وخشوعهم مختفون لا يعرفون ، رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ، وأُوَيس [القرني](٢) الذي أخبر به سيد المرسلين والاولين والآخرين ﷺ ، وأمر أصحابه رضي الله عنهم بإلتماسه وهم أفضل منه ، وصح أنه أفضل التابعين ، وهذه مظاهر أُمَّتِه [حَدباً](٣) عليهم ورأفةً بهم قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٤٣] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، وهو محمد ﷺ ، خاتم الرسل أجمعين صلى الله عليه وعليهم أجمعين ؛ نور الأنوار وسر الأسرار ، تؤخذ منه

---

(١) لعلها : من العارفين.

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : جدبا .

المعارف الإلهية ، أَخَذَ أَهلُ الظاهرِ عنه ظاهرهم ، وأَخَذَ أهل الباطن منه بَاطنهم قال ﷺ : (العلماء ورثة الأنبياء) وَرِثَ كُلٌّ منهم علىٰ قدر إِرثه نوراً وصفةً علىٰ قدر الفتوح ومعرفته بربه ، وينتقل الإرث إلىٰ الوارث وهو العلم الذي يورث الخشية لقوله تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾[سورة فاطر : آية ٢٨] الآية ، فهذه سلسلة الولاية والصديقية والقطبية تمتد من البحر المحيط والبرزخ المحيط صلوات الله وسلامه عليه إلىٰ وقتنا هذا ، ولا تزال كذلك حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لقوله تعالىٰ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[سورة البقرة : آية ١٠٦] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٣٩)

وَمَسْلَكُنَا المَحَجَّة البيضاء والمنهج القويم ، فيغرس[1] من ثمارِ[2] المعارف والسرائرِ وفَوحِ الزهرات العطرات مِسْكَ الأرواح الذي نشقته قلوبُ العارفين ، فهنا موطن الإمداد من الله سبحانه وتعالىٰ ، فهم قد سَمَوا من بحر الفناء إلىٰ بحرِ البقاءِ بالله ، والأول مقام الفناء في الله فصاحبه يدعوا بالله ، والثاني يدعو إلىٰ الله وهو محل الخلافة ، قال الله تعالىٰ : ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف : آية ١٠٨] الآية ، فهم الراسخون بأقدامهم المتوجهون بقلوبهم وظواهرهم وبواطنهم ، ممتثلين للكتاب والسُّنَّة ، وطريقهم الصراط المستقيم وعُرُجُهُم إلىٰ الأُنْسِ

---

(١) لعلها : فنغرس .

(٢) في (ب) : أثمار .

بالله ، لا يأخذهم في الحق لومة لائم ، فَهُم في نعيمهم وشهودهم الخاص يتنعمون ، لا يزالون مستغرقين لا يلتفتون لشيء دَقّ أو جَلّ قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ [سورة فصلت : آية ٣٠] الآية . فهو خاتم النبيين ﷺ كريم رحيم لا فَظّاً ولا غليظاً ووَهبَ له الحق خُلُقاً كَريماً ، والسَّكِينةُ له ، وعلىٰ لسانه أصول الحكمة في منطقهِ ، والعفو والمعروف خُلُقُه ،ـ والعدل سيرته في جميع أَحْكَامِه ، لطيف بعباده . وَمَنْ صَحَّتْ معرفته تَنَّور قلبُه ؛ مع نفس الإستِسْلام له والإنقياد الجامع لأَجزاءِ الإحسان والإمتنان ومحل العفو والغفران ؛ لهذا أوجَده الحَقُّ لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[سورة الضحىٰ : آية ٥] ، بالشفاعة يوم العَرْضِ الأكَبرِ ، يوم كُلُّ رسول يقول : (نفسي نفسي) ، وأنت تقول : (أمتي أمتي) ؛ فأعطاك الرضى الكلي فتقول : (أنا لها) ، ولَكَ اللواءُ المعقودُ والحوضُ الصَّافِي والمورد[1] عند فَصْلِ القضاء ، وهو الرحمة الشاملة للخلق أجمعين ، وكذلك للصحابة رضي الله عنهم وكذا الأولياء علىٰ قدر جاهه ، وكذا الأولياء والصالحين من أمته لهم شفاعة ، وقد صح الحديث أن أمة محمد ﷺ خير الأمم ونبيهم خير الأنبياء ، وهو الشاهد للرسل علىٰ قومهم ، نص القران العظيم علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[سورة الأنعام : آية ٣٨] الآية ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٥]، يعني أرض الجنة ، وقوله تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[سورة آل عمران : آية ١١٠] الآية فَهُم في المَحشرِ غُرٌّ محجلون ، نُورُ أَحَدِهِم يَفُوقُ نورَ القمرِ ليلةَ البَدرِ ، وقد يدخُل أَحَدُهم الجنةَ ـ أعني : من أُمَّتِهِ ـ بقوله : (أشهد أن لا آله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير) ، ويقابلهم بالعفو والغفران لقوله تعالىٰ : ﴿ أُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ [سورة الفرقان : آية ٧٠] ، والتائبُ من الذنب كَمَنْ لا ذنب له ، فهذه

---

(١) لعله : والحوض الصافي المورد . . .

من خصائص الأمة المحمدية قال تعالىٰ : (سبقت رحمتي غضبي) فانظر المِنَّةَ العظيمةَ في سابق اللطف.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٤٠)

فارحل إلىٰ المحل الأعلىٰ عن[1] مقامات العارفين الفضلاء من هذه الأمة ، زادهم الله من الفضائل ، فانتشرت ونارت[2] الكائنات من أنوارهم الشارقة ، وانبسطت من فيض جواهر علومهم لغوصهم في بحر الحقيقة المحمدية ، ومن صِفاتهم أن يحبون[3] لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم ، ومنهم من يؤثر علىٰ نفسه بما أحب من خِلَعِ القبولِ والرضى ؛ فصح لهم الكمال لقوله تعالىٰ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[سورة الحشر : آية ٩] الآية ، لأن الوفاء شأنهم فهم أهل الله الذين اجتباهم واصطفاهم لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰٓ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠١] الآية .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٤١)

وسأذكر لك أيها الطالب الراغب في توجهك وإخلاصك وتجردك ومحو رسمك لتنال الدرجة العالية ، في مستقر رحمته الواسعة ، فلله الحمد والمِنَّة ، وهم أهل الحضور والمراقبة ،

---

(١) لعله : التي هي مقامات ...

(٢) لعله : وأنارت .

(٣) لعلها : أن يحبوا .

والتجليات والواردات والمعاني الإلهية ؛ ليعلموا علم المكاشفة والعيان الثابت في العلم الأزلي القائم بذات الحق ، فلزموا الحضور وبانت علوم المغيبات ، والصديقون لا يسألون ولا يطلبون وإن طلبوا أخذوا بقوله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[سورة غافر : آية ٦٠] ، وذلك السؤال متعلق بالإستجابة ، ولو أَنَّ طلبَ العبد شيءٌ قليل ، والحَقُّ يُعْطِي الجَزيل من الفضل العظيم ، وأَمَّا العارف بالله المحقق ، هو الذي[1] عَرَفَ نَفْسَه ، وحقيقةُ معرفتِهِ بنفسِهِ مَعْرِفةُ الحَقِّ ، قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[سورة النازعات : آية ٤٠-٤١] ، لأن مَنْ عَرَفَ نفسه لا يرى إلا الله سبحانه وتعالى ، "وكل إناء يرشح بما فيه " ، وقال بعض العارفين شعراً

تفـــوح أرواح نجـــد مـــن ثنـــائهم عنـــد القـــدوم لقـــرب العهـــد بالـــدار

ومن ظهرت عليه أنور الوصل والاتصال بعد سلوك الطريق على الصراط المستقيم نال التُّحَفَ والنعيم ، وقابلته المِنَّة المَرْجُوَّةُ من ثمرة السلوك ، قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[سورة العنكبوت : آية] ، وكل من ثبتت طريقته في الإبتداء مع الشيخ المرشد ؛ ثبت وصح له الكمال في الإنتهاء ، لأنه في سلوكه مع أستاذه على بصيرة مِنْهُ ، ويُؤَيده وينظر إليه بعين رحمة الله الواسعة ، ويشرف على قلبه بالرحمة ؛ فيُثمرُ حقيقة الإيمان واليقين ، ووجودَ العَيانِ وهو : شهودُ الحَقِّ ، وما بعد ذلك مطلب ولا مرام ، وهو طريق السعادة ومحل النجاة ، ومحض النوال والعطاء الوهبي من غير عمل ولا سؤال ، وتفيض على العبد المتوجه المخلص علومٌ لَدَنِيَّه ومعارف حقيقية ، وهي تَحُلُّ المشكلات وتضمحل فيه[2] الكائنات فتظهر الحقائق الإلهية ، قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ .... ﴾[سورة الحديد : آية ٤] الآية ، وتلوح على وجوههم علامةُ الهداية والمحبة الراسخة ، وتفوح

(١) لعله : فهو الذي .
(٢) لعلها : فيها .

منها روائح المسك ، ولبسوا(١) تيجان المسرات وكُسوا من حلل الأنسِ والوِدِّ ؛ فهذه أحوال العارفين نفع الله بهم ، وقلوبهم معمورة منورة فهم النجباء السادات الأكياس ، الذين أسكرتهم خمرة الذات والوصال ، وهم مع ذلك في تحقيق صحوهم لازمين الآداب مطمئنين ، وهم(٢) الوارثين للأحوال والمقامات والعلومِ المحيطةِ بكل مقام ؛ من حيث قيامهم بإقامة الله إيَّاهُم ، وخُصُّوا بمواريث الأسرار ، يأخذون عن الله لا عن غيره .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٤٢)

وبيان حقيقة الوراثة هي شاملة للمقام والعمل ؛ بِوصُولِ الوَصْلِ والفضل والتجلي ، والإستمرارِ في الكشف الحقيقي والصورة(٣) المحمدية النُّوريَّة ، يأخذون العلوم والأحوال والمقامات المرضية من خاتم الولاية الخالصة المحمدية نص القرآن : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٤٩] ، قوله تعالىٰ : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورىٰ : آية ٥٢] الآية ، وحُسْنُ الأدبِ مع الله سبحانه وتعالىٰ أعلىٰ المقامات وأعلىٰ الدرجات ، وهي من صفتها وذاتها الأحدية بارزة من عين مِنَّةِ الله سبحانه وتعالىٰ ، وعَطَاياهُ من فيضِ الإحسان ابتداءً وانتهاءً قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦ـ٢٧] ، فتلاشىٰ في الحق ما سوىٰ الحَقِّ وظَهَرَ في مُلكه ومَلَكُوتِهِ ؛ مع نفي السِّوىٰ وشهودِ الحق ، فلا وجود في شهوده بالحقيقة إلا واحد ، فمن تحقق هذا بالذوق فقد شهد

(١) لعلها : وأُلْبِسُوا .
(٢) لعلها : الوارثون .
(٣) لعلها : والاستمرار في الكشف الحقيقي من الصورة المحمدية .

التوحيد بتنزيه الله تعالى عن الحدث ، فبان تصحيح التوحيد الذاتي ، وصَحَّ تحقيقُ العارفين الذائقين الكملاء الفضلاء النجباءِ ، الذين تولتهم أنوار البصيرة النافذة والخوارق الباهرة وشموس اليقين الشارقة ، ولاحت عليهم بروقُ سَنَاءِ الجمال ، وعرَّسوا على حقائق المعارف ولَذَّاتِها ، فهم بين صاح ساكر[1] ؛ فهنيئاً لهم . السَّاكرين[2] بها والشاربين في الصحو ؛ تَوَلَّتهم نظراتُ السِّر الأعظم ، فهم الإكْسِيرُ والمَرْهَمُ المُجَرَّبُ ، عيونهم لا تزال إلى محبوبها ناظرة ، وتوجههم[3] إلى حضرته المقدسة طامعة ، ومقامهم مقام الإحسان ، وفي الحديث الصحيح : (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ، فلما وصلوا إلى الحضرة الرَّبَّانِيَّة ؛ أَلْبَسَهُم خِلَع الأُنْس وخِلعَ الهَيبَةِ ، فيهنى جليسهم ، وهم صفوة خلقه[4] ، وأمناء الله في عباده قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[سورة يونس : آية ٦٢] ، ومَدَدُهم المعنوي من فيض عين الجود قال تعالى : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[سورة الجمعة : آية ٤] ، فَحُقَّ لهم عطاءُ الحقِّ من غير عِلةٍ ولا عمل ، قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[سورة المائدة : آية ١١٩] الآية .

❊ ❊ ❊

﴿ فصل ﴾

(٤٣)

فاسمع ما أقول لك وانظر إلى ما أهديك إليه ، كن معنا في تحقيق التوجه والإمتثال والمراقبة ؛ يحصل لك النوال وتعيش في نعيمهم وسعادتهم الأبدية إن كنت ذا فهم وعلم وثبات ، وكُلُّ الأولياء

(١) لعل العبارة : فهم بين صاح وساكر .

(٢) لعله : السَّاكرون .

(٣) لعله : ووجوههم إلى حضرته ...

(٤) لعل العبارة :فهم صفوة الله من خلقه ...

واقفون على القضاء والقدر لأنهم وجدوا بابه صَمْتًا ؛ إلا خواصُهم ـ أهل الكمال الكلي ـ فانفتح لهم بَابُهُ ويمضون فيه على مراد الحق سبحانه وتعالى قال الله تعالى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف : آية ٧٦] ، ووقفوا على كنوز السِّر الخَفِي ، ومنهم الشيخ عبد القادر الجيلاني فهو في زمانه وقع له المراد والمشيئة بإذن الله تعالى ، وكذلك أكابر الأئِمَّةِ العارفين ، الذين انتشرت فضائلهم وبَانَتْ مَعَالِـمُهم ؛ فمحوا الآثار بشموس الأنوار قوله تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ ﴾[سورة الزمر : آية ٣٤] الآية ، وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [سورة يوسف : آية ١٠١] الآية ، فمن كان الحق وَلِيُّهُ ومُعِزُّهُ وناصِرهُ ؛ فلا يُخَافُ عَلَيه شيءٌ يأخذه ، لأنه قد تَمَسَّك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[سورة المجادلة : آية ٢٢] ، لأنه استند وتَمَسَّكَ بالعروة الوثقى وهي الحقيقة المحمدية ، وهي لا تخفى ، شَمسُها ضاحيةٌ والظُّلَمُ عَنها متلاشية ؛ لأنها موجودة ومن أشرقت عليه بتجلِّيها(١) عليه وظهرت عليه بعِرْفَانِها ، فهو الشهود(٢) الأحدي العيني ، فَلَمَّا وقع ذلك لِذلةِ الخشوع والخضوع وانسكاب الدموع في قيامه وسجوده والركوع ؛ فربما لاحت البروق في أوقات المناجاة ، قال بعض العارفين وهو الشيخ أبو يزيد البسطامي رحمه الله : (خضنا بحراً وقفوا(٣) الأنبياء بساحله) ، يعني أن أكابر مشائخ الأمة المحمدية ورثوا النبوة بالسِّر الأعظم في الحديث الصحيح(٤) ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

---

(١) في (ج) : بتجلّياتها .

(٢) لعله : فهو في الشهود .

(٣) لعله : وقف .

(٤) لعل المقصود بالحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وآله وسلم : ((العلماء ورثة الأنبياء ...)) .

وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[سورة الأحزاب : آية ٧] الآية ، فهذه الحقائق الإلهية لا يعرفها إلا المحققون أهل الكمال ، ومِنْ حَيَائِهِمْ لا يكثرون السؤال تأدباً مع الله سبحانه وتعالى ، قوله ﷺ : (أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي) فما هنا إلاَّ محض الجود والعطاء من غير استحقاق إلا محض الفضل العظيم ، قال تعالى: ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِّ بِعَزِيزٍ ﴾[سورة إبراهيم : آية ٢٠] ، ولكن أيها العبد المخلص في تحقيق محض العبودية الرِّقية . وهي الإضافة إلى الحَقِّ والصِّلة الرَّبَّانِية والشهود والعيان لتشربُ من المعدنِ المحمدي الصِّرْف ، وهو الحق المبين .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٤٤)

واعلم أن الحق سبحانه وتعالى هو الوجودُ المَحْضُ ، فهو أَحَدٌ وَحْدَهُ وقولنا : وحدهُ ؛ للنزيه ، فبرز منه سبحانه وتعالى مَظْهَرُ السِّر الأعظم وهو محمد ﷺ مقام الكمالات ومقام التنَزُّل الرباني ، ومنبع الجود الذاتي الرحماني ، وهو الحضرات الأسمائية الإلهية و قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [سورة هود : آية ١١٢] الآية ، اصطلاح العلماء والمحققين العارفين بالله أهل الله ـ وهي عين ثابتة إسقاط الحَدَثِ[1] وإثبات القِدَمْ ، فصح التوحيد لأنَّ الحدث لم يزل ساقطاً ، قوله تعالى: ﴿ فَذَلِكُمُ اللهُّ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ ﴾[سورة يونس : آية ٣٢] الآية ، قوله: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ [سورة طه : آية ٩٨] ، عَلَّمَنَا الله وإيَّاكم من عِلْمِهِ المَصُون ، فيحق لك الشهود ، وهو

---

(١) لعل العبارة : وقوله تعالى : {فاستقم كما أمرت} الآية ، في اصطلاح العلماء والمحققين العارفين بالله ـــ وهي عنهم ثابتة ـــ إسقاط الحدث ...

مقام الفُضَلاء من العارفين الكاملين المخلصين الصادقين ، [الذين] (1) مشوا على القدم المحمدي وحفظوه وعَمِلوا بالسُّنَن والواجبات ، فهم في غاية الإمتثال والسكينة ، ورضاهم في ما أُقِيمُوا فيه وهم ، الذين جَذبتْهُم العِناية ورَمَقَتْهُم بسؤدد الولاية ، فلهم من الحق سبحانه وتعالى سابقة ، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا.... ﴾[سورة فصلت : آية ٣٠] الآية ، فلا لهم ملجأ إلا إليه ، فَتَوَلَّتْهُم معرفةُ الله ـ وهي طريق السعادة ـ إلى محل النجاة ؛ فحصل الكشف (2) الجلي ، والحقيقة تولتهم بفيضها ، وصافحت صدورهم أنوارها ، فتمكنت في قلوبهم ، فهي المضغة التي إذا صَلحَت ؛ صلح الجسد كله ، ألاَ وهي القلب ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] الآية ، فلما فاضت (3) عليهم من أنوارها ؛ أُنْزِلَتْ عليهم السكينةُ والوقار ، ورضوا بالفقر والإفتقار ، هذا من محاسن أخلاقهم وفضائلهم وشِيَمِهِمْ واحْتِمالهم وصبرهم ، فلا تزال قلوبهم صالحة ثابتة مُنَوَّرَة ؛ فكانت أجسامهم طائعة ، وقلوب الأولياء الأخيار التي تجلت عليهم صِفَاتُه من العَظَمَة والعِزَّة والقهر والسَّطْوَة واللُّطف والرحمةِ الشاملة ، فيحصل لك بلقائهم اللقاح والنجاح ، أن لله عباداً يُكْسِبونَ السعادة بنظرة ، بمجرد النظر .

❋ ❋ ❋

(1) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل : الذي .
(2) لعله : فحصل لهم الكشف الجلي .
(3) لعلها : أفاضَتْ .

﴿ فصل ﴾

(٤٥)

وعند أهل السنة المعتقدين كراماتُ الأولياء حقٌّ لا شك فيها ، وكُلَّما جَازَ أن يكون للنبي معجزة جَازَ أن يكون للولي كرامة ، فلا يعترض في هذا مُعْتَرَض [فقد][1] صح بإجماع المحققين أهل السنة ، وهي طريق العارفين المحققين ، وكذلك أكابر العلماء الصوفية حين غمرتهم بالفيض الأقدس ، فَيضُ فَضْلِ الله العظيم . واعلم أن أهل السلوك والمجاهدات والمكابدات ينبغي لهم أن لا يلتفتوا إلىٰ الكشف الجلي ، وهو من هِمَمِهِمْ العالية لقوله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[سورة الأنعام : آية ٧٥] الآية ، وهي إشارة لأرباب القلوب المنورة ، ومن له عين وسمع كما أشار إليه سبحانه وتعالىٰ بقوله : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج : آية] ، فإن المراتب والشهود درجات بعضها فوق بعض ، والدرجة العالية شهود الذات ، ودليله قوله تعالىٰ: ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء ﴾[سورة البقرة : آية ٢] الآية ، وهي الغاية التي ما فوقها غاية ؛ لأن الظاهر والمظهر في الوجود شيء واحد لا كَثْرَةَ فيه ولا تعدد ؛ لاشتمال الحقيقة الواحدة مفردة متبوعة ، والفضلُ الكبير عند أهل الكشف ظهورُ الحقيقةِ للإنسانيةِ والهداية والأسرار الإلهية ، ويُؤَيِّد لهذه[2] الأنفاس قول أمير المؤمنين ورئيس الموحدين باب مدينة العلم علي بن أبي طالب ﵁ وكرم الله وجهه في خطبة كان يخطبها فقال : (أنا نقطة بسم الله الرحمن الرحيم ، وأنا جَنْبُ الله الذي فرطتم فيه ؛ وأنا العرش وأنا الكرسي ، وأنا السماوات والأرضون) فلَمَّا كان في أثناء الخطبة ارتفع عنه حكم تجلي الوحده ، فرجع إلىٰ عالم البشرية

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

(٢) لعله : هذه .

، فأقر معتذراً بعبوديته وضعفه وانقهاره ؛ ولذلك قيل الإنسان الكامل يسري ، ولا بد أن يسري في جميع الموجودات كسريان الحق فيها ، ويشاهد فيها جميع ما يريد أن يدخل في الوجود من الأفراد الإنسانية إلى يوم القيامة ، فسبحان من دَبَّرَ كل شيء بحكمته وأتقن كل شيء برحمته وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[سورة الكهف : آية ١١٠] ، وقال : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [سورة الجن : آية ١٩] ، وقال : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ ﴾[سورة الأنفال : آية ١٧] ، فبهذا نارت(١) قلوب أهل النهى ، وصِفَةُ الكمال الإنتماء إلى تحقيق العبودية المحضة ، حتى تطلع شمس الذات الأحَدِيَّة لَمَّا غرَب ظاهر الخليقة ، وانكشاف الحقيقة الكلية وظهور الوحدة التامة قوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[سورة طه : آية ٧] ، و قوله تعالى: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [سورة الإسراء : آية ٨٥] ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [سورة ق : آية ٣٧] ، فلا يعلم هذا العلم اللدني ويدركه إلاَّ أهله وهم أرباب القلوب الواعية الراسخة في العلم دون غيرهم وهو التجلي الإلهي ، فإذا ظهر سلطانه على القلب تَنَّورَ واطمأنت النفس ، ولا يحتاج إلى التصريح ، إنما هي إشارات وتلويحات ، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية] ، وإذا عرفت فالزم الفناء في الله سبحانه وتعالى فهو البقاء .

❊ ❊ ❊

(١) لعله : أنارت .

﴿ فصل ﴾

(٤٦)

والكامل المُكَمَّل الواصل يقول : لو شَرِبْتُ مَاءَ البحرين لا تزال لسانه[١] خارجة من العطش ، ويقول : هل مِنْ مزِيد ؟ هل من مزيد ؟ ، فكان حق عليه أن يسقي المتوجه المقبل في طريقهم ويهديهم إلىٰ سواء السبيل . فصح وثبت لمن أيدوه ومنحوه ولحظوه بعين المِنَّة وأَمَدُّوه من فيض عين الجود لا بِبَذْل المجهود ؛ فصار في طائفة العارفين الفضلاء النجباء ، ورشحت عليه ومطرت عليه أمطار الرِّضى فكان ينادي قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ .... ﴾ [سورة ق : آية ٣٧] الآية ، فافهم وقوله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[سورة الشرح : آية ١] الآية ، وعندهم أن الصَّدْرَ الفؤاد[٢] موضع التجلي لمهبط الوحي الإلهامي ، فهو عنوان الذوق ومطلع نور البصيرة التي يهدي بها من يشاء ويضل بها من يشاء ، فرجعت إلىٰ سماء الوصال ، وترقَّت إلىٰ أعلىٰ مقام أهل النوال ، الذين فيهم قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾[سورة فصلت : آية ٣٠] الآية ، فنزلت عليهم السَّكِينة وتولَّتهم امداد المعارف والأسرار والكنوز الخفية ، ينادي بها قوله تعالىٰ: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾[سورة الأحقاف : آية ٣١] الآية ، فهم نَصَرَةُ الشريعة وراكزين وقائمين بسيف الحق علىٰ نصرة الشريعة ، قائمين بأحكامها ، لا يأخذون[٣] في الحق لومة لائم ، وعليها مدار العوالم الحِسِّية ، والمعنوية ثمرتها ، فهي عين الرحمة الشاملة والطريقة الكاملة ، فما رَمَقَها عبدٌ وتوجَّه إليها إلاَّ ونَالَ وكَسَبَ من السيادة والسعادة ، فمن صَحَّ له الوصولُ إلىٰ حضرتها وسُمِحَ له فيها ؛ تجلَّىٰ الرِّضَى[٤] وتولته بشوارق أنوارها

---

(١) لعله : لساني .

(٢) لعله : الصدر والفؤاد .

(٣) لعله : لا تأخذهم .

(٤) لعله : تجلَّى عليه الرضى .

، ولاحت عليه من لوائح العارفين ، وخلعت عليه من خلع القبول ، وراقت عليه من الذوق والعلم اللدني والمشرب الصافي الهني ، وقوله تعالىٰ: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ، وما هذا التجلي العظيم إلا من الذات الإلهي العظيم ، وهو علىٰ أبواب ومراتب وفصول ، وهو أعز مقامات الواصلين ، ولا لهم في الصفات مجال ولا مدخل ، كل صفة داخلة في الباب الأعظم والمقام الأحدي الصمداني ، لا تزال تواجهه أنوار التجليات ، وتلوح عليه بروق النفحات ، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾[سورة التوبة : آية ٢٥] ، فَيَالَهَا مِن نفحات ، وَيَالَهَا من مواهب وعَطِيَّات يعطيها ويُفَرِّقُهَا علىٰ من خَلَعَ العِذَارَ فيها ، واسْتَهتَرَ وسَاحَ في الفيافي والقفار ، لا يزال في زي الفقراء المخلصين الأتقياء الزاهدين ، سالك علىٰ القسطاس المستقيم قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[سورة يوسف : آية ١٠٨] الآية ، ومن لم يتوجه إلىٰ بابهم العظيم ويفرده ، ويجتمع علىٰ الجامع له بقلبه ، ويكون جِسْمُه وحِسُّه تابعاً لقبلة ، ويكون مشرفاً[١] علىٰ قلبه ، حتىٰ لا يكون له ملجأ من الله إلا إليه ، وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] .

❋ ❋ ❋

﴿ فصل ﴾

(٤٧)

فلما بانت لنا وطلعت شمس الحقيقة المحمدية ، وخُتِمَتْ النبوة والولاية ، فكان محمد ﷺ خاتم الأنبياء ، وخاتم الأولياء فاستخلف فيهم الخلفاء الراشدين فقامت وارتكزت ، فكانتْ فيمن

---

(١) في (ج) : مشرقاً.

كانت بِلا وَحْي مَلَكٍ مُقَرَّبْ ، فَشَاهِدُها القرآن العظيم الذي نزل به الروح الأمين ، والحديث الصحيح ، لا يزالُ[1] القرآنُ كما أنزل قوله تعالىٰ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾[سورة النجم : آية ٤ـ٥] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [سورة النجم : آية ٩] الآية ، فلا يزال هذا السِّر العظيم المحمدي متوارث من صلب إلىٰ صلب علىٰ الدوام إلىٰ قيام الساعة الكبرىٰ ، ونور البصائر يكون من نوره ، فظهرت واتسعت رحمته **الواسعة** وقوله ﷺ : (حُفَّتْ الجنةُ بالمَكَارِه وحُفَّت النار بالشهوات) ، وجَمَعَتْ الحضرةُ الأحدية صنوفَ المعارف بالله ، وبرزت تجليات جمالات الرضى علىٰ أهله[2] ، فعاشوا في أتم النعيم ، يتقلبون فيها[3] ، لأنهم في عين تحقيق العبودية الرِّقِّية المحضة ، وثمرتها وصول الحضرة المقدسة ، لأنه قد تولاهم بنظرته لهم ، وخصصهم بها وأنعم عليهم ، وزادهم من الفناء عن نفوسهم ، فهم في رمقهم وطلبهم مطمئنين ، وقوله تعالىٰ: ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[سورة الرعد : آية ٢٨] الآية ، و قوله تعالىٰ : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سورة سبأ : آية ١٣] ، فلما نظروا إليه وشاهدوا ما بدا منه لهم من خير وشر وقضاء وقدر ، فلا نظروا لأحد وجود مِنْ تَمَكُّنِهم في المحبة فيه والاتباع ، وقوله تعالىٰ: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[سورة المائدة : آية] الآية ، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾[سورة طه : آية ٣٩] الآية ، وكل وجه يرجع إلىٰ العلم اللدني ، وهو مقام الجمع ونفي الفرق والبين والحَد والرسم ، فصح لهم الفناء عن رؤية الغير والسِّوَىٰ؛فصاروا أمنآء الله في [أرضه][4] وخلقه عليهم السكينة والوقار ، فهم في صِفتِهم علىٰ طريقة الشريعة ، وفي ذاتهم تولتهم حقيقة الربوبية ، فبانت لهم مظاهر العنىٰ[5] ، وأيدوهم بالسكينة ، وفي الحديث : (رُبَّ أشعث أغبر مدفوع

---

(١) ولا يزال القرآن .

(٢) لعله : أهلها .

(٣) لعله : فيه .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) .

(٥) لعله : فبانت عليهم مظاهر الغنى.

بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) فيما أقسم به على مولاه الكريم ، قوله تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الكَبِيرُ ﴾[سورة الشورى : آية ٢٢] ، فاتضحت لهم أشكال[1] الخطرات النفسانية ، فلا يَغُرُّهُم الشيطان وجنوده ، ولا تهمهم النفس الأمارة بالسوء ، فهم في زِيِّهِم فقراء مجردين لمولاهم ، ودليلهم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ ﴾[سورة فاطر : آية ١٥] ، قوله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾[سورة الزمر : آية ٥٣] ، فما أعظمها من مِنَّة وعِزَّة حيث قال : يا عبادي ، فلهم الفخر العظيم بشهود الحق لأهل التمكين ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٤٩] ، فقصرت عقول العقلاء من أهل التمكين في مقام الشهود فالعجز عن إدراك ذاك إدراك.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٤٨)

فمن هنا يقول العارف بالله : المعاني توجب أحكامها النافذة ، وليس لها شريك ولا مضاد لمن قامت به ؛ ففاز مُحِبيها[2] فإِنَّ طاعتها عين الفروض اللاَّزِمة ، فما دَعَاها دَاعٍ إلا من دَعَتْهُ وَلَبَّتْهُ وأَفْصَحَتْ له العبارةَ وَفَهَّمَتْهُ الإِشَارة ، ولولا ذلك المقام ما صَحَّ وجودُ العَالَمِ[3] العُلوي والسُّفلي ، وذلك في الصحيح ، ومن طلب الإستعداد له ومعرفته وتمكن فيه[4] ، لكنه هو البادئ لك بالمعرفة ،

(١) في (ب) : أمثال الخطرات .

(٢) لعله : مُحِبُوها .

(٣) في (ب) : للعالم .

(٤) لعل العبارة : ومِنْ أين للعبد الإستعداد له ، وطلب معرفته والتمكن فيها.

والناظر من قِبَلِ الشَّفَقَةِ والرحمة الواسعة ، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] الآية ، فهذه أعلىٰ درجة في العِلم اللَّدُني الذَّاتِي ، وبرز فيه الإتحاد من غير مقابله ، ولا ثَمَّ يذكر غيره بوجودٍ معه إلا أنه[1] مطموس في حقيقته ، إنْ نَطَق نطق بالله وإن صَمَتَ فبالله ، وإن تَحَرَّكَ كذلك وإن سَكَنَ كذلك ، فهو في محل نقطة الباء ؛ ولا يزال في مطالعة الجَمَالِ يسري من عين الحقيقة بالوحدة علىٰ الإطلاق ، وقوله تعالىٰ: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢] الآية ، وانتشرت من العلوم اللدنية ما تَقَرُّ به العيون ، وأسرار الربوبية غامضة وكامنة في مظهر البشرية ، قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ..... ﴾[سورة الكهف : آية ١١٠] الآية ، أخفىٰ السر المصون بالبشرية وحقق وأثنىٰ علىٰ اسم العبودية في القرآن العظيم ، قوله تعالىٰ: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾[سورة الإسراء : آية ١] الآية ، و قوله تعالىٰ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ .... ﴾[سورة الزخرف : آية ٥٩] ، أي بالعبودية المحضة ، فهي أفضل مقام في تخيره له ﷺ ،قوله تعالىٰ: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ .... ﴾[سورة هود : آية ١١٢] الآية .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٤٩)

وكن أيها الطالب الراغب مستقيم علىٰ الكتاب والسنة ، وقد صح في الحديث : (عليكم بسُنَّتِي وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ) ، ومن خواص العارفين ـ أهل فنون العلوم اللدنية ـ المحافظة علىٰ الكتاب والسنة ، فهم فيها وعليها ومنها مُطِيِّعِين ممتثلين للأمر

(١) لعله : لأنه .

والنهي ، مع بشَاشَة التخلق والرِّضَى والوفاء ، فبانت لهم وأشرقت في قلوبهم شمسُ الحقيقة المحمدية ، وثمرتها من الشجرة الزَّكية النبوية ، فتدلت [أغصانها][1] واخضرت أوراقها وأثمرت ثمارها من الذوق والشوق ، فَيْهَنَاهُم التوفيق السَّابق لهم ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[سورة هود : آية ٨٨] الآية ، فتجلىٰ الحق سبحانه وتعالىٰ علىٰ أقسام وأبواب متفرقة ، وجَامِعُها معنىٰ واحد ذاتاً و صفاتاً ،قوله تعالىٰ: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾[سورة الرعد : آية ٩] ، فبقىٰ معهم الذات الأحدي ، وهو كنز مخفي وسِرٌّ لطيف ومظهر[2] لصفات الأمر والنهي ، وعالم الغيب هو عالم الأرواح ، قوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٥] ، وعالم الجبروت هو [عالم الأسماء][3] والصفات الإلهية ، وعالم الملك والشهادة هو عالم الأجسام ، وبرزت من العالم الروحاني علم خفي رباني ، لا يدركه غير أهله ولا يفهمه غيرهم لأنه بحر عميق ، وهو مجمع البحرين وعروجه إلىٰ أعلىٰ مقامات النبوة وجامع العِلمين ، والعوالم علوها وسفلها تحت أمره ونهيه فافهم ، ويعرف كل شيء بنور قلبه ، وحكمه في جميع العوالم نافذ لا رَادَّ لحكمه ، وهو اللطيف الخبير الآية وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُّ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ .... ﴾[سورة الشورىٰ : آية ٥١] ، فوجب ظهور الخلافة في كل زمان ليحصل لهم الأُنْس وإثبات[4] أساس الإيمان ، ووصفه اللائق في حق المسلمين ، وكلُّ وقتٍ يقتضي منه حياة الدين وتجديده ، علمهم من علمه أكثرهم ، ومن علمه[5] منه فهو في مرتبة أهل الكمال ، وانتقلت العلوم اللدنية منه إلىٰ من أَقْبَلَ عليه وتولاَّه برأفته وشفقته ورحمة أخلاقه الحميده ، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ

---

(١) ما بين المعقوفتين في (د) وفي الأصل : أعضائها .

(٢) في (ج) : ومظهر الصفات .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : هو وعالم الأسماء .

(٤) لعله : وتثبيت .

(٥) في (أ) : عَلَمه ، وفي (ب) عَلِمهُ ، ولعلَّها : علمهم من علمه ومن علمه منه .

عَظِيمٍ ﴾[سورة القلم : آية ٤] الآية ، أثنىٰ الحق عليه بالخلق العظيم وأقسم بحياته بقوله : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[سورة الحجر : آية ٧٢] الآية ، ولا يبيح[1] منها إلا ما كان إستظهاراً للنعمة ولا يزال يتولىٰ محبيه بالرضى الأبدي ، ودليله قوله تعالىٰ: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[سورة البينة : آية ٨] ، ولا يزال في هذه المرتبة واحد قائم في هذا المقام الأحدي ، وله الإذن ويُسْنِدُ إليه الحَقُّ المشيئة ، وكل شيء منتظم في السلك ، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[سورة الرعد : آية ٧] الآية .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٥٠)

وحقيقة الإنسان الكامل تسري في جميع العوالم والموجودات كسريان الحق في مخلوقاته ؛ لأن الحقيقة تشتمل علىٰ جميع الجهات ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ؛ لأنه جمع المراتب جميع الصور والذات متولِّيه[2] بالمعنىٰ ، وحقيقتهم راجعين[3] إلىٰ الحضرة الأحدية ، وهي مقام القطبية قال الله تعالىٰ: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] ، ولا يدركه إلا أرباب القلوب الواعية المُنَوَّرَة ، فأدرك[4] ببصيرته عَلِمَ ذلك ؛ لأنها أي : الحقيقة قَابَلَتْهُ بِوجْهِهَا ولا ثَمَّ حِجَابٌ ولا بُرْقُعٌ ، فظهر سلطانه وبانت عليه سِيمَاه ، فَحُكْمُ باب الجمع علىٰ مظهر الواحد شيءٌ وَاحِد ، وكل شيء

---

(١) لعله : ولا يبوح .

(٢) في (ب): متوالية .

(٣) لعلها : راجعة .

(٤) لعل العبارة : ومن تنوَّر قلبه فأدرك ببصيرته ...

يرجع إلى أصله وقوله : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٨٠] ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾[سورة هود : آية ١٢٣] ، وفناء العبودية في الربوبية ليضمحل السِّوى والكائنات حتى يكون الحق حينئذ سمعه وبصره الحديث ، ولما كان إستناده ولجاه(١) إلى الباب العظيم ؛ قابلته الربوبية الذي(٢) لا ضِدَّ لها ولا نِدّ وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[سورة الحديد : آية ٤] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٥١)

وأرباب القلوب المحققين إمدادهم واغْتِرَافهم من باب الشهود ، وسر الشهود لا يَطَّلِع عليه غير أهله ، ولا تزال أرواحهم مسافرة إلى الحضرة المقدسة ، إليها يأوون وفيها يسكنون ، ولمَّا ذكرنا سَفَر الروح من الخلق إلى الحق الصرف ، فما بقي للغير لا عَيْناً ولا أثراً ، وقوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] الآية ، فَلَمَّا طَلَعَتْ شمسُ الذَّاتِ الأحدية غربت مظاهر الخلق في شمسها فكان نظرهم إليها وهم في ظلها متنعمون ، وقوله تعالى: ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾[سورة النور : آية ٣٥] ، وهو سر خفي ولطف خفي ، وفي الحديث الصحيح : لم تسعني أرضي ولا سمائي و وسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي ، وقلب المؤمن عرش الله ؛ فحكم باب الجمع شيء واحد ، وبيان مراتب الأسرار لا يحتاج إلى تبيين وتعيين ، وما يظهر من التجلي يكون فيه الموجب من الفيض

(١) لعلها : والتِجَاؤُه .

(٢) هكذا في الأصل ولعلّها : التي .

الأقدس الشامل لصفة الكمال ، وهو المقام الأعظم الفائق على أبناء جنسه فالولي هو الفاني فيه الباقي به ، وليس المراد بالفناء انعدام العبد مطلقاً ، بل المراد فناء جهة بشريته لمقابلته ومواجتِه الحقيقة الربانية ، ولا يحصل ذلك إلاَّ بِالتَّوجُّه التَّام إلى قِبْلَةِ وَجْهِ الحق ، فصار العبد لا يزال طَالِباً ومطلوباً ، وإذا صح له الفناء الكلي شهد الحق سبحانه وتعالى ، وخَاطَبَه بمخاطَبَةِ العارفين به ، فهم لازمين الباب وهو باب واحد لا يلتفتون إلى كثرة الأبواب ، والجمع يكون واحد لا غير ، وهو البقاء بالله والمُرَادُ التَّقْوَىٰ وهو العمدةُ ، ولا يرتفع اليقين إلا بالتقوىٰ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٣] ، وهو درجة عالية جامعة لفنون علوم الطريقين .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٥٢)

وأما مقام دائرة النبوة والولاية فالأنبياء والأولياء فانون في الحق لا يخرجون عنه ، لأن الحق سبحانه وتعالى قد أَيَّدَهُم بذلك وخَصَّهُم به اختصاص إلهي ، والمرسلون عليهم أفضل الصلاة والسلام يجمعون بين الرسالة والنبوة والولاية ؛ لأنها متقاربة بعضها من بعض ، فنارت(١) في دياجي الظُّلَمِ أَنوارُهم ، وصارت الأمم كل منهم تابع لرسوله إليهم ، فلما كان محمد ﷺ واجتمعت فيه ونادى قوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ [سورة الأحقاف : آية ٣١] الآية ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ...... ﴾ [سورة يوسف : آية ١٠٨] الآية ، فلَّما طَلعتْ شَمْسُه

(١) لعلها : فأنارت .

الضَّاحِية والنجوم علىٰ حالها باقية ؛ فحقت[1] لهم الهِدَاية وصَحَّتْ لهم الولاية ، وكانوا في محبتهم له فانين فيه ، وفي طلباتهم به علىٰ ما طلبوه ضامنين ، فهم في أَتَمِّ النِّعَمْ وفي مظهر الجود والكرم ، لأنه قائدهم ومهديهم[2] إلىٰ درجات الهداية ، ومنحهم بمحبتهم لَهُ ما لا يدركونه بِجَدِّهم واجتهادهم ، فهم علىٰ ما أمر به ثَابِتِين وعلىٰ ما قَالَ لهم عاكفين وفي طاعته ومحبته فانين ، ليس لهم وجود في صفتهم معه ، وصار كل واحد منهم له قربة ودرجة علىٰ قدر ما واجهه من أنوارِهِ وأسرارِهِ ، وقابلتهم منه الرأفة والرحمة قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[سورة الأحزاب : آية ٤٣] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٥٩] الآية ، ويُقَابِلُهم بالنور ، فَتَفْنَىٰ البشريةُ ، فيكون فناؤها بقاء وعين البقاء الأبدي وقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[سورة الحديد : آية ٤] الآية ، وغاية العبد لا يزال مشمول بالإنقياد والإتباع والامتثال ؛ فصح[3] له العبودية فيكون إكْرَامُه علىٰ قدر استعداده .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٥٣)

وأما المصطفين من عباد الله العارفين ، فإنهم رمقوا السِّر والإخلاص ؛ فشربوا من ماء عين الحياة شَرَاباً هنيئاً ، فهم في فَنِّهِمْ ناطقين [الشهادة][4] بلسان المقال والحال ، وهم حاضرين[5] بقلوبهم

(١) لعلها : حَقَّت .
(٢) لعله : وهاديهم .
(٣) لعله : فَصَحَّت .
(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) .
(٥) لعلها : حاضرون .

في الحضرة الإلهية ، فليس لهم في غيرها رمق ولا طلب ولا حسب ، ونَفَوا نفوسهم ومَحَوْهَا لَمَّا قابلتهم اللطائف والعلوم اللدنية ، فصاروا في نعمة التَّلَذُّذْ ، وحصل لهم الإطلاع على بعض الغيوب الذي[1] فيه مصلحة بلا ظهور ؛ لأن الظهور ما إليه سبيل إلا حيث يكون صلاح للغير ؛ فيكون مَظْهَرُ النبوةِ بالمعجزات ، والكرامات للأولياء تكون فيها زيادة للكامل ونقص لغير الكامل ، كما أن العَطَاء بِقِلِّ السؤال خيرٌ من عطاءٍ بسؤال . فالزم باب الأدب ، فيكون صاحب الأدب زيادة الكمال[2] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٥٤)

ومن لم تدركه نظراتُ شَيْخِهِ الحِسِّيَّة أدركته بالمعنى ، لكنَّ النظرةَ الحسيةَ أكملُ له ؛ لأن الجليس يتخصص بالنظر إليه من غير واسطة ويمنحه من شراب المحبة الذاتية ، فرسخت فيه وأعلت[3] نظرته وإلى الكمال ، فصار الجليس له نصيبٌ ولو ما حَمَلَها ، وقد يكون مظهر الغيب يكون باطلاع وغير اطلاع[4] ، ويكون كله من [التِوَائِه][5] وتَمَكُّنِه في خالص الإرادة ، وإثباتها له من مربيه ، وأخذ الحقائق أكثرها من الصدور لا من السُّطُور ، قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ..... ﴾[سورة العنكبوت : آية ٤٩] الآية ، وهذا مقام عالي من[6] تكون له السعادة وتصح له السيادة من تلك النظرة ، وهذا العلم اللدني ما يفهمه ويعلمه إلا أرباب القلوب الواعية ؛ حينئذٍ

(١) لعله : التي فيها .
(٢) لعل العبارة : لأن صاحب الأدب يكون في زيادة الكمال .
(٣) ولعلَّه : وأعلته .
(٤) لعله :وقد يكون مظهر الغيب باطلاع وغير اطلاع .
(٥) في الأصل : التواه .
(٦) لعله : لـــِمَنْ .

يكون فيه سَامي النَّظَر وقد أَفنَىٰ نفسه وحِسَّه فما بقي معه وجود لنفسه ، ولو هجمته الواردات لا تأخذه الدَّوَانِي ، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ .... ﴾ [سورة يوسف : آية ٥٣] الآية . وخذ من باب الحقيقة الجامعة ، وهي خصائص اخْتُصَّ بها محمدٌ ﷺ ، جُمِعَ له فيه[١] جميع ما مع الأمم الماضين ، وكملت معه ﷺ وظهرت بشائره ، فهو ﷺ قائدُ الغُرِّ المُحَجَّلين ورئيس المرسلين وخاتم النبيين ﷺ وامتدوا واغترفوا[٢] منه أصحابه رضي الله عنهم علىٰ ترتيبهم في فضلهم وقدموا الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والستة بقية العشرة وعن الحسن والحسين وأصحابه أجمعين . ولما أطلع علىٰ أسرارهم بما ذكروه وعاد الفضل العظيم ، وخُذْ مِنَّا العلمَ المفيد والهديَ الرشيد ، وطلب[٣] المزيد وهو الثبات علىٰ القدم المحمدية ، وهو تقوىٰ الله الذي لا إله إلا هو ، ومتابعة الكتاب والسنة ؛ يسهل عليك مناهج الوصول إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، وتُقَابِلُكَ نتائجُ الوقارِ والسَّكِينةِ ، وتخضعُ لك الرِّقابُ ؛ لأنك تلبس خلع الهيبة ، وقابلتهم أمداد الفيض والمواهب والعطايا ، لَمَّا رسخت أقدامهم في صفوف العارفين بالله نفع الله بهم ، فَهُمْ يطلبون سَتْرَ كشف أحوالهم ؛ لغيبتهم وفنائهم في مَحَبَّةِ مولاهم قوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ..... ﴾[سورة الإسراء : آية ١١٠] الآية ، وقوله تعالىٰ: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾[سورة الأحقاف : آية ٣١] الآية ، فَلَزِمَتْ هنا الإجابة لِلدَّاعِي ، ولو أَنَّ سِرَّه خفي ، ولا هو مجاوزٌ لك من حيثُ القُربِ الجسماني ؛ فيتَعيَّن عليك التوجه إليه ، والإخلاص الذاتي لشهوده الأحدي .

* * *

---

(١) لعله : فيها .

(٢) لعله : واسْتَمدَّ و اغترف منه أصحابه .

(٣) لعله : واطلب .

﴿ فصل ﴾

(٥٥)

ويجب على كلِّ أحدٍ معرفةُ نفسه ، ومَنْ عَرفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّه وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء ﴾الآية ، ولا يُعلَمُ [شيء] [١] من العلمِ ومظاهرِ المعاني إلا بالإِذن والتَّمكِين ؛ فصاروا واقفين على باب الإذن ؛ فيحق[٢] لهم مع إثباتُ الأدب إثباتُ مَظْهَرِ نور البصيرة ونور العقل ، فتظهر له المعاني الغيبية ولها مراتب ، ونشير إلى هذه المراتب العالية : أنها قد تكون على صفات تختلف على صاحبها ، في بعض الأحوال تكون إلهامي من غير واسطة ، وهو من خواص العارفين الكاملين راجعين إلى الحضرة الذاتية[٣] ، وأكثر أهل الكمال لا يطلبون المكاشفات ؛ لأنهم قد تَمَكَّنُوا في معرفة الحقيقة الواحدة على أفرادها ، والكل لها تابع طَائِع ولا ثَمَّ منازع ولا دونها قاطع ، وهي الحقيقة الإنسانية التي هي مظهر أسماء الله تعالى ولوازمها على الأمر والنهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[سورة الحشر : آية ٧] الآية ، وهي الخلافة ونطق بها القرآن العظيم بقوله : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[سورة النور : آية ٥٥] الآية ، ولا يزال عروجهم إلى أعلى مقام معرفته ، ويكونون بين يديه على ما أَمَرَتْ الحقيقةُ المحمدية ﷺ ، ولا يزال في هذه المرتبة واحد منهم قائم في هذا المقام ؛ ليحفَظَ هذا الترتيب والنظام ، و قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[سورة الرعد : آية ٧] الآية ، والحقيقة الإنسانية هي الظاهرة بصورة العالم الكبير ، وله في العَالَمِ الصغير مَظْهَرُ قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ

(١) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

(٢) لعلها : فصار العارفون واقفين على باب الإذن ؛ فَحُقَّ لهم ....

(٣) لعل العبارة : فظهرت لهم المعاني الغيبية ولها مراتب ، ونشير إلى هذه المعاني والعلو والعالية ؛ لأنها قد تكون على صفات تختلف على أصحابها ، ففي بعض الأحوال تكون إلهاميَّة من غير واسطة ، وهي الخواص العارفين الكاملين الراجعين إلى الحضرة الذاتية ، ....

يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [سورة طه : آية ٧] وقوله : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٥] وقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] ، وقوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾[سورة النجم : آية ١١] نص القرآن العظيم وهم أرباب القلوب والراسخين(١) في العلم بالله دون غيرهم ، فإذا ظهر النورُ القلبي ؛ ظَهرَ سُلْطَانَهُ على الظواهرِ وقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللهُ .. ﴾ [سورة الزمر : آية ٦٨] الآية ، وقوله:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦-٢٧] ، وانتقلت التَّعَيُّنَاتُ بطلوع شمس الحقيقة قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية] الآية ، فكن أيها الطالب الراغب الفَطِنُ مُتشوِّفاً ونَاظِراً لتجليات الأنوار الذاتية ، فهي شاملتك ، وهو مطلبُ العارفين ومُرادُ الواصلين ، ومن لم يذق هذا المشهد من العارفين علماء الغيب الواصلين(٢) حالاً ؛ بخلاف المغرورين بعقولهم الضعيفة الغاوية ، وهذا من ضعف إيمانهم ، أعاذنا الله وأحبابنا من ذلك .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٥٦)

ومن اكتحلت عينُه بنور الإيمان ؛ فهو ممن طلعت عليه شمس العيان ، ولا يكون عندك ممن(٣) لا يرمق هذا المقام ، ومن صح عنده وثبت ورسخت في قلبه محبتُه فهو من العارفين ، وكل

---

(١) لعله : والرسخون .

(٢) لعل العبارة : ومَنْ لم يذق هذا المشهد فليس من العارفين ، وإنما ذاقه علماء الغيب الواصلين حالاً بخلاف ....

(٣) لعلها : ولا يكون عند أَحَدٌ مِمَّن لا ....

مُخْلِص وفاني فيهم فهو في مشهد الحق ، وناداه منادي الوصول إلىٰ الحقيقة الذاتية ، فمن لم يفهم ويعلم نتائج الحقيقة فإنه ما عرف عبوديته ، فكيف يفهم أسرار الربوبية ؟ ! . . بَعِيدٌ ومُحَال !!، ولا يظهر علىٰ من لم يكن له تربية وامتثال ؛ لأنها أعلىٰ مقام قوله تعالىٰ : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، وقوله : ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾[سورة هود : آية ١٢٣] ، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[سورة البقرة : آية ٣٠] الآية . والعين الواحدة من المجموعات والكثرة قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[سورة طه : آية ٤٦] ، صَحْوُ المَعْلُومِ مَعَ مَحْوِا الموهُومِ ، فكانت الحضرة المقدسة جَامِعةٌ للعلوم الجميع لا داخل ولا خارج إلا منها وعنها[1] ، ويكون في جامعها حُسنُ الأَخلاقِ والتَّخَلُّقِ ؛ ويكونُ نَفَسُه رَحَماني يغمرُ الكونَ بجودِه ، ويسري في جميع المخلوقات بسِرِّه ، حتىٰ تكون الحقيقة واحدة في مظهر الذات الإلهية من حيث قيوميتها ، ومظهر الصفات تابع لها .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٥٧)

ولما كانت التجليات الإلهية مظهر الصفات ، وهي متميزة بعضها من بعض ، وهي راجعة إلىٰ حقيقة واحده وكل ما في الوجود دليل من دلائله ومِن صنائعه ، ولا شيء خارج عنه ، والعقل يدرك الخارج ولو بَعُدَتْ المسافةُ وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[سورة الإسراء : آية ٤٤] الآية ، وكل خارج منها فهو في ظِلِّهَا ، ومن هنا حضرة الفيض الرحماني

---

(١) لعله : لا داخل ولا خارج إلاَّ فيهاومنها .

، فهي لا تزال فائضة مقابلة بالنوال ، ومن قَبِلَته[1] وتوجَّه إليها غَمَرَتْهُ من فيض فضلها العظيم ، وسقته من بحر الحقيقة الطَفَّاح العَميم ، ولا يزال عروجه إلىٰ أعلىٰ أعلىٰ مقام علىٰ الدوام ، وقوله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] الآية ، فلا يزال في المدد والاستمداد[2] لأرباب القلوب ، ويُعطي كُلَّ ذي حق حقه علىٰ قدر ما يسعه علىٰ مراتبهم[3] ، فسبحان مَن دَبَّرَ كل شيء بحكمته ، وأتقن ما صنع برحمته الواسعة التي وسعت كل شيء ، ومن ذَكَرَتْهُ الرحمةُ وحَقَقَتْهُ وأثبتت اسمه فهو سعيد ، وما ثَمَّ إلا من ذكرته ، وما ذلك علىٰ الله بعزيز ، فهو مظهر الاسم الأعظم جامع اسماء الله تعالىٰ ، وهو يشاهد بهذا جميع الموجودات إذا أراد ذلك فله الإذن ، وهو علىٰ ما أَسْنَدتْ إليه المشيئة .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٥٨)

والإنسان الكامل لا بد أن يسري في جميع الموجودات كسريان الحق فيها ، ويظهر سِر قوله : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة الحديد : آية ٤] ، وهو مُثبت في المقام القطبي الكامل الذي أراد الله أن يكون قطب العالم خليفة الله ، وأكثر مظاهر العالم الإنساني جمالاً وتكون الصورة الروحية المجردة المطابقة لصورة[4] العقلية قوله تعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ

(١) لعلَّه : ومن قابلها .

(٢) لعله : في الإمداد والمَدْ ...

(٣) لعله : وعلى قدر مراتبهم .

(٤) لعله : للصورة .

الْعَالَمِينَ ﴾[سورة الفاتحة : آية ٢] ، فجمع[1] عوالم الأجسام والأرواح كلها من جهة حقيقتها لا من جهة بشريتها ، فإنها من تلك الجهة عبد مربوب محتاج إلى ربه قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[سورة الكهف : آية ١١٠] ، وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ.. ﴾ [سورة الجن: آية ١٩] ، سمَّاه عبد الله تنبيهاً على أنه مظهر هذا الاسم دون اسم أخر ، وقوله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ رَمَىٰ ﴾[سورة الأنفال : آية ١٧] ، فأسند رميه إلى الله تعالى ، ولا تكون هذه الربوبية إلا لإعطى[2] كل ذي حق حقه ، وإفاضة جميع ما يحتاج إليه العالم ، فله كُلُّ الأسماء يتصرف بها في العالم ، لأن الحقيقة شاملة للكل وقوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾[سورة الزخرف : آية ٥٩] ، وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾[سورة الإسراء : آية ١] الآية ، وهو ﷺ خَيَّرَه الحقُّ أن يكون نبياً مَلِكاً أو نبياً عبداً فاختار العبودية ﷺ ؛ فرجع من كماله من قاب قوسين أو أدنى إلى بشريته ، ولم يؤَثِّر فيه إلا قوةً لكماله ، فظهر ببشريته ولم تظهر فيه الخصوصية .

❊ ❊ ❊

﴿ فصل ﴾

(٥٩)

ولما طلبَ موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ربه ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً ﴾[سورة الأعراف : آية ١٤٣] الآية ، فمحمد ﷺ خاتم النبيين نص القران العظيم ، وأعطاه الرضى وفوق الرضى

(١) لعله : فجمعت .

(٢) وفي (ب) : أعطى ، ولعله : بإعطاء .

فقال تعالىٰ : ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾[سورة الضحىٰ : آية ٥] ، وهذه الأسرار ما يفهمها إلا من تنور قلبه بالنور الإلهي ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَاء حِجَابٍ ... ﴾ [سورة الشورىٰ : آية ٥١] ، فصح ظهور الخلافة في كل زمان من الأزمنة ليحصل لهم الأنس به ويظهر بإكمال[1] اللائق فهو السِّر العظيم ، مجمع الولايات الكمالية الإلهية المحمدية مُرَتَّبَةً علىٰ مراتبها وتفاصيلها وهي مشكاة خاتم النبوة والولاية والخلافة ، واعلم أن رسول الله ﷺ جامع للنبوة والولاية والخلافة فهو وارث الكل ، فأقبلت أرواح الأولياء العارفين إلىٰ بابه الأعظم الأحدي ، وكل منهم له شفاعة علىٰ قدر جَاهِهِ وقربه واقترابه قوله تعالىٰ: ﴿ وَاسۡجُدۡ وَاقۡتَرِبۡ ﴾[سورة العلق : آية ١٩] الآية ، أي : اخضع واخشع لهذا السر العظيم ، فقابلتهم الحقيقة بلطفها ورأفتها ورحمتها بالمدد والعطاء الوهبي : (سبقت رحمتي غضبي) فالآن فلا شيء يحجبك عنهم إذ هم ناظرين إليك بأعينهم الإنسانية والمعنوية بعين الكشف الجلي والسر الخفي ، وأكثر الخلق غرقىٰ في بحر الغفلات ، إلا من انتسب إلىٰ الحقيقة المحمدية ؛ فيكون في طريقهم وهديهم وسلوكهم ، فليس لهم رمق في شيء ، والكون طائع ، فهم لا يزالون في نور بصائرهم ونور عقولهم مشروحين الصدور ، قلوبهم معمورة وصفاتهم محموده وأخلاقهم مشكورة ، فهم لازمين الطريقة الموصلة إلىٰ الحقيقة [المحمدية][2] قوله تعالىٰ: ﴿ لاَّ تُدۡرِكُهُ الأَبۡصَارُ وَهُوَ يُدۡرِكُ الأَبۡصَارَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] الآية ، وقوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلۡمًا ﴾[سورة طه : آية ١١٠] الآية وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ﴾[سورة الحديد : آية ٤] الآية ، والعلم اللدني يقتضي المعرفة بالله ، فلا يزال إلىٰ الخضوع والخمول نازل وهو عين الكمال (رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم علىٰ الله لأبره فيما أقسم به عليه) وطريقتهم الصراط المستقيم وفنائهم في رمقهم[3]

---

(١) لعله : بكماله .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) .

(٣) لعله : ورمقهم .

وطمعهم وشوقهم وذوقهم إلى أعلى مقام العبودية والفناء الكلي ، فما بقي لهم حجاب ، وأوقاتهم كلها في خشوع وآداب ، قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[سورة الواقعة : آية ١٠-١١] الآية ، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾[سورة الزمر : آية ٢٢] الآية ، ومن غلب عليه قوة الإيمان فهو من أهل الشهود والعيان ، قوله تعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[سورة الفتح : آية ٢٩] الآية .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٦٠)

وتحقيق معرفة النفس هي : إذا عرفت نفسك عرفت ربك ، وبعد ذلك اطمأنت وتَزَكَّتْ وانقادت للطاعة ، وكان من صفتها إذا صفت وتزكت تكن مطمئنة بذكر الله ، وتسلك طريق الهداية ، فتكون عليها لا تميل عنها بغير جهد ولا مجاهدة ؛ لأنها إذا ألفت الخير طَمِعَت فيه ، وقابلها القلبُ المنور بنور الإيمان والإحسان ، فترعى مراعي العرفان ، وحقائق ودقائق ومعاني وذوق وشوق ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[سورة النحل : آية ٤٠] الآية ، ولا يعطى هذه وينالها إلا المصطفين الأخيار الأبرار ، الذين صدورهم قُبُورُ الأَسْرَار ، وكيفية التجلي هو من ذات[1] الأحدي ، وبروزه ومظهره من حيث التوفيق والسابقة في القِدَم ، ومن حُقَّتْ له السعادة وتَوَلَّتْه العِنَايةُ فيبقى ممتثل للشريعة ، لا تأخذه الجذبات التي تُغَيِّبُ نُورَ عَقْلِه ، ومن لم يكن يغب نور عقله فهو مستقيم ، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا

---

(١) لعله : من الذات .

وَلَا تَحْزَنُوا ﴾[سورة فصلت : آية ٣٠] الآية ، فهم العارفين السالكين على صراطه المستقيم ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ومن هنا اجتمعت النبوة والولاية ، والولي من أسماء الله تعالى دون النبي ، وهذا المقام السامي العالي اختصاص إلهي وهبي غير كسبي ، بل جميع المقامات اختصاصية من عطاء الحق الذاتي لا لِشَيءٍ ولا من شيء ، ومن ظن أن هذا المقام يكون يكسب(١) بالعمل فهو المحجوب الغافل ؛ لظنه أنه بكسبه ، وهذا غلط عظيم وشك مهلك ، والمراتب(٢) متميزة ، لكن لا تحق إلا لمن محَىٰ رسمه ومحَىٰ اسمه .

❊ ❊ ❊

﴿ فصل ﴾

(٦١)

وأرباب هذه الطريقة أهل المقامات [الكمالية](٣) ترجع إلى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، وهو الفناء بالحق حالاً وشهوداً لا علما فقط . لا نهاية لكمال الولاية وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِيِّـيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٩٦] الآية ، فمراتب الأولياء غير متناهية ، ويكون بعضها أقرب من بعض ، وموعدهم ومقرهم(٤) إلى الحضرة الإلهية ، وقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[سورة البقرة : آية ١٤٨] الآية ، وكونهم راجعين إلى الحضرة الواحدة وقوله تعالى: ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾[سورة سبأ : آية ٣] الآية ، فأقبلت عليهم بوجهها والرضى والسخط حتى يستقيم المستقيم ، ويخاف الخائف ويسيرون في طريق

---

(١) لعله : مكسباً .

(٢) في (ب) : الرُّتب .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ج) وفي (أ ، ب) : الكلّية .

(٤) في (ب) : ومقرِّهم .

الورع والتقوىٰ ، ويكونون في قانون أصعب وأَدَق طريق في طريقة العارفين الكاملين ، ويمشون عليها ويكون لهم صراط السابقين أهل الكمال ، وهم المكابدين اللازمين[1] الماحين رسومهم ، فَهُمْ أهل لِمَشْهَدِ التجلي الذاتي ، وهم الأعيان وكل شيء يرجع علىٰ[2] أصله ومحله ، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[سورة آل عمران : آية ١٨٠] قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦-٢٧] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٦٢)

وكل عارف فهو سامع طائع ، لأنهم بإقبالهم وموافقتهم ومحبتهم وامتثالهم تنوروا بنور الإيمان ؛ فطلعت عليهم شموس العيان قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ، وتولتهم الحقيقة ورمقتهم بعينها ، فمن نظرت إليه بنظرتها الرحيمة ؛ صار من أهل الله تعالىٰ الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فهم لا يزالون في حالهم مستقيمين ، ولو ظهر لهم الكشف الجلي فلا يلتفتون إليه ؛ لأنه دليل وهم لم يحتاجوا إلىٰ دليل يدلهم فهم الدليل والمدلول ، فما بقي لهم حجاب يحجبهم عن الحقيقة الذاتية الأحديه ، وهم في الشهود لا يزالون في يقظة وقوله تعالىٰ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[سورة الجن : آية ٢٦ - ٢٧] الآية ، وعندهم كمال

---

(١) لعلها : المكابدون اللازمون الماحون رسومهم .

(٢) لعله : إلى .

الإخلاص عند المحققين[1] ؛ لأنهم في جميع المراتب الإلهية ، وهي تَنْقَسم وتُرَتَّبُ على أصناف ، ووصول المرتبة الذاتية هي تعينها منفردة ، لا شيء يشاركها من المراتب وإن تَفَصَّلَتْ ، وهي شاهدة إياها عياناً ، والمراد عندهم استغراق الجميع في واحد ، وانطباعهم في صورة الظاهر لازم ، قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾[سورة الإسراء : آية ١١٠] الآية ، وكلها تحت الاسم في مظاهرها ذاتية معنوية ، ومرارهم في مظهر الاسم تحقيق الحقيقة والموجهة لها ، ولا يقارنها ؛ غيرها لأنها واحدة الحقيقة الذاتية والأعيان الممكنة ، قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[سورة فصلت : آية ٣١-٣٢] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٦٣)

واعلم أن العَيَان لا يحتاج إلى علمٍ وخَبَرٍ يُخبرُ عنه ؛ فيكون[2] في قلب العارف كشمس الضحى ، لا تخفى على من له عيان وعلم وبيان ، يحتاج إلى ظهورها ونتائجها وأبوابها وفصولها ، وترجع كلها إلى الحضرة الذاتية الإلهية فهي موطنهم وملجأهم ، وهم فيها يتنعمون بالقرب ، وبِتَحَقُّقِ صِدقِ التَّوَجُّهِ الحقيقي وقع لهم التَّجَلِّي ؛ لأنها موضع طلوع شمس الحقيقة الذاتية ، وهو هادي خلقه إلى الحقيقة وقوله تعالى : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، وقوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾[سورة طه : آية ١١٠] ، وقوله : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[سورة الأنعام : آية

---

(١) لعل العبارة : وكمال الإخلاص عند المحققين .

(٢) لعله : لكونه في ..

٩١] ، وقولهم : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣٠] ، فحقت الرأفة منه والرحمة ، والنسبة(١) الرَّبَّانِية وهي أعظم المنن ؛ لأن مظهر الحق لا يكون إلا في مظهر البشرية في هذه الدار ، وإذا رأيت الأجسام فاعدل إلىٰ رؤية المعاني ، إنما هي ربوبية تَوَلَّتْ عبودية ، فمن صح له هذا المقام كان من صفاته الظاهرة التخلق واللُّطفُ بالخلقِ والرحمة الشاملة قال تعالىٰ : (رحمتي سبقت غضبي) وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، وهم أمناء الله تعالىٰ في خلقه وبابه المقصود . وهو الخطاب بالكشف النُّوري(٢) ، إذا فُتِح لك قَابَلَتْكَ الحقائقُ والدقائق الروحانية ، وفي مظهر احسانه سؤددُ سُلْطَانِه ، ولا ثَمَّ غَيرٌ في مجلس الحضره ؛ لأن فيها يحق للمنظور إليه بالسعادة ، لكن يقول : العجز عن إدراك ذاك إدراك وقوله تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[سورة العنكبوت : آية] الآية ، والله المؤيد وهو يهدي إلىٰ سواء السبيل ، وقال عليه الصلاة السلام : (إن لله في أيام دهركم نفحات أَلاَ فتعرضوا لها) .

❋ ❋ ❋

﴿ فصل ﴾

(٦٤)

والعارف المحقق لا يلتفت إلىٰ الكشف الجلي ، ولا يطمع في خرق العادة ، وهي مظهر الكرامات ، وَطَمَعُهُ بمقامه(٣) بالله تعالىٰ ، وأما مظهر التجليات الإلهية فهي لهم من حيث مِنَّتِهِ التي سبقت لهم قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا

---

(١) لعله : هي النِّسبة .

(٢) لعل العبارة : والخطاب منهم بالكشف ....

(٣) لعله : في مقامه .

تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[سورة فصلت : آية ٣٠] ، والكامل منهم يجمع بين الصورة والمعنى ، ولها مراتب بارتفاع الحجب كلها ، وبعضهم صحت له مشاهدة الحضرة عياناً ، وبعضهم يشاهدها بنور عقله وصدقه في مربيه وأستاذه ، فيحتمل عنه ثقلها ويمنحه ما يليق به ، ومنهم من يشاهدها من اللوح المحفوظ ، فهم إلى المحو والإثبات ، لأن الحقيقة [تَوَلَّتْهُمْ] (١) وشملتهم ، وجمعتهم من غير واسطة قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[سورة الحج : آية ٤٦] الآية ، فهو من مظهر المعاني الغيبية ولها مراتب ، ثم مرتبة القلب هي مشاهدة قلبية من أسرار الروح : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٥] الآية ، وحقيقة الوجود الحَقَّاني بواسطة الروح الملكوتي ، وهي بلا واسطة بل هي بخاصية من الخصائص و قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾[سورة البقرة : آية ١٠٥] الآية ، فتأمل هذه الآية والزم باب الصدق والتوجه والإخلاص ؛ لتكون راجياً لفتح الباب وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[سورة الحجر : آية ٩٨-٩٩] ، وهو خطاب مقام عالي ، وهو مقام حضرة الجمع ، وهو مقام يحق لمن هو في ذلك أن يكون من أهل الشهود البَتَّه والمعاني تبرز من فيض المشهد والشهود والمشهود هو مظهر الذات الأحدي .

* * *

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : متوليتهم .

﴿ فصل ﴾

(٦٥)

واعلم أن حقائقَ العَالَمِ في العِلمِ والعينِ ، فما بقي لأحدٍ مخرج عن هذا المظهر الحقيقي ، وهو جزئيات الروح الأعظم الإنساني ، وأصل ظهور الحقيقة الإنسانية فيه ولوازمها ومعناها الأسرار الإلهية كلها دون غيرها ؛ فهنا كان استحقاق الخلافة من بين الحقائق كلها ، سبحان من أظهر ناسوته بكمال ظهورها في صورة العقل الراجح ، وقال عليه الصلاة والسلام : (أول ما خلق الله نوري) ومراده هنا أَنَّه أول ما خلق الله سبحانه وتعالىٰ العقل قبل الصور الجِسْمِيَّة جميعها ويؤيد ما ذكرناه [ما جاء](١) عن أمير المؤمنين ولي الله في الأراضين ورئيس الموحدين علي بن أبي طالب ﷺ وكرم وجهه قال في خطبة يخطبها : (أنا نقطة باء بسم الله الرحمن الرحيم ، وأنا جنب الله الذي فَرَّطْتُمْ فيه وأنا العرش وأنا الكرسي وأنا القلم وأنا اللوح المحفوظ وأنا السموات السبع والأراضون) ثم إنه ﷺوكرم وجهه رجع إلىٰ عالم البشرية ، وتجلىٰ له الحقُّ بحكم الكثرة ؛ فشرع(٢) ورجع معتذراً وأَقَرَّ بعبوديته وضعفه وعجزه وانقهاره تحت أحكام الأسماء الإلهية ، وفي الحديث النبوي : (عَلِيٌّ مِنِّي كهارون من موسىٰ) ، (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها) ، وقيل الإنسان الكامل لا بد أن يسري في جميع الموجودات كسريان الحق فيها ، والسفر من الخلق إلىٰ الحق بالحق ، فَيَتِم كَمالهُ وبه يحصل له الحق ويظهر سِرُّ قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة الحديد : آية ٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

(٢) لعله : فتشرَّع .

﴿ فصل ﴾

(٦٦)

بيان مقام القطب الذي إذا أراد الله أن يكون قطب العالم وخليفة الله فيه لأنه الموصل[١] إلى العناصر ، مُتَنَزِّلاً في السفر الثالث ، ينبغي له أن يشاهد جميع ما يريد أن يدخل في الوجود من الأفراد الإنسانية إلى يوم القيامة بذلك الشهود ؛ حتى يعلم مراتبهم علم وعمل ، فسبحان من دَبَّر كُلَّ شيءٍ بحكمته ودبرها تدبيرا يبتدي لهذا السر إلى صور العقلية وإلى صور القلبية المطابقة لجميع الصور ، فما دخل فيها داخل ولا خرج منها خارج أبداً صفةً وذاتاً ، فلما قَرَّرْنَا وفهمنا هذا العلم الغميض والبحر العميق من هنا ، ولها أرباب تلك المظاهر وهي شأنها وبابها ومربوبها . إعلم أنها أي الحقيقة المحمدية صورة الاسم الأعظم ، والمقام المكرم ، والاستمداد على جميع الأسماء من فيضه على صور العالم كلَّها بالرب الظاهر فيها ، الذي هو رَبُّها ومنه الفيض مظهر الاسم الظاهر يَرُبُّ صور العالم ، وبباطنه يَرُبُّ باطن العالم ؛ لأن صاحب الاسم له الربوبية المطلقة لذلك قال ﷺ : (خصصت بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة) ، وهي مصدرة بقوله : (الحمد لله رب العالمين) فجَمَع[٢] عوالمَ الأجسام والأرواحِ كُلِّها ، وهذه الربوبية إنما هي من جهة حقيقته لا من جهة بشريته ؛ فإنه من تلك الجهة عبد مربوب محتاج إلى ربه ، وَنَبَّه سبحانه على هذه الجهة بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[سورة الكهف : آية ١١٠] ، وبقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ..... ﴾ [سورة الجن : آية ١٩] ، وبقوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾[سورة الزخرف : آية ٥٩] فَسَمَّاهُ : عبدالله ، تنبيهاً على أنه لهذا الاسم دونَ اسمٍ غَيَره ، وَنَبَّه على الجهة الأخرى بقوله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾[سورة الأنفال : آية

(١) في (ج) : المواصل .

(٢) في (ج) : فجميع .

١٧] ، فأسند رَمْيَهُ إلىٰ الله تعالىٰ ، ولا يُمكن ويُتَصوَّر[1] هذه الربوبية إلا بإعطاء كل ذي حَقٍّ حَقَّه ، وإفاضته إلىٰ جميع العالم جميع ما يحتاج إليه ، وهذا المعنىٰ لا يمكن ويحق إلا بالقدرة التامة والصفات الإلهية جميعها ، فله كل الأسماء يتصرف بها في العالم بحسب استعدادهم . فلما كانت هذه الحقيقة شاملة مشتملة علىٰ الجهتين الإلهية والعبودية ؛ لا يصح لها ذلك بلا تقييد وهي الخلافة لقوله تعالىٰ : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [سورة النور : آية ٥٥] الآية ، وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة يوسف : آية ١٠٨] الآية.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٦٧)

ولما كانت الخلافة واجبة من الله تعالىٰ في العالم بحكم ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ ﴾ [سورة الشورىٰ : آية ٥١] ؛ وجب وصح وثبت ظهور الخلافة في كل زمان ؛ ليحصل لهم الأُنس ويثبت لهم الإيمان ، ويتصف بالكمال اللائق به كل من الناس ، كما قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام : آية ٩] الآية ، ولا يمكن ظهور الحقيقة إلا بمظهر صورة خاصة فيه ، فيها مرتبة لطيفة بأهل ذلك الزمان والوقت ، حيث ما يقتضيه ظهور الكمال علىٰ ظاهر المظهر فهو للخلق مصلحة في مظهره ، وما ظهرت النبوة إلا في صور الأنبياء عليهم السلام باعتبار تعيناتهم ، وكونهم عين تلك الحقيقة المحمدية الجامعة للأنبياء عليهم

---

(١) لعلها : ولا يمكن أن تُتَصوَّر ...

السلام ؛ بظهور كل منهم ببعض الأسماء والصفات ، وإذا اعتبرت حقيقتهم وكونهم راجعين إلىٰ الحضرة الواحدية ، وهي غلبة أحكام الوحدة وما ثَمَّ غيرها ، ولا لأَحَدٍ وجود سواها في حقيقتها ، وكُلٌّ يستمد منها قوله تعالىٰ : ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٨٥] ، فالقطب الذي عليه مدار أحكام العالم ، وهو مركز دائرة الوجود من الأزل إلىٰ الأبد ؛ واحِدٌ باعتبار حكم الوحده ، وهي الحقيقة المحمدية ﷺ ، وقد يكون القائم بالمرتبة القطبية نبياً ظاهراً كإبراهيم عليه السلام ، وقد يكون وَلِيًّا خَفِيًّا كالخضر عليه السلام ، فلما أشرنا إلىٰ الحضرة الكمالية الرحمانية أنها جامعة النبوة والرسالة حضرة الفيض والنوال والعطاء بغير حساب ونيل المراد ، و ما ذلك علىٰ الله بعزيز ، فهي جامعة المواهبَ والفضائل . لَمَّا فاض ماء الحياة من فيض بحر معدن أسرارها ؛ تولت كل حاضر فيها بشمس أنوارها ، وعاشت أرواحهم وقلوبهم منها ، وطالت أعناقهم في فنونهم وعلومهم وشوقهم وذوقهم إلىٰ الحضرة الكمالية ، ولا يرقاها إلاَّ الفانين(1) عن نفوسهم ، والسالكين والمتوجهين إلىٰ الحق قبل وقوع الموت الطبيعي ، قال عليه السلام : (من أراد أن ينظر إلىٰ ميت يمشي علىٰ وجه الأرض ؛ فلينظر إلىٰ أبي بكر الصديق ﷺ) وقال : (موتوا قبل ان تموتوا) فجعل عليه السلام العُزُوفَ عن متاع الدنيا وطَيِّبَاتِها ، والامتناع عن مقتضيات النفس ولذاتها ، وعدم اتباع الهوىٰ [جعله موتاً](2) ؛ وقوله تعالىٰ: ﴿ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾[سورة الحج : آية ٧] .

❊ ❊ ❊

---

(١) لعلها : الفَانون .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

﴿ فصل ﴾

(٦٨)

وكل سالك يحتاج إلىٰ مرشد [يمنحه][١] وينجيه من المهالك ، ويكون حافظاً له وحارساً له من هفوات النَّفْسِ الأمارةِ والشيطانِ وكُلِّ عائق يعوقه ، فيكون في مجرد طريقة السالكين ، ويعود إلىٰ طريقة أهل التقوىٰ العارفين ، قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا۝وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[سورة الطلاق : آية ٢ـ٣] ، ولا سيما[٢] فهم المحققون العارفون ذاقوا حلاوة لذة الانقطاع ، إليه وليس في قلوبهم شيءٌ من العلائق ، ولا يزالون متلذذين وفي مناجاتهم مستغرقين ، وهم أَربابُ الشهودِ أَهلُ القلوبِ الخاليةِ عَمَّا سوىٰ الحق ، ولا يلتفتون لنعيم الجِنَان وخوف النيران ـ لأنهما مسخرات مخلوقات تحت أمر الحق سبحانه وتعالىٰ ـ دونَ غيرِهم ، وكُلٌّ علىٰ حَسَبِ إيمانه ؛ ولا يزالون مختلفين في مقاماتهم وترتيبهم[٣] . وأهل شهود الحق الواحد المطلق الذي الكل موجود به فما بقي هنا شيء إلاَّ مظهر الحق وكل شيء موجود به معدوم بنفسه لا من حيث أن له وجوداً خاصاً اتحد به محال ، وقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، وقوله : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦ـ٢٧] الآية ، وقال عليه الصلاة والسلام : (كان الله ولم يكن معه شيء ...) وقد علَّم الخلقَ في دعائه بقوله : (ما عرفناك حق معرفتك) والحق المحيط[٤] بالكل بذاته ، وقَوامُ الأشياء[٥] وحقائقها في العلم والعين ، وجميع الصفات

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) .

(٢) لعل العبارة : لا سيما وهم المحققون العارفون الذين ذاقوا ....

(٣) في (ج) : وتربيتهم .

(٤) لعله : والحق هو المحيط .

(٥) لعله : وقوام الأشياء به وحقائقها منه في العلم والعين .

الوجودية[1] المتقابلة مُسْتَهْلَكَةٌ في عين الوجود الحق ، فهو الحي القيوم ، وكُلَّما ظَهَرَ في الشهادة أو بَطَنَ في الغيب إليه ، وهو بكل شيء عليم .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٦٩)

وإذا عَلِمتَ أن الوجود هو الحق عَلِمتَ سِرَّ قوله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ... ﴾[سورة الحديد : آية ٤] وقوله تعالىٰ : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾[سورة الواقعة : آية ٨٥] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ..... ﴾[سورة الزخرف : آية ٨٤] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[سورة النور : آية ٣٥] وقوله تعالىٰ : ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً ﴾[سورة النساء : آية ١٢٦] ، وقوله [في الحديث القدسي][2] : {كنت سمعه الذي يسمع به وبصره}وسِر قوله عليه السلام : (لو دَلَّيْتُم بحبلٍ لهبط علىٰ الله) وهذه الأسرار المنبهة[3] للتوحيد ، وإشارات لأهل البصائر أهل حضرة الشهادة المطلقة وهي حضرة المشاهدة العلمية ، وتُقَابِلُها حضرةُ الشهادة المطلقة ، وكل شيء راجع إلىٰ الحضرة الواحِدِيَّة مظهر الحضرة الأحدية وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣١] الآية . وقد أَطَعنَا الحَقَّ فغَرسَ في قلوبنا محبَته واتباعَه علىٰ الرأس والعين ، وله الحمدُ والمِنَّةُ ، والاقتفاء والهداية ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٤٣] ، ولطفه وسريانه في سائر الأشياء ، ولا تدركه الأبصار بلطفه[4] في أعيان الأشياء ، وهو

---

(١) في (ب) : الموجودية .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

(٣) لعلها : منبهة للتوحيد ، وإشارات لأهل .....

(٤) لعله : للطفه .

اللطيف الخبير . و قابلناه[1] بتوجهنا إليه بشوق وذوق وإخلاص وَتَحْقِيقِ مَحْضِ العبودية لمن فهم ، وهو يهدي السبيل ويختص برحمته من يشاء ، وهو الذي صح له التحقيق من أهل الطريق ، وسار في سيرهم وغمرته أنوارهم ، وَبَلَّتْ رداه أمطارهم . وهم في شربهم من كأس خمرةِ الوِدِّ والوَصِلْ ؛ في أحسن تقويم العقل ، وماسِكين[2] الشريعة ، وهم في حالهم البَتَّه لا يَرونَ بعين بصائرهم إلاَّ مشهدَ الحقِّ الصِرف ، قال تعالىٰ: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ، وكان رسول الله ﷺ يبرز بنفسه للمطر إذا نزل ويكشف رأسه حتىٰ يصيبه ، ويقول : (حديثُ عَهدٍ بربه) ؛ فانظر إلىٰ معرفة هذا النبي ﷺ بالله ما أَجَلَّها وأَعلاها وقد سَخَّر له المطر فبرز له لِقُربِه من ربه ، وهو صاحب الوحي والتنزيل ومهبط الأمين جبريل عليه السلام بالقرآن العظيم وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾[سورة طه : آية ١١٤] الآية ، وليلة الإسراء وقف جبريلُ فخاطبه [بالعذر معه][3] فقال : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾[سورة الصافات : آية ١٦٤] ، فاخترق ﷺ الحجب[4] ؛ فأماط الله لنبيه ﷺ الحجب ، وأدناه ربه إليه وقربه وأعطاه الرضى : (رضاه لأمته) ونص القران : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[سورة الضحىٰ : آية ٥] ، فصح له الرضى من الحق في أمته ، وقوله : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾[سورة افر : آية ١٥] وقوله : ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾[سورة النور : آية ٤١] الآية .

* * *

---

(١) في (ب) : وقَابلَنا .

(٢) لعله : مُتَمسِّكين بالشريعة .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل بما معه .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) .

﴿ فصل ﴾

(٧٠)

علامة من عرف الله حق معرفته أن يطلعه الله علىٰ أسراره ، وقد فَضَّلَ الرجالَ بعضَهُم علىٰ بعض ، وإذا أردتَ أَنْ تَظهرَ لك لوائح المعرفة فاعدم نفسَكَ وافن[1] حِسَّكَ وارمق أُنْسَكَ ، وهو سابقة التوفيق ، وهو أعز المقامات وأعلىٰ الدرجات ، فهم أهل الكشف والعقل السليم ، قوله تعالىٰ : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ [سورة الحديد : آية ٣] ، وقد نَبَّه رسول الله ﷺ [علىٰ ذلك][2] فيما رواه عن الحق أنه قال : (كنت كنزاً مخفياً لا أعرف فأحببت أن أعرف) فالمحبة سبب ظهور العالم[3] من العدم إلىٰ الوجود وهو غني عن العالمين فافهم ظهور صور العالم فيه وقوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١١٠] ، فسبحان الذي تجلىٰ بذاته لذاته ، فأظهر آدم واستخلفه ، وجعل محمد ﷺ حامل أسرار جميع الحقائق ، فمحمد ﷺ هو الاسم الأعظم النبي الخاتم للرسل المكرم ﷺ وعلىٰ آله المطهرين وأصحابه الأكرمين رضي الله عنهم أجمعين ، وخاتم الولاية المحمدية كاشف الأسرار الإلهية ، حارت أعين البصائر والأبصار في كُنْهِ معرفته ، وَقَرَّت عيونُ المحققين بوارث الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ، وخذ منا هنا[4] الإشارة فهي كافية لك عن العبارة ، وأردنا أن نبيِّن لك ما سُتِر من الحقائق ؛ لكن قَبَضْنَا في[5] عِنَان النُّطْقِ عن السِّر ، الذي يجب أن نَصُونَه عن غير أهله ؛ رحمةً بهم لئلا يهلكون والسلام .

---

(١) في (ج) : وأقر .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) .
(٣) في (ب) : ظهور صور العالم .
(٤) في (ب) : هذه .
(٥) ولعلها : على .

﴿ فصل ﴾

(٧١)

تكلمنا في مَنْبَعِ الحقيقة ومصدرها ، وهي الذات الأحدية ، وصفتها الإستهلاك الكلي في عين الوجود المطلق الأحدي ، وهي العلم والإرادة والقدرة والحياة ، وهو التجلي وعلم الذات الذي به يعلم الحق سبحانه وتعالىٰ ذاته بذاته ؛ حَصَلَ به كل علم لَدُنِّي وقوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء ﴾ [سورة النساء : آية ١] الآية ، وهي الحقيقة المحمدية المشار إليها بقوله : (لولاك ما خَلقتُ الأفلاكَ ولا الأملاك) ، وقال عليه السلام : (إن للقلب عينان ينظر بهما في غيب الله سبحانه وتعالىٰ) إذا تَوَلاَّهُ الكمال وانكشفتْ له عينُ البصيرةِ ؛ فيعود مظهر شمس الحقيقة والاستدلال والآثار ترجع إلىٰ محل الأنوار . والكشف الجلي ما فيه عبارة ولا تفهمه إشارة حتىٰ يكون حقائق عينية مع [صحته][1] كشفاً وشهوداً وذوقاً ، وهي مأخوذة من مشارق كشف الذات ، وهي الحضرة الجبروتية ، مطالعها من مشارق كشف الذات ويكون صحو بعد المحو ، وهي وصول النعمة الإلهية ، ويبرز منها فيض ومدد علمي لَدُنِّي وذوقي وتجلي ، وقوله عليه السلام : (أول ما خلق الله نوري) وفي رواية : روحي . وقوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ [سورة النور : آية ٣٥] الآيةُ دالةٌ عليه ، ومنبعها من فيض عين الفضل الإلهي الرَّبَّاني ، فلا يفهم ذلك إلا من توجهت إليه الحقيقة المحمدية بخلاف من توجه إليها ؛ فهذا طالب وهذا مطلوب ، وهذا محب وهذا محبوب ، فلا يصل إلىٰ الحقيقة قبل الطريقة واصل ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [سورة طه : آية ٣٩] وقوله : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [سورة المائدة : آية ٥٤] وقوله : ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً ﴾ [سورة طه : آية ١٠] الآية ، أي :

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل : صحة .

رأيتها فارجع إلىٰ العين الواحدة الجامعة للعِلْمَين ، فهي الجامعة لكل عين وسمع ، وقد خصص به ﷺ ليلة الإسراء ؛ فحصل له جميع العلوم اللدنية والمعارف الحقيقية . وحضرة القدس معارج الأرواح الطيبة إذا دعيت إليها شريعة[1] الإجابة ، فتنال أَيَّدوها من الفضل العظيم ، وما ذلك علىٰ الله بعزيز قوله تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهَّ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللهُّ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة الحديد : آية ٢١] ، وما فيها تأويل ، وهي عالم العقول المجردة ، وهي توحيد ومقامات ، ونيل القُرْبَة إلىٰ الذات ومسالكه وتعظيمُ الذات والتمجيدُ لها ؛ من أشرفِ العلومِ اللدنية . فما بقي هَاهُنَا إلا الصفات ، والمقامات تختلف . والمرادُ به كُلَّهُ الفيض الجلي الذي ظهرت به الأعيان ، وحصل المحصول بعد المحو ، وهو المطلوب الكلي ، الذي تَقَرُّ به عيونُ العارفين وهو الإحسان والتوفيق السابق قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [سورة هود : آية ٨٨] الآية .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٧٢)

والحقيقة هي التي تكون إلىٰ الخواص ، أهل الكمال من أهل المرتبة الفانين عن الحِس ، ولا ثَمَّ عبارة ولا فَهْم إشارة قوله تعالىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْم ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٤٩] ، فصاحب هذا العلم لا يفوته شيء قوله تعالىٰ: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ [سورة سبأ : آية ٣] الآية ، فيكون متحقق بالحق سبحانه وتعالىٰ في كل الخليقة بالأحدية ، ولو تكاثرت عليه الخلق فلا يرىٰ لهم وجود ، ولو تشعبوا وتكاثروا فهم في واحد والصحيح علىٰ ما قال المَشَرِّع سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ فما

(١) لعلها : سريعة ، ولعل العبارة : إذا دُعيتَ إليها فأسرع بالإجابة ؛ أو لعل العبارة : إذا دُعيتَ كانت سريعة الإجابة .

في الحقيقة إلاَّ وَاحِد ، هُنَا جَفَّتْ الأقلام ورُفِعتْ الصُّحُف قوله تعالىٰ: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللهَّ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[سورة الأحزاب : آية ٤٠] الآية ، فلزم كل مقتدي ومهتدي أن يعلم أنها عين واحدة تجمع الموجودات والصفات تتميز وتتفرق بعضها من بعض ، ولو كثرت الصفات تستهلكها في عين الذات ، ولم يبق مع الذات صفات إلاَّ دليل إلىٰ محلها وتخبر عنها بعلمها.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٧٣)

وصاحب هذا المقام ، الذي هو غاية أهل الشهود ، يخترق السموات السبع بخطوة واحدة ، ومع ذلك يفنىٰ شَبَحُهُ وَرَسْمُه ، وكذلك تفنىٰ صفاتُه بالكلية قوله تعالىٰ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَّ عَلَيْهِ﴾[سورة الأحزاب : آية ٢٣] الآية ، فلا يُعَرِّجون علىٰ طلب طَيِّ الزمان والمكان والطيران في الهواء ، فحاشاهم من ذلك ولا لهم فيه رمق ولا سبيل ، وَفَنُّ أهل هذا المقام في أورادهم الخروج عن دائرة التدبير العقلي ، والصلاة والطواف الجسمي وقوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ﴾[سورة الإسراء : آية ١] الآية ، وهو البيتُ المعمور ، ونبينا محمد ﷺ أُسْرِيَ به ورجع في حالته مستقيم مع بشريته ؛ لعظم كَمَالِهِ ووجوده مع رَبِّه قوله تعالىٰ : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[سورة النجم : آية ٩] الآية ، وَقَرَّتْ عيناه بالرضى والعطاء والشفاعة لأمته ، وأرضاه ورضي عنهم قوله تعالىٰ : ﴿رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[سورة البينة : آية ٨] الآية ، فأكرمه الحق بأنه خاتم النبيين الجميع ، وأعطاه أن سره مُتَوَرَّثٌ[1] من صلب إلىٰ صلب علىٰ دوامة ، وتقومُ الساعةُ

---

(١) لعله : متوارث .

وهو باقٍ سِرُّهُ علىٰ ذلك . فهذه من أجل الخصائص له وأعظمها ، ومن الخصائص قول الله تعالىٰ: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾[سورة هود : آية ٤٤] ، فحصلت له النجاة ، وكذلك أطفأ لإبراهيمَ عليه السلام نارَ النمرود ؛ فصارت لإبراهيم ـ من فيضه ونوره ـ روضةً من رياض الجنة ، وروحه ﷺ قائم بقامات الجمعية ، وَتَلَّقَىٰ وجأنا(١) بأسرار الجميع ، وهو ﷺ قائم بالخلافة وورثها أقاربه الطيبين ، والمُرَادُ بالأقارب : أقارب الروحية(٢) وقوله تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١١٠] الآية ، وفي ذلك أسرار خفية لا يعلمها إلا أهلُ فَنِّهَا من أهل الدرجات الكمل الخواص ، الذين مَشَوا علىٰ قدم الكتاب والسنة مع اتباع الخلفاء الأئمة، رضي الله عنهم علىٰ ترتيبهم ؛ فأولهم في الخلافة أبي بكر(٣) الصديق ﷺ ، وثانيهم عمر ابن الخطاب ﷺ ، وثالثهم عثمان ابن عفان ﷺ ورابعهم علي ابن أبي طالب ﷺ وكرم وجهه ، وباقي العشرة كذلك بتعينهم المذكورين ، فهم في جميع أحوالهم في امتثاله ﷺ وآخذين عنه في أحوط أقواله وأفعاله ؛ فأشار في الحديث : (عليكم بِسُنَّتِي وسُنَةِ الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ) و [هم](٤) الصحابة والأولياء التابعون ؛ لأنهم ورثوا الأنبياء الماضين ، وخَواصُّ أَسْرارِ المرسلين عليهم السلام في مَعْدِن نبينا ونبيهم ورسولهم محمد ﷺ ، ولهم الحصصُ من إرث كل فضيلة ، فهو المقام الجَمْعِي . وكُنْ علىٰ طريق صراطه المستقيم ومنهجه القويم ، والنظر بعين البصيرة إلىٰ مطالع أنواره ومظهره الجامع للحقائقِ وجميع العلومِ المحيطة بها ، وهو داخل في عبوديته ومشيئته وصراطه المستقيم ، فلا يُجَاوَزُ طريقُ حقيقة إلاَّ بإذن وتمكين . وجميعُ الحضرات في حضرة واحدة علىٰ جميع الحقايق وهي الحضرة الإلهية المُشَارُ إليها بقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ

(١) في (ج) : مرجانا ، الأصل : وجانا ، ولعله : وتلَّقَى من ربه وجأنا .

(٢) لعله : أقارب الروح ، أو القرابة الروحية .

(٣) لعله : أبوبكر .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[سورة يوسف : آية ١٠٨] الآية ، ودليلها ـ أعني ـ هو الإنسان الكامل وقوله تعالىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[سورة فصلت : آية ٥٣] الآية .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٧٤)

فما كان تَوجُّه العارفِ بالله إلاَّ لِيَرَىٰ مقامَ الإحسانِ ، وفي الحديث : (إن لم تكن تراه فإنه يراك) فطريق السلوك إلىٰ الله سبحانه بِتَرْكِ[1] السِّوَىٰ والعلائق الجميع ؛ لكونه طَالباً الإستقامةَ ، وفتح البصيرة علىٰ علم . والحقيقةُ ليس لأَحدٍ مدخل ولا مجال فيها ، مُحَالٌ أن يَصِلَها واصلٌ إلا مَنْ دَعَتْهُ وتَوَلَّته من فيضها وَجُودِها ، وما ذلك علىٰ الله بعزيز ، وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾[سورة المائدة : آية ٣] الآية ؛ لأنه ﷺ خاتم الشَرائِع ، وهو صاحب الاسم الأعظم . فَثَبِّت المشيَ علىٰ موضع قدمه الشريف ، وهو[2] طريقة المرسلين والنبيين عليهم أفضل الصلاة والتسليم ، وكذلك طريقة الأولياء الأكياس العارفين بالله ؛ لأنه الدَّاعي للخلق أجمعين ، وهو الجامع للحقائق الذاتية الأحدية ، فلا تكونُ مشاربُ الأَوَّلِين واللاَّحقين إلا من هذا المعدن المحمدي ، أي : لولا وجود السِّر لم يكن لكوني[3] وجود البتة . وقوله تعالىٰ : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾[سورة النجم : آية ١٠] الآية ، وهو الوحي للوح المحفوظ قال عليه الصلاة والسلام : (إنما بعثت لأُتَمِّمَ مكارم الأخلاق) ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[سورة

---

(١) لعلها : تَرْكُ .

(٢) لعله : وهي .

(٣) لعله : للكون .

القلم : آية ٤] الآية ، فلولا وجودُهُ ﷺ لم يكن لأَحَدٍ وُجُود من الموجودات الكونية . فمن فَهِمَ ذلك اِستعرق في الشُّهود وطلعت علىٰ وَجْهِهِ شمس السُّعود ، وبرزت وفاحت من أنفاسه تعطير جميع الوجود ؛ لأن حياةَ كل شيء من حياته ومن علمه ومن قدرته وإرادته ؛ كُلُّها مِنْ ذلك السر الأعظم ، من رَشَحاتِ سِرِّ صِفاتِه وكَمَالاتِهِ ، وَعَنْهُ ﷺ أنه قال : (أنا مدينة العلمِ وعَليٌ بابها عَلِيٌ مِنِّي كهرون من موسىٰ) ، وهذا يَدُلُّ علىٰ قُربِ عَلِي وَوَصْلَتِه إليه وقوله ﷺ : (أصحابي كالنجوم بأيهم إقتديتم إهتديتم) فهم الجميع رضي الله عنهم أجمعين . وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[سورة الحجر : آية ٢٩] الآية ، وهذا الروح المحمدية المشار إليه بقوله : (أول ما خلق الله نوري) وهو المُسَمَّىٰ محمد الأمين قبل أن يُوْحَىٰ إليه قوله تعالىٰ:﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[سورة الكهف : آية ٦٥] الآية ، وكان صلىٰ الله عليه وسلم ينطقُ بلسان مرتبته فيقول : (أنا سيد ولد آدم) المبعوث بالرسالة إلىٰ خير الأمم وأفخرها وأجزلها مواهب وعطايا قوله تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[سورة آل عمران : آية ١١٠] الآية ، صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ آله وأصحابه المصطفين من العرب والعجم ، الذي نارت[١] أنوارهم وَمَحَتْ سائرَ الظلم ، ووارثيه من الأولياء أهل مرتبة الكمال السالكين علىٰ الطريق الأقوم ، المُطَّلِعِينَ بالحق علىٰ أسرار الله وبيان مظهر الحق المبين ، وسلكوا[٢] في هذا الطريق خواص العارفين من أمته و [من] [٣] ورائهم مِمَّنْ يَتَّبع أثارهم ويَمْتَثِل أوامرهم وتَحتَ حكمهم ، ومنهم الكامل الذي يَكْمُل به غيره من وقع[٤] له من كشف أسرار الحق علىٰ مجلسهم ونظرهم ، هم المرهم والإكسير الأحمر والترياق المجرب ، ولا يكون إشتغالهم إلا بالطاعات والورع

---

(١) لعلها : الذين أنارت .

(٢) لعله : وسلك .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

(٤) لعل العبارة : ممَن وَقعَ له من كشف أسرار الحق على مجلسهم وبنظرهم في الأكسير .

والتقوىٰ وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[سورة الحجرات : آية ١٣] الآية ، إلاَّ أنَّها مطلب الكامل المكمل وارث الأنبياء والمرسلين ، حَائز الولاية المحمدية ، كاشف الأسرار الإلهية ومن اطَّلَعَ علىٰ أسرار المشاهدة للمعاني ؛ يكون صائناً لها ، ويكون يصون ظهور المعاني والأسرار ؛ لأن فيه تَحِيرُ عقول العقلاء ، ويقف ببابه جملة الفضلاء الراسخين في العلم ، وقد يتطلع[١] علىٰ أسرار غوامض لا يكشفها لغير أهلها لعزة قدرها ، وهيهات ما يطمعُ علىٰ فيها ويرمقُها ويرفعُ القناعَ عن وجوه[٢] عرائس معارفها وجمالها وابتسام برقها من شت مباسمها ؛ إلا أهلها فحارت في ذلك أهل العلم اللدني الذوقي ؛ فكيف من لم ينظر إلىٰ ظِلِّها الضَّافي الظليل؟! قوله تعالىٰ:﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[سورة الضحىٰ : آية ١١] الآية ، ولا يؤدي شُكرَها ويعرفُ قدرَها إلا عارف الإشارة عنده لائحة والعبارة واضحة ، وهو يتكلم بالحق علىٰ مراتبه وقواعده وفروضه وسننه قوله تعالىٰ: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾[سورة الأنفال : آية ٨] الآية ، هذه قاعدة التوحيد فهي مقاصد أولي النهىٰ العارفين الأكياس ، وقد أنعم الله عليهم بالفَهْمِ فيها لِيَرىٰ[٣] الحَقَّ حقاً والباطلَ باطلاً ، وفي دعائه[٤] : ما عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفتك . وجميع الصفات الموجودة مستهلكة في عين الوجود ، وهو القيوم بذاته المثبت لغيره ، ولا له إبتدا ولا انتهاء ، وهو يتكلم بغير واسطة ذاتية ، وهو النور إذْ به تُدْرَكُ الأشياءُ كُلُّها من حيث الطالب لها . والعلم والعين واحده ، وتتفرق علىٰ أبواب وأقسام وأحوال ودرجات ؛ فَيَفْهمُ منه الكاملُ علىٰ قدره[٥] ، وحَسْبَ طاقة المتوجه ؛ حتىٰ لا تأخذه البغتات من التجلياتِ ، وقوله تعالىٰ : ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾[سورة الأحقاف : آية ٣١] الآية ؛ فلزم الكل طاعته

---

(١) لعله : يَطَّلِع .

(٢) في (ب) : وجوده .

(٣) لعله : ليَرَو .

(٤) لعله : وفي دعائهم .

(٥) لعل العبارة : فيفهمُ كلٌّ منهم على قدرهِ .

وإجابته بالتلبية والرضى والبشاشة في أوامره ونواهيه ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[سورة الحشر : آية ٧] الآية ، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾[سورة الفرقان : آية ٤٥] ، والجواب عن هذا إثبات وجودِ الحَقِّ سبحانه وتعالى ، وهو الموصوف بالأسماء الإلهية ، المنعوت بالنعوت الكمالية الذاتية الربانية ، المَدْعُو بلسان الأنبياء والأولياء وجميع الصالحين : ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ ﴾[سورة الأعراف : آية ٤٣] الآية .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٧٥)

والنبي محمد ﷺ الهادي لخلقه إلى ذاته ، الداعي إلى حضرة الجمع وبساطِ الجمالِ وحضرة القدس ، التي هي محلهم ، إليها يَأوونَ وفيها يسكنون . وهو عَينُ الأشياء بقوله ودلَّ به[1] : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة الحديد : آية ٣] ، فكونه[2] عَيْنُ كُلِّ عينٍ وبَصَرُ كل بصرٍ وسمعُ كل سمع ؛ فاكتفى به الكُلُّ لقوته وسلطانه وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٨] الآية ، فجفت الأقلام ورفعت الصحف ، فهو في كُلِّ شيءٍ خَفِيٌّ لِعِظَمِ قُدْرَتِهِ وسُلْطَانِهِ وقوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] الآية ، وهي كذلك عين حقيقة ذاتية وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾[سورة طه : آية ١١٠] ، وقوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ .... ﴾ [سورة الأنعام : آية٩١] ، وقوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ .... ﴾ [سورة آل عمران : آية ٢٨] ، وقوله : ﴿ لاَّ

(١) لعله : بقوله الذي دل به .

(٢) لعل العبارة : ولِكَوْنِهِ عين كل عين .

تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] الآية ، دالة على حقيقة الذات الأحدي . وإذا عَلِمتَ أَنَّ الوجودَ هو الحَقُّ ؛ عَلِمتَ سِرَّ قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[سورة الحديد : آية ٤] ، وقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾[سورة الواقعة : آية ٨٥] وقوله: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[سورة الذاريات : آية ٢١] وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾[سورة الزخرف : آية ٨٤] ، وقوله : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[سورة النور : آية ٣٥] وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً ﴾[سورة النساء : آية ١٢٦] وقوله: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[سورة الشورى : آية ١١] ، ودليل الحديث [القدسي][1] : (إذا أَحْبَبْتُ عبداً كُنْتُ له سمعاً وبصراً) وهذا في الممكن في الوجود الذي يحتاج إليه العبد الكامل بخلاف الناقص الضيق . والأفراد العارفين الفضلاءِ النجباء المخلصين في هذا الفن العظيم ، هم الشاربين[2] بالأقداح من خمرة الذات ، شيء يحتاج إليه ، ويؤخذ منه ما يُثَبِّتُ الإستقامة ، حتى يخرج في النيابة فيكون حَالُه في طي ظاهره ، وظَاهِرُه مستقيمٌ بباطنه ، فما شَطَّ عن أهل الفن العظيم شيءٌ من الاستقامة قوله تعالى: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[سورة فصلت : آية ٣٠] الآية ، فما بشائرهم بالجَنَّاتِ ونعيمها إنما بشائرهم بالنظرات الرحمانية ، والشفاعة لهم والرضى لهم من مولاهم الكريم سبحانه وتعالى ، فَيَحِقُّ لهم النَّظَرُ و الزيادةُ بنص القران ، فلا أظهرنا الزيادة لئلا يسمعها ضعيف اليقين ، وجمعوا العلمَ والمعلومَ ، وأظهرنا ماتسعه الصدور ، وينطق به لسان الحال فيعجز اللبيب الثابت عن علم ذاته ، وأظهرنا لهم من الصفات ما يليق بأحوالهم ، وأَنْطَقْنَا اللِّسَانَ بالفهمِ لهم به ، والذوقُ واللُّبُ على مَثَابَةِ القِشْرِ ففيه لبُّ اللُّبُّ ، كما أن العلمَ يقتضي معرفة الصفات ، ولا ينفك عنه خارج ولا يدخل فيه داخل إلا بأمر الآمر والناهي .

---

(١) في الأصل : الحديث النبوي .

(٢) لعله : الشاربون .

﴿ فصل ﴾

(٧٦)

فكن متحققاً بعبوديتِكَ وضعفِكَ وفقرِك وافتقارك وعجزك ، ثم قال : (العجز عن أدراك ذاك أدراك) وقوله تعالىٰ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشورىٰ : آية ١١] الآية ، فأسقطنا الإضافات الغَيْرِيَّة ، وما بقي إلا قوله تعالىٰ: ﴿ فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ ﴾ [سورة يونس : آية ٣٢] الآية ، ولا [تَفَرُّدَ][1] للوجودِ حقيقةً ولا تحقيقاً ، قال في العقائد : (ليس بعرض ولا جوهر) ، أي : الوجودُ من حيثُ هو أَنَّ الموجودات كُلَّهَا مضافةٌ إلىٰ الحقيقةِ الذاتية ، ولا معارض ولا منازع ، وكل يقتضي عقله . وليس هنا نقل ولا سطور تحتوي ذلك العلم ، فلا تسعه السطور ؛ بل تسعه الصدور المشروحة بحقيقة ذاته ، وقوم قد ذهبوا إلىٰ الوجودِ ، فليس للوجودِ وجودٌ مع الحق ولا عين ، فَفِرَّ مِمَّن فيه شيء من ذلك ، لكن نحن نقول ما حام حول ما عرفناه وأبديناه حائم ، وفي هؤلاء المذكورين الغافلين قوله تعالىٰ : ﴿ أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ .... ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٧٩] الآية ، وقوله تعالىٰ في العارفين: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [سورة التين : آية ٤] ، وفي الغافلين: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ [سورة التين : آية ٥] ، وقوله: ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ [سورة النبأ : آية ٤٠] ، هذا يكفي لأهل الاستبصار . إفْهَمْ مِنَّا ومن نُوالِيه نصيرُ مِنْهُ ، ومَنْ نَوَّرَ اللهُ عينَ بصيرتهِ صَحَّ له النظر الذاتي الأحدي الحقيقي ، وأَمْعَنَ النظرَ فيه فلا يعجزه عين إذا ظهرت في غيره ـ أهل الغفلة ـ وقوعُ الشُّبَهِ الوهْمِيَّةِ والمعارضات الباطلة ، والله المستعان وعليه التكلان . إشارتنا إلىٰ إدراك بعض المراتب الكلية ، واتباع آثار الصالحين واصطلاحاتهم في سلوكهم ، وتجردُهم علىٰ طريقة القوم أهل المراتب بشروطها ، لا يكونُ معها غَيْرٌ ولا تَلُمُّ بها الخواطر ، مرتبتهم الأحديه به الْمُسْتَهلِكةِ لجميعِ الأَسماء والصفات ،

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ج) وفي الأصل : يفرد ، وفي (ب) : والإنفراد ، وفي (ج) : تفرد .

وهذه المرتبةُ تُسَمَّىٰ : جمعُ الجمع وحقيقة الحقائق ، فلا يَشُطُّ عنها ما عليه من الحقائق اللاَّزِمة ، قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [سورة يوسف : آية ١٠٨] الآية ، وقوله تعالىٰ: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾ [سورة الأحقاف : آية ٣١] الآية ، فهي المرتبة الإلهية المُسَمَّاة بالواحِدِيَّة ، و مقام الجمع هو المُسَمَّىٰ بالهَوِيَّة السَّارِية في جميع الموجودات ، بشرط تجليات الأشياء فقط هي(١) مرتبة الاسم الرحيم ، وهي اللوح المحفوظ والكتاب المبين فصارت في اسم الماحي والمثبت النفس المتقطعة في الجسم الكلي المسماة بلوح المحو والإثبات ، وَأَمَّا اصطلاح أهلُ التصوف بالروح ، واصطلاحاً الحكماء بالعقل ، الأول روح القدس ، وهي شاهدة إِيَّاهَا ذاتها بِذَاتِها ، ولا صفات فيها إلاَّ الاسم الظاهر المطلق والآخر رب عالم الملك . ومرتبةُ الإنسان الكامل عبارة عن جميع المراتب الإلهية ، ولا ثَمَّ فرقٌ بينهما إلا بالرُّبُوبِيَّةِ والمَرْبَوبيَّة ؛ لذلك صار العبد خليفةَ الله ، وإذا عَلِمتَ الفرقَ بين المراتبِ الإلهيةِ ، والرُّبُوبِيَّةِ ، والكَوْنِيَّة ؛ حصلَ بعضُ التحقق . فافهم تنبيهنا(٢) أن كُلَّ كمالٍ يلحقُ الأشياءَ بواسطةِ الوجودِ للمَوْجُودِ بِذَاتِهِ . فهو الحيُّ القيوم العليم القادر بذاته لا بالصفة ؛ وإذا علمت معنىٰ هذا ، عَلِمْتَ ما قيل أَنَّ : صِفَاتَهُ عينُ ذَاتِهِ . والحقيقةُ لا ئحةٌ وشارقةٌ واضحةٌ قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج : آية ٤٦] الآية ، وهي في الداخل والخارج واحدٌ لا فرق ، قوله تعالىٰ: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٥٣] الآية ، وقال: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٦٣] الآية ، والإخلاصُ الحَقِيقِيُّ الذاتيُّ [نَفْيُ](٣) الصفاتِ بتَمَيُّزِ العلمِ والقدرة ، وتَمْيِيزِ الحقائِقِ الإلهية بعضَها من بعض ؛ كالحياة والعلم والقدرة ، وغير ذلك من الصفات يُطلقُ علىٰ الذات.

---

(١) لعله : وهي .

(٢) في (ب) : تبينهما .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل : نَفَى .

﴿ فصل ﴾

(٧٧)

ومن لاح له حقيقة ما ذكرنا ؛ خَلُصَ من الوهْمِ والشُّكوكِ ، والله سبحانه الهادي . وقوله : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] تجليات في مراتب[1] الإلهية ، ونفي العدم والمعدوم والعلوم والرسوم ، ودخل فيها : الرحمةُ والغضبُ والرِّضى ، ويجتمع بنعوت الجمالية والجلالية ، وَكُلُّ لُطْفٍ يَفُوحُ من الجمالِ والجلال مُحْرِق فلا نُعَبِّره ؛ بل نأخذ منه ما يليقُ ويُنْتَفَعُ به ، قال أمير المؤمنين علىٰ بن أبي طالب كرم الله وجهه : (سُبحان مَنْ اتسعتْ رحمتُهُ لأَوْلِيائِهِ في شِدَّةِ نقمتِهِ لأَعدائه) ، وشدة نقمته في سعة رحمته ، ومن هنا مَنْ سَمِعَ ما أقولُهُ عُلمَ سِرَّ قولِهِ عليه السلام : (حُفَّت الجنةُ بالمكارِهِ وحُفَّت النارُ بالشهوات) ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ *فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[سورة النازعات : آية ٤٠-٤١] الآية ، الكلام الذاتي مَرجِعُهُ ومنتهاهُ إلىٰ مقامِ جمع الجمع ، عيان لا وراء حجاب ، وفَنُّهُ التقوىٰ ظَاهِراً وباطناً علىٰ طريق التحقيق والشهود . قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[سورة يس : آية ٨٢] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[سورة الإسراء : آية ١١٠] ، الداخلة[2] تحت حكمها وينطق به ، ﴿ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة الحديد : آية ٣] وأكثرها تجمع العبارتين ولا تشير[3] إلىٰ التعبير قوله تعالىٰ : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾[سورة الجن : آية ٢٦] الآية ، وإليه أشار الخاتمُ النبيُّ ﷺ في دعائه بقوله: (اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سَمَّيتَ به نَفْسَكَ أو أنْزلتَهُ في كتابِكَ أو علمته أحداً من خَلْقِكَ أو استَأثَرتَ به في علم الغيب عندك) وكلها داخلة تحت الاسم الأعظم ، قوله تعالىٰ:

---

(١) لعلها : المراتب الإلهية ، أو لعلها : في مراتب الأُلوهية .

(٢) وَمَنْ سُمِعَتْ له مَعْرِفَةُ دخول الأسماء الحسنى .

(٣) في (ب) : ولا نُشير .

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾[سورة الأنعام : آية ٧٣] الآية ، وكلها داخلة تحت أمهات الأسماء . وأما الأسماء الخارجة عن الخلق بالنِّسَبِ فلا يعلمُهَا إلا هُوَ ؛ لأنها لا تعلق لها بالأكوان ، وكُلُّ الأسماء داخلةٌ تحت الاسم الأعظم ، يعني : الاسم الأحد ، والظاهر بوجهٍ ثاني من الأسماء الحسنىٰ ، وهي أمهات الأسماء [الحسنىٰ](١) بشمولِها ودخولِها في بعضِها بعض ، وكل اسمين متقابلين ؛ وبينها(٢) برزخٌ وَاسعٌ وبحرٌ عميق ، ويتولد منها العلمُ العَينيُّ في الوجود ، اللهُ أعلم حيث يجعل رسالاته . ولا ينقطع أحكامها وإمدادها مَا لا ينقطع حُكْمُهُ أَبَدَ الآباد ؛ وإن كان ينقطعُ الحكمُ أزل الأزل ، ولا فيها بداية ولا نهاية ؛ بل هي في سَابقةِ علمِ الحَقِّ في أَزَلِهَا في عينِ وُجُودِها كاملة ، وكَمَالُه يكمل بها(٣) المقرب إليها علىٰ خلودها وخلود أحكامها وحكمتها ، وعباراتها بحسب [الظهور أن](٤) ابتدأ ظهورها وأشرقت شمسها ، وغربت في سرها الخفي ، وما ثم لها غروب إلا ليكون لنتائجها في الغيب المطلق علىٰ النشأة الدنيوية ، وكذلك التجليات والأقسام والعلوم نتائجها ويكون يختص ببعض الأسماء دون بعض . فأمعن النظر في هذا المطلوب تظهرُ لك أسرارٌ كثيرة ، وعُلومٌ لَدُنِّيَّةٌ وأخبارٌ سارة ، وتحقق وافهم أن عِلمَه تعالىٰ بذاتِهِ هُوَ عينُ ذَاتِهِ ، ولا هنا شيء من الممكنات إلا إذا قابلك العقل فخذ ما يفتح لك من نوره ، عسىٰ تصل وتلحق بأهله وامتد من أهله .

❊ ❊ ❊

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) .
(٢) لعله : وبينهما .
(٣) لعله : به .
(٤) ما بين المعقوفتين في (ج) وفي الأصل و (ب) : الظهوران .

﴿ فصل ﴾

(٧٨)

وحقيقة العلم واحدة ، لكونِ طَالبِ افراد المعرفة بالله سبحانه وتعالىٰ هُنَا ؛ تَفْنَىٰ نَفْسُهُ الأمارةُ بالسوء ، وتبقىٰ المطمئنة . ولا هُنَا عبارة ، لأن التعبير ما يُعَبِّر إلا عن علم ودليل ، وَهُوَ متقدمٌ بالذات علىٰ جميع الموجوداتِ ؛ فَلَزِمَ احتياجُ الطلب إلىٰ ذلك ؛ لشرفِ صفاتِهِ ، ويكون العارفُ الكامل عينَ عِلمه علىٰ الحقيقة . قوله تعالىٰ: ﴿ عُلُوًّا كَبِيرًا.... ﴾ [سورة الإسراء : آية ٤] الآية ، نعم لو فَهِمَ الفَاهِمُ قَدْرَ ذلك وتَحَقَّقَهُ فنيت حَواسُّهُ ونارت بصيرته قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [سورة هود : آية ٨٨] الآية ، ولا يعلمُ حقيقةَ العلم وكيفية تعلقه بالمعلومات إلا الله سبحانه وتعالىٰ ، والتمييزُ بين عدم الفرق وبين الظِّلِ وبين من هو ظِله ؛ لأن علومَ الأكوان كلها مثل وجودهم ، ولا يعلم الحقائق إلا هو ، والله أعلم بالحقائق ، والعلمُ بها منها ومُتَعلقٌ بها ؛ ويخبر بما أَبدَوه من علمها بما يمكن ويليق لئلا يَزِلَّ فيه الغيرُ ، والعلم الذاتي بطلب مفاتيح الغيب لا يعلمه إلا هو ، والفيض الإلهي يعود إلىٰ الفيض الأقدس ، والممكنات والممتنعات من ذلك الفن فيهن لزوم الباب الأوحد ، وأما الأسماء الخارجة عن الخلق لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالىٰ ، وهنا لا تعلق لها بالأكوان ، والإطلاع بمثال هذه المعاني هو من مشكاة النبوة قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٧] الآية ، فوجب الإيمان بها وهي الحضرة المحمدية والوارثة النبوية ولا لها استعداد إلاَّ امتثال وأدب قوله تعالىٰ : ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات : آية ٩٦] فسبحان الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، قوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ

مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [سورة الكهف : آية ١٠٩] الآية . مجمعُ أعيان الحقائق كلها وكمالاتها مظهرُ الرحمن ومستواه ، والكرسي مظهرُ الرحيم ، وكلها محتاجة إلىٰ الفيض من الحضرة الإلهية الجامعة للأعيان وهو فيض مطلق إلىٰ حضرة الجمع والله أعلم.

❊ ❊ ❊

﴿ فصل ﴾

(٧٩)

ومن ظهرت عليه شمسُ حقيقة الذات المعنوي ، فيصير في الذات الأحدي ، لا تأخذه الصفات ، والعاقل عند النظر الفكري إذا رأىٰ شخصاً بشرياً كعيسىٰ عليه السلام يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَيُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَص ، فهو قوله : روح الله ، أي : به ظهرت روحُ الحياة فيمن نَفَخَ فيه ؛ فَتَارَةً يكون الحقُ فيه مُتَوَهَّمًا وتارة يكون الْمَلَكُ فيه ؛ لكون مظهر البشرية الحِسِّيَّة الإنسانية يكون كل ناظر يغلب علىٰ ظنه الذي غلب ، فهو كلمة الله وهو روح الله وهو عبد الله ، فنسب الروح في كونه وعينه إليه ، والحَقُّ وَصَفَ نَفْسَهُ بالنَّفْسِ الرَّحْمَانِي ، ولا بد لكل موصوف بصفته وسع ما يلزمه من تلك الصفة قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [سورة ص : آية ٧٥] علىٰ مَا أُمِرْتُ بِهِ ؛ فزلت به[1] ، نسأَلُ اللهَ العافيةَ من الكِبرِ والرِّئَاسة . فكان أعلىٰ القُرَبِ إلىٰ[2] تعالىٰ التَّواضُعُ والخُمولُ ، فهو أعلىٰ الدرجات عند الأكابر من أهل هذا الشأن العظيم والمعرفة به . وأخبر ﷺ عن ربه فقال : (كنتُ لسانه الذي يتكلم بها ....) ومن هنا ظهر الفَضْلُ العظيم ؛ حيثُ يَنْسِبُ الكلامَ إلىٰ عبده وخَصُّهُ به لأنه علىٰ لسانه قال تعالىٰ: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي

---

(١) لعله : فَزَلَّتْ به قدَمُه .

(٢) لعله : إليه تعالى .

نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٦] المتكلمُ الحقُّ ، ﴿ وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ فنفىٰ العلمَ عن هَوِيَّة عيسىٰ من حيث هويته ، فَأَجَابَ بقوله : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٧] وَإِنَّكَ المتكلمُ علىٰ لساني فانْظُرْ ـ عافاك الله من كل غَيرٍ وَسِوىٰ ـ هذهِ النشأةَ الروحيةَ ما ألطفها وأدقها . وجاء الاسم الجامعُ لكل دين وملة وشريعة جامعة ومثبته لكل علم في الشرائع الماضية الجميع قوله تعالىٰ : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[سورة الأنعام : آية ٣٨] وقوله: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٨] ، وهذا الاسمُ إذا أعطاهُ الله عبدَه اِضْمَحَلَّ في ربه ، وإذا رأيت الأجسامَ فاعْدِل إلىٰ رؤيةِ المعاني ؛ إنَّمَا هي رُبُوبِيَّةٌ تَوَلَّتْ عُبُودِيَّة ، وما ظَهرَ هنا إلا الحَقُّ في عَبدِه ؛ فلا يزال فَانِياً فيه ولا له وجود مِنْ وُجُودِه البَتَّة ، وهُنَا يَقولُ سَيدُ الأنبياءِ والأولياء محمدٌ ﷺ : (لِي وقتٌ لا يسعني فيه غير ربي) وقوله : (لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ إِنَّمَا أَبيتُ عند ربي يطعمني ويسقيني) وهو شراب الرحمة الشاملة في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] فجميع العوالم مُفْتقرةٌ إليه وموجودة بوجوده ، وقوله لهم : (إذا أحب الحَقُّ عبداً أَخرَّ إِجَابة دعائه) فَيُحِبُّ تِكْرَار الطَّلَبِ منه لمحبته إليه ، فسبحان من أعطىٰ بلا مِنَّةٍ قوله تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِّ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللهُّ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[سورة الحديد : آية ٢١] وقوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٥٦] والعَرْشُ وما حوىٰ كله ملكه مما وجد[1] ، ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ وَكُرْسِيُّهُ وَسِعَ كُلَّ شيء ، والنَّارُ ومَنْ فِيها مِنَ الأشياء ، والرَّحمةُ سَارِيَةٌ في كُلِّ موجودٍ ، ومحركهم[2] الحَقُّ والنَّاطِقُ فيهم وعنهم ، فَهُمْ تحت التَّصْرِيف بما جرىٰ عليهم من الأحكام ، قوله تعالىٰ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٨] ، والقول

(١) لعله : كله في ملكه ومما أوجد .

(٢) في (ج) : ومحركها .

في : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ ﴾ هم في عين الحِجَاب ، [الذي](١) هم فيه عن الحق(٢) فذكرهم اللهُ سبحانه وتعالىٰ قبل حُضُورِهم ، فَأَفْرَدَ الخِطَابَ للتوحيد ، لأنهم لا تصرف لهم في أَنْفُسِهم في طاعاتهم ومعاصيهم وإقبالهم وإدبارهم ، فهم تحت الحُكْمِ الرَّبَّانِي علىٰ ما هُمْ عليه عند سيدهم ، ولا شريك له فيهم من هنا قال : ﴿ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ فأفرد المراد بالرحمة والعذاب ؛ لِكَوْنِهم عَبِيدٌ تَحتَ الحُكْم الرَّبَّانِي . وهذا الاسم إذا أعطاه الله لمن أعطاه من عباده يُسَمَّىٰ بالمعز والمعطي ؛ ليكون(٣) عبد مخلص في حمىٰ مولاه الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠١] الآية ، وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء ﴾[سورة آل عمران : آية ٢٦] الآية ، وكان ﷺ يُرَدِّدُ هذه الآيةَ المذكورة وهي : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٨] علىٰ عِلْمٍ عظيم عنده من الله . وَفَّقَ اللهُ كُلَّ مُقْبِلٍ إقبالاً وتوجهاً وإخلاصاً إلىٰ ما أَمَرْنَا به ، فلا يستبطئ الْمُتَوَجِّهُ الصَّادقُ ما يتَضَمَّنُه قولُنا له للوقت الذي نريد لا للوقت الذي يُرِيدُ ، وقد نَطَقَ اللهُ في القرآن العظيم بقوله: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[سورة غافر : آية ٦٠] ، وقوله : ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[سورة الأعراف : آية ١٨٠] وهذه استجابة بنص القران العظيم ، وما تأخرت الإجابة إلا ليكون العبدُ مستقيماً مع تصحيح العبودية والإفتقار ليستوجب التوفيق ، والصفات بالحكيم العليم مرتبة ، والعِلمُ بالتوحيدِ الإلهي مُنْزِلُ الرحمةَ والفرحَ والسُّرور والسُّولَ والمسؤل فيه .

* * *

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : الذين .

(٢) لعل العبارة : هم في عين الحجاب الذي هم فيه عن الحق محجوبين وفيه معذبين .

(٣) لعله : لكونه عبدٌ مخلص .

﴿ فصل ﴾

(٨٠)

والحقيقة الإلهية المعنوية فيها التَّنْزِيهُ ونَفْيُ سواها ، وأنه لا يشهد منها بمشهد لأنها لا تنحصر ، والمُشَاهِدُ ما يشهد إلا بها [شهدت][1] به نَفْسُه من فيض جمالها أو فيض الجلال ونص القران : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] الآية ، بتمامها وهي الجامعةُ للنفي والإثبات في حقه ، وقوله تعالىٰ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[سورة الشورىٰ : آية ١١] ، وقوله لنبيه : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[سورة طه : آية ١١٤] ، فَامْتَثَلَ أمرَ رَبِّه وكذلك لَمَّا أُسْرِيَ به أَتَاهُ المَلَكُ بإناءٍ فيه لبن وإناء فيه خمر فأخذ اللَّبَن ، فقال له الملك : أَصَبْتَ الفِطرةَ وأصابتها بِكَ أُمَّتُكَ . واللَّبنُ صورة العلم ، وكان ﷺ لَمحبتِهِ لَهُ إذا قُدِّمَ إليه قال : (اللهم بارك لنا فيه وزِدْنا منه) لأنه كان يَراهُ صورةَ العلم ، فإذا قُدِّمَ إليه غَيرُ ذَلك أي : اللبن ، قال : (اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيراً منه) والعطاء بسؤال عن أَمْرٍ إلهي يكون له في الدنيا ؛ وليس عليه حساب في الدار الآخرة قوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[سورة الأحزاب : آية ٢١] ، وأَيُّ مِنَّة وعطية لهم به ؟! ، وأَيُّ أَسْوَةٍ أعظم من هذا لمن فهم وعلم وعقل ؟! . ولو نَبَّهْنَاكَ عليه تكون من الراسخين علىٰ القَدمِ قوله تعالىٰ: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[سورة المائدة : آية ٥٤] ،وقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾[سورة طه : آية ٣٩] ، وقوله: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[سورة سبأ : آية ١٣] ، وَمَن هُو هكذا هو تحت لواء الحمد ، وهي جامعة لكل نعمة ظاهرة وباطنة . قام رسول الله ﷺ حتىٰ تَوَرَّمَتْ قدماه شكراً لما غفر الله ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِه وما

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : شهدته .

تَأَخَّر ، فقيل له في ذلك وَجَوَّبَ[1] فقال : (أفلا أكُونُ عبداً شكوراً) ، وقال في نوح أَنَّهُ : كان عبداً شكوراً ؛ فالشكور من عبادِ الله قليلٌ ، ولله الحمد والشكر حمداً كثيراً دائماً على دوام الله.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٨١)

تنبيهٌ في اسمه : أحمد ، في قوله : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[سورة الصف : آية ٦] ، فهذه من حكمةِ الله لِقَومِ عيسى وغيرِهِمْ من سائر الأُمَمْ ، على طريق الأحدي الذاتي ، ولذلك أَخَذَ الخليفةُ عن الله عَينَ ما أَخَذَ مِنه الرَّسُولُ فيقول بلسان الكشف وبلسان الظاهر خليفة رسول الله ﷺ . وَمَا وَصَّى بِالخِلافَةِ لأَحَدٍ من الصحابة رضي الله عنهم الجميع ، ولا عَيَّنَه لِعِلْمِهِ أَنَّ في أُمَّتِهِ مَن يأخذ الخلافةَ عن ربه ، فيكونُ خليفةً عن الله ؛ مع الموافقة للحكم المشروع[2] ، فَلَمَّا عَلِمَ ذلك ﷺ ؛ فلم يُحَجِّر الأَمْرَ ، فلله خُلَفَاءُ في خَلْقِهِ لكن يأخذون من مَعْدِنِهِ ﷺ ، فهو منبع كُلِّ فضيلة ، وَرَأْسُ كُلِّ شريعة من شرائع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ، وطريقتهم العدل والإنصاف ، وليس هنا وَهْمٌ ، فالنافذ الحُكمَ بالمشيئة القاهرةِ ، سُلْطَانُها عَظِيمٌ قاهر ، فإن كل[3] في حُكْمِها ، أعني : الحقيقةَ المحمديةَ قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء ﴾[سورة القصص : آية ٥٦] ، لأنه ماخرج منها خارج ولا دخل فيها داخل فافهم.

* * *

---

(١) لعله : فأجاب قائلاً .

(٢) لعله : الشرعي .

(٣) لعله : الكل .

﴿ فصل ﴾

(٨٢)

ومن هنا الرَّحمةُ وَسِعَتْ كُلَّ شيء وسَبقت الغَضَبَ الإلهي ، وكُلُّ سَابقٍ متقدمٍ أو متأخرٍ نَالَتْهُ الرحمةُ ، والفيضُ المطلقُ هو يَصِلُ من الحضرةِ إلى الأعيانِ الخارجة ، وكُلُّ عَيْنٍ ناظرة إلى جِهَةِ الربوبية ، الذي له معنى من الحق بلا واسطة ؛ لأنه مفاتيح الغيب والشهادة ، وهُنَا يَصِلُ إلى حضرة الجَمْعِ من غير انقطاع ولا استعداد ، فلا يَتَوَهَّمُ مُتَوَهِّمٌ أن الأعيانَ لها جِهَةٌ ، فَمَنْ وُفِّقَ لحضرةِ الجمعِ شَهِدَ بها كل حاضر فيها عين[1] ، والغائب عنها يؤمن بها بأنه من أهل حضرتها المقدسة من غير انقطاع ولا انفصال عنها ، ولو كانت فائضة من المدد الإلهي الرَّباني الفائض مطلقاً على كل من انقطع إليها قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾[سورة الأحقاف : آية ٣١] ، فَمَنْ دَعَتْهُ بَاطناً ومعنىً وَصَلَهَا ، ومن دَعَتْهُ جسماً وصل إليها بما أمرت به من السلوك إليها ؛ على طريقة الواصلين إليها قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[سورة الرعد : آية ٧] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾[سورة الأعراف : آية ٤٣] ، فَنَتَائِجُها تُفْهَمُ بالإقتفاءِ للآثار والسُّنَنِ والواجبات من أوامرها ، وكذلك الطَّرِيقَةُ الصحيحَةُ الجَامِعَةُ للْعِلْمَينِ الصراط المستقيم قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[سورة الحديد : آية ٤] الآية ، مجرد الأمر لمن أراد يستخبره من غَيرِ هِمَّةٍ ولا جَمْعِيَّةٍ، والعطاء الوهبي من الفيض الإلهي في الدنيا لا يُنْقِصُ العبدَ من مُلكِ آخرته ، أَيَّدنا اللهُ وإِيَّاكَ بروح منه ، إن مثل العطايا الوهبية إذا حَصَّلَت للعبد في الدنيا فما ينقص ذلك من ملكه في الآخرة ، وظهورها في هذه الدار لِمَعْنَىً وهدايةً للغير ، ولا هنا جُرْمٌ البَتَّة من طلب قضاء حاجته في الدنيا فلا تُقْضَى إلاَّ من إمداد الفيض ؛ لكن لا يكون إلاَّ للكامل المكمل ، ليَصِلَ به المُنْقَطعُ المستغرقُ في الكون ، قوله تعالى :

---

(١) لعله : شهد بها كلاً حاضراً فيها عيناً .

﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا ﴾ لك لا لغيرك ﴿ فَامْنُنْ ﴾ أي : إعطِ ﴿ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[سورة ص : آية ٣٩] والطلب إذا وقع عن أمرٍ إلهي ؛ كان الطالبُ له إن قضيت حاجته فيما طلب أو توقفت الحاجة فهو راضي منه بما بَدَىٰ منه له كما قال لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ فهو ﷺ خاتم المرسلين وقائد الغُرِّ المحجلين عليه وعليهم الصلاة والتسليم أجمعين قوله تعالىٰ ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة يس : آية ١-٢-٣-٤] وقوله : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[سورة الأحزاب : آية ٤٠] فهو ﷺ جامع الكمالات اللازمة ما أصعب العلم بحقايقها .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٨٣)

وأهل النظر إلىٰ الحضرة العلمية يرونها صورة فائضة من الذات وتَجَلِّي بلا واسطة ، فهي مِنْ أَجَلِّ النِّعَمْ وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[سورة الزخرف : آية ٥٩] ، ولا يكون إلا من فيضها الأقدس ، وما لا يوجد في العلم لا يكون له وجود في العين ، هي أمور ربانية تكون ظاهرةً في ذَاتِها ومُحْتَجِبَةً بِصِفَاتِها ؛ لكنها لازمة ومتوجهة بالعلم لوصول معرفة ذات الحق ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[سورة فصلت : آية ٣١-٣٢] ، فسبحان الذي لا يَعْزبُ عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم قوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[سورة الكهف : آية ١٠٩] ، وكلماته هي عين الحقائق الذاتية علم لدني ؛ كَمَا أَنَّ الشخصَ الإنساني تارةً يكونُ مظهرَ الرحمةِ ، وتارةً مظهرَ النِّقْمةِ ، بظهور الصفتين فيه ، وهنا يكون

مظهر الرحمن ومستواه ، والكرسي مظهر الرحيم ، وكل وصف ونعت من مظاهرها والله الموفق وهو يهدي إلى سواء السبيل.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٨٤)

وإن كان صحبوا الخاص منهم الذي يُدْرِكُ المعنىٰ من الحق بلا واسطة الأعيان ، من حيث أنه روح وَعَيان ، وهو الروح الحقيقي فَإِنَّهُ صِدْقٌ مُتَوجِّهٌ إلىٰ الرُّبُوبيَّة ، وصورة تلك الحقيقة في علم الحق تكون باعتبار الحقيقة ، والتَّعَيُنَات الوجودية عينُ الوجودِ المطلقِ عِلمُ هذا الكاملِ ، فغاية عِرْفانِهم له هو إِقْرَارُهُمْ بالعجز والتقصير عن منازل تلك الحضرة وعِلْمُهُمْ برجوع الكل إليه ، وهو العليم الخبير ، فإن عَلِمتَ قَدْرَ ما سَمِعْتَ من عِلْمِنَا وامْتَثَلْتَ[1] فقد أُوتِيتَ الحِكْمَةَ ؛ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً ، وتَتِمُّ لَكَ النِّعمةَ وتَدْخُلُ ميدانَ الفكرةِ . فَتَلَقَّ ما قلنا لك بالقَبُولِ إلىٰ فنائك عَنْكَ ، فمن رَأَىٰ الحقَّ مِنْهُ فِيهِ عَينُ نَفْسِهِ فذلك العارفُ ، ومَنْ لَمْ يَرَ الحَقَّ مِنْهُ ولا فيه وَبَقِيَ مُنْتَظِراً أن يَرَاهُ بغير نَفْسِهِ فذلك هو الغَلطُ والجَهْلُ . ولا بُدَّ لكل شخصٍ من عقيدة في ربه يرجع بها إليه ويطلبه فيها ، فإذا تَجَلَّىٰ الحقُّ له فيها عَرَفَهُ وأَقَرَّ به ، وإن تَجَلَّىٰ له في غيرها أَنْكَرَهُ وَتَعَوَّذَ منه ، فيكون مما[2] أساءَ أَدَبَهُ في نَفْسِ الأمر ، والعارف لا تشغله العَوارض عن العُكُوفِ علىٰ لزوم الأدب في استقبالها ؛ هنا صحت الصلاة في الاستقبال شَطرَ المسجدِ الحرام ، فالزم الأدب وامتثل الأمر في الصلاة وكلها لصحة التوجه إلىٰ الحضرة قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[سورة النحل :

(١) في (ب) : وامتثلت من علمنا هذا .

(٢) لعله : مِمَّنْ .

آية ٤٠] ، وهذهِ قِبْلَةُ الذَّاتِ وهي نِسْبَةُ التَّوَجُّهِ قِبَلَ حَقِيقتِها ، وليس للحقيقة الأحدية نسب[١] في التكوين ، فلله الحجة البالغة ، فَمَنْ فَهِم هذه الحكمةَ وقَدَّرَهَا في نَفْسِهِ ، وجعلها مَشْهُودةٌ لَهُ ؛ أراح نَفْسَهُ من التَّعَلُّقِ بغيره ، وصَاحِبُ مقامِ الشهودِ والعلمِ لا يرىٰ ما يأتي إليه خيراً أو شراً إلا منه.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٨٥)

ومَنْ رُزِقَ التَّوَجُّه التام إلىٰ الحق سبحانه وتعالىٰ وقابل[٢] بعبوديته بالصدق والإخلاص والفناء عن نفسه وحِسِّه ، وكان يُعَاوِدُ الطاعات وحُسْنَ سيرة الأكابر العارفين ، ويقوم بإخلاص صدق قلبه وقالبه ،والمجاهدةُ مِنْهُ هي عَيْنُ وُصْلَتِهِ ، وَتَنَوُّرُ النَّفسِ بِخَرْقِ العَالَمِ الحِسِّي ، وَنَفْيِ الظُّلَمْ [و][٣] الشكوكِ المُوجِبَةِ لعدمِ الشُّهودِ ، وتكون روحة مجردة لا تعارضها الغفلات ، فَيَفِضُ عليها من المعاني السَّارةِ البارة ؛ فيحصلُ الشُّهودُ التَّامُ ، وتكون الطاعات البدنية والخيرات والاعتدال علىٰ استقامة القِسْطَاسِ المستقيم ؛ فتقابِلُهُ القوة في مواجهةِ الخَيالات ، فيكون ذوق وشهود بحسب المكاشفة ، ويكون له ميزان يُفَرِّقُ به بين الصَّوابِ والخطاء ، وهو بما توجه إليك[٤] من الذوق والشوق وحُسن الخُلق والطاعة ، ويعود إلىٰ ما نطق به القرآن والحديث النبوي كل منهما من الكشف التام المحمدي ﷺ . لأَنَّ مَنْ فَهِمَ هذا العلمَ اللَّدني صار من أرباب الشهود العيني الأحدي ، ولا يزال في ابتداء لا نهاية له ؛ لأن المرادَ هو الحق وهو لا ينتهي ، قوله تعالىٰ : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة

(١) لعله : نسبة .
(٢) لعله : وقابله .
(٣) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .
(٤) لعله : إليه .

الأنعام : آية ٢٩] ، وقوله : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[سورة الأنعام : آية ٣٨] ، ومن هو مسْتَغْرِقٌ في عبوديتها نالَ ما يَسَعُهُ من مشهدها ، وكان جبريل عليه السلام يَتَصَوَّرُ بصورةِ دِحْيَةَ الكلبي ، وبصورةٍ أُخرىٰ الذي في حديث عمر ﷺ وهو حديثُ السُّؤَالِ عن الإسلامِ والإيمان والإِحسان ، وكذلك الملائكة السماوية والعنصرية ، والجن أيضاً كذلك وإِنْ كَانَ لهم أَجْسَامٌ نَارِيَّةٌ قوله تعالىٰ : ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[سورة الرحمن : آية ١٥] ، والنفوسُ الإنسانية قد تكون مطمئنة ، وتكون مستفيدة تأخذ من العلم النافع اللدني ما يُقَوِّي اليقينَ والإخلاصَ ، ويكون العارف يُنْبِي عن الخَواطِرِ قبل وقوعها في القلب والله أعلم.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٨٦)

وإذا حَصَلَ الكَشْفُ ، وهو لغة عِنْدَهُمْ : رَفعُ الحجابِ ، فإذا رَفَعَتْ الحَقِيقةُ نِقَابَهَا ظَهَرَ نورُ وَجْهِهَا وصورته[1] ، والأمور الحقيقة وجوداً وشهوداً وهو معنوي وكان ﷺ يسمعُ الوَحْيَ النَّازلَ عليه كلاماً منظوماً مثل صَلْصَلَةِ الجَرَسِ وَدَوِيِّ النَّحْلِ [كما في][2] صحيح الحديث النبوي ، فلا يأتيه إلا وقْتُ اشتياقِهِ وخفوقِ جَنَاحِ الوحي يكون لهُ علىٰ مُرَادِهِ ، ولطفه لكماله ومحبته من الحق واستحقاق النعمة وتُنْسمُ النفحات الإلهية ، وتُنْشَقُ نفحاتُ الربوبية ، قال عليه الصلاة والسلام : (إنَّ لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها) ، وقال عليه السلام : (إني لأجد نفس الرحمن من

---

(١) لعلّه : وصورتها .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

قِبَل اليمن) ، لا على سبيل الملامسة ، أعني : الصِّلَة الربانية ، وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[سورة الأنعام : آية ٧٥] . والمراتِبُ في طريقِ السَّماع : سَمَاعُ كلام الله تعالى من غير واسطة ؛ كاستماع نبينا محمد ﷺ في معارجه ، وفي الأوقات التي أَشَارَ إليها في قوله: (لي مع ربي وقت لا يسعني فيه مَلَكٌ ومقرب ولا نَبِيٌّ مرسل) ، وكسماع موسى عليه السلام كلامه ؛ ثم سَمْعُ كلامِهِ بواسطة جبريل عليه السلام كسماع القران العظيم ، سماع العقل وغيره من العقول من العقل الأول ، وجبريلُ عليه السلام خَلَقَهُ الحَقُّ سبحانه مِنْ نُورِ عَقْلِ محمدٍ ﷺ وهو الخاتَمُ للنبوةِ والأنبياء ـ عليهم السلام ـ والقلبُ الإنسانيّ المنورُ بذاته وعقله قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[سورة الحج : آية ٤٦] الآية ، فينبعث بالشهود في مرتبة القلب ، ويعطي المعرفة وجوداً وعقلاً ، وهذا القلبُ الْمُنَوَّرُ يأخذُ بذاته من الله العليمِ العلومَ الغيبيةَ من غير وَاسطةٍ على قدر استعداده ، وهو أَقْرَبُ الاعتدال التام كأرواح الأنبياء و الكُمَّل من الأولياء صلوات الله عليهم أجمعين . ولا يحتمل المقام أكثر مما ذكرناه يكون للمتصرفين في الوجود بخاصية الاسم الحاكم عليهم ، فافهم قوله تعالى نطقَ[1] به القران العظيم : ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[سورة الأعراف : آية ١١٧] ، حيث يعطي هذا الكشف في العلم واليقين.

* * *

(١) لعله : الذي نطق به تعالى .

﴿ فصل ﴾

(٨٧)

واعلم أن مجموع الحقائِقِ في العَوالِمِ كُلِّها مظاهرٌ للحقيقةِ الإنسانية ؛ التي هي مظهر لاسم الله سبحانه ، فأرواحها أيضاً جزئيات الروح الأعظم الإنساني ، سَوَاءٌ كانَ رُوحاً مَلَكِيًّا أو غيره ؛ ولذلك سُمِّيَ العقلُ بالعَالَمِ الكبير عند أهل الطريقة على فنونها وشروطها ولوازمها لعلم مظهر الحقيقة الإنسانية استحقت الخلافة وَأَظْهَرَ نَاسُوتَه وشِهَابَهُ الثَّاقِب ، ويعرف في صورة البشرية وقوة العقلية ، لا تأخذه التجليات من الجمال والجلال ؛ فيكون أكمل الكمال وغَالِبُهُ يكون على صورةِ الجمال ، قال ﷺ : (أول ما خلق الله نوري) وأراد به العقل ، كما أَيَّدَهُ بقوله عليه الصلاة والسلام : (أول ما خلق الله العقل) في صورة باقي العقول جميعها ؛ ولذلك قيل الإنسان الكامل لا بد أن يسري في جميع الموجودات كسريان الحق فيها ، وهو عين الأَوَّلِيَّةِ والآخِرِيَّةِ ، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٨٨)

واعلم أن الحقيقة[١] الإنسانية ظهورات في العالم الأول تفصيلا ، وظهورات في العالم الإنساني إجمالاً ، وهو الظاهر والباطن صَاحِبُ الاسم الأعظم ، وله الشأن العظيم قال ﷺ : (خُصِصْتُ بفاتحةِ الكتابِ وخَوَاتِيمِ سورةِ البقرة) وهي مُصَدَّرَةٌ بقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الفاتحة : آية ١] ، فجمع عوالم الأجسام والأرواح كلها ، وهذه الرُّبُوبِيَّةُ إِنَّمَا هي من جِهَةِ حقيقتها لا مِنْ جِهَةِ بَشَرِيَّتِهَا

(١) لعله : واعلم أن للحقيقة .

؛ فإنها من تلك الجِهَةِ عَبدٌ مَرْبُوبٌ مُحتاجٌ إلىٰ ربه ، وَنَبَّهَ عليه بقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [سورة الكهف : آية ١١٠] الآية ، وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [سورة الجن : آية ١٩] ، فَسَمَّاه عبدَ اللهِ تنبيهاً بمظهر(١) اسمِ اللهِ دُونَ اسمٍ آخر(٢) بقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [سورة الأنفال : آية ٢٨] ، فأسند(٣) الرمي إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، وكانت الحقيقةُ مشتملةً علىٰ الجهتين : العبودية والإلهية ، قوله تعالىٰ: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة سبأ : آية ٣] مِنْ حيثُ مَرْتَبَتِهِ العَالِيةِ وعُروجِه إلىٰ فَنِّهِ ومقامه.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٨٩)

ولما كانت الخلافة واجبة من الله تعالىٰ في العالمِ بِحُكْمِ : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ ﴾ [سورة الشورىٰ : آية ٥١] ؛ وَجَبَ ظهورُ الخلافة في كل زمان من الأزمنة ليحصل لهم الإستئناسُ به ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام : آية ٩] لِيعُودَ إلىٰ ما أَظْهَرَ الحَقُّ فيه من البشرية الجِسْمِيَّةُ ، وخاطبه بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [سورة الكهف : آية ١١٠] فهو من قوة روحانيته ﷺ ، فهو مركز دائرة الوجود وهي الحقيقة المحمدية ﷺ . والرحمةُ الواسعةُ تَرجِع إلىٰ عينٍ واحدة ، فهو الرحمة الواسعة لكل شيء ،

---

(١) لعله : لمظهر .

(٢) لعل العبارة : دون اسم آخر ، وَنَبَّه على جهة الربوبية بقوله تعالى : { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللَّهَ رَمَى } .

(٣) في (ب) : وأسْنَدَ .

وقوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٥٦] ، ومنه قوله: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [سورة الفتح : آية ٢] ، وقال القائل لَهُ : اعمل ما شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لك أيها العبد المخلص في عبوديتي[1] ، وَالرَّاضِي بأَحْكَامِي لَهُ وَعَلَيَهَ ، ولازم[2] بابي العظيم وقابل بفقره وافتقاره.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٩٠)

وإدريسُ كان نبياً قبل نوحٍ ، وَرَفَعُه اللهُ مَكَاناً علياً الآية قوله تعالىٰ : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[سورة الصافات : آية ١٨٠] ، إلا بما تَفْهَمُهُ عُقُولُهم وتَنَزَّهَ عن وَصْفِهم ، سبحان من لا يعلم قدره غيره ، قال الله تعالىٰ : ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٢٤] ، فمن أَعطَاهُ الحقُّ التَّجَلِّي الذاتي الأحدي ؛ قَابَلَتْهُ الحَقيقةُ بمشهدِها [وَنَفْيِّ][3] الحُجُبِ حتىٰ تشرق في قلبه شمسها التي ليس لها غروبٌ البَتَّة ، ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾[سورة الإسراء : آية ٢٠] ؛ والمُؤَثِّرُ فيه بكل حال ، فإذا تحقق ذلك العَبْدُ صَارَ له سَمعاً وبصراً قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ..... ﴾[سورة البقرة : آية ١٨٦] ، ومَنْ كشف له عين بصيرة ، فما من عارف بالله من حيث التجلي إلاَّ بها : (إن الله لطيف بعباده) ، فالزم الاتباعَ والانقيادَ لصاحب الوقت ، قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

---

(١) في (ب) : أيها الطالب العبد المخلص .

(٢) لعل العبارة : ومن لازم بابي العظيم .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : ونفى .

اللهُ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣١] اتباعاً للرسول وطمعاً في محبةِ الله إيَّاهم قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ١٧٩] ، قال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه : (سبحان من اتسعت رحمته لأولياءه في شِدَّةِ نِقمتَهُ لأَعدائِهِ) ، والأمير علي كرمه الله وجهه نَطَقَ بما أشرق في قَلْبِهِ الْمُنَوَّر الواسع فَصَارَ عَرْشَ الله كما جاء في الخبر الصحيح : (لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي) ، وقَلْبُ الْمُؤمِنِ عَرْشُ الله باعتبار الحقيقة الواحدة ، والمراتِبُ الجامعةُ تكون في حُكْمِ بابٍ وَاحدٍ حقيقة صِرْفاً.

❋ ❋ ❋

﴿ فصل ﴾

(٩١)

فإذا علمت هذا فاعلم أن المرتبةَ الرُّوحِيَّة ظِلُّ الْمَرْتَبَةِ الأَحَدِيَّةِ ، والمرتبة القلبية ظِلُّ المرتبةِ الواحِدِيَّة الإلهية ، وَمَنْ امتثل وأمعن النظر فيها وفني في توجهه إلىٰ جمالها وانفرادها ؛ ظَهَرَتْ له غوامضُ أَسْرَارِهَا ، ولا يحتاجُ إلىٰ التصريح[1] بها . والروحُ مِنْ حَيثُ جَوهرهِ مِنْ عالمِ الأرواح المجردة ، وقوته في عالم الشهادة قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٥] ، وقال تعالىٰ: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللهُ ...... ﴾ [سورة الزمر : آية ٦٨] ، وَهُمُ الذين سَبَقَتْ لهم القيامةُ الصُّغْرىٰ ، لذلك قال عليه السلام : (كل شيء يرجع إلىٰ أصله) وقال عز من قائل كريم : ﴿وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[سورة الحديد : آية ١٠] ، وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، وقوله:

(١) في (ب) : تصريح .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦-٢٧] . وظَهَرَتْ وأشرقت شمسُ الحقيقة الواحدة ، وهي ضَاحِية على البصير والأعمى ، فالأعمى تُحْرِقُهُ في جَسدِهِ ولا ينظرها بعينه ، ويؤمن بها ومصدق بغيبها ، قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٤] ، وما ثم تَعَيُّن ولا تَمييزُ اسماء ، ويرجع إلى الوجود المطلق ، ويرتفع الوجود المقيد ، قوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] . ومن اكتحلت عينه بنور الإيمان ، وتنور قلبه بطلوع شمس العَيان ، وصح له التأييد والبيان ، والتحقيق والتعيين وكمال اليقين ، وهو تحقيق العبودية الرِّقيَّة المَحْضَة ، والفناء عن الموجودات الكونية ، فيكون له السلطان على جميع الحواس ، والكون كله مقهور تحت حكمه ، ويمحي ويثبت على إذنٍ من الحق ، وتَمكِين على رسوخ القَدَمِ المحمدي ، ولما ظهرت شمس الحقيقة على العبد فيكون يَطْلُبَ السَّتْرَ عن المَظْهَرِ ، ويكون يُقْبِلُ بوَجْهِ العبودية حتى يُقَابِل مَظْهَرَ الربوبية ؛ ليكونَ الرَّبُّ ظاهراً والعبد مختفياً ، لأن من فَنِّهِم السَّتْر الحقيقي وتحقق الخمول وإظهار الشَّعَثْ للحديث : (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره).

* * *

﴿ فصل ﴾

(٩٢)

لا يَتَوَهَّمُ الْمُتَوَهِّمُ أن طريقتنا سَهلةٌ ؛ بل هي صعبة إلا لأرباب الشهود عيناً وصفة ، وفرق عظيم بين المُحِبِّ[1] وبين من حَالُهُ المَحَبَّةِ منه وإليه ، ولا هنا مكابدة ومُقَاسَاه ، والعِلمُ بِكَيْفِيَّتِهِ مختص

---

(١) في (ب) : المُجد .

بالله لا يمكن أن يَطَّلِع عليها إلا من شاء الله من عباده الكُمَّل ، أهل التجلي الذاتي والعيان قوله تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَىٰ صَعِقًا..... ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٤٣] ، دل علىٰ تَجِلِّيه عليه السلام لطلبه للتجلي فما حَمَلَهُ[١] ، فرجع إلىٰ عبوديته فقال : (سبحانك تبت إليك) ؛ فلو ظَهَرَ له التَّجَلِّي من غَيرِ طَلَبٍ لكان اتَّسَعَهُ علىٰ نبينا محمد وعليه أفضل الصلاة والسلام ؛ فرجع بانكساره وأدبه وطائفتُنا من هذه الأمة المحمدية لازمةٌ بابَ الأَدبِ مع نبيهم المبعوث آخر الأنبياء خاتم الرسالة والنبوة والولاية ، وهنا دليلٌ واضِحٌ لا يحتاج إلىٰ ظهوره: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي .... ﴾ [سورة يوسف : آية ١٠٨] الآية . و[أَوْضَحْنَا][٢] الطريقَ علىٰ ما قلنا أن الجسمَ كَثِيفٌ ، فما ظنك باللطيف الخبير الظاهر في كل شيء ذاتاً وصفةً عند إثبات فَنَاءِ الأَغْيَارِ والكونِ الكُلِّ بِنُورِ الواحد القهار ، وتشتمل[٣] علىٰ الوحدة الحقيقة التي هي الغيب المطلق ، وحضرة الأعيان الثابتة والظاهرة ، لا يَزَالُ مُخْتَفِياً بالكثرة لا خُلُوَّ له عنها لأنها ظهور الأسماء والصفات ، ومن خصوصياتها يكون مقام العبد العارف بالله له فيها الوحدة والسَّلْطَنَة ، وأحكامه نافذة لأنه مظهر حكم العدالة بوصول كل منهم إلىٰ كماله ؛ لأن عليه مَدَارُ حِفْظِ العَالَمِ في الدنيا والآخرة بِحُكْمِ رَبِّهِ الذي هو رَبُّ الأرباب ، فهو يشير إلىٰ الحضرة العلمية ، والتجلي بالعطاء والرضى هو عطاء إلهي ، وهو الفيضُ الأقدس والمقامُ الأعظم لأهل الهداية في الخلق ، وهي المرتبة التامة والمقام الأحدي الذاتي الأعظم كَأُولِي العَزْمِ من الرُّسُل صلوات الله عليهم أجمعين ، قال الله تعالىٰ: ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٥٧] الآية بتمامها ، ولا يحصلُ لمن رَمَقَ ما قلناه إلا بِالتَّوَجُّهِ التَّام ، والإخلاص إلىٰ جناب الحَقِّ المُطْلَقِ سبحانه وتعالىٰ ، إِذْ بِهِ يَقْوَىٰ ويَعْلَمُ جِهَةَ حقيقته ،

---

(١) لعله : احْتَمَلَه .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ج) وفي الأصل : وأضحنا .

(٣) في (ب) : واشتمل .

فَغَلَبَتْ الخَلِيقَةُ هنا وقَهَرَتْ ، فكان يُفْنِيها ويقْهَرُها قوله تعالىٰ: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[سورة البقرة : آية ١٤٨] الآية ، قوله : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[سورة البقرة : آية ١١٥] ، وهي كلمة التقوىٰ ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾[سورة الفتح : آية ٢٦] ، والمراد هنا بالتقوىٰ بالفناء[1] من حيث لا يَتَقَيَّدُ العبدُ ، ومقام البقاء في ذلك بعد الفناء هو البقاءُ بالله ؛ فلا يَتَعَيَّنُ مِنْهُ مطلباً ، وهو مقام الولاية وَدَائرَتُهُ أَتَمَّ وأَكبَرَ مِن دائرة النبوة ؛ لأن النبوة انختمت والولاية دائمة ، وَجُعِلَ الوَلِيُّ اسماً من اسماء الله تعالىٰ دون النبي ، فلما كانت الولاية أكبر حيطة[2] من النبوة وباطناً لها ، شملت الأنبياء والأولياء ، وهم فانون في الحق ينبئون عن الغيب ، والفضائل ليست سوىٰ ومتباعده ؛ لكن الفَضْلَ أَجزل والرسول محمد ﷺ جامع وخاتم للنبوة والولاية ، ومن هنا ما في مراتبهم المنعوتين إلا الفضل العظيم و{ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[سورة الحديد : آية ٢١] قوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[سورة الكهف : آية ١٠٩] ؛ لكن لِكُلِّ عِلْمٍ ثمرة والله أعلم.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٩٣)

ولا بد لكل باطن من دليل نقلي وعقلي إلىٰ أن يتصل بروحانيته المستقرة وقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ

(١) لعله : والمراد بالتقوى الفناء .

(٢) لعله : إحاطة .

آمَنُوا ﴾[سورة غافر : آية ٧] الآية ، وحَمَلَةُ العرشِ هم أهل التفويض وهم أهل المرتبة العظيمة ، (ومن حوله) : العقول ، قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ...... ﴾ [سورة الشورىٰ : آية ٥١] الآية ، فمن هنا وَجَبَ ظهورُ الخلافَةَ في لُطْفِها في كل زمان من الأزمنة ، ويحق الكمال اللائق ببشريتها ، وبكاؤه وضَجَرُهُ وضيق صدره لا ينافي ما ذكرناه ، ويكون مثبت الحقيقة ، ونُزُولُهُ أَيضاً كَمالُهُ وَعُلُو شأنه ، وكونهم راجعين إلىٰ الحقيقة الجامعة المحمدية ، وهي الحضرة الواحدة ووحدة الدِّين ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٨٥] ؛ فَلَزِمَ التَّوَجُّه إلىٰ الحقيقة الواحدة ، فالقُطْبُ هو الذي عليه مدارُ العالمِ الكُلِّي قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[سورة الرعد : آية ٧] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[سورة فاطر : آية ٢٤] ، والصفات المَرْضِيَّة يتنعم بأنواع النعيم ، قوله تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[سورة طه : آية ٧] ، وقوله: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٥] ، وقوله: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾[سورة النجم : آية ١١] ، فحقيقةُ العارفين أهلُ الكمالِ مِنْ ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[سورة طه : آية ٧] ، وقوله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[سورة الشرح : آية ١] ، كما أن الرُّوح مَخْفِيٌّ في البَدَنْ لِقُوَّةِ شَأنِهِ ، ونِسْبَتُه إلىٰ أَمرِ الحَقِّ من قُوة ظهوره . فالْزَم العارفينَ أهلَ الكمالِ المرشدين قوله تعالىٰ: ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[سورة الحج : آية ٧٥] ، وهم أولو الألباب أربابُ القلوبِ المنورة قوله: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] ، وَكُلُّ شيءٍ يرجع إلىٰ أصله ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٨٠] ، وقوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٩٤)

ومَنْ صَدَقَ في تَوَجُّهِهِ وإخلاصه ؛ تَنَوَّرَ قَلْبُهُ وطَلَعَتْ عليه شمس العيان وشَهِدَ سِرَّ قوله ﷺ : (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) ، فالنبي محمد ﷺ هو المبعوث إلى الخلق أجمعين . والحقيقةُ هي العين الثابتة الجامعة لكل سمع وبصر وَهِي الوُجْهَةُ ، ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[سورة البقرة : آية ١٤٨] الآية ،وقوله: ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٥٧] ، ولا يزال الفيضُ الإلهي من حضرة الجمع والعين والتمكين والمشي على القدم المحمدي قوله: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[سورة الحشر : آية ٧] ؛ فالإتباع والإقتداء والإهتداء والإقتفاء بالرسول[1] محمد ﷺ وسُنَّة الخُلفاء الراشدين لقوله عليه السلام : (عضوا عليها بالنواجذ)الحديث الصحيح . وما أَصْعَبَ العِلمَ اللدني بحقائق الأشياء على ما هي عليه ! ، ومَنْ تَنَوَّرَ قلبه بنور الحق ارتفعت عنه الحُجُبَ ؛ التي تكون كَثَافَتُها من الصفات والأوهام المانعة عن الوصول ، قال سيدنا علي كرم الله وجهه لَمَّا سُئِل عن التوحيد قال : (محو الموهوم مع صحو المعلوم) ، فأشار كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ إلى التَّلْوِينِ ؛ وليس لِلغَيرِ في الحقيقةِ مَدْخَلٌ ، وَكُلُّ غَيرٍ وَسِوَى وَوَهْمٍ من الخَيال الحِسِّي ، ولا يُحْتَاج إلى تَفَهُّمِ ذلك ؛ ولكن يَحْتَاجُ اليه ضَعِيفُ اليقين .

* * *

---

(١) كذا في الأصل ولعلَّها : للرسول .

﴿ فصل ﴾

(٩٥)

اعلم أن أهل الله العَارفينَ الأكياسَ الجميعَ هم في حقيقة واحدة ، وهي مظهر الذات الإلهية وعِلْمِهَا ؛ فمن لازم البابَ بِحُسْنِ صِفَاتِهِ لينال حقيقتها[١] لتلك الذات ؛ لأنها مُفْرَدَةٌ بالفِعلِ والقوة ، والملازمُ فيها[٢] لا يزال في زيادة عِلمِ الصِّفَاتِ والذَّاتِ ، فينالُ منها المقبل إليها بالصدق والإخلاص وتحقيق المعرفة بها فقط ، وأقبلت التجليات الإلهية ، قوله : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] وتُسَمَّىٰ الحَقِيقَةُ ـ في اصطلاح أهلِ الله ـ بالنَّفَسِ الرَّحْمَاني ، ويعود من الكمالات الإلهية[٣] والتعبير من حيث فضائلها وخصائصها لأربابها من أهل طائفة الصدق والتحقيق اللاحقين بالكمال ، والحقيقةُ الذَّاتِيَّةُ تَتَنَزَّلُ من عَالَمِ الغيب الذاتي إلىٰ عَالَمِ الغيبِ والشَّهادةِ الحِسِّيَّةِ ؛ فظهرت[٤] في كُلِّ العوالم الكلية ، فهي الذَّاتُ الواحدة ، وإن كان فَضْلُها جَوْهَرٌ لكونه داخلاً في فَضْلِها فيكونُ عن أفرادِها إليها ، فإن لِكُلِّ شِيءٍ نَصِيبٌ من عَالَمِ الملكوت [و][٥] الجبروت ؛ وقد جاء وصح ما يؤيد ذلك وَيُثْبِتُهُ من مَعْدِنِ الرِّسَالَةِ المُشَاهِدِ للأَشْيَاءِ بحَقَائِقِها صلوات الله وسلامه عليه وكان تَتَكَلَّمُ الحيوانات مَعَهُ[٦] ، وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[سورة الإسراء : آية ٤٤] . وأَهْلُ الكَمَالِ وَقَفُوا مع اعتدالِ المَزَاجِ ، لأن المرادَ عِندهُمْ لا يحبون الإطلاع علىٰ ذلك من الغَيْبِيَّاتِ والمُكَاشَفات ، لأن مَا فيهِ فائدة ولا زيادة ولا يُفِيدُهُمْ شُعُورُ مظهره لهم.

---

(١) لعله : ينال حقيقة .

(٢) لعله : لها .

(٣) لعل العبارة : الكمالات الإلهية والتعبير عنها من ....

(٤) لعلها : فتظهر .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

(٦) لعله : وكانت الحيوانات تتكلم معه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

﴿ فصل ﴾

(٩٦)

إعلم أن هذهِ الطريقةَ طَرِيقةُ السَّاداتِ من شيوخ الصوفيةِ أَهلُ الحقيقة على ما دَلَّتْ عليه العلوم ، ولو تَفَرَّقَتْ أقوالهم فَهُمْ في أوضَحِ السَّبِيلْ المَصُونِ عن التَّشْبيهِ والتَّمْثِيلِ على قَدَمِ التوحيد ؛ وَدَلِيلُهُ من قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ..... ﴾ [سورة يوسف : آية ١٠٨] الآية . والعقائدُ وقواعدُها دالة على ما ذكرناه ، وأما الحقيقة فكُلٌّ عَاجِزٌ عَنْ عِلْمِها ، فكيف ذوقها وَوَصْلها؟ ! ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة الصافات : آية ١٨٠ـ١٨٢] وقوله : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة يونس : آية ١٠] والصفاتُ النَّفْسِيَّةُ هي : أن اللهَ واحد موجود قديم أحد فرد قائم بنفسه لا يُشْبِهُ شيئاً ولا يُشْبِهُهُ شيءٌ ، هو اللهُ الواحد القهار ، قادِرٌ بقدرته مُرِيدٌ بإِرَادَتِهِ ، مُنَزَّهٌ عن الحُلُولِ والمُلامَسَةِ ؛ لا يَحُلُّ في شيءٍ ولا يَحُلُّ فيه شيءٌ ، لا إله إلا هو وَسِعَ كُلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً ، متكلم بكلام ، سميعٌ بصير ، لا تُدركه الأبصارُ وهو يدرك الأبصارَ وهو اللطيف الخبير . ومرتبةُ الحضرةِ الإلهية ، وهي الحضرةُ الواحِديَّة مَرْتبةُ الأرواحِ المُجَرَّدةِ في عَالَمِ المَلَكُوتِ وعالم المُلْكِ قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ، واسماء الذات الفائض من الحق سبحانه وتعالى بالاسم المُدَبِّر والمَاحِي والمُثْبِتِ والفَعَّالُ لِمَا يَشاءُ وأمثالها.

* * *

﴿ فصل ﴾

(٩٧)

والإنسانُ الكاملُ كِتابٌ جامعٌ للكُتُبِ ؛ لأَنَّهُ نُسْخَةُ العَالَمِ الكبير ، ونطق بذلك الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه شعراً :

دوائــك فِيــكَ وَمَــا تَشْــعُرُ وَدَاؤُكَ مِنْــكَ وَمــا تُبْصِــرُ
فــلا حاجــة لــك مــن خــارجٍ وَفِكْرُكَ فيك وما تُفْكِرُ
وَتَــزْعُمُ أنَّــكَ جِــرْمٌ صَــغير وَفِيكَ انْطوى العَالَمُ الأَكْبَرُ
وأنـت الكتـاب المبين الـذي بِأَحْرُفِــهِ يَظْهَــرُ الْمُضْــمَرُ

وكان الإمامُ الأميرُ علي بن أبي طالب كرم اللهُ وَجْهَهُ بابَ مَدينةِ العِلمِ المحمدي ؛ بنص الحديث [الذي] ظهر له مِنْ الرسول ﷺ ومن حيث عقله وروحه : كِتابٌ عَقْلي مُسَمَّىٰ بِأُمِّ الكِتاب ، ﷺ ، ومِنْ حيثُ قَلْبِهِ : كِتابُ اللَّوحِ المحفوظ ، ومن حيث نَفْسِهِ الكَرِيمة : كتابُ المحو والإثبات ، فهي الصُّحُفُ الْمُكَرَّمة المرفوعة المطهرة التي لا يُدْرِكُهَا ولا يَمَسُّها إلا المطهرون ولا يُدْرِكُ أَسْرارَها ومَعَانِيها إِلاَّ هُمْ ، المطهرون مِن الحُجُبِ الظلمانية . قوله تعالىٰ : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[سورة الأنعام : آية ٣٨] ، ومظاهر مفاتيح الغيب التي تنفتح بها الأبواب المقفلة المسدودة بظاهر الوجود وعَينُ الجمعِ الواحدة ؛ مَجَلىٰ الحقيقةِ الذاتية مَقَامُ : قاب قوسين أو أدنىٰ ، فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ ومحمد ﷺ خاتم النبوة والرسالة ، وأقسم الحق بحياته في قوله : ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ ، أي : وحياتك يا محمد ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[سورة الحجر : آية ٧٢] ؛ فما أعظم ذلك الفخر العظيم ، والشأن القويم وهو سبحانه أقسم بالربوبية الكافة[1] أهل السماء والأرض الْمُوجِدُ لها والخَالِقُ لها في قوله : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾[سورة الذاريات : آية ٢٣] ، وهو أصدق القائلين ، وقوله تعالىٰ : ﴿ الْيَوْمَ

(١) لعله : لِكَافَّةِ .

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾[سورة المائدة : آية ٣] ، فَمَا فَرِحَ الصِّدِيقُ بنزولِ هَذهِ الآيَةِ ، وسَائِرُ الصحابةِ الجميع الأَجِلاَّءِ الكُمَلاء العارفينَ أَخَذوا بظاهر البِشَارةِ ، وَصَاحَ شاؤوشُهَا إلى الأمة المحمدية الجميع فَابْيَضَّتْ وُجُوهُهُم قوله تعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[سورة الفتح : آية ٢٩] ، وكان رسول الله ﷺ يقول: (اتقوا الله وأَجْمِلُوا في الطَّلَب) فكانوا مع طَلَبِهم إِيَّاه بِحُسْنِ الظن به فإنه يقول : (أنا عند حُسْنِ ظنِّ عبدي بي فليظن بي ما شاء) ، إلاَّ أَنَّ أَهْلَ رُتْبَةِ الكَمالِ يَسْتَحُونَ من كَثْرةِ الطَّلبِ حَياءً وأَدَباً وإخلاصاً ، فهم في قانون المعرفة بالله سبحانه وتعالى ، وهي الكمال الكلي قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء ﴾[سورة البقرة : آية ٢٥٥] ، وهذا أعلى مراتب الشهود.

❊ ❊ ❊

﴿ فصل : في معرفة الإلهام والوحي﴾

(٩٨)

الإلهامُ قد يَحْصُلُ من الحَقِّ من غير واسطة المَلَكِ بالوجه الخاص الذي له مع كل موجود ، والوحي يحصل بواسطة الملك لذلك سُمِّيَتْ الأحاديثُ القدسيةُ والقرآنُ العظيمُ وهو كلام الله تعالى (١) ، الوحي من خواص النبوة ، والوارداتُ الرحمانية تَتَّسِعُ في الملك والحقيقة المحمدية هي الذَّات وهي الأسماء الحسنى كلَّها جليلها ودقيقها وعزيزها ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، فما بقي هنا من وصول [إلى] (٢) الحق إلاَّ من (٣) محى اسمه

---

(١) لعله : والقرآن العظيم كلام الله تعالى .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

(٣) لعله : لمن .

ورَسْمَهُ وفنائه ورجائه وخوفه وهُمَا جَنَاحَاه الرجاءُ جَنَاحٌ وَالخوفُ جناحٌ قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[سورة النازعات : آية ٤٠ـ٤١] ، ولهذا قال ﷺ : (شيبتني سورة هود وأخواتها) ، وأجل وأعظم ما احتوىٰ عليها قوله تعالىٰ : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾[سورة هود : آية ١١٢] فلزم ﷺ والخلفاء الراشدين باب الأدب والإنصاف من النفوس ، فتنكشف له عين بصيرته وتنورت بنور سريرته ، وقوله تعالىٰ:﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾[سورة الأحقاف : آية ٩] ، وهو معناه المُطَّلِع علىٰ غيب الحق ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[سورة الجن : آية ٢٦ـ٢٧] ، فهو خاتم النبوة والولاية وجامع الأسماء الحسنىٰ ، فهو ﷺ أُعْطِيَ الرِّضَى بنص القران قوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[سورة الضحىٰ : آية ٥] ، وقوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ .... ﴾[سورة الزخرف : آية ٥٩] ، فهو مَظْهَرُ دَائِرَةِ الحَقِّ والمُنَصِّفُ بين الحق والباطل ، ﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾[سورة الإسراء : آية ٨١] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(٩٩)

وشُهودُ الحَقِّ لأهل التمكين الذين هم صَفْوةُ الله ، وأهل الشهود في مقام الفناء فيه الكلي[1] ، والشُّهودُ الحقيقي إلىٰ ذاته هو أعلىٰ الدرجات قوله تعالىٰ : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ... ﴾ [سورة غافر : آية ١٥] الآية . وكل متوجهٍ عارفٍ يكون مقامه الفناء ليرجع إلىٰ رتبة البقاء ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾

(١) لعلَّه : الفناء الكلي فيه .

[سورة القصص : آية ٨٨] ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [سورة الفجر : آية ١٤] وأَهْلُ مرتبة الحق الصِرف لا يُعَرِّجُونَ علىٰ شيء دون الحقيقةِ المحمديةِ والوارثةِ النبويةِ الجامعةِ لكل علم موصل إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ [سورة الكهف : آية ٦٥] . والحقيقةُ [كلها](١) إمْعانُ النَّظَرِ القَلْبِي والروح الكلي إلىٰ فَيْضِها الأقدس والحُبَّ الذاتي وطلب مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو ، فإن الفَيْضَ الإلهي يَنْقَسِم ويَعُودُ إلىٰ الفيض الأقدس ، وله اسْتِعداد(٢) من العلوم اللدنية يعود العلم إلىٰ أصله ، وبعد ما فَهِم العلم به وسَلَكَ مسالكهم علىٰ التحقيق والإيمان بالغيب ؛ تَوَلَّتْهُ بعينها ورَشَحَتْ عليه من فيضها الأقدس ما يُؤَيِّدُهُ ويُوصِلُهُ إلىٰ الحضرة الجامعة ، فلزم إفرادها إلىٰ الحق ووقوعها فيه يظهر من الغيب إلىٰ الشهادة ظهوراً غير منقطع إلىٰ انقطاع النَّشْأَةِ الدُّنْيَاوِيَّة وفي الأرض أيضاً كما جاء في الحديث الصحيح : المؤمن إذا اشتهىٰ الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٨] ، فسبحان الذي لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم . وتَحْصُلُ عُلومٌ غيرُ مُتَنَاهِيَةٍ وَوَصْلٌ من غير استعداد ومن هنا سر قوله : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ [سورة الكهف : آية ١٠٩] ، وكَلِمَاتُهُ هي عَينُ الحقائق كلها والأسماء وكلماتها في هذه الحضرة الجامعة ؛ ومن حيث أنها صور علمية لا يعرف لها وصف قوله تعالىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٤٩] ، وقوله : ﴿ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ [سورة إبراهيم : آية ٤٧] ، وَلَمْ يَقُلْ : وَعِيدَهُ ، وقال : ﴿ وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ [سورة الأحقاف : آية ١٦] .

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) . وفي الأصل : كلياتها .

(٢) لعل العبارة : ومن له استعداد من العلوم اللدنية يعود العلم به إلى أصله .

﴿ فصل ﴾

(١٠٠)

ومَنْ عَرفَ الحَقَّ ؟! تَعَالَىٰ اللهُ ؛ فَمَا عَرفَ الله غَيرهُ ، لا يَعْرفُ اللهَ إلاَّ الله سبحانه وتعالىٰ ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة : آية ١٣٢] ، وقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَىٰ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [سورة ق : آية ٣٧] ، والانقياد للمتبوع هو الإتباع و الامتثال ، فلله الحُجَّةُ البَالِغَةُ في عِلْمِهِ بِهِمْ ، ولا يحيطون به علما ، قال تعالىٰ: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة هود : آية ٥٦] . ونِعْمَةُ الله سبحانه وامْتِنَانُهُ علينا بنص القرآن ؛ الجامع للكل محمد ﷺ أَخْبَرَ به عن الحق بأنه عَيْنُ السَّمْع والبَصَرِ واليَد والرجل واللسان ، وهو عين الحَوَاسِّ كُلِّها ، وقوة الروحانية أقربُ من الحواس ، فهو البشير لنا ، فاكتفىٰ بالبُعْدِ المَحدودِ عن القُربِ المجهول ؛ فترجم الحق لنا علىٰ لسان نبيه : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [سورة الضحىٰ : آية ٥] ، فَصَحَّ لَهُ الرِّضى من الحَقِّ من غير طلب ؛ بل بمجرد المَحَبَّة السابقة قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [سورة الحديد : آية ٤] ،وهدايته كلها ومحامده وبشائره وثناءه عليه ولأمته(١) ، قوله تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١١٠] الآية ، وقوله : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهَّ إِنَّ اللهَّ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الزمر : آية ٥٣] ، فهذه كلها بشائِرهُ له ، وَذَكَرَ الحَقُّ أَنَّهُ لأُمَّتِهِ أَبَرُّ وأَشْفَقُ من الوالدةِ الشفيقة بولدها ؛ والحق بهم أَشْفَقُ من الوالِد ، فما فوق ذلك منه قوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَىٰ الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

(١) لعله : وعلى أُمَّتِه .

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ .... ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٦٤] الآية ، وقوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : آية ١٢٨] ولا صَحَّ [1] مظهر الوجود [إلاَّ به] [2] فهو عَيْنُ الوجود ، وهو علىٰ شيء حفيظ بذاته ، ولا يَؤُدُهُ حِفْظُ شَيءٍ يَحْفَظُهُ ، وهو بكل شيء عليم ؛ لأنه بِنَفْسِهِ عليم ، فنحنُ لَهُ وَبِهِ وَمِنْهُ وإِلَيه ، ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف : آية ٥٤] ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٠١)

والجامع للكل محمد ﷺ ، أخبر به عن الحق بأنه : عَينُ السَّمْعِ والبَصَرِ فترجم الحق لنا عن نبيه هود مقالته لقومه : بشرىٰ لنا ، بقوله: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾[سورة هود : آية ٥٦] ، فكَمُل العلم في صدور الذين أوتوا العلم ، ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾[سورة العنكبوت : آية ٤٧] ، فكل علم يرجع إليه ، ولا تحديد له ، وما فوقه هواء وما تحته هواء ، هو العَمَىٰ الذي كان الحق فيه قبل أن يخلق الخلق ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ..... ﴾[سورة الحديد : آية ٤] الآية ، وهو روح العالم المُدَبِّرُ له فهو الإنسان الكبير﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾[سورة الزمر : آية ٩] ، وهم المتقون الراسخون في العلم ، وكون المتقي من جعل نفسه وقاية

---

(١) في (أ) : ولا صَحَّ ، وفي هامشها : والأصح .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

للحق بصورته ، إذْ هُوِيَّة الحق عَيْنُهُ ، وأثنىٰ الحق علىٰ العبد في قوله ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[سورة الحجرات : آية ١٣] وهذا أعظم الفخر لعبده التقي.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٠٢)

وعند أهل الحقيقة الذاتية الوِحدة تشير إليها ، وتستند إليها ، فانظر مراتب الأتقياء الخواص من أَجِلاَّء العارفين الذين سَبَقَتْ لهم مِنْهُ الحُسْنَىٰ ، والعبد الكامل الوَاسِعُ لهذا العلم اللدني وهو معرفة النفس ، فكيف يخاف علىٰ من عَرَفَ نفسه فكان مع ربه مُواجِهٌ[1] الكعبة القلبية كعبة القلوب ، والطواف بها هو سكونك وأدبك في حضرتها ، والفناء عن الحواس والعوارض ، بل قف مع نظرها الأحدي ولا تَلْتَفِتْ يميناً ولا شمالاً ، ولا يكون لك رَمَقٌ في جَنَّةٍ ولا خوف مِن نار ؛ وكن طامعاً في حضرة الذات ، وهي الحضرة الذاتية الجامعة للكل ، والإفراد لها والتحقيق بها فقال تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[سورة النحل : آية ٤٠] ، [فيكون][2] العبدُ ممتثلاً لسيده في جنابة القوي ، والخَلْقُ خَلْقُهُ والأَمْرُ أَمْرُهُ ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[سورة الأعراف : آية ٥٤] ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[سورة المؤمنون : آية ١٤] ، فتسري فيه نتائج المعاني وهي الأَدِلَّة فأَسفرَتْ وُجُوهُ السُّعَدَاء قال تعالىٰ : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾[سورة عبس : آية ٣٨-٣٩] ، وقوله : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[سورة القيامة : آية٢٢] ، وقوله تعالىٰ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم

(١) لعلها : مُوَاجِهًا .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾[سورة التوبة : آية ٢١] ، وقال في حق الأشقياء ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[سورة آل عمران: آية ٢١] فهؤلاء لهم حكم العدل لِمَخَالَفَةِ أَمْرِ الرسول ﷺ ؛ فكان[1] شِدَّةُ عذابهم لمخالفة نبيهم لَمَّا أُرْسِل إليهم يبشرهم وينذرهم ، فهم تحت الحكم النافذ (هؤلاء في الجَنَّةِ ولا أُبَالِي ، وهؤلاء في النار ولا أُبَالِي) وقوله: ﴿ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[سورة هود: آية ١١٩] ، نص القرآن العظيم ، وفي الإشارة أن الحق راحم لعباده ، فلا حكم فيما أمر به في عِبَادِهِ العَاصِين ، والحق يتجلىٰ علىٰ العبد القلبي[2] بالتجلي الذاتي ، قوله : ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[سورة طه: آية ٥٠] ، أي : رَفَعَ الحِجَاب بَيْنَه وبين عَبْدِه ، هو الذي يَتَجَلَّىٰ له فَيُعَرِّفُهُ فلا يَرَىٰ إِلاَّ الحَق قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[سورة ق: آية ٣٧] ، والعارف بالله هو المَعْرُوفُ به هذا حَظُّ من عَرَفَ اللهَ مِن مقامِ التَّجَلِّي والشهود في عين الجمع والحضرة الواحدة الذاتية ، وأَهلُ الإيمان المُقَلِّدِين الذين قَلَّدوا الأنبياء والرُّسُلِ فيما أَخْبَرُوا به عن الحق فيما جَاؤا به في الصحف المطهرة : التوراةِ والإنجيلِ والزبورِ والفرقانِ فنشهد لهم بالتَّبْلِيغ في أُمَمِهم ، والحقيقةُ أن الفيض الأقدس الذاتي الأحدي يَصِلُ إلىٰ كُلِّ موجود ، ولكن الخاص الذي معه من الحق المواهب والمنح والعطايا ما لا يوصف بوصف ، ولا يَعْلَمُ عِلْمَهُ إِلاَّ المقربين ، أهلُ رتبةِ الكمال والفضائل والله تعالىٰ الموفق والمُهْدِي[3] إلىٰ الصواب .

* * *

(١) لعله : فكانت .
(٢) لعله : يتجلَّى على قلب العبد ...
(٣) لعله : الهادي .

﴿ فصل ﴾

(١٠٣)

ونصيبنا من الحضرة الكماليّة بلزوم باب التذلل والإنكسار والفقر والإفتقار نص القران : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[سورة فاطر : آية ١٥] ، بِحَسَبِ القُرْبِ من الحق ، والإتفاق على محو المعلوم والموهوم ، وإثبات عدم المعدوم ومحو الرُّسُوم ؛ فَصَحَّ وثبتَ عدم المعدوم فعرفه من وجوده من الحي القيوم ، ومظهر الاسم الأعظم الجامع هو الإنسانُ الكامل ؛ لأن الحقَّ ـ سبحانه مَالِكَ المُلكِ ذو الجلال والإكرام ـ أَعْطَاهُ الحُكْمَ في جميع الموجودات والعَوالِمِ كُلِّها ، وهو الظاهر والباطن وهو بكل شيءٍ عليم بِسرِّ قوله : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾[سورة الكهف: آية ١٠٩] ، وكلماتُ الله وأسماؤه هِيَ عَينُ الحقائق ، وكَمالاتُ الأسماءِ كُلِّها تحتوي على ما يحتوي عليه الوجود ، وتَجمعُ الأسماءَ المشتَرَكَةَ ، والعلومَ المتَفَرِّقَةَ ، ويكون الشخصُ الإنسانِيُّ مَظْهَرَ الرَّحْمَةِ تارةً وتارةً مَظْهَرَ النِّقْمَةِ ؛ تَصِيرُ الصِفَتَين مُشْتَمَلَةٌ فِيه ، وصفات[1] متعددة مَظْهَرُ العُقولِ والنُّفُوسِ المُجَرَّدةِ من حيثُ العلم الإلهي ، وكلما صَدَرَ منها فهو من حقيقة علم الأسماء الذاتية ، والصِّفةُ الغالبةُ على روحانية المَلَكِ المَنسوب إليه ذلك الاسم . فَكُنْ أَمْعِن[2] النَّظر في كُلِّ الموجوداتِ وخصائِصِها ؛ تَعْرِفُ أَنَّهَا مَظَاهِر لَهَا وفيضٌ إليها من الفَيضِ الأقدس ؛ الذي هو من الحَقِّ من غير واسطة إلاَّ شهوداً وَعَيَاناً ومَظْهراً وَبَيَاناً . فَالتَفِتْ إلى أهلِ العلمِ اللَّدُنِّي قوله : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾[سورة الكهف : آية ٦٥] ، وأوضح السبيل المصون عن التشبيه والتمثيل ، فَاتَّبِعِ الحَقِيقَةَ ، وَمَا دَلَّكَ عليه المُجْمِعون عليها من شيوخ هذه الطريقة مِن

---

(١) لعلها : والصفات المتعددة .

(٢) لعله : فكن مُمْعِناً .

أَجِلاَّءِ الصُّوفِية ، وكُلُّ عِلْم هو إلىٰ ذَلِكَ ؛ يَدُلُّكَ إلىٰ عَينِ الجَمْعِ ، وهو غَايَةُ النِّهَاياتِ ، ومَجْمَعُ البحرين ، ومَقَامُ قَابِ قَوْسَين ، ومَحَلُّ عَالَمِ الجبروت ، وانكِشَافِ الأرواح القدسية ، وهو مقامٌ يَعُودُ إلىٰ مَقَامِ الشُّهُودِ ؛ ومَنْ وَقَعَ له هذا المقامُ الرَّحماني الذي يَجِدْ بِهِ الكُلَّ ، فهو أعظم الوسائل ، ولا يكون إلاَّ لِمَنْ اصطفَاهُ بِمَحْضِ الجُودِ لا بِبَذْلِ المَجْهُودِ ؛ فليس للكَسْبِ فيه مَدْخل لأنه مَنْحٌ ومِنَّةٌ ، فهو الدَّليل والمدلول والشَّاهِدُ والمَشْهُود ، ولها أبواب ومعرفة مشهد قربها النور الحقيقي[1] محو الرسوم والسِّوىٰ والغَيرِ ، وهو مقامُ كَتْمِ الأسرار إلا إن لاح صباحه[2] ، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[سورة الفتح : آية ٢٩] ، فإذا لاَحَ صباحُ شمسِه ؛ فلا يجوز للكَاتِم أن يكتمها لأنها مَظْهرُ حَقٍّ صِرْفٍ ، فإن العِلْمَ في ذلك حِجَابٌ عن الوصْلِ بِهَا ، ودَليلُ عِلمِنَا[3] فِيهِ ـ أعني : الجَمْعَ ومُطَالَعَتُه ـ أن يُفْنِي الكُلَّ لأنه في تَجَلِّي الذَّاتِ ، وله أرباب علم وكشف ؛ [فثبت][4] له الشهود ، ويكون له الوفاء بالوعدِ والمَوعُودِ ؛ من الفضائل الموعودِ بها .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٠٤)

فَأَمْعِن النَّظَرَ في عِلْمِ الحَقِّ سبحانه وتعالىٰ : ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ* وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ* ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ* فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[سورة البروج: آية ١٣ـ١٦] فبقي[5] فيما نَطَقَ به القرآنُ ، ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم

(١) لعله : ومعرفة مشهد قربها بالنور الحقيقي ومحو الرسوم والسِّوى والغير .

(٢) لعله : إلى أن يلوح صباحه .

(٣) لعله : ودليل علمه .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ج) وفي الأصل : وثبتت .

(٥) لعله : فابْقَى .

مُّحِيطٌ ﴾[سورة البروج: آية ٢٠] ، فَرَجَعَ كُلُّ عَارِفٍ من العارفين إلىٰ معرِفَةِ نَفسِهِ ، فإذا عَرفَ نَفْسَه زَالَتْ الحُجُبُ عن قلبِه ، فيكون مُنَوَّرَ البصيرة وتكون مناطقه[1] أحسن ما يسمعه السامعون باذآنِ القُلوبِ ، وتصيرُ القلوبُ الواعِيةُ مُتَلِقِّيَةً عن اسمه الوَاسِع ، فهي غاية عرفان العارفين ، وأكمل درجات أهل الله سبحانه وتعالىٰ الذين تَوَلَّتْهُم عينُ حقيقةِ الذَّاتِ ـ وهي مَتْبوعَةٌ ، ولِكُلِّ قَومٍ هاد ـ فَتَنَوَّرتْ قلوبُهم بنورِ القلبِ ونورِ العَقلِ ؛ فَانْدرَجَتْ الصِّفَاتُ في الذَّات ، فالنجومُ يَغِيبُ مَظْهرُها بنورِ ضُحىٰ الشَّمْسِ ، وَكُلٌّ في مرتَبَتِهِ ومَجْرَاهُ ، والدَّلِيلُ واحِدٌ في جَمْعِيَّة الفرقة والجسم الكثيف ، فما ظَنُّكَ بالجِسم اللطيف والحقيقة ؟!، والنَّظْرُ إليها تفني[2] الأغيارُ ـ عِنْدَهُم ـ بِنُورِ الوَاحِدِ القهار ؛ فاحْتَاجَ الأَمرُ الإلهي إلىٰ مَظْهَرِ حَكَمٍ عَدْلٍ يَحْكُمُ [بينها][3] ، ويُظْهِرُ نِظَامَ العَالِمِ في الدنيا والآخرة بِحُكْمِ ربه الذي هو رَبُّ الأرباب بين الأسماء بالعدالة ، ويُوصِلُ كُلاًّ [منهما][4] إلىٰ كماله ظاهراً وباطناً ، وهو النَّبِيُّ الحَقِيقِي والقُطْبُ الأزَلِي والأبدي أَوَّلاً وآخراً ظاهراً وباطناً ، وهو الحقيقةُ المحمدية ﷺ ؛ فالنبيُّ هو المبعوثُ إلىٰ الخلقِ أجمعين ليكون هادياً لهم ومرشداً إلىٰ كمالهم بالقدرة العلمية ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، والشهودُ عَيناً وصِفةً مع فنائهم وبقائهم بالله سبحانه وتعالىٰ ؛ والعلمُ بكيفيَّته لا يَطَّلِع عليه إلاَّ مَنْ شاء اللهُ من عباده الكُمَّلِ.

* * *

---

(١) لعله : ويكون مَنْطِقُهُ.

(٢) لعله :يُفْنِي .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ج) ، وفي الأصل : بينهما .

(٤) لعله : منها .

﴿ فصل ﴾

(١٠٥)

وما يحصل هذا المشهد الشريف ، والتجلي الذاتي إلاَّ في المُفْنِي[١] للأعيان بالأَصَالَةِ ، والوُصْلَةُ هي القُرْبَة وشهودك عند الإتحاد كالنور الحاصل من الشمس والكواكب على وجه الأرض ، والحضرةُ العلميةُ اسْتِعْدادُ أعيانهم الثابتة ، وهو اختصاص إلهي من التَّجلِّي الموجب للأعيان أي : في العلم ، وهو الفيض الأقدس ، ويشتركون كُلُّهم في الدَّعوَةِ والهداية ، وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وحق اليقين بالفناء في الحق والبقاء به علماً وشهوداً ، [و][٢] لا نهاية لكمال الولاية ، ومراتبهم غَيرُ متناهِية ؛ كما أَنَّ بعضَ المراتبِ أقربُ من بعضٍ في النبوة والولاية قوله تعالىٰ: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[سورة البقرة: آية ١٤٢] الآية ، ولا يحصل ذلك إلا بالتوجه التام إلىٰ جناب الحق المطلق سبحانه وتعالىٰ ، وبَيانُها وإيضاحها من الشأن العظيم والتوفيق قوله : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[سورة هود : آية ٨٨] والزَّادُ التقوىٰ ، وهذا الفناءُ مُوجِبٌ البقاء في حقيقتها ، ودائرة التوفيق من دائرة النبوة ، وانختمتْ النبوةُ لا الولاية ، وَجَعْلُ الوَلِي اسماً من سماء الرحمن يُنبِئ عن الغيب ، وعطاؤه وهبي غير كسبي ، وأسرارها فائضة علىٰ العارفين ، ولهذا مَنَعَ أهلُ الله التجلي في الأحدية ؛ فإِنَّك تَنْظُرُهُ بِهِ وتَعْرِفُهُ به وتَشْهَدُهُ بِهِ ، وكذلك كُلُّ نَفْسٍ مطمئنة قوله تعالىٰ: ﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[سورة الفجر: آية ٢٨ـ٣٠] جنة المعارف وقوله : ﴿ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾[سورة إبراهيم: آية ٤٧] فَمَا قال : وَعِيدَه ؛ بل قال : ﴿ وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ ﴾[سورة الأحقاف : آية ١٦] ولا يمكن الحق سبحانه وتعالىٰ ويعطي[٣] من خلقه إِلاَّ أهل الرتبة

---

(١) لعله : إلاَّ للمُفْني للأعيان .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

(٣) لعل العبارة : والحق سبحانه وتعالى لا يعطي من خلقه إلا أهل الرتبه العالية ....

العالية المطمئنة قلوبهم ، الراجحة عقولهم ، [الذين][1] تولتهم ربوبية الحق وأَشْرَقَتْ شمسُ اليقين فيهم وَجُعِل في قلوبهم ، فصار ينفتح بهم باب العناية والرحمة الواسعة الشاملة ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء: آية ١٠٧] ، فهم الرحمة المُهْداةُ التي من ذَكَرَهَا أو ذَكَرَتْهُ فهو سعيد ، وما ثَمَّ إلاَّ من ذَكَرَتْهُ ، وأهل هذه الرحمة لا يغتاص عليهم شيء ، ولا يتوقف مطلبٌ يطلبونَه ، بتحقيق الرحمة الشاملة ، وفَيضُها من فيض عين الجُودِ وانبساط أسرار المعارف والتجليات ، فهي يتيمةُ الوقت وفريدَتُه ، إِيَّاكَ أن تغفل عنها فإن تلك الحضرة فيها إمداد الفيض الأقدس . ولا يزال مخاطباً لأهل مرتبته ، ويُفِيضُ عليهم من المِنن والاصطفاء ، ويَظْهَرُ منها إليه ما يَلِيقُ بحَالِهِ ، ولا تأخذه البغتاتُ والدَّهَشَاتُ ، فهو مع ذلك الوقت على رسوخ قدم الشريعة المطهرة ، وهي الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[سورة الأنعام : آية ٣٨] فهو الجامع للواقع وغير الواقع ، ولا يعرف ويفهم ما قلنا له إلاَّ التَّقِي ؛ فإن الله يجعل له فرقاناً .

❊ ❊ ❊

﴿ فصل ﴾

(١٠٦)

وأما الأحدية الإلهية فلا فيها تَبْعِيضٌ في أحديتها ؛ لأنها جامعة بقوتها لكلِّ عِلمٍ وعملٍ ، مِنْ هُنَا رُفعت الأقلام وجَفَّت الصحفُ ، والسَّعِيد من تَولَّتْهُ ربوبيةُ الحق ؛ فما بقي له بَقِيَّة تمنعُهُ من وصول الرِّضى ، ومَنْ هو عَبدُ رَبِّهِ يكون عند ربه مرضياً ؛ لأن[2] لا وجودَ للعَينِ إلاَّ بربها ، والعينُ

(١) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السياق .

(٢) لعله : لأنه .

الموجودة(1) دائماً ، فكُلُّ مَرْضِي محبوب ، وكُلُّ أفعال المحبوب محبوب(2) ، ولا للعَينِ الثَّانِيةِ مَجَالٌ ولا مدخلٌ بحَالٍ لأن العَينَ واحدةٌ ثابتة ؛ لأَنَّها تُظْهِرُ فيها وعنها من أفعالِ رَبِّها(3) ، قوله تعالىٰ : ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[سورة طه: آية ٥٠] . والروح والقلب استِنَادُهُما إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، والقلوبُ خزائنُ الله لعلومِ الحقيقةِ ، والمعرفةُ الإلهية لا يمكن أَحَدٍ(4) أَنْ يَطَّلِعَ عليها من غير أهلها ، وتقدم الرموز علىٰ الكنوز المشار إليها [بقوله تعالىٰ](5) : ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[سورة المنافقون : آية ٧] الآية ، وَخَزَائِنُ جُودِه وكَرمِهِ فَائضةٌ علىٰ العارفين لها والمقبل(6) إليها ، والحقيقةُ الذاتية المحمديةُ تَجمعُ ما في عِلم الغيب والشهادة ؛ الجامعةُ لجميعِ الكمالات من اسمائه وصفاته ، أعني : الروحَ المحمديَّ الذي لولاه ما خَلَقَ اللهُ الكون ولا أَظْهَرَ الوجودَ ولا عُرِفَ الحَقُّ و[لا](7) وُصِفَ بالجمالِ والجلالِ ولا ظهرت حقيقة الكبير المتعال ؛ ﷺ وعلىٰ آله خير آل صلاة دائمة مِنْ أَزَلِ الأَزَلِ إلىٰ أَبَدِ الأَبَدِ بلا انقطاع لها ولا زوال وعلىٰ أصحابه المرضيين الخلفاء الراشدين المُمَهِّدِينَ لشريعته رضي الله عنهم والتابعين أجمعين . وقال في حَقِّ أهل الجنة : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[سورة الفتح : آية ٢٩] ، وفي أهل النار : ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[سورة الرحمن : آية ٤١] الآية ، وفي الصحيح أن النبي ﷺ رأىٰ جبريلَ عليه السلام حولَ السِّدرَةِ وله ستمائة جناح ، وفيه أيضاً : أنه يدخل كل صباح ومساء في نهر الحياة ثم يخرج فينفض أجنحته ؛ فيخلقُ اللهُ من قطراتِهِ ملائكةً لا عدد لها ، وهذا العَالَمُ يشتمِلُ علىٰ العرش والكرسي والسموات

---

(١) لعله : موجودة.

(٢) لعله : مَحْبُوبةٌ .

(٣) لعل العبارة : لأن العين واحدة الثابتة ، وتُظهر فيها وعنها من أفعال ربها .

(٤) لعله : لا يمكن لأحَد .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

(٦) لعله : والمقبلين إليها .

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السياق .

السبع والأرضين ، وَمَنْ هو في جميعها من الأَمْلاك وغيرها من هذا المقام . تَنْبِيهٌ للطالب علىٰ كيفية المعراج النبوي وشهوده ﷺ في قوله : (لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل) فأشار سبحانه وتعالىٰ : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[سورة الحج : آية ٤٦] ، فاعلم أن للقلبِ عيناً وسمعاً[1] قوله : ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء ﴾[سورة البقرة : آية ٢٥٥] والمرتَبَةُ[2] شُهودُ الذَّاتِ المُفنية للأعيان ، عَينُ التَّجلِّي ، والكشفُ المعنويُّ المجردُ عَنْ صُورِ الحقائِق مِنْ تَجَلِّياتِ العليم الخبير ، والنورُ القدْسِي مِنْ لوامِعِ نورِهِ وَلكِنْ لِقُوَةِ الذِّهنِ ونورِ العَقْلِ ، ليكونَ طالب[3] رفع حجابها وفاتح أقفال أبوابها ، فهو الوصول إلىٰ مقام الكشف واللزوم ، وأَكْثَرُ ما يطلب من ذلك من الأكابر المتصرفين في الوجود أصحابُ الأحوال ، وهم دون مقام الكُمَّلِ رضي الله عنهم ؛ لأنهم يطلبون من الحق إيصال الفرع بالأصل ، فهذا أعلىٰ رتبة العارفين أهل المقامات ؛ لأنهم ما يطلبون من الحقِّ مطلباً لأَدَبِهِمْ ، وفتح الكشف الروحي وهو عطاء المعرفة وجوداً لا نقلاً ولا عقلاً .



﴿ فصل ﴾

(١٠٧)

ومَرْتَبَةُ القُطبِ المُنَوَّر بالشُّهودِ الروحي بمثابة الشمس المنورة للسماوات والأرض ، وقوة[4] الروحانية والجسمانية للكمل الأقطاب بواسطة الأرواح ؛ التي تحت حكمها من الجبروت والملكوت

(١) في (ب) : عيناً وسمعاً وبصراً ، قوله تعالى : {وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً}[سورة طه : آية ١١٠] .

(٢) لعله : ومرتبة شهود الذات ...

(٣) لعله : طالباً رفع حجابها وفاتحاً ...

(٤) لعلها : والقوة .

، ولا تُمْكِنُ إليه الإشارة ، ولا يُقَدَّر لها تقدير بالعبارة . ونشير إلىٰ الإخلاص والفناء عن العلم والعمل والحسب ، فهنا برز من المعنىٰ ما يفهم منه إلىٰ أسنىٰ الطريق (إلىٰ الهداية) ، وهي معراج السعادة الأبدية ، فهي بابُ السلوك ، وأَهْلُ السُّلوكِ متفاوِتُون في سلوكهم ، فمن تَولاَّهُ في سلوكه أستاذُه وشَيخُهُ ؛ فقد أَمِنَ من هفواتِ الشيطان وحَظِّ النَّفْسِ الأمارةِ بالسوء ، ويكون في طي حقيقة شيخه[1] منطوي ، لا لَهُ وُجودٌ في علمه وعمله ، وحَالُه بين يديه كالميت في يَدَي الغاسل ، وهنا حصل له تصحيح[2] الإرادة وخلاصها منه إليه ، لا يَزَالُ[3] ناظراً إليه بعين البصيرة قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ وَلِيِّـيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٩٦] ، أعني[4] : مُتَوَلِّي كُلَّ مُنْتَسبٍ إليهِ ولو كان في مقامِ الغفلةِ وغيرِها من الموانعِ عن الوصول إلىٰ معرفة الشيخ ، وما له في ذلك رَمَقٌ ، ولا طَاقَةَ له إلىٰ معرِفتهِ ولا محبته ؛ بل محبةُ شَيخِهِ لَهُ وقُربُهُ مِنْهُ له [و][5] إليه ولو طلب المتوجه ذلك ، كان نقص[6] عليه ، فتارة يكون مِمَّا قال له أستاذُه مُسْتَغرِقاً في رَبِّهِ ، ولا يقدر علىٰ فهمٍ إلاَّ ما فَهَّمُوهُ إيَّاه ، فَلَزِمَ الْمُرِيدُ وقُوفَهُ علىٰ بَابِهِ وعلىٰ أَوَامِرِهِ ونواهِيه قال الله تعالىٰ : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [سورة الحشر: آية ٧] وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [سورة آل عمران : آية ٣١] الآية ، وَكُنْ في تصحيح حقيقة الذات الأحدية في [أفرادِها][7] المتبوعَةِ ؛ لأنَّها جامعةٌ للمراتبِ الإلهية باشتمالِ الكُلِّ ، وهي مظهرٌ لاسمِ الله تعالىٰ ، [و][8] هو الاسم الأعظم عند أهل الله ، وعَرَفُوهُ بظُهورِ الحقيقةِ الإنسانية ، فَجَمَعَتْ الأسرار الإلهية كُلَّها دون غيرها ، وقَابَلَها استحقاق الخلافَةِ علىٰ

(١) في (ب) : في طي حقيقته منطوي .
(٢) في هامش (أ) : تحقيق .
(٣) لعله : ولا يزال .
(٤) لعله : يُعْنِي .
(٥) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السياق .
(٦) في (ب) : كان نقص عليه مقدم ؛ في (ج) : كان عليه نقص .
(٧) ما بين المعقوفتين في (ج) ، وفي الأصل : افرادها .
(٨) مابين المعقوفتين زيادة اقتضاها السياق .

ما رَتَّبُوه أهلُ اللهِ العارفين . فلما عَلِم ورجع إلىٰ عَالَمِ البشرية تجلىٰ له الحق ، قوله تعالىٰ: ﴿ فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ ﴾[سورة يونس : آية ٣٢] فَالسَّفَرُ إلىٰ تجلي الفردانية الإنسانية .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٠٨)

واعلم أن الحقيقة المحمدية صورة الاسم الأعظم الإلهي ، قوله عليه السلام : (خُصِصْتُ بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة)، وهي مصدرة قوله تعالىٰ: ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة الفاتحة : آية ٢] ، ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة يونس : آية ١٠] ، الحقيقةُ المحمدية الجامِعَةُ للأنبياءِ عليهم السلام ، كُلٌّ مِنْهم ظهرَ بعض الأسماء والصفات ، وإن اعْتَبَرْتَ حقيقتَهُم وكَوْنَهُم راجعين إلىٰ الحضرة الواحدة لغلبة أحكام الوحدة عليك ؛ حَكَمْتَ باتحادهم ووحدة ما جاؤا به ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾[سورة البقرة: آية ٢٨٥] ، فثبت وحقق الإستماع ومُحِيتْ المُؤَاخَذَةُ [والعفو][1] والمغفرة ، ودخل العفو والصفح ، وذكر ضعف العبد وقِلَّةُ طاقته ، فحمل الرسول عن أمته أثقال الجرائم وقال ﷺ : (أُعْطِيتُ الشفاعةَ في أهلِ الكبائرِ من أمتي) ﷺ ، وهو مظهرُ شمسِ الذَّات الأحَدِي ، يُشْرِقُ من مَغَارِبِ المَظَاهِرِ الخَلْقِية قوله تعالىٰ: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر: آية ١٦] ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[سورة الزمر : آية ٦٨] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : والغفر .

وَالْأَرْضِ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٨٠] ، وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، وقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦ـ٢٧] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٠٩)

ومن حَصَلَتْ له المِنَّةُ بتحقيق العبودية ، واكتحلت عَيْنَيه بنورِ الإيمان ، وَتَنَوَّرَ قلبُهُ بطُلوعِ شمسِ العيان ، قال تعالىٰ : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[سورة ق : آية ١٥] ، وأهل الإفراد قد قَامَتْ قيامتُهُم وفَنُوا عن حَوَاسِّهِم وَوُجُودِهِم في الحق بالشُّهودِ الجَالِي مع بقائهم عيناً وصفةً ، وهو المَشْهدُ الذَّاتي ، وهو أعلىٰ مقام وأعلىٰ درجة لمشهد الأعيان بالأصالة ، والفناء في الحَقِّ والبقاء به شهوداً لا نهايةَ لَهُ ، قال تعالىٰ : ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[سورة الإسراء : آية ٢٠] ، [هذه][1] البدايةُ ، والنهايةُ علىٰ ما رَتَّبُوه[2] أهل العلم بالله الراسخين الثابتين علىٰ القدم المحمدي ، ومراتبُهم علىٰ حَسبِ فيض الفَضْلِ من بابهِ الأحدي مُجْمَلاً ومفصلاً ، فيكون العِلْمُ فيه مخبر و شجرة ليس فيها ثمرة ، ولا يُقْصَد من الشجرة إلا الثمرةُ المعنوية ، وبعد وصولك إلىٰ الحضرة الإلهية المشار إليها في نص القرآن : ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[سورة يوسف : آية ١٠٨] ، فمن ثبت واستقام ، كان من حزبهم علىٰ صراطه المستقيم : ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[سورة المجادلة : آية ٢٢] الآية ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[سورة البروج : آية ٢١ـ٢٢] .

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ج) وفي الأصل : هذا .

(٢) لعله : رتَّبَهُ .

﴿ فصل ﴾

(١١٠)

ومراتب الوجود من العقل والعلم وإلىٰ اللوح ، وكلُّ شيء مُرَتَّبٌ علىٰ ترتيبه وأبوابه وفصوله ؛ لا سيما علم الذات الأحدي ، فهو من العلم الوهبي اللدني ، وموضعُ التَّعَيُّنِ إلىٰ قلبِ العبد الكامل ، فهو الذي تُطْوىٰ له مقاماتُ السلوك والوسائط ، ورفع الحجب من تحقيق الحقيقة ؛ ليكون عارفاً بالله من حيث انتقل[١] من علم الرسوم إلىٰ مرتبة المقام الأحدي ، ولا يزال ناظراً قَلبُهُ إلىٰ الحضرة الإلهية والربوبية ، والمسلك والسلوك علىٰ طريقة الأنبياء والأولياء ، هم[٢] مظاهر الخصوصية المحمدية الأحمدية الكمالية خَاتِمَةُ الحضراتِ حضرةُ الذَّاتِ علىٰ اتفاقهم ؛ فكان خاتم النبيين بنص القرآن العظيم ، وهو ﷺ جامع الخصوصيات رفيع الدرجات لكون مظْهَرِهِ كاملٌ في الذَّات والصِّفَاتِ ، وهو العبد الكامل به ، ويجعلُهُ خليفةً له علىٰ الخَليقةِ ، ومُصلياً أي : تابعاً للحق علىٰ مراده ، وهي الحقيقة القلبية جامعة للحقائقِ الذاتية الأحدية ، وما سُمِّي محمد وأحمد ﷺ إلا مبالغةً في التحميدِ لكونهِ الخليفة الإنسانية والكمالية ، جمع جميع المحامد في تحميد الجامع[٣] ، والمشاهد لإيجاد الله المحمود الحامد في ذاته من ذاته جميع الكمالات ، وقد جعله ﷺ حاملاً لواء الحمد ، فقامت المحامد والمحاسن الإلهية وجميع الكونية كلها في ذات محمد ﷺ . وقامت حقيقته المحمدية النبوية بجميع الفضائل التفضيل[٤] شأنه ، وهو ﷺ حَسُنَتْ أخلاقُهُ وطَابَتْ صِفَاتُهُ ، فقال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وهو يتيمة[٥] الحقيقة الإنسانية الكمالية محمد ﷺ ، فَافْهَمْ فَهَّمَكَ اللهُ . وعليك بوارثة[٦]

(١) في (ب) : من حيث التَّنَقُّل .

(٢) لعله : فَهُمْ مظاهر .

(٣) في (ب) : وتحميد المجامع .

(٤) لعله : فالفضل شأنه .

(٥) لعل العبارة : فيتيمة الحقيقة الإنسانية الكمالية محمد صلى الله عليه وسلم .

(٦) لعله : بورثة.

الخليفة والإمام القائم بمقامه حقيقةً ، ومنهم من تكونُ في خلافتِهِ الموافقةُ والرأفةُ ، والتجليات من الحق بالرأفةِ علىٰ الخليقةِ ، وهو الخليفة الأمين علىٰ الأسرار ؛ مَا أُعْطِيَ[1] ومُنِحَ من المدد الفائض من المعدن المحمدي ، فالكُلُّ نِسْبَتُهُمْ إليه ، أهلُ الكمالِ ومن هو من غيرهم منسوب إليه ؛ لكن [من][2] وافق علىٰ ما أمر به ونهىٰ عنه قوله تعالىٰ: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[سورة النساء : آية ٦٥] ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والموفق للصواب.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١١١)

ومَنْ تَأَمَّلَ ما قلناه وذَكَرناه ونطقنا به ؛ يكون في أَحْسَنِ حَالَةٍ ، ويبرز عليه من ثمرتها ، فنارت بصيرتُهُ ؛ التي هي مطمعُ الأولياء علىٰ بصيرةٍ قال الله تعالىٰ: ﴿ يُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء ﴾[سورة إبراهيم: آية ٤] ، قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة الشورىٰ: آية ٥٢] ،وقال الله تعالىٰ: ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة سبأ : آية ١] . وعن رسول الله ﷺ أنه قال : (من رآني فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي) ، ومن رَآه ﷺ علىٰ صورته التي كان عليها في حياته في الدنيا فقد رَآهُ حقيقةً ؛ ومِنْ هنا فقد رَأَيتُ رسولَ الله ﷺ علىٰ صورته رؤيات كثيرة غير متعددة[3] ولا تنحصر ، وكان في بعضِها مشافهةً يَقَظَةً ،

(١) لعله : مِمَّا أَعْطِيَ .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

(٣) لعله : معدودة .

وكان يقول لي : انْطُقْ بما فَاضَ عليك مِنِّي للخلق أجمعين ، وكُنْتُ أُحِبُّ سَتْرَهَا وصيانتَها ؛ ولكنْ أَظْهَرَ الحَقُّ ما أَظْهَرَ علىٰ قَدْرِ الستر ، وإلاَّ فلا يكون(١) تَسَعُهُ صُدورُ المتوجهين ؛ لكِنَّا لا نُفِيضُ بشيء من الأسرار إلا بالإذنِ والتمكين ، وهو ﷺ مجمع الحقائق الأحدية الكمالية ، والكُمَّلُ جميعاً مَنْسُوبين(٢) إلىٰ حضرة وِرَاثتِهِ المحمدية ؛ أهل الفضائل من الأنبياء والأولياء ، وهي الوراثة ، قوله تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٤٥] ، وهو ﷺ علم أن كشفها وبيانها علىٰ يدي خاتم الأولياء قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٠١] ، وأَحَسَنُ التَّوَجُّهِ والطَّلَبَاتِ إلىٰ معرفةِ هذه الوراثةِ بالأدبِ والأمانةِ ، والأخلاقُ المحمودةُ مشاربُ الكمَّل من عِلمِ التوحيد ، رَحْمَة من الله خاصة بأهل الخصوص الموفقين.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١١٢)

وأَكْثَرُ عُموم الخَلقِ في حجابٍ عظيم ـ عن حَقِيقةِ الأَمْرِ ـ وجهلٍ أَلِيمٍ ، لأَنَّ قلوبَهم خَلِيَّةٌ عن السِّر ، فلا يَصِلُونَ إلىٰ الحقِّ في علومِهِم ؛ لأنهم في ذلك مُثْبِتِينَ رسومَهم ، لأَنَّهم في مقام الفَرْقِ والتَّمْيِيزِ ، وأهلُ الكمالِ من الأولياء أَثْبَتُوا الشُّهُودَ ، فَهُمُ الصُّوفيةُ أَهْلَ الشُّرْبِ من المعدنِ المحمدي جامع مراتب الرحمة وكمالها بالصِّفَاتِ والذَّات . فَانْظُرْ أيها المُقْبِل إلىٰ هذا الباب الأعظم ؛ فإنه مفتاحُ أَبْوَابِ المَعَارِفِ والأسرار ، إلزَمْ الفَنَاءَ والأَدبَ تُقْبِل عليك الرحمةُ الواسعةُ الشاملةُ ، فَإِنْ تُفْنِي إيَّاك

---

(١) لعله : وإلاَّ فلا تَسعُهُ صُدُور....

(٢) لعله : منسوبون .

مَنَحَكَ مِن عِلمِ هذا السِّر العظيم ؛ الذي هو فَيضُ مَعْدِنِ الرسول الخاتم محمد ﷺ ، وَأَتَاكَ العلمُ اللَّدُنِي . وَكَمالُ اليقينِ بأَحَدِيَّةِ الجمع اليقيني الفيضي الوجودي سارٍ في جميع المراتب والحقائق الأحدِيَّة الجَمْعِية ، فوجب إظْهَارُها في وقت إِذِن ، وإخْفَائِها وصيانتها عن الغير ، كان الله سبحانه ولا شيء معه . فافهم وارْجِعْ واسْمَع وخُذ من علم الإثبات للحق من حيث حقيقة وجود العباد وهو عِلْمُ الأذواق فَفَرِّق بين علم الأذواق والعلم المطلق ، فعلم الأذواق مقيد بالقُوىٰ قوله : (كنت سمعه وبصره) وما هنا إلاَّ عَينٌ واحدة ، لا تُعَبَّرُ بعبارةٍ ، كُلُّ عِبارةٍ فيها ، هي قطرة من بحرها ، ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [سورة الكهف : آية ١٠٩] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١١٣)

ومن مُكِّنَ من خزائن بحر العَطَاء الفيضي ؛ فلو أن الكاتبين يكتبون من فيضِ هذه العَطِيَّة علىٰ دوام الله لا يُحْصُونَه ولا يُحِيطُون به علماً ، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ [سورة الكهف : آية ٦٥] ، فاجتمعت أبواب العلم الذاتي في علم واحد ، لكن اسمع مِنِّي ما أُشِيرُ به عليك وأُعَلِّمُكَ به ؛ فتكون من أهل الله العارفين بسبيل الهداية وسؤددِ الولاية ، فقد رشحت عليكم ، وفاحت أرواح طيبة من قدوم أنفاس الحقيقة المحمديَّة ما لا يُقَدَّر قدره ، وفوق كل ذي علم عليم ، وما يعلم جنودَ ربك إلا هو ، (الأرواح جنود مجندة فما تعارفَ مِنها ائْتَلَف وما تناكر منها اختلف) ، وارْجِعْ إلىٰ تمامِ النِّعمةِ الكُبرىٰ قوله : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [سورة الزخرف : آية ٥٩] ، فَمِنْ نِعمتِهِ بنا ولنا سَرَتْ في جميع

مخلوقاته من فيض فيضها بلطفها ، وهو اللطيف الخبير ، كان كما كان في ذاته خبيراً ؛ فهو كذلك لطيف خبير سميع بصير سبحانه وتعالىٰ : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[سورة الجن : آية ٢٦_٢٧] الآية ، فإن ظهرت العين الواحدة مجمعَ الحقائق ؛ فهي أصل الكل ومنشأه ومنبعه وفرعه وأصله ومنه وإليه ، فَإنه قد أوتي الحكمة ، فصح لكل كامل تمام الصفات ، ولا يرىٰ إلاَّ الله ، عين ما يرىٰ عين المراد ، والله الموفق والهادي.

*   *   *

﴿ فصل ﴾

(١١٤)

والشهود مقام الإحسان ، الحديث (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ..... ﴾ [سورة الأنعام : آية ٣] ، فَنَبَّهَ أن الحَقَّ عينُ كل معلوم من المعلومات سمويات وأرضيات ، وهي تحت أحكام الحقيقةِ الذاتيةِ الأحدية ومَحْضِ المَشِيئَة ، يستندُ إليها جميع المعلومات ؛ كُلُّ خارجٍ ودَاخلٍ تحت حِكْمَتها وأمرها ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٠] ، وقوله : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ... ﴾ [سورة يوسف: آية ١٠١] الآية . فَافْهَمْ رُموزَ المعارفِ و الأسرارِ التي يجبُ صَيانَتَها وطي سِرِّها ، وهو الظاهر و الباطن وهو بكل شيء عليم ، والفضائلُ تلك الجمعية الحقيقة الإلهية ، وهي المرتبة الفَائِقَةُ العَالِيةُ في شأنها ، ولا يَقْدَحُ فيها كثرة التعينات واخْتِلافِهِمْ ، وكَثْرَةُ الصُّورِ في حد العين ؛ إذا لا تحقيق إلاَّ لها في عينها وذاتها ، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[سورة طه: آية ٩٨] قوله : ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ

ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ﴾[سورة الإسراء: آية ١١٠] فهي روحُ الجمع[1] العلوم المشار إليها هي الذات الرحمانية والأسماء الحسنى ، ولا نشرك به أحدا . وجامعةُ[2] الكمال الحقيقةُ الإنسانية ، لَمَّا كَمُلَتْ خُتِمَتْ في الرسول محمد ﷺ ، وهي من الفضائل[3] ، فكانت مُسْتَخْلَفَةً من واحدٍ إلى وَاحدٍ في الإنسانية ، من صيغة الحكم الحنيفيَّة السّنية على التعبير قوله ﷺ : (بعثت بالحنيفية السمحة السهلة يسروا ولا تعسر) ، وقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[سورة البقرة: آية ١٨٥] ، فانشرحت صدور العارفين الكاملين بما بَشَّرَ بِهِ الحَقُّ لنبينا[4] محمد ﷺ ، وهو الحقيقة المحيطة بالذات على الكل بالاستغراق لا يكون غَيرٌ ولا ضِدٌ بالإتفاق ، ولا انقراض في امتنانه له قوله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[سورة آل عمران: آية ١٦٤] الآية ، فلا يَقْرُبُ إلى الله من لم يذق هذا العِلمَ والحقيقةَ فيه ؛ هو في عَينِ الجهل والخطر العظيم ، وأشار العارفُ بالله إلى أن العين المعبودة بالذات في العابد والمعبود سوى في ما[5] يتقرب به إلى الحق ، وأمَّا الذي ليس له قُرْبَة فاخْرُج عنه ، قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[سورة آل عمران: آية ٣١] ، فلزم الاتباع لأوامره ونواهيه ، وكذلك خلفائه الراشدين الأَئِمَّةِ على ترتيبهم وفضائلهم رضي الله عنهم الجميع ، وما ذكروه واستحسنوه ، رضي الله عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كرم الله وجهه والصحابة أجمعين والستة من العشرة على فضلهم . وهو ﷺ تكاملت فيه الأنوارُ واسْتَوتْ ، وَتَعَيَّنَ مزَاجُهُ الشريف الجسماني المبارك الخاتم للرسالة والنبوة والولاية محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ

(١) لعله : فهي روح الجميع العلوم ....

(٢) في (ب) : وجاء معه الكمال .

(٣) لعله : وهي جامعة الفضائل .

(٤) لعله : نبينا .

(٥) في (ب) : والمعبود سوى ما يتقرب به إلى .

مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[سورة الأحزاب: آية ٤٠] ، جامع الكمالاتِ الذاتية الأحدية ، وهو رأس صحيح الوحي قوله تعالىٰ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[سورة النجم: آية ٤] ، قوله : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[سورة النجم: آية ٩] ، وهي المرتبة النبوية الكمالية الإنسانية الجَمْعِيَّة الختميَّه محمد ﷺ ، وله أحديةُ جَمْعِ جَميعِ الحقائق الإلهية ، وهي المشار إليها بانفرادها ، السَّابِقَةُ في عِلمِهِ قَبلَ أن يخلَقَ آدم بألفَيْ عام ، فهيَ روحُ جميع المراتب الروحانية والإلهية والكونية وغيرها . فَافْهَمْ واسْمَعْ بِأُذُنِيّ قلبِك ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[سورة ق: آية ٣٧] ، والراجح عند المحققين العارفين أنه الفاتحُ والخاتِمُ بروحانيةِ كَمَالِهِ في إنقاذِ إِخوانه المرسلين علىٰ نبينا وعليهم الصلاة والسلام علىٰ الدوام بنص القرآن ، وهو محمد ﷺ يقول : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا ابن الذبيحين ولا فخر) والعلم في لُبِّ هذا الحديث ما ذكرناه في إنقاذ الماضين من الأمم ، وَتَفْرِيجِ كُرَبِهِمْ وإِنْقَاذِهِمْ من المخاوفِ بسابقِ رحمته ، وَدَلِيلُهُ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، وهو عين الرحمة الشاملة صورة الحقيقة الإنسانية ، وهي تشتمل علىٰ جميع الأسماء ، وهو مجلي(1) المراتب الإلهية بظاهرها ، وهو مقدم بالذات ، إشتمال الحقيقة الواحدة علىٰ أفرادها المتبوعة قوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[سورة آل عمران: آية ٣١] الآية ، وَرَبُّنَا اللهُ عَزَّ وجل نَطَقَ في القرآن بفضائله الجمعية التي لا تعد قوله : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[سورة الأنعام : آية ٣٨] ، وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء: آية ١٠٧] ، فهو ﷺ وُهِبَ حَقَائقُ العَالَمِ والعِلم والعَينَ كُلُّها ، وهو الروح الأعظم ، وهو الإنسان الكبير عند جميع أهل الطريق ؛ ولذلك قال ﷺ بقوله : (أول ما خلق الله نوري) ، وأراد به العقل كما أَيَّدهُ صلىٰ الله عليه

---

(١) لعله : مَجْلَى .

وسلم بقوله : (أول ما خلق الله العقل) ، وهو في صورة باقي العقول والنفوس المطمئنة الناطقة ، ويؤيِّد ما ذَكرنَاه قولُ أمير المؤمنين ولي الله في الأرضين ورئيس المُوحِّدِين عَلِيٌّ ابن أبي طالب كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ في بعض خُطبةٍ من خُطَبِهِ كان يَخْطُبها فقال : (أنا نقطةُ بسم الله الرحمن الرحيم ، وأَنَا جَنْبُ الله الذي فَرَّطْتُم فيه ، وأنا العرشُ ، وأنا الكرسي ، وأنا القلم ، وأنا اللَّوحُ المحفوظ ، وأنا السموات والأرضون) إلىٰ أن صَحَىٰ في أثناءِ الخطبةِ ، وارتَفَعَ عَنْهُ تَجَلِّي الوحدة وَرَجَعَ إلىٰ عالمِ البشرية ، وَتَجَلَّىٰ لَهُ الحَقُّ بحُكْمِ الكَثْرَةِ ؛ فَشَرَعَ مُعتذراً وأَقَرَّ بعبوديته وَضَعفه وانكساره وافتقاره وانقهاره تحت حكم الأسماء الإلهية ، فهو باب مدينة العلم ، وأقرب بضعة للرسول . وصح في الحديث أنه أَقَرَّ له بأنه أخيه وابن عمه وباب مدينة علمه ، وصح ذلك عند جميع المحققين العارفين الكُمَّل أن الإنسان الكامل لا بُدَّ أَنْ يسري في جميع الموجودات كسريان الحق فيها ، وثبت أن الآخِرِيَّه هي عينُ الأولية ، ومظهر سِرّ ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة الحديد : آية ٣] ، سبحان من دَبَّرَ كُلَّ شيءٍ بحكمتِهِ وَوَسِعَ كُلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١١٥)

ولما ذكرنا في الأنبياء علىٰ نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، واحتمل الرحمةَ السابقةَ ، واحتمل موسىٰ عليه السلام إذ قال : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٥٥] ولا كان احْتَمَلَ[1] يونس عليه السلام ؛ بل عوقب بالمكْثِ في بطن الحُوتِ ، فأدركَتْهُ الرحمةُ السابقة علىٰ ما ذكرناه قبل ذلك في الكتاب ، ومقام الرضى طِيبُ النَّفسِ بقضاء الله وَقَدَرِهِ ، ولا شَكَّ أن جميعَ العوالِمِ في إحسانِهِ وامتنانِهِ

(١) في (ج) : احتمال .

خاتم النبيين ﷺ ، ومن أحبه وامتثل أوامره ، واللزومُ علىٰ كُلِّ الموجودات محبتُهُ وامتثالُ أوامِره ، ومِنْ مَحبَّتِهِ مَحبَّةُ اللهِ تعالىٰ ، ومن هو في ذلك ، ومَظْهرُ محبتِهِ ، وامتثالُ أَمرِهِ والمتابعة له في أقواله وأفعاله ، فيكون نيته وفعله في الصِّفاتِ الحميدة المحمودة ، ومن عرف الله سبحانه واتقن الحقيقة المحمدية ؛ علم وفهم أن كل علم وطاعة وتوفيق مأخوذ من العلم اللدني ، وهو المشرب الصافي الهني وكأسُ أهلِ المحبةِ والذَّوْقِ والشوق ، فما أعظمُ وأشرفُ مِنْ ذلك[1] ؟ ، وهو الشأن العظيم ، قوله : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ؛ لأنه في عَمَلِ القلب الخالص لوجه الله الكريم ، دليله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأعراف : آية ٥٤] ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[سورة المؤمنون : آية ١٤] ، لأنهم صدقوا في عزمهم وهمتهم إلىٰ باب الله ورسوله ، قوله : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ﴾[سورة الأحزاب : آية ٢٣] الآية ، وتَرْشَحُ وتَظْهَرُ السِّيَما علىٰ القلب ، وتظهر في الوجه ، ويَبِينُ لهم في قلوبهم نورُ المعرفة بالله ، وهم ذووا البصائر الحافظين للأسرار والمراقبة ، وطلعت عليهم شمس اليقين الضاحية التي لا يعتريها مغيب ، وهي الحقيقة المحمدية المعروفة ، وهي رأس عنوان السعادة الأبدية ، وأشرف وأعلىٰ المقامات الربانية اتباعه وامتثاله والإقتداءُ به ، وهو الرسول محمد ﷺ قوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٩٩] الآية ، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى.... ﴾ [سورة النحل : آية ٩٠] الآية ، وقوله : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾[سورة لقمان : آية ١٧] وقوله : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾[سورة المائدة : آية ١٣] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾ [سورة المؤمنون : آية ٩٦] الآية ، وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[سورة الشورىٰ : آية ١١] الآية ، فَخُذْ عَنِّي ما أشيرُ إليك مِنْ فيضِ مِنَحِ تحقيق العبودية

---

(١) لعله : فما أعظم وأشرف ذلك .

المَحْضَةِ ؛ تَتَوَلاَّكَ حقيقةُ الربوبيةِ المُشَارُ إليها : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، وإذا تَكَاثَرَتْ مظاهرُ كَثْرَةِ الخَلقِ والأجسام ؛ فانْظُرْ بقلبِـك وَنُـورِ بصـيرتك ، واعْـدِلْ إلى رؤيـة المعـاني ، وصَحَّ وثبت : إنما هي ربوبية منزهةٌ تَوَلَّـتْ عبودِيَـةً ، المَوسُـومَةُ[بتعلـق][1] الضـعف ، قولـه تعـالى: ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾[سورة النساء : آية ٢٨] الآية.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١١٦)

ومن هنا مرتبةُ الاسم الماحِي والمُثْبِتْ ، رب النفس المنطبعة في الجسم الكلي ، فسـمَّوه وأَثْبتُـوه بلوح المَحوِ والإثباتِ ، والصورُ الحِسيَّةِ والشَّهادِيةِ في مرتبة الاسم الظاهرِ المطلقِ . وإذا علمت المرتبةَ الإلهية الجامع لها الاسم : (الله) ، فما بقي هنا ضِدٌ ولاَ غَيرٌ ، ولو اختفى من وَجْهٍ لِعِزَّةِ الشَّأنِ ؛ يكـون اسم الرحمن محيطا لاسمِ اللهِ قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ ﴾[سورة الفاتحة : آية ١] ، وقولـه تعـالى: ﴿ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ ﴾[سورة النمل : آية ٣٠] ، وقال أمير المـؤمنين عـلي بـن أبي طالـب كـرم الله وجهه : (كَمَالُ الإخلاصِ لَهُ نَفْـيُ الصِـفَاتِ عنـه) ،ومَيَّـزَ العلـمَ عـن القـدرة ، وهـي عـن الإدارةِ ، فَتَكَثَّرتِ الصفات وتكثرت الأسماء ، ومَظَاهِرها تُمَيِّزُ الحقائِقَ الإلهية ، وعِلمُهَا بـذاتها عـينُ ذاتِهـا مـن وَجْهٍ ، والحياةُ والقدرةُ والربوبيةُ صِفاتٌ متعددةٌ متقابلةٌ كاللطف والقهر والرحمة والغضب والـرضى والسخط ، وجميع النعوت الجمالية ، سبحانَ من اتَّسَعَتْ رحمتُهُ لأوليائِه في شِدة نقمتـهِ لأعدائِـهِ ، فـإن الرَّحمنَ الرَّحْمَةُ ذَاتٌ لَهُ والقَهَّارُ القهرُ ذاتٌ له ، ولا هُنَا تَفَرُّقٌ في مجمعِ الرحمةِ الواسعة التي وَسِعَتْ كُلَّ

(١) ما بين المعقوفتين في (ب، ج) وفي الأصل : تعلق .

شيء ، فَكُلُّ طَامعٍ فيها ما يَخِيبُ وله منها نَصيبٌ ؛ لكن على قدر معرفته ، ويكون طَرِيقُهُ وسُلوكهُ على قَدمِ الرسول محمد ﷺ . ولا بُدَّ من مظهرِ العدل والإنصاف على أوامره ونواهيه ، قال الله تعالى: ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ... ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٥٧] الآيةُ تَشْمَلُ على الواصل ، وأَهلُ السُّلوكِ قد تكون بقاياهم فانية فيه ، والخصوصيةُ عبارة عن فناء العَبدِ في الحَقِّ وما ذلك على الله بعزيز ، والولي هو الفاني فيه الباقي بِهِ(١) ، وليس المراد بالفناء هنا انعدامُ عين العبدِ مطلقاً ؛ بل المراد منه إفناء جهة بشريته في الجهة الربانية ، إِذْ لِكُلِّ عبدٍ جِهَةٌ من الحضرةِ الإلهية . والولي اسم من اسماء الله تعالى دون النبي ، وكانت الولاية أكبر حِيطَةً من النبوة وباطناً لها ، فشَمِلت الأنبياء والأولياء ، فالأنبياء أولياء فانون في الحق باقون به منبئون عن الغيب وأسراره ، وهذا مقامُ اختِصاصٍ ليس للعلم فيه مدخلٌ ولا مجال ؛ بل هي اختصاصية عطائية غير كَسْبِيَّة ، منبعُهَا من فيض عينِ الجُودِ الأقدس ، ومراتب الأولياء غير متناهية ، لا نهاية لكمال الولاية ، وقلنا في ذلك على حسب مراتبهم لا يتقدم ولا يتأخر ، وقال : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ، مشيراً إلى ظهور دولة حكم المرتبة الأحدية ، وكُلُّ شيءٍ يرجعُ إلى أصله ، ولله ميراثُ السموات والأرض ، وكُلُّ شَيءٍ هالك إلا وجْهَهُ ، وكُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجلال والإكرامُ ، وكُلُّ كثرةٍ زوالُها بالتجلياتِ الذاتية في مراتب الوحدة ، ولها من الأسماء القهار الواحد الأحد الفرد الصمد الغني العزيز.

* * *

(١) في (ب) : والفاني فيه الباقي له به .

﴿ فصل ﴾

(١١٧)

وطريقة أهل الله الكُمَّلِ سَتْرُهَا وصِيانَتُها عن غير أهلها المُسْتَحِقِّينَ لها ، وَسَرتْ في الكُلِّ بحقيقتها من سِرِّ الذَّات الأحدي ، ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [سورة البروج : آية ٢١-٢٢] ؛ وقوله: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [سورة البروج : آية ١٢] ، فانظر في حقيقةِ قَولِهِ حِينَ ذَكَرَ البَطْشَ الشديدَ ذَكَرَ الغُفرانَ وَالوِدَّ ، قوله: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج : آية ٤٦] ، وقوله: ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ [سورة البقرة : آية ٧] الآية ، فإذا ارتفعَ الحجِابُ عنها واتَّضَحَ لها الأَصْلُ والفرعُ ؛ شَاهَدَ بهذه الحواسِّ ما يشاهد به الأرواح[1] ، ويُشَاهِدُ بها جميعَ ذلك بِذَاتِهِ ؛ لأنَّ هذه الحقائق والمكاشفات تَقَعُ في حالِ السُّلوكِ بالتَّدْرِيجِ والتَّنَقُّلِ إلى ما يكون فيه كمال أهل الله سبحانه وتعالى . ولكن هي مراتب لأهل الشُّهودِ وهي أعلى مراتب الذاتية المُفْنِيَةُ جميع الأجسام الحِسِّيَّة عند التَّجَلِّي ، وهي عين الأعيان ، وصور الحقائق الحاصل من تجليات الاسم العليم الحكيم ، وقوة الروحانية غير حالة في الجسم ، وتُسَمَّى النُّورَ القُدْسِيِّ من لوامِعِ أنواره ، وهو يُعْطِي العِلمَ التَّامَ عَقْلاً ونقلاً ، وَفَتْحُ الرُّوحِ يُعْطِي المَعْرِفَةَ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [سورة الإسراء : آية ٨٥] الآية ، وإن كانت مراتبُ الكَشفِ متفاوتةٌ ولا تنضبِطُ ، ولكن هنا الفرقُ بين الإلهامِ والوَحْيِ أَنَّ الإلهامَ قد يحصلُ من الحَقِّ سبحانه من غير وَاسطةٍ ، وهو من خَوَاصِّ الاسم الأعظمِ الحاكمِ عليهم ، والوَحْيُ شهودُ المَلَكِ وسَمَاعُ كلامِهِ ، فهو من الكشف الشهودي ، والوحي يحصل أيضاً من خواص

---

(١) لعل العبارة : ما يشاهده بالروح .

النبوة[1] لتعلقه بالظاهر قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [سورة النجم : آية ٤ـ٥] ، وقوله : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [سورة النجم: آية ٩] ، فحَصَلَ له الدُّنُوُّ والتَّحِيَّةُ والرِّضى ، وهو ﷺ في عروجه في مسراه وغير مسراه احتَوىٰ جميعَ ظاهرَ العلومِ والباطنةِ[2] بخواصِّ العالِمِ ؛ فصار مَجْمَعَ البحرين ومجمع العِلْمَين ، فهو ﷺ في نُزُولِهِ كَمَالُهُ ، كما أن عُرُوجَه إلى مقامِهِ الأصلي كَمَالُه . ولا يفهم ويعرف ذلك إلا مَنْ تَنَوَّرَ قلبُهُ وانشرح صدرُهُ ، قوله : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[سورة الشرح : آية ١]، وقوله:﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [سورة طه : آية ٢٥] الآية ، فَهُنَا طَالِبٌ ومَطْلوبٌ وَمُحِبٌ وَمَحْبُوبٌ ، فَمُشَاهَدَةُ هذه المِنَّةِ ومَنْبَعِها من الحقيقة المحمدية ، وهي الذَّاتُ فله الأسماء الحسنىٰ كلها ، وهو الاسم الأعظم ، وحقائقُ الأسماء بعضُها من بعضٍ ، قال عليه الصلاة والسلام : (خُصِصْتُ بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة) ، وظهورُ الحقيقةِ فِيهِ ؛ فكانت الخِلافةُ واجبةٌ من الله تعالىٰ في العَالَمِ بحُكْمِ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ﴾ [سورة الشورىٰ : آية ٥١] ، وَجَبَ الظهورُ للخليفةِ في كُلِّ زمانٍ من الأزمنةِ ليحصل لهم الإستيناس والتحقق له[3] ، ويتصفُ بالكمال اللائق كُلٌّ من الناس كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [سورة الأنعام : آية ٩] ، فهذه دلائل لِئَلاَّ يغلط الغافلُ والجاهل ، لأن هذه الحقيقة باطنها أَجْلَىٰ من الظاهر ، ولا يَعْلَمُها إلا العالمون بالله ، وما كُنَّا لنهتدي لولا أَنْ هَدَانَا الله ، وهذا مقامُ الرُّوح والقلب ، وكَمَالُهُما عينُ النَّعيم ، والوصولُ إليها الصراطُ المستقيم ، وهو أَدَقُّ من الشَّعْرِ وأَحَدُّ مِن السَّيف ، ومعرفتُهُ صَعبةٌ جِداً ، وَقَفَ أَكْثَرُ أهلِ الإستقامة علىٰ صِدقِ التَّوَجُّهِ إليها مستقيمين منتظرين فَتْحَ بابها ، قوله ﷺ : (الدنيا سِجنُ المؤمن وَجَنَّةُ الكافر) ، وفي عالم البرزخ قال : (القبرُ

(١) لعل العبارة : والوحي أيضاً من خواص النبَّوة ...
(٢) لعله : ظاهر العلوم وباطنها .
(٣) في (ب) : والتحقيق .

روضةٌ من رياضِ الجَنَّةِ أو حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ) ، ومثال ذلك في العَالَمِ الإنساني ؛ وَيَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ مَنْ دَخَلَ مقامَ القلب ، والرُّوحُ مُقَدَّمٌ على لفظِ القلب ، وبكمالاتِهَا يكونُ في عَينِ النَّعيم.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١١٨)

وَوَصْفُهُمْ : (أهلُ رُتبةِ الكمال والمحققين) ، قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[سورة القلم : آية ٤] ، وَوَصْفُهُمْ الأخلاقُ الحميدة ، وصِفَاتُهم الصفاتُ المَرْضِيَّة ، فَهُمْ في أَتَمِّ النعيم يتلذذون بكأس خمرةِ الذَّاتِ ، مستقيمين على أَسْنَىٰ طريق العارفين الكُمَّل ؛ لأنهم المُتَوَجِّهِينَ إلى الحق ، وَيَتَجَلَّى على الكُمَّل منهم بِتَجَلٍّ ما يَعْلَمُهُ إلاَّ الله سبحانه وتعالى ، سبحان مَنْ لَمْ يَعلمْ قدرَهُ إلا هو ولا يبلغ الواصفون صفته . وإن اعتبرت الحقيقة الواحدة المفروضة في هذه الإعتبارات ؛ فَحُكْمُ سُلطانِها شيءٌ واحد ، والتَّجَلِّي الإلهي يُسَمَّىٰ بالقلب ، وهو المجمع بين البحرين والمُلْتَقَىٰ للعَالَمِين ؛ لذلك وَسِعَ الحَقَّ وصَارَ عَرشَ الله والكُرسي ، جاء في الصحيح الخبر المَرْوِي : (لا تسعني سمائي ولا أرضي ويسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي) ، وحُكْمُ الحقيقةِ المحمديةِ الأحديةِ الذَّاتِيةِ ؛ حُكْمُ الجَميعِ شيءٌ واحد ، قوله : ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[سورة القمر: آية ٥٥] الآية . فأَمْعِنْ النَّظَرَ إلى إخلاصِكَ فيها وفَنَائك ، أيها العبدُ ؛ لا تَلْتَفِتْ إلى الموجودات من كُلِّ الوجُوه ، وتَحَقَّقْ ما ذَكَرْنَاهُ لَكَ بقلبكَ بعد محْوِ حَوَاسِّكَ ؛ لِيَمْنَحَكَ بربوبيته الحق[1] والنَّظَرَ فِيهَا ، نَطَقَ بِهِ القرآن :﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣١] الآية ، حَقِيقَةُ مَحَبَّةِ الله تعالى محبةُ الرَّسُولِ ﷺ .

---

(١) لعله : الحقائق .

وهذه(١) أعلىٰ مقام عند المحققين ، وهو ﷺ مَرْكِزُ دائرة العَالَمِ(٢) وأحكامها ، ومركز دائرةِ الوجود من الأزل إلىٰ الأبد ، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ ، وباعتبار الكثرة يَتَعَدَّدُ وقبل انقطاع النبوة ، وقوله تعالىٰ : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[سورة ق : آية ١٥] ، وقوله : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ،وقوله تعالىٰ: ﴿ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾[سورة غافر : آية ٥٩] ، وقوله : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[سورة طه : آية ١٥] ، وغيرُ ذلك من الآيات بنص القرآن ، فسبحان من دَبَّر كُلَّ شيءٍ بحكمته ، وَأَتْقَنَ كُلَّ ما صَنَعَ برحمته . قوله تعاليك ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[سورة الرعد : آية ٧] وقوله : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[سورة فاطر : آية ٢٤] كما قال للنبي ﷺ : ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾[سورة فاطر : آية ٢٣] الآيةُ دَالَّةٌ علىٰ الآياتِ الدالةِ عليها ؛ وذلك بطلوع شمس الذات الاحدية مع غُروبِ ظاهرِ الخليقة ، وانكشاف الحقيقةِ : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ، فهي مراتب العارفين ، منهم الموحدين من تصحيح الفناء في الله والبقاء به ؛ فَصَارَ في حَقِيقَةِ مَحْضِ العبوديةِ التي تَوَلَّتْهَا الربوبية ، وهي تَشْتَمِلُ علىٰ مقاماتٍ وأَسرارٍ غَامِضةٍ ، وَعِلْمٍ لَدُنِّي ذوقي ما يَنْطقُ النَّاطِقُ به قوله تعالىٰ : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ... ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٤٩] الآية ، وقال فيهم [الرسول ﷺ](٣) في الحديث النبوي : (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) وأما العارفين الكُمَّل فَهُمْ ذكروا اللهَ بقلوبهم ، وتَحَقَّقُوا المعرفةَ بِجَلالِهِ ، فهم حُجَجُ اللهِ تعالىٰ علىٰ خَلْقِهِ ، خَلَعَ عليهم خِلَعْ لِباسِ التَّقوىٰ ، وهم أهلُ كَلِمةِ التقوىٰ ؛ فظهرت سِيَما الله سبحانه بالنُّورِ الساطع بمحبة ، ورَفَعَ لَهُمْ أعلامَ الهدايةِ ، وهم

---

(١) لعله : وهذا .

(٢) لعله : العَوالِم .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السياق .

العارفين[1] الشجعان الأبطال بإرادَتِهِ ، وأَفْرَغَ عليهم الصبرَ الجميل ، قوله تعالىٰ: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾[سورة المعارج : آية ٥] ، فكان[2] من أهل وِدِّهِ السَّابق.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١١٩)

ومن أُرْشِدَ واهتدىٰ إلىٰ باب الحقيقة الأحَدِية ؛ صَارَ من أربابِ القلوب الواعية والوَاصِلَةِ ، وهم الذين طَابَتْ لهم من خِلَعِ الرحمن الرحيم ، ومَمَّنْ شرب[3] خَمرَةِ الذَّاتِ ، وطَلَعَتْ عليهم شمسُ الذات الأحدية الجامعة الفَرْدِّية المحمدية ، قوله تعالىٰ ناطق بنص القرآن العظيم : ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[سورة الأعراف: آية ١٧] الآية . فافهم من ذلك واجعل النظر إلىٰ ما فيه لك الفائدة ، ولا ترجع إلىٰ الخارج والنَّادِرِ ، والخواصُ منهم ينظرون إلىٰ أعلىٰ مراتب الفناء في الله سبحانه وتعالىٰ ، والبقاء بالله سبحانه وتعالىٰ ، وإذا صَحَّ الفناءُ صح[4] معرفةُ البقاء ، ودُخولُكَ في بابه الواسِعِ والبحر العميق ، و لا تطلب قُوَّةَ التَّصَرُّفِ والمكاشفَةِ ؛ تُكَاشَفُ بعلوم[5] الملكوتية الغيبية ، لتَعْلَمَ أن اللهَ علىٰ كُلِّ شَيءٍ قدير ، والمتصفين[6] بصِفةِ القُدْرَةِ تَحَقُّقُهُمْ بالوجودِ الحَقَّانِي ، والمكاشفاتُ قد تكون بمجرد الإطلاع علىٰ المعاني ، وقد تكون في

---

(١) لعله : العارفون .
(٢) لعله : فَكَانُوا .
(٣) لعله : وشربوا .
(٤) لعله : صَحَتْ .
(٥) لعله : بالعلوم .
(٦) لعله : والمتصفون .

حقيقة العبودية والأدب ؛ لينال بالمشاهدةِ على حسبِ مُوَاجَهَتِهِ إليها[1] ونَظْرتِهِ إلى فنائه فيها ، فيكون عبداً حقاً ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾[سورة الإسراء: آية ١] الآية ، وَرُكُوبُهُ على البراق ، وجميعُ الملائكةِ جنودُهُ ، وصح وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ : (رأى الحقَّ بعيني رأسِه محمد سيد الأولين والآخرين) . [و][2] قبضنا النُّطْقَ فيما أَوْدَعَهُ الحَقُّ من الرِّضى ، فلا يُحْصِي فيه الكَاتِبُ ، وقوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[سورة الضحى : آية ٥] ، وعن الحسين ابن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما أنه قال : (لا يرضى محمدٌ ﷺ أحداً من أمته في النار) ، نص القرآن : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، وجبريلُ عليه السلام دخلَ في أهل الكساء لفضلهم العظيم ، وطَلَبَ من الحَقِّ أن يكون منهم ، ولا يُحْتَاجُ إلى مظهر[3] ذلك ، وفوقَ كُلِّ ذي علم عليم ، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكلِّ شيءٍ عليم ؛ لرُجُوعِ كُلِّ ما ظهرَ في الشهادةِ أو بَطَنَ في الغيبِ إليه ، وهو بكل شيءٍ عليم لإحاطته بالأشياء بذاته ، وجميعُ العلومِ الظاهرةِ والباطنةِ هي بواسطة مَنْ [هو][4] عينُ الفَضْلِ والجُودِ ، فهو جَامِعٌ لتلك الكمالات ، أَحَدِيَّتُهُ ظاهرةٌ في واحِدِيَّته ؛ ولا شيء من الصور يقدحُ في أَحَدِيَّته ، وهو حقيقةٌ واحدة ، ودليله نَصُّ القرآن العظيم : ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[سورة يوسف : آية ١٠٨] الآية ، والوحدة[5] هي عين واحدة الأصلية الذاتية ، وهو النور المَحْضُ ، إِذْ بِهِ تُدْرَكُ الأشياءُ كلُّها ، وهو مظهرٌ لذاته وظَاهِرٌ لِغَيْرِهِ ، وَمُنَوِّرُ سموات الغيوبِ والأرواحِ ، والأجسام ترابية من الطينة الآدمية ، لا نهاية لتحقيقِ معرفة كيفيتها ، وهي الجامعة للأنوار الروحانية

(١) لعله : لها .
(٢) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .
(٣) لعله : إظهارُ .
(٤) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .
(٥) في (ب) : والواحدة .

والجسمانية ، وحقيقته غير معلومة لما سواه ، ولا هنا عبارة في الكون ، والمحو والإثبات دليل إنه[1] إثبات استدلال الكون لفظي ، والوجود أشهر من الكون ، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[سورة الفرقان: آية ٤٥] ، لتضاعف التَّقْيِيدُ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾[سورة الفرقان: آية ٤٥] ، فهو الواجِبُ الوُجُودِ الحَقُّ سبحانَهُ وتعالى ، الثابتُ بِذَاتِهِ والمُثْبِتُ لغيره ، وليس هنا غَيْرٌ ، والموصوف بالأسماء الإلهية ، والمنعوت بالنعوت الربانية ، المَدْعُو بلسان الأنبياء والأولياء إلى خلقه[2] ، الهادي خَلْقَهُ إلى ذاته ، [وهو عين] [3] الأشياء وقوله : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[سورة الحديد: آية ٣] ، وهو مُنَزَّهٌ عن الحَصْرِ والتَّعْبِير ، ونقدسه عن سمات الحدوث و التَّكْوِين ، وإيجادُ الأشياءِ واختفائها اختفاؤه فيها ، قوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[سورة الكهف : آية ١١٠] الآية ، ونص القرآن لَمَّا تلاشت بشريته ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[سورة غافر: آية ١٦] وسر وقوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[سورة الحديد : آية ٤] وقوله : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾[سورة الواقعة : آية ٨٥] وقوله: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[سورة الذاريات : آية ٢١] وقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[سورة الزخرف : آية ٨٤] وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[سورة النور : آية ٣٥] وقوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً﴾[سورة النساء : آية ١٢٦] ، وتلك الحقائق أيضاً عين ذاته حقيقة ، وإن كانت غيرها تَعَيُّنَاً ، ولا يدركه غيره سبحانه عز وجل ، قال تعالى : ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] وقوله : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[سورة طه : آية ١١٠] وقوله : ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[سورة الأنعام : آية ٩١] وقوله : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾[سورة آل عمران : آية

---

(١) لعله : أن إثبات .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : المدعو بلسان الأنبياء والأولياء ، والدَّاعي بألسنتهم إليه خلقَه .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ج) وفي الأصل : وإيضاء هو عين ....

٣٠] وقوله : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾[سورة الزمر : آية ٥٣] الآية ، فما أَعْظَمَ هذا التَّعَطُّفُ لهم والرأفة بعباده حيثُ نَسَبَهُمْ إليه ، فهو أَعظمُ فَخْرٍ وشَفَقَةٍ لهم ، فمن ضَاعَ عُمرُهُ(١) في غير مرضاتِهِ وأخذهم شيء حقير فَانِي وَعَدَمْ ، اللهم أَرِنَا الحقَّ حَقاً وارزقنا اتِّبَاعَهُ ، وأَرِنَا الباطلَ بَاطِلاً وارزقنا اجْتِنَابَه.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٢٠)

وأسنىٰ الطريق وأعلاها اتباعُ السُّنَّة النبوية ، واقْتِفَاءِ الأحاديث ، وَمَا أُتُوا بِهِ فهو شرحُ صدورِ الأولياء الكمل بنور الإيمان قوله : ﴿ رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً ﴾[سورة الإسراء: آية ٨٠] ، حتىٰ تظهرُ(٢) علىٰ قلبي نورُ بصيرتك ، وأَلبِسْنِي خِلعَ العِزِّ في الدارين برحمتك ، واجعل الرضى منك لنا سبيلا ومِنْهاجاً ، ﴿ سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[سورة يس : آية ٥٨] قوله تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[سورة الشورىٰ : آية ١١] الآية . وإياك الوقوف مع شيء من [الأمور](٣) الكونية الفانية ، فهي طَائِعَةٌ في كَوْنِهَا قوله: ﴿ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[سورة فصلت: آية ١١] الآية ، وهو من الصُّورِ الحِسِّيَّة ، وهو تحت الحُكْمِ والرَّسْمِ : ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ ﴾[سورة البقرة: آية ٢٥٧] الآية . ولما كانت هذه الحقيقة مشتملةٌ علىٰ الجهتين الحِسِّيَّة والمعنوية ، وهي الخلافة قوله تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا

(١) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : فيا أَسَفاً على من ضاع عمره ....

(٢) لعله : يظهر .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّياق .

الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم ﴾[سورة النور : آية ٥٥] الآية ، وهو ﷺ الحقيقة الأحدية الذاتية ، وكُلُّ علمٍ ظَهَرَ فهو من العلم اللدني ، من نور طلوع شمس الذات الأحدية ، وغَربَ ظاهرُ الخليقةِ بانكشاف الحقيقةِ الكليةِ ، وظَهَرَتْ الوحدةُ التامة وانقهار[1] الكثرةُ لها لقوله تعالىٰ: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِّ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦]. وعند أهلِ الحقيقةِ يحرُمُ أن يكشفَ بَعْضُها ، والله أعلم بالحقائق ، والروح الأعظم الذي في الحقيقة هو الروح الإنساني ، مظهرُ الذات الإلهية ، ومن حيث الربوبية إنها تصان ، لا يمكن أن يحوم حولها حائم ، ولا يروم وَصْلَهَا رائم ، ووقف علىٰ بابها كل حَبْرٍ عَالِمٍ ، وحولها بحارٌ ، وجَمَالُها فائض ، لا يعلم كُنْهَهَا إلاَّ الله تعالىٰ عالِمُ السِّرِ وأَخْفَىٰ ؛ فإنه يعلمُ السرَ وأَخْفَىٰ ، وقوله : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٥] ، وإذا صح لك وثبت هذا العلم فهو النُّورُ القَلْبي ، ويظهرُ سُلطانُهُ علىٰ النَّفْسِ ؛ فكانت مطمئنةً مستعدة ، فنارت[2] مرآةُ التَّجَلِّي الإلهي علىٰ القلب ، وهو المُضْغَةُ التي إذا صَلُحَتْ صلحَ الجسدُ كُلُّهُ ، وهذه معاني ورموز لا يَفْهَمُهَا إلاَّ الموفَّقِين ، فإذا فهمت علمت.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٢١)

إعلم أن المرتبة الروحِيَّة ظِلُّ المرتبةِ الأَحدية ، والمرتبةُ القلبيةُ ظِلُّ المرتبة الواحِدِيَّةِ الإلهية ، ونبهك إلىٰ غوامضِ الأسرارِ الربانية ؛ لتكون مِمَّنْ يُمْعِنُ النظرَ إلىٰ تحقيق العبودية وفنائها ، لتنالَ

---

(١) لعله : وانقهرت .

(٢) لعلها : فأنارت .

الرَّمقَ إلىٰ التجلي[١] أسرار الربوبية ؛ فَتَتَوَلاَّكَ[٢] بسلطانها ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[سورة الأنعام : آية ١٨] قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[سورة النمل: آية ٨٧] . وكُلُّ شيءٍ يرجع إلىٰ أصله ، وقوله : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[سورة النساء:آية ١٧٠]وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[سورة القصص: آية ٨٨] وقوله :﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦-٢٧] . وهم العارفين أهل رتبة الفناء في الحق وهي[٣] في الحياة الدنيا ، وهم الأفرادُ الذين قَامَتْ قِيامَتُهم ، فلهم من الحَقِّ الربوبيةُ في مَظْهرِ البشرية ؛ لِئَلاَّ تُحْرَقُ أبصارُ الناظرين إليها ، فيكون سَمعَه وبَصرَه ، ويكون كاخْتِفاء الكواكبِ عند ظهور الشمس ، وَسَتْرُ العبودِيَّةِ بِوَجْهِ الربوبِيَّةِ ، فيكونُ الرَّبُّ ظاهراً والعبدُ مختفياً ، والعلم بكيفيته علىٰ ما هو عليه مُخْتَصٌّ بالله تعالىٰ ، لا يمكن أن يَطَّلِعَ عليه[٤] إلا من شاء الله من عباده الكُمَّل ، قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَىٰ صَعِقًا﴾[سورة الأعراف : آية ١٤٣] الآية ، فعرف موسىٰ علىٰ نبينا وعليه السلام ، ولَزِمَ العبودِيَّةَ ، وَرَجَعَ إلىٰ بشريَّتِهِ وضَعْفِه ؛ لكونه عاجزاً عن مَنالِ ما طَلَبَهُ ، ورأفة[٥] الحق ولطفه ، وهو أحكم الحاكمين ، فقال : ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة الأعراف : آية ١٤٣] وقوله لعيسىٰ عليه السلام : ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ

---

(١) لعله : تَجَلِّي .

(٢) في (ب) : فيتولاَّك .

(٣) لعله : وَهُمْ ...

(٤) في (ب) : عليها .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : وَلِرَأفَةِ الحقِّ وَلُطْفِهِ به .

الْغُيُوبِ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٦] ، إلىٰ أن قال : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٧ـ١١٨] ، وقوله في أيوب: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ٨٣] الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[سورة الأنعام : آية ٣٨] ، فالأنبياء صلوات الله وسلامُهُ عليهم مظاهرُ الذَّاتِ الإلهية مِنْ رُبوبيَّتِها للمظاهرِ وعدالتِها ، ويَمْتَازُ كُلٌّ منهمْ عن الآخر في المرتَبةِ بحسب الحِيطَةِ التامة الكاملة ؛ كأُولِي العَزْمِ من الرُّسُلِ صلوات الله عليهم أجمعين ، والمراتب هي مجمع البحرين ، وجَمَعَ العلومَ ، وجميعُ مايفيض عليه من الحق إلاَّ بالباطن[1] ، وهو يشتمل علىٰ أهل الأصول إلىٰ أسنىٰ وأعلىٰ درجة مقام الولاية ، قال الله تعالىٰ : ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٥٧] الآية.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٢٢)

وانتقلت الطرقُ كُلُّها والمقاماتُ إلىٰ حقيقةِ علمِ اليقين وعَينِ اليقينِ وحق اليقين ؛ بشهوده كما هو ، وعلم ورمز ليس له نهاية ، وكتاب من الله ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾[سورة الرحمن : آية ١٩ـ٢٠] الآية ، وقوله: ﴿ حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[سورة غافر : آية ١ـ٢] وقوله : ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[سورة الحجر : آية ٢١] ، فهذه الإشارة لا يفهمها إلاَّ كل قلبٍ مُنَوَّرٍ ، فَافْهَمِ الإشارةَ كِفَايَةٌ لك عن التعبير : إن كُنتَ سميع بصير عليم خبير ، قوله تعالىٰ: ﴿ يَعْلَمُ

(١) هكذا في (أ ، ب ، ج) وفي هامش (أ) : إلى الباطن .

خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[سورة غافر : آية ١٩] وقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ٣] وأداءً للشكر لقوله : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[سورة الضحى : آية ١١] وقوله : ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾[سورة الأنفال: آية ٨] . وهذا العِلمُ اللَّدُنِّي لا يُعْلَمُ إلا لمن وَفَّقَهُ الله ، وأَنْعَمَ عليه بالتوفيق ، قوله : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[سورة هود : آية ٨٨] ، وعِلمُ بيانِ الروح الأعظم ومراتبه واسمائه . وخلافة الحقيقة[1] المحمدية مُجَمَعُ الأخلاق الربانية ، اللطيفُ بِعِبَادِ الله ، والمُتَخَلِّق بأخلاق الله سبحانه وتعالى ، ولا يُمكِنُ الإحاطةُ بعِلْمِ أسرارِهِ ووَصْفِ صِفَاتِهِ بلسان العبارَةِ والإِشَارةِ ، وَكَمُلَتْ مَحَاسِنُهُ لكونه مُتَحَلِّياً[2] بهذه الأسرار العلية ، حاملاً للأنوارِ السَّنِيَّةِ ، سالكاً طريق الحق ، متوجهاً إلى مَقْعَدِ الصِّدْقِ ؛ فأَوْجَبَ الحقُّ من فَضْلِهِ وجودِهِ عَلِيهِ اسْتَحَقَّ أن نَحَلَهُ[3] مَحَامِدَهُ ، وَذِكْرُهُ مقرونٌ بِذِكْرِهِ ، وَيَحْمَدُ الحَامِدُ حَقَّهُ مِنْ فَيْضِ عَطَاءِ رَبِّهِ ؛ فَظَهَرَ فَضْلُهُ على جميعِ خَلْقِهِ ، فأُعْطِيَ نظام العالَمِ ، مُشَاهِداً بباطِنِهِ كمالَ بني آدم ، فاستَحَقَّ لذلك ، ونَظَرَ أَصْحَابه رضي الله عنهم ، قوله : ﴿ وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة المنافقون : آية ٨] ، فأدركوا أسرارَ العزيزِ العليم بمجلسه ، ونَظَرِهِ إليهم بعين الرحمة التي أرسل بها ، نص القران : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] .

* * *

---

(١) في (ب) : وأخلاقه الحقيقية .

(٢) في (ب) : متجلياً .

(٣) في (ب) : يحله .

﴿ فصل ﴾

(١٢٣)

وعليك بطريق القومِ ، فَأَرْجُوا مِنَ اللهِ واسأَلْهُ التوفيقَ لِمَنْ نَحَىٰ نحو طريقِ القسطاس المستقيم ﴿اهدِنَـــا الصِّرَاطَ الُمستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ الَمغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾[سورة الفاتحة: آية ٦ـ٧] الآية . ولما ذكرنا في الكتاب قبل ذلك الإتحاد ، وهو شهودُ الوجودِ[1] الواحدِ الحق المطلق ، الذي الكُلُّ به موجودٌ بالحق ؛ لكونِ كُلِّ شيءٍ موجود به معدوم بنفسه ، وهذا الوجود الواحد ظهوره هو العالم ، وهو الإنسان الكامل ، هو الذي يلزمه جميع الكمالات ، وَبِهِ تَقُومُ الصِّفَاتُ ؛ كالحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر ، فهو الحي العليم المريد القادر السميع البصير بذاته لا بواسطة ، إذْ بِهِ تَلحَقُ الأشياءَ كمالاتها ، هو الذي يظهر بتجليه في أحدِيَّتِه ، وهي عين ذاتها الأحدية ، لا تقابلها الكثرة بل أصل الوحدة المقابلة لها هي عين ذاتها الأحدية ، فهو الحي القيوم العليم المريد القادر بذاته لا بالصفة . ومُرَادُ ما قُلنَا لك به هو عين كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذ قال : (كَمَالُ الإخلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عنه) ، وفي المرتبة تَمييزُ العِلمِ عن القُدْرَةِ ، فهي الإرادةُ ، فَعِلِيٌّ كرم الله وجهه أعلمُ الناسِ كما دَلَّ عليه الحديثُ : (عَلِيٌّ بَابُها) أَعْنِي: مدينةَ العلم ، وهي حقيقة جميع المَكَارِمِ والمشاهد لسيدنا علي كرم الله وجهه في كَرَمَ اللهُ ، وَهْوَ كرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ في كماله عالم ، ونورُ عَقْلِهِ كاملٌ . والعلم اللدني قد يكون واجباً بالذات كَعِلْمِ الحق سبحانه وتعالىٰ ذَاتَه بذَاتِهِ ، وحقيقة العلمِ واحدةٌ ، وهي الحضرة العلمية القلبية الفائضة من الذات الإلهية بالفَيضِ الأقدسِ ، والتجلي بواسطة الحُبِّ الذاتي[2] ، وطَلَبُ مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ،

---

(١) لعله : الموجود .

(٢) في (ب) : اللَّدُنِّيْ .

والقَابِلُ لا يكون إلاَّ من فَيضِها الأقدس . قوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾[سورة الكهف: آية ١٠٩] ؛ لأن كمالاته سبحانه وتعالىٰ عينُ الحقائقِ كُلِّها ، وكمالاتُ الأسماء المختصة بخصائص مظهر الرحمة الواسعة ، التي وَسِعَتۡ كُلَّ شيء ، وهي العين الثابتة ، حقيقة الشيء ، وهي الحضرة المقدسة العالية ، وآياتها وأصلها المحبة ، وهي محبة الذات [لِذَاتها لا باعتبار أَمرٍ ، وهي أعلىٰ وأسۡنَىٰ مراتب الذات][1] ، والمشار [إليها][2] (كنت كنزاً مخفياً لا أُعۡرَفُ فأحببتُ أن أعرف) ، وهو ﷺ الإستواء للحقائق علىٰ الإطلاق في الظهور والتَّعۡيينِ ، حتىٰ تسهل علىٰ عارفيها نظر البشرية ، فهي في مشكاة نورها في طي ظلها ، والفرق ما بين الظل وما هو ظله ، لأن جميع الأكوان وعلوم الكون الكل ظلاً كوجدانهم ، والله أعلم بالحقائق ، لكن العلم لازم لذات الحق ، لسريانها في جميع الأسماء الغيبية المختصة بالباطن والضد الظاهر ، ولا مدخل للعقل في هذه المعاني لأنه علم ذوقي خفي ، فافرادها لتوقفها لأزمانها التي يعلمها الحق ، ووقوعها لا ينال بالإستعداد ، لأنها من العلم الغيبي ، يظهر من الغيب إلىٰ الشهادة ، وهو مجمع العِلۡمَين : العلم الظاهر والعليم الغيبي ، قوله تعالىٰ : ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾[سورة النجم : آية ١٤] ، فسبحان من لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) وليس في الأصل .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل : إليه .

﴿ فصل ﴾

(١٢٤)

فعالِم الأعيان مظهر الاسم الأول والظاهر [المطلق](١) وعالِم الأرواح مظهر الاسم الباطن ، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٩] ، ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾[سورة الكهف: آية ٦٥] ، مظهر الرحمة الشاملة ، والكل طامع فيها ، وهي سَابِقَةٌ الغضبَ والنِّقِمَ ، والعرش مظهر الرحمن ومستواه ، والكرسي مظهر الرحيم . فأمعن النظر وتحقق(٢) الخصائصَ والمناهجَ إلى طرق بابها ، والله الموفق . واعتبار وحده الذات ، والموصوفة بالصفات في السر الذي فاض إليها بالفيض الأقدس الثابتة ، فالأسماء كلها تعود إلى حضرة الجمع ، وكل ما في العقول من الصور فائضة من الحق ، وفَيضُ الشيءِ من غيرِهِ مسبوقٌ بِعْلمِهِ ،فهي ثابتة في عِلْمِهِ تعالى ، وصورة تلك الحقيقة في علم الحق هي الْمُسَمَّاة بالعَينِ الثابتة ، وأهل هذا الفن بحسب القرب من الحق [وهي](٣) الكمالات اللازمة لكل [من](٤) هُدِيَ إلى الطريق ، فإنها صعبة جداً لا ينالها من له شيءٌ في الحِسِّيَاتِ والموهومات ، وليس له نصيب وسهم في هذه الطريق الصعبة علمها ، فكيف وصول حضرتها المقدسة ؟ ! لأنها حضرة الجمع الأبدي السرمدي من غير انقطاع ، وهي ربوبيةٌ تَوَلَّتْ عبوديةً ، فهي مُحَجَّبَةٌ عن من لا يُمَيِّزُ العِلمَ فيها ، فغايةُ عِرْفَانِ العارفينَ بها لزومُ الأدبِ ، ومعترفين ومُقِرِّينَ بالعجزِ والتقصيرِ ، وعلمهم برجوع الأمر إليه ، وهو العليم الخبير.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين في (ج ، د) ، وفي الأصل : المطلوب .

(٢) في (ب) : ومحقق .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) .

﴿ فصل ﴾

(١٢٥)

وعليك بامتثال الأمرِ والطَّاعةِ في هذا الأمر العظيم ، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[سورة الحشر: آية ٧] الآية ، والمراد هنا التعينات الوُجُودِيَّة ، عينُ الوجودِ كُلُّه لله تعالىٰ : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة الصافات : آية ١٨٠ـ١٨٢] ، فالوجود كله لله . فَتَعَلَّقْ بالقَبُولِ ؛ لأنَّ أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه قال : (سَتَرْنَا علمَ حَقائقِ الذَّاتِ ، وأَظْهَرْنَا ما تَفْهمُهُ العقولُ وتِسَعُهُ الصدورُ من [تجليات][1] الذَّاتُ الأحدي ، وأظهرنا لهم من علم الصِّفَاتِ) ، والعلمُ عندنا فائض وزائدٌ ، في كل وقت له نشاهد[2] تجلي الحق ، أخذناه واغترفنا منه ، وهو عالم الملكوت والجبروت ، ومنبعها من معدن الرسالة ، الْمُشَاهِدُ للأشياء بحقائقها صلوات الله عليه وسلام ، والنُّطْقُ من فيضِ سِرِّ الإلهية يكون فيه اعتدالُ المَزَاجِ الإنساني ، وهي الدَّالةُ بِذَاتِها ، وهو أوضح السُّبُل المصون عن التشبيهِ والتمثيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[سورة الشورىٰ: آية ١١] ، ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[سورة المؤمنون: آية ٨٨] . وَتَجَلِّي حقيقة الحقائق الأحدية هي عين الجمع ، وهي غايةُ الغايات ، ومجمعُ البحرين ، ومقامُ قاب قوسين ، ومَجَلَى الجبروت ، وانكشاف الأرواح القدسية ، وعالمها العالم الإنساني الجامع لجميع العوالم وما فيها ، ومظهر الحضرة الأحدية الواحدية المحمدية ، وردَ في الخبرِ الصحيحِ أنَّ النبي ﷺ رَأىٰ جبريلَ عليه السلام حولَ السدرةِ وله ستمائة جناح ، وفيه أيضاً أنه يدْخُلُ كُلَّ صَباحٍ ومساءٍ في نهر الحياة ، ثم يخرجُ فَيَنْفِضُ أَجْنِحَتَهُ ؛ فيخلُقُ اللهُ سبحانه وتعالىٰ

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : تجلي .

(٢) في (ب) : له شاهده .

من قطراته ملائكةً لا عدد لها . وهذا[1] العالم يشتمل على العرش والكرسي والسموات السبع والأراضين ، وَمَا في جميعها من الأَمْلاكِ وغيرهم . من هذا المقام طالب على كيفية المعراج النبوي ، وشهوده ﷺ آدمَ في السماءِ الأولى ، ويحيى وعيسى في السماء الثانية ، ويوسفَ في الثالثة ، وإدريسَ في الرابعة ، وهارون في الخامسة ، وموسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة ؛ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فهو الدليل والمدلول عليه ، والشَّاهِد والمَشْهُود ، فهو أعظم الوسائل ، نور الحقيقة الذاتية الجامع[2] ، وهو مظهر اسم الله تعالى ، الروح الأعظم الإنساني ، وهي الأَوَّلِيَّة ، ويظهرُ فيها سِرُّ الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، فسبحان من دَبَّرَ كُلَّ شيءٍ بحكمته ، وأتقنَ ما صَنَع برحمته ، وهي الحقيقة المحمدية ، هي الذَّات فله الأسماء الحسنى كلها عزيزها ومنبعها ، وهو الاسم الأعظم ، وحقائق الأسماء بعضها من بعض ، فيصير مجمعُ البحرين ، ومظهر العالمين ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة يونس: آية ١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِّ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِّ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[سورة يوسف: آية ١٠٨] الآية ، وقوله :﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهَّ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[سورة الأحزاب: آية٤٠] ، وقوله: ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[سورة المطففين: آية ٢٦] الآية ، وقوله:﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهَّ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر: آية ١٦] ، وقوله :﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾[سورة الأنعام: آية ١٢٢] ، وهي الحياة الذاتية الإلهية العلمية النورية.

* * *

---

(١) في (ب) : ولهذا .

(٢) في (ب) : الجامعة .

﴿ فصل ﴾

(١٢٦)

والحَقُّ وَصَفَ نَفْسَهُ بالنَّفَسِ الرَّحْمانِي ، ولا بد لكل موصوفٍ بالصفة(١) ، وأعلاها الأرواح العُلوية التي فوق السموات ، ﴿ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة آل عمران : آية ٩٧] ، ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[سورة الصافات : آية ٩٦] . وَمَنْ كانَ من الله على بصيرةٍ تَوَلَّتْهُ(٢) الرحمةُ ، ورَعَتْهُ عينُ العِنَايَةِ بالحِفظِ والحِرَاسَةِ ، وإلاَّ إن هذه الطريقة وَعِرةٌ صَعْبَةٌ جداً ، ما يمشي على قَدَمِها إلاَّ العالِمون بالله العارفين(٣) المحققين ، فالْزَمْ واسْتَهْدِ بهَدْيِهِم(٤) وأدبهم ، والتأويل فيها لمن اتبع حُكمَ اللهِ وكلامَ اللهِ القرآن العظيم ، ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[سورة هود : آية ١١٢] ؛ وإلاَّ وَقَعْتَ في بحرٍ عظيم مُغْرِقٍ لا يَنْجُ مَنْ غَرِقَ فِيهِ ، ومن استمعَ كلام الله ونظر فيه واستبصر في قيام أحكامِهِ ، كان مِنَ اللهِ فيه على بصيرَة ، ومن اتَّبَعَ ما فيه كان من الطائفة النَّاجِيَةِ ، وهم أجِلاَّءُ أكَابِر العارفين الأولياء ، قوله: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[سورة يونس: آية ٦٢] . وقوله : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[سورة المائدة: آية ١١٨] ، وهذه الآية من التسليمِ لله والتعرض لعفوه ، وقد ورد أن الحق إذا أحب صوت عبده في دعائه إياه ، أخرَّ الإجابة عنه حتى يكرر الطلب في عَرْضِ حوائجه ومطالبه ، والحقيقة إنَّ تَرَدُّدَ الطلبِ منِ العبد لا يكون إلا على علم عظيم عنده من الله ، وعند الكمل السكوتُ أَوْلَى مِنَ النُّطْقِ ، وهو مقام التمكين في الحقيقة الأحدية الذاتية . ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٥٦] ، والنَّارُ ومن فيها من الأشياء ؛ فالرحمة سارِيَةٌ في كل موجود ؛ فَصِلاَةُ(٥) الحَقَّ كَائِنَةٌ على

---

(١) لعله : من صفه .

(٢) في (ب) : وتولته .

(٣) لعله : العارفون المحققون .

(٤) في (ب) : وأيديهم .

(٥) في (ب) : وصِلاَةُ .

كل موجود ، والخلق صور خيالية محركهم[1] الحق ، والنَّاطِقُ عنهم الحَقُّ ، فهم مُصَرَّفون ، تجري عليهم أحكامُ القدرة ، وهم محو في حَال ثُبُوتِهِم[2] ، وعَدَمٌ في حَالِ وجُودِهِم . قوله تعالىٰ : ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [سورة طه : آية ٥٠] ، فلا أمرٌ إلاَّ داخل في صلاة الملائكة من طائع وعاصي علىٰ إبداع الطاعات والمعاصي ، والحق ليس كمثله شيء.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٢٧)

فتأمل أن الحقيقة الإلهية المَنْعُوتَةُ بنعوتِ التنزيه ؛ إذا شُوهِدَتْ نَفَتْ كُلَّ عينٍ سِواها ، والمَشَاهِدُ تتفاضلُ في مَشَاهِدِها والعَينُ واحدةٌ ؛ أعني : الحقيقة الواحدة الأحدية المحمدية ، وهي الخاتِمَةُ الجامعة للمراتبِ ، وشُمُولُها علىٰ الكُلِّ ذَاتاً وصِفاتاً وظَاهراً و بَاطِناً . قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه : آية ١١٤] ، وقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٢١] الآية ، واعلم أن عَطَائهم علىٰ طريق[3] الإنعام والإفضال ، قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٦٤] الآية ، وفي هذه المنحة قام رسول الله ﷺ حتىٰ تَوَرَّمَتْ قدماه شكراً ؛ لَمَّا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنبه وما تأخر ، فقيلَ لَهُ في ذلك فقال : (أفلا أكون عبداً شكوراً) ، وهي من خصائصه واختصاصه

---

(١) في (ب) : والخلق صَارُوا إليه مُحْيِهِمْ الحقُّ .

(٢) في (ب) : في عين ثبوتهم .

(٣) في (ب) : الطريق .

بالفَضْلِ العظيم . قوله : ﴿ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩٠] ، وجميع أهل الشرائع آخذين عنه العلم ؛ لكونه خَليفةٌ عن الله تعالىٰ ، ومن قامَ مقامَهُ مع الموافقة في الحكم [المشروع](١) ، فلما علم ذلك ﷺ لم يُحَجِّرِ الأمرَ ، فلله خُلفاءُ(٢) في خَلْقِهِ ، يأخذون من مَعْدِنِ النبي ﷺ ، ويكونُ هذا التَّقْرِيرُ من علمه ﷺ ، ونقول بلسانِ الكَشْفِ في الخليفة : خَلِيفَةُ الله ، وبلسان الظَّاهِرِ : خَليفَةُ رسول الله ﷺ ، وهذا تصحيح وبيان ، واختلافهم رحمةٌ لأنه سَابقٌ فيهم . وهوﷺ ما نَصَّ بالخلافَةِ مِنْهُ إلىٰ أَحَدٍ ، ولا عَيَّنَهُ في الحديث الصحيح ؛ لعلمه أن في أُمَّتِهِ مَنْ يأخذُ الخلافة عن ربه ، نص الحديث الصحيح: (عليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي عُضُّوا عليها بالنواجِذِ) ، اللهم ثَبِّتْ أساسَ الكِتابِ والسُّنَةِ وقَوِّ قواعدَ الشريعة المطهرة . وقوله صلىٰ الله عليه وسلم: (إذ بُويِعَ الخليفتين ؛ فاقتلوا الآخر منهم) هذا في الخلافةِ الظاهرةِ التي لها السَّيفُ ، وإن اتَّفَقَا فلا بُدَّ مِن قتلِ أحدهما ، بخلاف الخلافةِ المَعْنَوِيَّةِ فإنه لا قتل فيها ، وإنما جاء القتلُ في الخلافةِ الظاهرة ، وإن لم يكن لذلك الخليفة هذا المقام ، وهو خليفة رسول الله ﷺ إن عَدَلَ فمن حكم الأصل الذي به قوله تعالىٰ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾[سورة الأنبياء: آية ٢٢] ، ورجوعه إلىٰ المشيئة(٣) الإلهية التي يستند إليها كُلُّ شيء ، وهي لا تستند إلىٰ شيء وهو يأخذ ـ أعني : صاحب هذا المقام ـ مِنَ الرحمةِ الواسعة التي سَبَقَتِ الغضبَ الإلهي ؛ والسَّابِق مُتَقَدِّمٌ قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة الحديد: آية ٣] ، فَنَالت الرحمةُ المتقدمَ والمتأخرَ ؛ وإن لم يكن سابقٌ بالظاهر فالمعنىٰ بقوله : (رحمتي سبقت غضبي) . والحقيقة لا بد من وصول الرحمة ومُفَارَقَةِ الغَضبِ ، فمن لم يكن له فَهْمٌ في هذه المُشَاهَدَةِ فليأخُذْ عَنَّا ، فما ثَمَّ إلاَّ الحقيقة نطقتُ سِرَّها علىٰ مقتضىٰ الشريعة ، وهي

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : المشروح .
(٢) في (ب ، ج) : خلقاً .
(٣) في (ب) : إلى حكم المشيئة .

الطريقة ، فاعتمد على ما ذكرناه وأيدناك به من هذا العلم اللدني الوهبي . قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ ﴾[سورة البقرة : آية ١٧٩] ، أهل المجلس ، فإنه تعالى جَلِيسُ من ذَكَرَهُ والجليسُ مشهودٌ للذاكر ؛ وإن لم يُشَاهِدْ الذَّاكرُ الحقَّ فهو جَلِيسُهُ ، ﴿ فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ ﴾[سورة يونس : آية ٣٢] ، فإن ذَكَرَ اللهَ فَهِمَ هذا السِّرَّ ، وفي ذِكرِ الغافلين ولو هو ذِكْرٌ عن غفلة فَقَدْ شَرَّفَ جَارحةً من جوارِحِهِ بالذِّكْرِ وهو اللسان ، وإليه يرجع الأمر كله . فانظر الفائدةَ والغايةَ من حيث الدار التي تَنْتَقِلُ إليها ، وهي الدَّارُ الآخرة ، دارُ البقاء والنعيم لأهل الجنة ، وهي السِّلعةُ الغاليةُ ، قوله تعالى : ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾[سورة التوبة : آية ١١١] ، وقوله تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ ﴾[سورة المطففين : آية ٢٤] ، وقوله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[سورة الفتح : آية ٢٩] ، وقوله تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ... ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٢٢] الآية ، فالنَّفْسُ الرَّحماني والتوحيد أن حقيقته(١) : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[سورة الحديد : آية ٤] ، فَسَتَرَ الخصوصيةَ بظهورِ البشريةِ ، وثَبت صيانة كشف أسراره ورفع القناع عن وجوه عرائس أبكار معانيه ؛ التي تفيضُ من المعدنِ المحمدي ، وتَظْهَرُ بالنور في قلب العارف المنور ؛ لأنه يأخذ من حضرة العليم الخبير الحكيم القدير بالتَّجَلِّي مِنْهُ عليهِ والقربِ والدُّنُوِّ منه ، وهي الرحمة التي وسعت كُلَّ شيءٍ وَوَسِعَتْكُمْ فَوْسَعُوهَا ، وَدَخَلَ فيمن قال فيهم تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ٣] ،وقوله : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[سورة الضحى : آية ١١] ، وأظهرنا للطالب المخلص وأوضحنا له [الطريق](٢) والعلم الذوقي المعنوي ، الذي طَالَتْ أعناقُ عَارِفِيْهِ من الكُمَّلِ الفضلاءِ النجباء ، وهم أهل الطريق ، لِيُحِقَّ اللهُ الحَقَّ ويُبْطِلَ البَاطِلَ ، ولا هنا إشارة . وقوله : ﴿ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة

(١) لعل العبارة : فالنَّفَسُ الرحماني والتوحيد حقيقته : (....

(٢) ما بين المعقوفتين في هامش (أ) .

التحريم : آية ٣] ، هذا بيان خلافةِ الحقيقة المحمدية ، وهي الجامعة للذات والعلم والصفات ، وهو جامع الكمالات ﷺ ، وهو الإنسان الكامل المتحقق بالحضرة الأحدية ؛ لأن جميع الحقائق عين ذاته حقيقةً ، ولا يدركه(١) غيره ، كما قال : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، وقوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾[سورة طه : آية ١١٠] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[سورة النور : آية ٣٥] وقوله ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً ﴾[سورة النساء : آية ١٢٦] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٢٨)

فَلَزِمَ معرفتُكَ لهذا العلمِ الموجب علمه(٢) ، ومعرفته علىٰ قدرِ الفَهمِ ، وأهل هذا الفن ذهبوا إلىٰ نفي الوسائط ، ولاحَتْ لهم لوائحُ الحقيقةِ ، وشَرِبوا من ماء الحياة ؛ فنارت(٣) بصائرُهُم ، وصارت قلوبُهُم واعيةً لِمَا تَجَلَّىٰ من أسرارِ الربوبيةِ ، الفائضةِ من المَعْدِنِ المحمدي محمد ﷺ ، وهو مَنْبَعُ الحقائق كُلِّها ، وحقيقة الإيمانِ ، وَشَرْحُ صُدورِ أهلِ رتبةِ الكمالِ ، ولا يَتَنَوَّرُ كُلُّ قلبٍ إلاَّ من أَصْلِهِ . والعارفين(٤) تَوَلَّتْهم لطائفُ السابقةِ بالسعادةِ ، من غير عملٍ سابقٍ ؛ بل لَمَّا ظَهَرَتْ شمسُ الحقيقةِ والوراثةِ ، فلزم الكُلُّ الطاعةَ لهَا والموافقةَ والإمتثالَ علىٰ الرِّضى . قوله تعالىٰ : ﴿ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٩] ، [لِكَونِ](٥) هذا العبد علىٰ محبة الله ورسوله ، قوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن

(١) في (ب) : ولا مدركه غيره .
(٢) لعله : الواجب علمه .
(٣) لعله : فأنارت .
(٤) لعله : والعارفون .
(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : ليكون .

كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣١] ، وأهل حقيقة الإتباع للكتاب والسنةِ ـ رضي الله عنهم ـ سُقُوا مِنْ رَاحِ خَمرةِ الذَّاتِ المعنوي ، المَعْجُونِ بماء التوفيق والسعادة الأبدية ؛ لأنهم خارجين عن فِتنة الهوىٰ النَّفْسَانِي والحُظُوظِ النَّفْسِيَّةِ ، وهم المخلصين[١] في إرادتهم ، وتحقيقِ عبوديتهم المَحْضَة الرِّقِيَّة ، فهم المقربين العارفين[٢] ، وقَدْ ذُكِرَ : (حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقربين) ، فعليكَ أيها المُقْبِلُ والمُتَوَجِّهُ المُخْلِصُ بالشيخ المُرَبِّي ، المُلَقِّحُ المُنْجِحُ لمن أتىٰ إليه خالصاً[٣] ، قوله تعالىٰ : ﴿ أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[سورة الزمر : آية ٣] الآية ، وقد صَحَّ وثبتَ عند أهلِ الله أن السعادةَ تُكْسَبُ بِنَظْرَةٍ ، ولا شك أنهم المَرْهَمُ والشِّفَاءُ لأَسْقَامِ القلوبِ . ولهم من ربهم النفحاتُ من فيض معدن الأسرارِ الفائضِ فضله علىٰ المقبلين عليه ، فيكون المقبلُ دَأْبُهُ ووِرده الذِّلةَ والمَسْكَنَةَ ، ولزومَ بابِ الفقر والإفتقار ؛ قوله تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ ﴾[سورة فاطر : آية ١٥] ، ومَنْ مَالَ وَشَطَّ عن أهل هذا العلم اللدني ضَيَّعَ أوقاتَهُ ، وضيع جواهر الأوقاتِ النفيسات ، وضيعوا الزُّهْدَ في الدنيا وتَرْكِ المُخَالَطَةِ للناس ، فوقعوا في العمىٰ والضلال ، نسأَلُ اللهَ العافية والتوفيق . قال عَزَّ من قائلٍ : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[سورة البقرة : آية ١٤٨] ، وورد الأخبار[٤]: (اليومُ المِضْمَار ، وَغَداً السِّبَاق ، والغَايَةُ الجنة أو النار) فاجْعَلْ وقْتَكَ في الزُّهْدِ ، وخَلْعِ العِذارِ عن المألوفاتِ[٥] من ظُلْمَةِ العاداتِ المهلكةِ لكل من كان ضعيف ، تأخذه صفاتُ الخَلْقِ ، أَهْلُ كسبِ الدنيا ، والجَاهِ في الدنيا هو السُّم القاتل ، نسأل الله العافية . والْزَمْ الحضرةَ المقدسةَ الفائقةَ الجامعةَ ، والنَّظَرَ منهم إليك أيها الصادق ، ينظرون إلىٰ القلب الخَارِب ، فيمنَحُوه بالمحبةِ والذوق والشوق ، فعندما صح له ذلك ، قَابَلَهُ جمالُ الله وكمالُ

---

(١) لعله : المخلصون .

(٢) لعله : المقربون العارفون .

(٣) لعله : مخلصاً .

(٤) لعله : في بعض الأخبار .

(٥) في (ب) : المألوف .

صفاته ؛ لأنهم قد خرجوا عن نفوسهم بالكُلِّية ، وَثَبَّتُوا أقدامَهم علىٰ صراط الإِستِقَامَةِ ، فَعَوَّضَهُمْ الحَقُّ بالصبر الجميل ، قوله تعالىٰ : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ﴾[سورة المعارج : آية ٥] . فَهُمْ مُتَنَعِّمِيْنَ[1] بالرِّضَى ، وسرورِ[2] القلب بِمُرِّ القضاءِ . فَصَحِّحْ الإفتقارَ الذي هو حقيقتُكَ ؛ تَقَعُ عبدَ الحَقِّ.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٢٩)

وأكملُ العارفين من هذه الأُمَّةِ إذا ابتلُوا ببلاءٍ لا يسألون رَفْعَهُ عنهم ، وأيوبُ عليه السلام أُذِنَ له في الطَّلبِ . والصَّبرُ هو التقوىٰ ، قوله : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[سورة الحجرات : آية ١٣] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[سورة الجمعة : آية ٤] ، وقوله : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾[سورة البقرة : آية ١٠٥] . فأمعِنْ النَّظَرَ في ذلك الفَضْلِ العظيم ، من عين جودِهِ وكرمه وفضله ؛ من غير سابقةٍ مِنْكَ بِطَاعَةٍ ولا عِلمٍ ولا عمل . وما سبق من المخالفين للنبي ﷺ كأبي جهل وغيره عِنَادٌ في الأزل ؛ بل سَبَقَ في مُرادِ الحَقِّ سابقةُ الشَّقَاوةِ لهم ، وكان ﷺ يطلب السعادة لجميع الأمة بدخول الإسلام ؛ لشفقته ورأفته بهم ، نص القرآن العظيم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، وذكر ﷺ عن الحق أن (رحمتي سبقت غضبي) ، ومن هنا الذي حكم عليه المتأخر حكم عليه المتقدم فَنَالَتْهُ الرَّحْمَةُ ؛ إذ لم يكن غيرُها سابق ، فهذا معنىٰ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ ، وهي الغاية ، والكل سالك إلىٰ الغاية ، فلا بد من الوصول إلىٰ الرحمة ومفارقة الغضب ، فيكون لها

---

(١) لعله : متنعِّمون .

(٢) في (ب) : وأسرار .

كُلٌّ واصِلٌ إليها بحسب ما يعطيه الواصل إليها ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾[سورة الكهف : آية ٥٨] ، فَصَحَّ النعيمُ لأهله سابقة السعادَةِ ، وصح عذاب النار للأشقياء من خَلْقِهِ ، قوله: ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[سورة غافر: آية ٤٦] ، لأن قلوبَ الكُفَّارِ الأشقياءِ أَشَدُّ قَسَاوَةً من الحجارةِ والحديد ؛لأن الحديد تُلِينُهُ النار وتعمل فيه مثل الدُّرُوعِ ، وغيرُ ذلك من المنافع لبني آدم في هذه الدار ، وَتَلْزَمُكَ الشفقةُ والرأفَةُ علىٰ عباد الله ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[سورة الأنفال : آية ٦١] ، فَوَجَبَ من هنا القِصَاصُ علىٰ مُقتضىٰ الشريعةِ المحمدية ، وهي الحضرة المقدسة الأحدية الواحِدِيَّةِ ، فَكُلُّ عِلمٍ وسِرٍّ نتج منها . قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾[سورة هود : آية ١٢٣] حقيقةً وكشفاً ، فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ، والمعنىٰ في الأول والظاهر [في الثاني ، هو الظاهر][1] بِتَعَيُّنِ الأحكامِ الظاهرة ، والأحوال و الباطن بالتدبير ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٩] ، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[سورة سبأ : آية ٤٧] ، وكتاب مسطور جَلِيًّا تَقْرَأُهُ هذه الأُمَّةُ المحمدية ؛ ليعلم ﷺ علم الأولين والآخرين . وأيوب علىٰ نبينا وعليه أفضل السلام مع دُعائه في رَفْعِ الضُّرِّ عَنْهُ حيث قال : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ٨٣] ؛ فَحُقَّتْ له الإجابةُ ، وكَشْفُ الضُّرِّ والبلاءِ عنه لا يَقْدَحُ في صَبْرِهِ ، وأَنَّهُ صابرٌ حيث قال تعالىٰ : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[سورة ص : آية ٣٠] أي : رَجَّاعٌ إلىٰ الله في لذة بلائه ، نص القران ﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾[سورة المعارج : آية ٥-٧] الآية ، الصابرين[2] هم في أعلىٰ مجلس من مجالس الحضرة المقدسة الأحدية ، ولا يُشْهَدُ ولا تُدْرِكُهُ الأبصارُ ، وهو يدرك

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) .

(٢) لعله : الصابرون .

الأبصارَ بلُطْفِهِ وسَرَيَانِهِ في أعيانِ الأشياء ، وهو اللطيف الخبير ، والذوق والتجلي في الحديث الصحيح : (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) هو مقام الإحسان ، فلا نعبره[1] إلاَّ بذلك إن فهمت وعلىٰ الله قصد السبيل.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٣٠)

وقلبُ العارفِ بالله يكون فيه نور إختصاصي ، لا يكون بالاستعداد ؛ بل عطاء وهبي وذوقي ، يَسْرِي من المَعْدِنِ المحمدي الجامع الحكيم ، فهو ﷺ خاتم الأنبياء خاتم الأولياء ، وخاتم الأولياء خاتم الأنبياء ، فهو محمد ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: آية ٤٠] ، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [سورة الحجر : آية ٨٧] ، وقوله : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام : آية ٣٨] الآية . وعلامة من عَرَفَ اللهَ حَقَّ معرِفَتِهِ أن يظهر نورُ إطلاعِهِ علىٰ سِرِّه ، قوله : ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾وقوله : ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وقوله : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٥٣] ؛ وكذلك أهل الكشف الحقيقي المحققين تفاضلوا بعضهم علىٰ بعض درجات ، هم أهل فَنِّ الباطن الذي[2] فَهِمُوا عن الله ، وسُقُوا من شراب المحبة ، فيأخذون من العلم اللدني مِنَ الذَّوقِ والشَّوقِ ، وهم ما ينطقون عن شيءٍ أو لِشيءٍ ، قوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا

(١) وفي (ب ، ج) : تعبره .

(٢) لعله : الذين .

نَبِيٍّ... ﴾ [سورة الحج : آية ٥٢] ، وهم العارفين[1] أَهْلُ الفَهْمِ عن الله ينطقون عن القرآن بالحِكمَةِ البَالِغَة ، والقُرَّاءُ[2] فيه تَخْتَلِفُ ، تَجِدُ عند أهل الفهم مالا تَجِدُهُ عندَ غيرهم من أهل الله ، وهم من أهل مِنَّةِ الله من المؤمنين العارفين ، ومنهم من يقرأ ظاهراً ، ومنهم من يقرأ باطناً ، وما[3] تفاوت إلا في مثل ذلك ، وهؤلاء سَرَىٰ[4] فيهم أنوارُ التدبير الإلهي ، ولطائفُ الفكر في هذا العلم والفن من لطائفِ الأذواقِ ، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[سورة هود: آية ٨٨] الآية ، ولمن تَحَكَّمَ ودَخَلَ تحت حُكْمِهم النَّافِذ ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وهو ﷺ أعطي الرسالة المحمدية علىٰ حَظٍّ وافِرٍ ، وهو الذي أثبت[5] قواعدَ الدِّين ، وأثبت[6] الشريعة ، وجمع في شريعته جميع شَرائعِ النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام و عليهم أجمعين ، فهو ﷺ أوضحُ دليلٍ علىٰ ربه ، فكل من هو مَعَهُ فهو مع الله ، فإنه العالِم الدليل علىٰ أصله الذي هو ربه ، فافهم . قوله : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[سورة الحجر : آية ٢٩] ، فَبَانَ لنا أَنَّ كلَّ ما أخذناه منه هو من الحَقِّ ، فلابد من الشوق لمن هذه صِفَتُهُ ، فالشوق إلىٰ الحق هو التوائُكَ بالمقام المحمدي الذاتي ، وفي الحديث : (إن أَحَدَكُمْ لا يرىٰ رَبَّهَ حتىٰ يموت) ، فلا بُدَّ من الشوق لمن هَذِهِ صفته ، وقال في الحديث : (ما تَرَدَّدْتُ في شيءٍ أنا فَاعِلُهُ ترددي في قبضِ نَفْسِ عَبْدِي المؤمن ، يَكْرَهُ الموتَ ، وَأَكْرهُ مسآءاته ، ولا بد له من لقائي) ، فَبَشَّرَهُ بلقائِهِ ، فَخَنَّتْ الروحُ الشَّائِقَةُ إلىٰ لقاء نافِخها ومُصَوِّرها ؛ حيث قال : (ولا بد من لقائي) ، فهي من أعظم[7] المِنَّةِ والعَطِيَّةِ الوهبية ، فذكرَ أن الحق اشتاقَ إليه ، قومٌ تسبق أنوارُهُمْ أَذْكَارَهُم ، [وقوم][8] تسبِق أذكارُهم أنوارَهم ﴿ كُلاًّ

(١) لعله : العارفون .
(٢) في (ب) : والفقراء .
(٣) لعله : وما مِنْ .
(٤) لعله : سَرَتْ .
(٥) لعله : ثَبَّتَ .
(٦) لعله : ثَبَّتَ .
(٧) في (ب) : فهو أعظم .
(٨) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : وهم .

نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾[سورة الإسراء : آية ٢٠] الآية ، لَمَّا نَفَخَ فيهِ من رُوحِهِ ، فما اشْتَاقَ إلاَّ إلىٰ نَفْسِهِ ، والحَقُّ ما كلَّمَ موسىٰ إلا في الصورة.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٣١)

ولما خَلَقَ اللهُ آدمَ من الطينةِ علىٰ صورته ؛ فأمر الملائكة له بالسجود ، من غير طلب منه ولا استعداد ، فسجدوا له جميع الملائكة المنورين ، انظر في فَضْلِهِ كيف سجدوا له علىٰ عِظَمِ قَدْرِهِمْ ومَنْزِلَتِهِمْ ، وَعُلوِّ شأنهم عند مولاهم الحق ، فارجع بالنظر إليه والمحبة السابقة ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[سورة المائدة : آية ٥٤] ، ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾[سورة طه : آية ٣٩] ، والمحبةُ هي أصل الوجودِ ، وفي الحديث: (حُبِّبَ إِلَيَّ من دُنْيَاكُمْ ثلاث : النِّسَاءُ والطِّيبُ ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصلاة) ، فابتدأ بذكر النساء ؛ لأنهن جزء من الرجل ، فكان محمد ﷺ أوضح دليل علىٰ ربه ، قوله: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[سورة الحجر : آية ٢٩] ، وهي البشارة لمن عرف هذا السر، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[سورة الإسراء: آية ٨٥] ، وفَهْمُ هذا العلم اللَّدُنِّي الذوقي يُوصِلُ إلىٰ الحضرة المقدسة بالشوق والذوق ، فهو من أَتَمِّ النِّعَمِ ، ولا يؤدي شُكْرَها من ذاقها ، وهو يحتاج إلىٰ تفكر ودرس كما يُدْرَسُ العلمُ الظاهر ، فهو العلمُ اللَّدُنِّي الذي هو ثمرةُ العِلمِ الظَّاهِرِ ، فالعلم الظاهر شجرةٌ ، وهذا العِلمُ اللَّدُنِّي ثمرةٌ ، تَقَاصَرَتْ وعَجَزَتْ الأفهامُ عَنْ كُنْهِ ذاته ، ومن هنا لا تُكَيِّفُ قدْرَهُ العقولُ ولا ما هو ، قوله: ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ،

فيكون في هذا العلم مع الله سبحانه وتعالىٰ عما يقول[1] القائلون ، فهو مُنَزَّهٌ عن معرفةِ كُنْهِهِ ووصله[2] . ومن طلب هذا العلم علىٰ فنونه ، فالمستشرف عليه يكون نَظَرُهُ خَالِصٌ لله وبالله وفي الله ، ومن لمن يكن له نظر في هذا العلم فقد أَهْلَكَ نَفْسَهُ ، فامْتَنِعْ عن هذهِ الخَصْلَةِ النَّازِلَةِ بِكَ إلىٰ الهوىٰ ، وَتَرَقَّ إلىٰ أعلىٰ مقام في فناءِ حِسِّكَ ، ومَعْرِفَةِ نَفْسِكَ ؛ لِتَعْرِفَ رَبَّكَ ، وما ذلك علىٰ الله بعزيز ، وإن لم يكن نظرك الكلي إليه ؛ فقد صار عِلْمُكَ لغير الله ، وخَسِرَتْ صَفْقَتُكَ ، ويصير كُلُّ ما هو لك عليك ، والعلم اللدني الذوقي هو النظر إلىٰ الحقيقة الذاتية الأحدية ، فَتَغَيَّبْ عن سِوَاها ؛ فيتولاَّك التَّجلِّي الذاتِي من فيض الجمال ، فَاشْرُدْ عن الحُجُبِ ، فَنَظَرُكَ إلىٰ الغَيرِ لحَظَةَ يُعْمِي قَلْبَك ، ويَحْجُبَ اللُّبَّ ، والمَعَانِي أوسعُ من العبارات ، والصُّدورُ المشروحَةُ أَفْسَحُ من العلوم المؤلفاتِ ، والعلمُ يفتحُ بابَ القَصْدِ إليه ، والمراد أن تَعْرِفَ قدرته ، اللهم كَمَا أَنعمتَ علينا بنعمتِكَ فلا تؤاخذنا بِقِلَّةِ شكرنا ، ولا تَبْتَلِينا ببلِيَّةٍ يَقِلُّ عندها صبرنا ورضانا ، ولا تؤاخذنا إن نَسِينَا أو أخطأنا ، ربنا وَسِعتَ كُلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً ؛ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وَقِهِمْ عذابَ الجحيم ، يا من يَرَانَا علىٰ المعاصي وَلَمْ[3] يَفْضَحْنَا ، ياذا المعروفِ الذي لا ينقطع عطاؤه أبداً ، وأهل النعمة التي لا تُحْصَىٰ سرمداً وصل وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل محمد الطاهرين المطهرين ، وأَدْخِلْنَا في سِلْكِهم ، [ورحمتك][4] التي سبقت ، يا رب نجعلك في نحور الظالمين من الشياطين والناس أجمعين ، واجعل لنا من كل ضِيقٍ فرجاً ومخرجاً ، واجعل لنا من كل خَيرٍ سبيلا ، وانصرنا علىٰ نصر الشريعةِ ومظهرِ الحق بنصرك العظيم يا أرحم الراحمين ، قوله تعالىٰ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف : آية ١١٠] .

---

(١) في (ج) : يقوله .

(٢) لعله : وأَصْلِهِ .

(٣) في (ب) : ولا .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل : رحمتهم .

﴿ فصل ﴾

(١٣٢)

فانظر إلىٰ الله ، وأَمْعِنِ النَّظَرَ إليه في أقوالك وأحوالك ؛ لتكون علىٰ الصراط المستقيم ، وَكُنْ أيها العبد المخلص مُتَّبِعَاً فنونَ هذه الطريقة ، الذي[١] مشوا عليها العارفين الكمل ، وسائر الموحدين[٢] لهم منها نصيب ، علىٰ قدر إيمانهم ومحبتهم ، ولو ما سَمَحَتْ لهم حقيقتها ؛ فيكونون في ظِلِّها ولهم نَصِيب ؛ مَنْ جَاورَ المِسكَ يقع فيه و[مَنْ][٣] استبصر في عِيوبِهِ من مَيْلِهِ عَنْهُمْ لقوةِ الهوىٰ والنَّفسِ ، وَمَنْ تَرَكَ الامتثال للأمرِ والنَّهْي ، قوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[سورة الزمر : آية ٢٣] ، ولا قدرة[٤] للعبد أن يحرس[٥] من جوارحه إلاَّ من كان له قلب ، وهو لم يغلب بقضاء ، وهو القلب المستيقظ دائم[٦] علىٰ محاسبة نَفْسِهِ وهواه ، قوله تعالىٰ : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[سورة الجاثية : آية ٢٣] ، نسأل الله العافية . والهَلاكُ الذي أهلَكَ أكثرَ الخَلقِ التَصَنُّعُ للناس ، والتَّزَيُّن بحُسْنِ المُعَامَلةِ طلباً للقَبولِ عندهم ، فذلك الذي يُخَرِّبُ مَبَانِي قواعد الإخلاص ، ويهدِمُ دَعائِمَ الصِّدْقِ ، فهم المُنْقطِعين عن هذه الطريق ، وقد أشرتُ للفَطِنِ اللبيب . وإذا فَهِمْتَ ما أشرنا به عليك بالعُدُولِ[٧] إلىٰ طريق القوم العارفين ، فَنُسَهِّلُ[٨] عليكَ مسافةَ الطَّرِيقِ ، وتكون مَعَنَا ؛ فَنُفْنِيكَ فَنُفْنِيكَ عن الدنيا وما فيها ، فتكونُ عِنْدك أَقَلَّ قَدْرَاً من جناح بعوضة ، فالحق سبحانه يقول : (لو

(١) لعلها : التي مشى عليها العارفون الكُمَّل .
(٢) في (ب) : المُجدِّين .
(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) .
(٤) في (ب) : فلا قدرة للعبد .
(٥) لعلها : يحترس .
(٦) لعله : الدائم .
(٧) لعله : من العُدولِ .
(٨) في (ب) : فتسهل .

سويت جناح بعوضة ما سقيت منها كافراً شربة ماء) ، فاذهب معنا إلى منازلِ الأبرار ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قوله: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ... ﴾ [سورة هود : آية ١١٢] ، قال رسول الله ﷺ : (شيبتني سورة هود) ، فَاعْزِمْ وَالْحَقْ منازلَ أهلِ الهِمَمِ العَالِية ، ولا تَنْظُر إلى ما كان عليه ضُعفاءُ العقولِ من طَلَبِهِمْ للجاهِ عند الخَلْقِ ، وحُبِّ الدُّنيا ؛ لأن جميع ما في الدنيا ذَاهِبٌ عن قليل[1] ، قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾[سورة النساء : آية ٧٧] ، وهي العَاجِلَةُ التي اسْتَرَقَّتْ عقولَ الضعفاء ، واستَوْلَتْ على قلوبهم ، فانطمستْ بصائرُهُمْ ، وأَظْلَمَتْ قلوبُهُمْ ، أَزَلَّتْهُمْ عن الفِكرِ والتَّفْكِيرِ ، نسألُ الله العافيةَ من ذلك . [فَاجْعَلْنِي][2] أميناً لك من قِبَلِ الله سبحانه وتعالى ، فهذه أسرارٌ وغَوَامِضُ نَدُلُّكَ عليها ، وليس هي للْكُلِّ ؛ بل حقيقتها تُصَانُ عمَّن لا يعرفُ قَدْرَها ، فَكُنْ كما قال[3]: (مُوتُوا حتى تَحيَوا وأبشِرُوا بالجنة) ، قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[سورة فصلت : آية ٣٥] ، لا ملجأ من الله إلا إليه . أكثرُ ما أُشِيرُ عليك به : كُنْ في جَمْعِ الجَمْعِ الأحدي فافهم ، ونقولُ وَنَتكلَّمُ لمن له قلبٌ ولُبٌّ ونُورُ عقلٍ غالب ، شَرِبْنَا خمرةَ الذَّاتِ ، وكَاسَاتُنَا الأسماءِ والصفاتِ ، وجميع المظاهر من ذلك الفَنِّ العظيمِ مظاهرُ أقداح خَمرِ الأسماءِ والصفاتِ ، فما تكونُ القُدْوةُ إلاَّ بمن جمع عِلْمَ الذات والصفات ، فلا تَنْظُر في النَّاسِ[4] ؛ فما منهم إلاَّ مُتَّبع أو مُنْتَفِع أو مُقَلِّد أو سَاكِتٌ مُسَلِّمٌ فَاعْذُرْهُم ؛ وما توفيقي إلا بالله . وقُدْوةُ العارِفين هُمْ أهلُ الشُّهُودِ مُرَكِّزِينَ[5] سلطان الشريعة الطاهرة ، وَمُثَبِّتِينَ قواعدَ الدِّين ، ولا نزالُ نطلب من الحق الحجب عن مظهر البيان من عطايا الحق[6] ، فَكُنْ معنا في الجلُوسِ بالفِكْرِ[1] في ميدانِ التَّوحِيدِ ، وهو : إفراد

---

(١) لعله : عن قريب .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : واجعلني .

(٣) لعله : قيل .

(٤) لعلها : فلا تنظر للناس .

(٥) يَعْني : ناصبين لأعمدت الشريعة .

(٦) لعل العبارة : الحجب لمظهر بيان عطايا الحق .

أَحَدِيَّتِهِ أَنَّهُ الواحدُ الأحد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤاً أحد ؛ وعندهم في حقيقتهم[٢] أنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ عَدَمِ التَّوفِيقِ ، وهو من سُوءِ القضاءِ ، وهو جَمَعَ البَلاء ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، قال تعالىٰ [في الحديث القدسي][٣] : (أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء)، فأحسن الظَّنَ فِيهم ، وامتثل الأمر باتباعهم بالظاهر والباطن ، تَمَسُّكَ أنوارُهم وتَلَحَقُكَ فَضَائِلُهُمْ ، لأنَّ العارفين بالحجب الكونية المانعة للقلب عن قبول تجلي الحقائق ؛ بِمَعْزَلٍ عن أهل الفناء التام في عينِ أَحَدِيَّةِ الجَمْعِ ، ولا يُلَقَّحُ إلاَّ من اعْتَقَدَ واتَّبَعَ الكِتابَ والسُّنَةَ النَّبَوِيَّةَ باقتفاء الأَحاديث ، وامْتَثَلَ أَمْرَهُمْ ، فَيَتَنَوَّرُ القلبُ ، وينشرحُ الصدرُ ، ويُفْهَمُ العِلْمُ اللَّدُنِّي ، وعلو قَدْرِهِ وجَلاَلَةِ مِقْدَارِهِ ؛ فيكونُ علىٰ الطريقةِ وعلىٰ الحقيقةِ ، ما هنا مَيْلٌ ولا شَطَطٌ وقد نُبَشِّرُ بأشياءَ علىٰ عِلمٍ[٤] ، فَيُبْهَتُ عقلُ ضعيفِ اليقين ، فَيُوَوِّلُهُ ويَحْمِلُهُ علىٰ مَحَامِل ، وفي علمنا هذا كفايةٌ وملاحةٌ[٥] ، ونُودِعُهُ رموز ، فما نطقنا إلا عن فيض بحر الحقائق ؛ ليهتدي الطالبُ ، وما ذلك علىٰ الله بعزيز.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٣٣)

ومَقَامُنَا سَامِي فَخُذْ مِنَّا النصيحةَ : أَقْبِلْ بالقلبِ والهِمَّةِ علىٰ الله تعالىٰ ، لا ترىٰ غيرَهُ ، ولا تَلْتَفِتْ إلىٰ شيءٍ سِواه ، فما هنا غَيرٌ ولا سِوَىٰ ، وكُنْ في مقامِ الفَنَاءِ التَّامِ بلسانِ الحقيقة ؛ لا بلسانِ[٦]

---

(١) في (ب) : بالفكرة .

(٢) في (ب) : وعندهم وعندنا في حقيقتنا .

(٣) ما بين المعقوفتين ليس في الأصل .

(٤) في (ب) : وقد نبشر بأسماء علم ؛ فَتُبْهِتُ عقل ضعيف اليقين فنُأوله ونحمله على محامل .

(٥) في (ب ، د) : ومادحه . ولعله : وَمَنْدُوحةٌ .

(٦) لعله : لا باللسانِ العلمية فقط .

العِلْمِيَّة قطعاً ، فقد يطلق على العين[1] اسم لكن لا يجوز إطلاقه ومظهر ذاته ، ويطلق على العين اسم خاص ، ومَنْ فهم ما جاء في العلم الظاهر والباطن ؛ فَهُمْ عَلَماء عاملون بفضل الله لا بعلم وعمل ؛ وإذا كان الله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً سميعاً بصيراً متكلماً قادراً قاهراً ؛ فكل شيء في الوجود عَدَمٌ محض ، ﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾[سورة الإسراء : آية ٨١] ،وقوله : ﴿ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٨٢] ، وقوله : ﴿ سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[سورة يس : آية ٥٨] ، يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم ، إلى آخر السورة ، اللهم ارزقنا الفَهْمَ الأَسْنَى ، والقُرْبَ الأَدْنَى مقامُ : قاب قوسين أو أدنى ، قوله: ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾[سورة النجم : آية ١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[سورة الفتح : آية ١-٣] ، وهو المقام الأسنى ، و[السِّرّ][2] الذي احتوى جميعَ الفضائلِ والمواهبِ محمدٌ ﷺ ، وهو خاتم الأنبياء الطاهرين أجمعين ، فهو الجامع لعينِ الجَمْعِ الأَحَدِيِّ بالفضل ظاهراً وباطناً ، وطريقُ الشُّهودِ ونظيره عبارة عن تَجَلِّيهِ[3] وعلمِهِ ، فهو علم الحقائق وشهود الكثرة في الوحدة ، واستهلاك الكل بالكلية في الله سبحانه وتعالى ، جُمِعَ [وانْدَرَجَ][4] الفرقُ في الجَمْعِ ؛ حتى لا تُزَاحِمُ كثرةُ الرُّسومِ الخَلْقِيةِ عن الأحدية الحقية[5] ، ولا يكدر صفو علم شهود[6] عين الوحدة ، وهو شهود الحقيقة على الإطلاق ، وانظر إلى رئيس القوم ، ومنهلِ الكمالِ ، وباب الله الأعظم ، باب مدينة العلم ، وساقيهم من شراب الكوثر ، الذي خَصَّهُ به

---

(١) في (ب) : فقد نطق على العين اسم لا يجوز إطلاقه .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) .

(٣) في (ب) : تخلِّيه .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) وفي الأصل : اندراج .

(٥) في (ب ، د) : على الأحدية ، ولعل العبارة : حتى لا تُزاحِم كثرة الرسومُ الخلقيةُ الأحديةَ الحقِّية .

(٦) في (ب) : ولا يكدر صفو شهود .

نبينا محمد ﷺ ، علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ؛ لـمَّا ابتدأ بالإشارة في عين الحقيقة بقوله : (كشفُ سبحاتِ الجلالِ من غيرِ إشارة) ، وهو مَحْضُ تَنْزِيهِ الذَّاتِ عن تعداد الاسمائية[1] ، وقوله كرم الله وجهه : (صَحْو المَعْلومِ مع مَحوِ الموهوم) ، إشارةٌ مِنْهُ إلىٰ فناءِ الرُّسُومِ كُلِّها في أحديتها ، ثم خَتَمَ بقوله : (نورٌ يُشْرِقُ من صُبْحِ الأزلِ فيلوحُ علىٰ هياكِلِ التوحيد آثَارُهُ) ، اللهم اسقِنَا وجميعَ [الخواص][2] من أصحابنا المخلصين الصادقين الموفقين في تحقيق الإرادة من هذا المشرب شَراباً طهوراً ، وقد استجاب لنا دعاء نبينا محمد ﷺ في قوله : (اللهم اعطِنَا نوراً ، واجعل لنا نوراً ، وأعظم لنا نوراً ، وزدنا نوراً).

❋ ❋ ❋

﴿ فصل ﴾

(١٣٤)

الإتحادُ هو شهودُ الوجودِ المطلق بالحق الواحد ؛ الذي الكل به موجودٌ ، فيتَّحِدُ به الكُلُّ من حيث كل شيءٍ موجودٌ به معدومٌ بنَفْسِهِ ، والكامل يرىٰ له تَجَلِّي في كل شيء ؛ حتىٰ يَراهُ في كل شيءٍ سبحانَهُ ، ويَعْرِفُهُ سبحانَه أنه من حيث هُوَ هُوَ ؛ هو غيرُ مُتَعَيِّنٍ أيضاً ، والحكم عليه بالتعيين[3] لقُصُورِ الإدْرَاكِ ، لمِ يدركه إلاَّ في مظهر عبده ، وحقيقة الخَلقِ عبارة عن[4] صورةِ عِلْمِ رَبِّهِمْ بهم ، وصفتهم الذاتية . تَنْبِيهٌ : الحمد لله الواحد [المنزه][5] عن الشريك والمُمَاثِلِ ، وَنَفْيُ اعتبارِ الغيرِ مَعَه ؛ حتىٰ الصفات التي هي اعتباراتٌ ونِسَبٌ لا وجودَ لها في الخارجِ ، كما قال أمير المؤمنين علي أبين أبي طالب

---

(١) لعله : عن التَعَدُّداتِ الأسمائية .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : أصحابنا .

(٣) لعله : بالتَّعَيُّن .

(٤) في (ب) : عبارة على .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : أي المنزَّه .

كرم الله وجهه : (إثباتُ وَصفِ الإخلاص لَهُ ؛ نَفْيُ الصفاتِ عنه) ، والقيوم الصَمَدُ هما صفتان له بالنسبة إلىٰ الخلق ، فإن القيوم هو المُقَوِّمُ كُلَّ ما سِواه ؛ بإقامتِهِ بالوجود حتىٰ يكون به موجوداً ، وإلاَّ كان عَدَماً محضاً ، ووصف اعتبار وجود الكلية به أولـه[1] ، والصمد هو الذي يُصْمَدُ إليه ؛ أي : يُقْصَدُ بافتقار الكُلِّ إليه ، كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[سورة مريم: آية ٦٧] ، واللطيفُ الباطِنُ بلطافته ، لقوله : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، [أي : بالنِّعَمْ][2] الواردة علىٰ عبده من غير استحقاقٍ لِنَعَمِهِ ، ولا يؤدي شكرها ، قال الله تعالىٰ : ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾[سورة الشورىٰ : آية ١٩] ، وقال : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[سورة ق : آية ١٦] ، ولا يكون مَظْهرُ سرائر[3] النِّعمِ ومَظْهرُ معارفِ الحِكَمِ البالِغَةِ إلاَّ إشارة[4] ؛ لأنها مواهب كالمَطَرِ لا مكاسِب ، وَأَلاَحَ لهم لَوائِحَ القِدم في صفائح العَدم ، وأظهر عليهم أنوار القِدم بالكشف وهو سبحاتُ[5] وجهه الكريم بالتجلي الذاتي الأقدس في حقيقةِ الذاتِ الأحدي الأحدي ، وكذا حقائق الأعيان ، وهي الحقيقةُ الذَّاتِيةُ المحمدية المتجليةُ في عالم الشهادة ، وهي المعارف الكامِنَةُ في غيب الذات المتجلية بصِوَرِها . ودَلَّهُم علىٰ أقرب السُّبُلِ ، هي[6] طريق الأحدية السارية في الكل ؛ التي هي الصراط المستقيم المخصوص بالرب سبحانه وتعالىٰ ، كما قال حكايةً عن هود عليه السلام : ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[سورة هود : آية ٥٦] ، ولا شك ولا ريب فيما ذكرناه لك أيها العبد الطالب ، هي[7] أقربُ الطُّرُقِ إلىٰ المنهج الأول.

---

(١) لعل العبارة : ووصف اعتبار وجود الكُلِّ به أوْلَى .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : النعم .

(٣) لعلها : أسرار .

(٤) في (ب) : إلاَّ من إشارة .

(٥) لعل العبارة : بالكشف عن سبحات وجهه الكريم بالتجلِّي الذاتي الأقدس ....

(٦) لعله : وهي ...

(٧) لعلها : أنها .

﴿ فصل ﴾

(١٣٥)

واعلم أَنَّ من جَلَسَ معنا علىٰ بساط الفَاقَةِ والفقر والافتقار والانكسار ؛ نالَ معنا من مشارب الكِرَام ، فإذا صح له ذلك كان من أهل الكَشْفِ ؛ لكن هي وديعةٌ عندنا لا يَصِحُّ إظهارُها عند غير أَهلِها ، وحرامٌ علىٰ المحرومِ لا يذوقُها ولا يَطْعمُها ، وكذلك المزكوم لا يَشُمُّهَا ؛ لكن إن حصلَ العَفْوُ علىٰ[1] أهل الجنايةِ حصلت لهم العِنَايةُ ، وقوله : ﴿ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٥٦] ، فله نصيبٌ من الرَّحمةِ ؛ لكن يُصَحِّحُ مقامَ الفناءِ وحُسْنِ الأدبِ ، والقهر ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٨] ، وهو ﷺ أدىٰ الرسالة والدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة ؛ مع ثباتِهِ علىٰ الصراط المستقيم ، وهو طريق التوحيد الذاتي ، قوله: ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة يس: آية ١-٤] ، مِنْ أَجْلِ جَمْعِ المقاماتِ النبوية[2] والولاية ، وما ذكرناه صعب جداً . وقوله : (شيبتني هود) ، لقوله : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[سورة هود: آية ١١٢] ، معناهُ الدعوة إلىٰ الله ؛ مع كَونِ المَدْعُو علىٰ الصراط المستقيم ، ومن هنا اضْمَحَلَّ رَسْمُ العبدِ بالفناء فيه وبقائِهِ بوجودِهِ ، وشهود الحق للكل ؛ بحيث لا يَرَىٰ شيئاً من الأشياء إلاَّ وهو قائم بالله ، [وتَفَهَّمْ][3] بلسان الحق : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[سورة الرعد : آية ٣٣] ، ومن تَجَلَّىٰ عليه نورُ الحَقِّ ؛ ثبت الفناء لنفسه ومحو رسمه ، فقابلته المشاهداتُ لنُورِ الحَقِّ وهو مُتَمَنِّعُ إلىٰ الإنفصال[4] ؛ لأنه لا يرىٰ الأشياء إلا بوجوده ، كما قال أمير المؤمنين علىٰ ابن أبي طالب كرم الله وجهه : (الحق مع

(١) لعله : عن أهل الجناية .

(٢) لعله : النبوة .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : ونفهم .

(٤) لعله : ممتنع الإنفصال .

كل شيء لا بمقارنة شيء ، فإنه به موجود لا بنفسه ، وهو بكل شيء محيط ، فكيف يقارنه؟!) ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[سورة الحديد : آية ٤] أي : مَعِيَّتُهُ بهذا المعنىٰ لا بمعنىٰ المقارَنَةِ له ، كيف ولا وجود لغيره أصلاً ؟! ، وهو مشهد شهود الفردانية ، قال الله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦ـ٢٧] المعنىٰ : الإضْمِحْلال والتَّلاشِي ، والتَّفَانِي هو أن يفني ما سوىٰ الحق في الحق علماً ، وأهل الكمال عندهم التَّفَاوتُ والتَّغَابُن البتة إلزم الجمع.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٣٦)

وَنَبَّهْنَا في ذلك العلم علىٰ المعاني ، هو ألاَّ يرىٰ مؤثراً إلاَّ الله ، فتحقق أيها العبد بذلك عَيَاناً وشهوداً ؛ بأن تَعْلَمَ ألاَّ فِعْلَ إلاَّ لَهُ ومِنْهُ قوله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، ومنه وإليه يرجعُ الأمرُ كُلُّهُ ، فَاثْبُتْ وانْقَطِعْ إلىٰ أعلىٰ مقامِ مَجْمَعِ الحقائقِ والمقاماتِ ؛ في مَثْبَتِ عِلمِ تحقيقِ الجَمعِ ، والتوحيدِ الحقيقي ، الذي هو أحديةُ مقامِ الجمع أحدية عين الذات ، وهنا ثبت وصح عين جمع الوجود ، وأَعْنِي به : نُفُوذُ وحدة الذات في الحضرةِ الأسمائية ؛ أعني : الشهود . وقد أشرنا إلىٰ الحضرة المحيطةِ بجميع الاسماء والصفات ، وهي شهودُ الحَقِّ الصِرْفِ الأحدي ، ومن هنا عارف محقق ماحِي[1] رَسْمَهُ ، فشهد حقيقة التوحيد والإخلاص ؛ فهو الشاهد[2] لنفْسِهِ بنفسه ، فمن يعلم أن لا إله إلا هو بالذوق ؛ فقد شهد التوحيد بتنزيهِ الله عن الحَدَثِ ، ولا

---

(١) لعل العبارة : ومَا مِنْ عارفٍ محقق محى رسمه ؛ فَشَهِدَ حقيقة التوحيد ...

(٢) في (ب) : فهو المشاهد لنفسه .

لِلحَدَثِ وُجُودٌ ؛ بل هو عدم فاني مضمحل ، فلا يَثْبُتُ للحَدَثِ وُجُودٌ [فيُفْنُونَهُ][1] عن الحق وينزهونَ الحق عنه ، وأهل اليقين والعلم وأهل نور العقل ليس له وجود[2] عندهم رأساً ، وشُهودُ التوحيد يَنْفِي جميعَ الحَدَث ، فطريقُ التوحيدِ أن ليس مع الحق سواه ، وهو المقام الأسنىٰ والمقصد الأقصىٰ ، ويتَوَجَّهُ إلىٰ الحضرة الواحدية والتجليات الأسمائية . وهو محمد ﷺ خاتم الرسالة وخاتم النبوة وخاتم الولاية ، وقوله : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[سورة الأحزاب: آية ٤٠] ، حامل لواء النبيين والمرسلين محمد ﷺ ، فلا يَعرفُ مقدارَ معرفةِ كُنْهِهِ إلا الحقُّ سبحانه وتعالىٰ ، ولا يَسْتَحِقُّ الحقيقةَ إلا هو ولا يبلغه[3] غيره . ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[سورة الأنعام: آية ٩١] ، ولوائح الأسرار من صفوته ؛ لأنه عينُ الجمع (العين الواحدة) و الحضرة الأحدية ونعوتها هي الحضرة الواحدية الأحدية ، فَأَخْرَسَهُمُ اللهُ عن نعتِهِ ؛ لا بمعنىٰ أنهم يعرفون نَعْتَهُ[4] ، ومنهم المتكلم به . حضرة النعوت حضرة الجمع ، وأفخرهم [مرتبة][5] من نَبَّهَ إلىٰ إظهار ذلك لائح[6] ، والحقيقة إثبات القدم بلا شك ، وما ثَمَّ إلاَّ الأحدية الصِّرفة ، ولا يَدُلُّ عليها شاهدٌ لِفنَاءِ الكُلِّ في المشهودِ الذي هو عين الحقيقة ، فهو الدليل والمدلول ، والشاهد والمشهود ، وأعلىٰ درجات هذه المشاهدة لمحو[7] الرسوم ، فعلىٰ قَدْرِ محوِ الرسومِ يكون القُرْبُ ، وعلىٰ قدر [بقائها][8] يكون البُعْدُ[9] ؛ فما الحجاب إلاَّ أَنتَ ، فمتىٰ فَنِيتَ ظَهَرتْ الحقيقةُ الشارقةُ ، فشمسُها ضاحيةٌ في قلبِ من عَرَفَهَا ، [وأفنَىٰ][10] الكُلَّ في عينِ الذَّاتِ ، [وأَفْرَدَ][11]

---

(١) في الأصل : ويفنوئهُ .
(٢) في (ب) : ليس لهم وجودٌ عندهم ، وفي (أ ، ج) : ليس له ، أي : الحدث .
(٣) لعله : يبلغها .
(٤) لعل العبارة : لا بمعنى أنهم لا يعرفون نعته .
(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) .
(٦) هكذا في الأصل ، ولعلَّها : مُلوِّحاً .
(٧) لعله : مَحْو .
(٨) ما بين المعقوفتين في (ب، د) . وفي الأصل : بقاياها .
(٩) في (ج ، ب) : العبد .
(١٠) في الأصل : وفني .

الحَقَّ بما صَدَرَ عن الكَونِ من الحرَكَةِ والسُّكُونِ والقَبْضِ والبَسْطِ ؛ فلا يَرَىٰ ولا يَشْهَدُ شيءً من غـيره البَتَّة[2] ، ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ ﴾[سورة الأعراف : آية ٤٣] الآية ، وقوله الحق المبـين : ﴿ أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُـوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَـةِ إِنَّ اللهَّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة المجادلة : آية ٧] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَـأْنٍ وَمَـا تَتْلُـو مِنْـهُ مِـن قُـرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِـينٍ ﴾[سورة يونس : آية ٦١] ، ولـيس إلاَّ وُجُـودُ الحق الظاهر والباطن ، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِـيمٌ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٩] ، وأحكـام اسـمه الظـاهر الـذي يَتَجَلَّىٰ لاسمه الباطن ، والرجوع إلىٰ العدم الأصلي إلىٰ معرفـة تجـلي الحـق بالتجليـات ، وهـو حقيقـة الشُّهودِ ، وهو شهود[3] كل شيء في كـل شيء ، وانكشـاف الـتَّجَلِّي للقلـب يُشْـهِدُ الجمعيـةُ الأحديـةُ الجامعةُ للأسماء كُلِّها ، والحقيقة الذاتية الأحدية ؛ والاستغراق في عين الجمع لفنـاءِ الرُّسُـومِ الخَلْقِيَّـةِ كُلِّها ، وهو المشار إليه بقوله : ﴿ إِذَا جَـاء نَصْرُ اللهَّ وَالْفَـتْحُ * وَرَأَيْـتَ النَّـاسَ يَـدْخُلُونَ فِي دِيـنِ اللهَّ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا * ﴾[سورة النصر : آية ١-٣] ، فَثَبَتَ له النَّصْرُ مـن رَبِّـهِ ، ورَحْمَتُهُ وَصَلَتْ إليه ﷺ ، جَلَّ رَبُّنَا الواحدُ الأحد الصمد ، وهو من أعظم المِنَنِ والملاحظة ، فما وَعَـدَهُ بالنَّصْرِ إلاَّ لأنه سيد المرسلين ، وكان يقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) ، وقوله : (لعـل في ظُهُورِهِم من يُوَحِّد الله سبحانه وتعالىٰ) ، وهذا من أعظم الشَّفَقَات[4] لهم من رحمَتِهِ بهم ، وقد ذكر لـه

---

(١) في الأصل : وانفراد .

(٢) لعل العبارة : فلا يرى ولا يشهد شيئاً غيره البَتَّة .

(٣) لعله : مشهود .

(٤) في (ب) : الشفعات .

جبريل عليه السلام بقوله : (رَبَّكَ يُقْرؤُكَ السلام ، ويقولُ : أَتُحِبُّ أن يطبق عليهم الأخشبين ، فقال : لا ياجبريلُ ، إنما بُعِثْتُ بالرَّحْمَةِ لا بالعذَابِ على الدَّوامِ) ، وأعطاه الرِّضى بنص القرآن : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[سورة الضحى : آية ٥] ، فليس بعد ذلك عَطِيَّة من حين بعثه بالرحمة ﷺ ، فليس بعد هذا نَعتٌ ولا وَصْفٌ ؛ لطلب[1] الرحمةَ لمن هو في أصلابهم . فانظر أيها العبد المخلص إلى هذه النِّعمَةِ في أُمَّةِ محمد ﷺ ؛ حيث جعلك من أُمَّته ، ولم يجعلك من أُمَّةِ غيرِهِ من الأنبياء ، وهي النعمة العظيمة الكبرى . ومن ثَبَتَ على هذا وأتقن مشهدَ الحقيقة والوراثة المحمدية ؛ نال درجة الأنبياء ، واتِّبَاعُهُمْ محمد ﷺ ، وفي الحقيقة أن عيسى عليه السلام مِنْ جُمْلَةِ أمة محمد ﷺ ، وهو رسولُ اللهِ وكَلِمَتُهُ ، وقد دخل في أَعْدَادِنا ، وهذا أعلى مقام النعمة ، قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾[سورة الزخرف: آية ٥٩] . ومحمد ﷺ شهيداً[2] على سائر الأُمَمِ ، وهي مرتبة النبوة ؛ فإنهم شُهَداء على أُمَمِهِم ، قوله فِينَا[3]: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ ﴾[سورة البقرة : آية ١٤٣] ، فَشَارَكَنَا معهم في المَحْشَرِ غداً مع النبيين[4] ، قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[سورة آل عمران : آية ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ ﴾[سورة البقرة : آية ١٤٣] ؛ أي : على جميع[5] النبيين المتقدمين إلى آدم ، وَصَفَنَا بالعَدَالَةِ ، وهي مِنَ النِّعَمِ التي تَضَمَّنَهَا هذا المقام العظيم الخاتم ، ولكل نعمةٍ شُكْرٌ ؛ وهذه لا يُؤَدَّى شُكْرُهَا ، ومن عَرَفَ قَدْرَهَا شَكَرَهَا ، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[سورة سبأ : آية ١٣] . فَصَحِّحْ إيضاحَ تَوَجُّهِكَ إلى السِّر الجَامِعِ للحقائقِ الأَسمَائِيَّةِ الذَّاتِيةِ وهو الجامع للكبرياء ، الثابت في خلقه ، فهو اللطيف بعباده ، فَكُنْ كذلك : ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾[سورة سبأ : آية ٢] ، فَكُنْ كذلك ، ووصف

---

(١) لعله : لِطَلَبِهِ الرحمة .

(٢) لعله : شَهِيدٌ .

(٣) لعل العبارة : وهي أيضاً مرتبة الأمة المحمدية لقوله تعالى فينا : (...

(٤) لعل العبارة : فَاشْتَرَكنَا في الشهادة في المحشر غداً مع النبيين .

(٥) لعله : على تبليغ جميع النبيين ...

نبيه صلىٰ الله عليه وسلم فقال : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[سورة التوبة : آية ١٢٨] فالألُوهية قد اختصَّ اللهُ بها هذا البشير[1] الإنساني ، وقال : ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[سورة الكهف : آية ١١٠] ، ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[سورة طه : آية ١٢٢] ، قال ذلك في آدم وقوله: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[سورة البقرة : آية ٣٧] ، وهو ـ أي آدم ـ [تَوَسَّلَ][2] أقسم باسم محمد ﷺ الذي رآه مكتوباً علىٰ أبواب الجنة ، فقد ثَبَتَتْ السعادةُ لمن اتَّبعَ وامتَثَلَ واهتدىٰ وانقادَ ومشىٰ علىٰ القدمِ المحمدي ؛ فقد صَحَّتْ له السعادةُ الأبدية ، قوله في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾[سورة النساء : آية ٤٨] ، نسأل الله العافية من الصَّدِّ والبُعْدِ عن طريق الهداية ، اللهم ثَبِّتْ أقدامَ أهل لا إله إلا الله من هذه الأمة علىٰ اتِّبَاعِهِ ومَحَبَّتِهِ . ومن كان علىٰ غير ذلك ممن صَحِبَتْه الرئاسة عن استيفاء الخدمة فهو في بحر قد هلك فيه كثير ممن ظل عن طريقنا لعدم التحقيق ، ووقوفهم[3] وعكوفهم علىٰ حُبِّ الدُّنيا والجَاهِ ، فهم الذين سُلِبُوا حلاوةَ الإيمانِ وذوقَ العرفانِ ، وهذه مِنِّي رسالة لجميع الإخوان ، اللهم أَرْشِدهم وأَيِّدْهُم إلىٰ أعلىٰ وأسنىٰ طريق الهداية.

❊ ❊ ❊

(١) في (ب) : السِّر .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) .
(٣) في (ب) : ووقوعهم .

﴿ فصل ﴾

(١٣٧)

فتأمل أيها المخلص الصادق في هذه الطريق ، وأَقْبِل بالقلب لتنظر بنوره ، وَتَفْهَمَ أَنَّ كُلَّ شَيءٍ يُسَبِّحُ بحمدِهِ ، وأنَّ الأكوانَ ثابتةٌ بإثباته ، ومَمْحُوَّةٌ بأحدِيةِ ذَاتِهِ ، وإن [حَصَلَتْ](١) لك وَقْفَةٌ مَعَنَا ، فهي تُسْرِي لَكَ من كُلِّ عِلمٍ ، وتُفْهِمُ(٢) عَنْكَ كل فهم ، [فنحن في ذلك نُعَلِّم](٣) بعلم من الكبريت الأحمر والإكسيرِ الأكبر ، لأنَّ مَنْ لاحَ له من ذلك شيءٌ ؛ يَصِلُ إلى تلك الحضرةِ الجامعةِ في أَسْرَعِ حالٍ ، فيحصل له من النِّعَمِ ما لا يخطرُ ببالٍ ، فيكون مع العين مشهود(٤) ، ولا يكون من أهلِ البَيْنِ والأَينِ(٥) ، فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين ، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . فهم الذين تَنَحَّتْ عنهم الحجبُ ، فيكونون في مقام النِّعَمِ الروحانية والنِّعَمِ القلبية ، فنحن غارقين(٦) في بحار شكر النِّعَمِ ، فلله الحمد على ما أَوْلَى وأعطى ، نِعمَ المولى ونِعمَ النصير ، فنحن في حقيقة الشكر في العطاءِ والمَنعِ ، فلله الحمد والشكر على دوام الله سبحانه ، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[سورة سبأ : آية ١٣] ، فكيف نؤدي شُكْرَ ما أنعمَ به علينا من فيضِ العطاءِ الواسع الفَائضِ . انظر إلى أعلى مجالس تعريجِ أرواح الكُمَّلِ ؛ إلى أعلى مقاماتِ أهل القُربِ انتهاؤهم ، وحقيقتهم إلى مقعدِ صدقٍ عند مَلِيكٍ مقتدر ، وهي مخاطبتُنا لخَوَاصِّ أحبابنا العارفين أهل رتبة الكمال ، وألقى(٧) منها المسرات والأفراح ، قوله : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾[سورة التوبة: آية

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : حصلَ .

(٢) لعله : وتُفْهِمُكَ كُل ...

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : فتعلم في ذلك .

(٤) لعل العبارة : فيكون مع العين والشهود . أو لعلها : فيكون من العين مشهود .

(٥) في (ب) : ولا أين .

(٦) لعله : غارقون .

(٧) في (أ ، ب) : وآلَ . في (ج) : وألقى ، وفي هامش (ب) لعله : توالت .

٢١] ،وقال : ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٧٠] ، وسقاهم من كؤوس خمرةِ ذاتِهِ ، وما شَهِدَ وعَرَفَ كُنْهَ ذاتِهِ إلاَّ هو ، وهو العليم الخبير ، وليس هنا منازعة ولا حجب ، وذلك فَضْلُ اللهِ يؤتيهِ من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وذلك(١) ثَبتَ وصَحَّ أنهم أهلُ الحقيقة ، معدن الكرم والجود في اصطلاحهم . وما أثبتوه وبَيَّنُوهُ من هذا العلم اللَّدُنِّي ، وهو الاسم الإلهي ، وهي العينُ الواحدة ، الذي هو(٢) الوجود الظاهر ، وَوَجَبَ التعيين لا على التَّعَيُّن(٣) ، وعلى الظَّاهِرِ لا على الظاهر(٤) ، ودل عليه الحديث عن النبي ﷺ فيما رواه عن ربه تبارك وتعالى : (لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أحببته ؛ كُنْتُ سمعه الذي يسمعُ به ، وبصره الذي يبصر به ، و يَدَهُ التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها) ، وهذا الحديث العظيم لا يَفْهَمُهُ أكثرُ النَّاسِ ، فلا يفهمه إلاَّ أهلُ الخصوص في مفهم هذا الحديث ودليله ، ويفهمه السالك الصادق الواصل إلى الحضرة الأحدية اللطيفة الروحية ، التي يَفْهَمُهَا العَبدُ الواصلُ إلى غَيبِ الحَقِّ المحيط بالغيوب ، وهذا المورد(٥) من المعدن المحمدي ، فهو لا إله إلا هو ، والعجز عن إِدْرَاكِ ذاكَ إدراك ، والعارفين [المُتَلَقيين يَبقى تَارَة](٦) بالروح وتارة بالقلب ، ومن سَرَتْ [فيه](٧) أقبل بصفاتِهِ التي هي القدرة والعلم والإرادة والحياة ، ، ووضوح العلم بها يكون بالله(٨) ، وهو العلي العظيم.

❋ ❋ ❋

---

(١) لعله : وبذلك .

(٢) لعله : التي هي الوجود الظاهر .

(٣) في (ب ، ج) : لا على التعيين .

(٤) لعله : وعلى الباطن لا على الظاهر .

(٥) في (ب) : الورد .

(٦) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : والعارفين المتلفتين تارة . وفي (د) : والعارفين الملتفتين تارة . ولعل العبارة : والعارفون يتَلَقَّونَ تارة بالروح وتارة بالقلب .

(٧) ما بين المعقوفتين في (ب) .

(٨) في (ب) : ووضوع العلم بها بالله .

﴿ فصل ﴾

(١٣٨)

وحَظُّ العبدِ أنه لا يَلْتَفِتُ إلىٰ سواه ، ويَعودُ إلىٰ شُهودِ التَّجَلِّي الأول للقلب المخلص ؛ الذي هو المُضْغَةُ الصالحةُ المشار إليها وفي[1] الحديث : (إذا صَلَحَتْ صَلُحَ الجَسدُ كله ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، ألا وهي القلب) ، وَمَشْهَدُ الأحدِيةِ الجَمْعِيَّةِ تنزل[2] الاسماء كُلَّهَا ؛ لاتحادِ الذَّاتِ الأَحَدِيَّةِ وتَمْيِيزِهَا بالتَّعَيُّنَاتِ التي تظهرُ في الأكوان ، أعني صُورَها الظاهرة ، فالعَارِفُ يَشْهَدُ كل شيء في كُلِّ شيءٍ وهو الفتح المطلق ، وأَكْمَلُها وأَشْرَفُها الاستِغْرَاقُ في العَينِ الواحدةِ ، وهي الجمع لفناء الرسوم كلها ، وهو[3] المشار إليها بقوله : ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ﴾[سورة التوبة : آية ٤٠] ، وقوله : ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللهَّ وَالْفَتْحُ﴾[سورة النصر : آية ١] . ومَنْشَأ المعارِفِ كُلِّها تحقيقُ صِحَّةِ العبودِيةِ لمعبودِهَا[4] ، ونفي الوهم والخيال ، وإثبات العلم الإلهي ، ولا يَبينُ لك ذلك إلاَّ إذا أَفْنَيتَ حواسَّكَ ؛ ترىٰ شمسَ اليقينِ ضاحيةً بعين اليَقينِ ، وَيَفْنَىٰ عَنْكَ سَائرُ الأعيانِ كلها في عينٍ واحدة ، ولا هنا غَيرٌ ، إِنَّما اللهُ إِلهٌ واحِدٌ ، وَيَتَوَلاَّكَ السر والمعنىٰ من الله ، قوله : ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[سورة الصافات : آية ٩٦] . والعارِفُ والصِّدِّيقُ مَنْ لَهُ رغبةٌ وارْتِكَانٌ إلىٰ الله دونَ الحَولِ والقوةِ ، فهو لله واستِغْرَاقُهُ في الله وَمَنْشَؤُهُ بِهِ ، وَمَنْ يَكُنْ بالله فالخَلْقُ حِجَابُهُ ، والحَقُّ ليس بمَحجوبٍ ، وحِجَابُكَ عنه لِنَظَرِكَ إلىٰ وجُودِكَ وعِلْمِكَ وعَمَلِكَ ونَسَبِكَ، وحِجَابُكَ عنكَ بكَ ؛ فَانْفَصِل عَنْكَ ، أي : إِفْنِ واعْدِمْ وجُودَكَ ووُقُوفَكَ مع الغَيرِ ، إشهد ما مَنَّ اللهُ به عليكَ من النِّعمِ والعطاءِ والجودِ ؛ فدخلت[5] في المِنَّة ﴿لَقَدْ

(١) لعله : المشَارُ إليها في الحديث .
(٢) في (ب) : يترل . وفي (د) : تترك ، ولعلها : يُزِيلُ .
(٣) لعله : وهي .
(٤) في (ب) : بمعبودها ، وفي (د) : المعبودها .
(٥) لعله : فَتَدْخُلُ .

مَنَّ اللهُ عَلَىٰ الْمُؤمِنِينَ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٦٤] الآية ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللهَّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة الأنفال : آية ٧٥] ، وإن شَهِدتَ الخَلقَ فلا تَرَىٰ لهم فِعْلاً ، تفوزُ وَتَرقَىٰ مراقي الرجال العارفين ، الذين وصلوا إلىٰ حضرة الفناء الذاتي . وإطلاق(١) الذاتي والحقيقة الذاتية هي عين(٢) كُلِّ بها شَهِدَهُ منها ونَظَرَهُ ، فهي منتهىٰ المقصود ، وهي واحدة في كُلِّ الأوصاف ، ولو تكاثرت [للخلق](٣) فهي واحدة علىٰ الإطلاق ، وهي خَفِيَّةٌ لطيفةٌ أَخْفَىٰ من النسيم . نسأل الله العافية من البَين ، والبين ظلمته كالليل البهيم علىٰ طائفة الغافلين ، ولكن أهل الذوق لا [يرون](٤) ما ذكرناه ، إلاَّ أَنَّا نقول من رَجَعَ إلىٰ معرفة عيوبِ نَفْسِهِ عَرَفَ ، وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ . فهيهات أيها المتوجه المقبل أخلِصْ مَقْصَدَكَ وَنِيَّتَكَ ، فليس لأحدٍ مخرجٌ عنها ، ولا مَدخلٌ فيها ؛ إلاَّ من لا يُمَيِّزُ ولا يعرِفُ التَّابعَ والمتبوع ، ولا فعل لفاعلٍ إلا بحقيقة المشهدِ لأهل الشهود.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٣٩)

والحقيقةُ ظاهرةٌ في باطن ظاهرها ، وأحكامُها ظاهِرةٌ ، ويعودُ معناها عينُ كلِّ شيءٍ ، ومنتهاها إلىٰ العين [الواحدة](٥) ، وفرق ما بين الذوقين ، والتَّفَاوتُ في المشاهد والمشهد ، فسبحان القادر الظاهر القاهر العليم السميع البصير ، قوله : ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء ﴾[سورة

---

(١) في (ب) : والإطلاق .

(٢) في (ب) : غير .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : الخلق .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : لا يذوقون .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) .

الأعراف : آية ١٥٥] ، إلىٰ عينِ الحقيقةِ الواحدة السَّارِيةِ في جميع المخلوقاتِ علىٰ الإطلاق ، والتعينات والفتوحاتُ كلها ، ما يفتحُ الله علىٰ عبدِهِ إلاَّ لمن تَوَلَّتْهُ حقيقةُ الامتثالِ لأمرِ الرسول محمد ﷺ ، قوله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٣١] ، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [سورة الحشر : آية ٧] ، وهو الوسيلةُ ، وهو عينُ الحقيقةِ ، والدليلُ والمَدْلولُ ، والشَّاهدُ والمشهودُ ، فهو المصطفىٰ المخصوص بالرِّضى ، وهو أساسُ أركان الأديان الماضية والأمم ، خاتم النبيين ﷺ . فمحمد ﷺ هو مظهر الحقائق الجميع ، ومعرفته واتِّبَاعه علىٰ أمره ونهيه هي أعظم القُرَبِ في مشاهد[1] الحق سبحانه ، والحق سبحانه ليس في جِهَةٍ ولا مكانٍ فافهم ، فاهتَدؤك[2] بك إليه هو عينُ الكمالِ بالحقيقة ؛ لا شيءَ غيرُهُ ، وذُكِرَ أن الحَقَّ لا يَعْرِفُهُ إلاَّ الحقَّ ، ونقولُ : كمالُ الإخلاصِ لَهُ ؛ نَفْيُ الصِّفَاتِ عنه ، يصيرُ عِلْمُهُ عَيْناً حقاً وعَيَاناً ، لا عِلْما وَبَيَاناً .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٤٠)

ومن ظهر له سلطانُ العشقِ والمحبةِ[3] ؛ بَانَ له [وضوح][4] معرفةِ هذا السِّرِّ ، ولسانُ الجَمعِ وجَمْعِ الجَمْعِ ، والتَّفْصِيلُ ظاهراً وباطناً ، وعلم ذلك بالحقائق ، ومطلع شمس الحقيقة ، قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا

---

(١) في (ب) : مشاهدة .

(٢) في (ب) : فاهتدؤه إليه .

(٣) في (ب) : للمحبَّةِ والعشقِ .

(٤) مابين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل : الوضوح .

فَاعِلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠٤] ، وقال: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [سورة غافر : آية ١٦] ، يشير إلىٰ مظهرِ حُكْمِ المرتبةِ الأحدية ، وهو المشهدُ الشريف ، والتَّجَلِّي الذاتي ، المُفْنِي للأعيان بالأصالة ، قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا .... ﴾ [سورة الأعراف: آية ١٤٣] الآية ، اللهم نور قلوبَنَا بطلوعِ شمسِ العَيانِ ، وهو مقامُ الإحسانِ (فإن لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك) . وارجع وافهم [بأن](١) الجمعَ شيءٌ واحِد ، فانظر وقِسْ بنورِ القلب وقُوَّةِ سلطانِهِ علىٰ جنودِ النَّفْسِ والهوىٰ . قوله تعالىٰ: ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٨٥] الآية ، فالقطب الذي عليه مَدَارُ أحكام العالَمِ كُلِّهِ ـ هو مركز دائرة الوجود من الأزل إلىٰ الأبد ـ واحدٌ باعتبار حكم الوحدة ، وهو ظاهر(٢) [الخليفة](٣) وباطنها الحقيقة المحمدية ﷺ ، وثبت مقامُ القطبيةِ عند انقطاع النبوةِ ـ أعني : نُبُوَّةَ التَّشْرِيع ـ وَتَمَامِها وظهورِ الولاية ، ثم انتقلت القطبيةُ إلىٰ الأولياء علىٰ الإطلاق ، فلا يزال في هذه المرتبةِ واحد منهم قائمٌ بهذا المقام ؛ ليحتفظَ به هذا الترتيب والنظام(٤) . قوله تعالىٰ: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [سورة الرعد : آية ٧] ، وقوله : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [سورة فاطر: آية ٢٤] ، وقوله في النبي محمد ﷺ : ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ [سورة فاطر : آية ٢٣] ، إلىٰ أن تنختمَ بظهور خاتَمِ الأولياء (خاتمُ الولايةِ المُطْلَقَةِ عند التمام) وعندما تَكْمُلُ(٥) هذه الدائرةُ ـ أيضاً ـ وَجَبَ قيامُ السَّاعةِ ؛ لاقتِضاءِ الاسمِ الباطن والظاهر في العالم الإنساني لها أيضاً وُجُوداً . إذ مقامُ الرُّوحِ(٦) والقلبِ وكمالاتهما عينُ النَّعيمِ ، وَمَقَامُ النَّفْسِ والهَوىٰ ومقتضياتهما نَفْسُ الجَحِيم ؛ ومن هنا أَقُولُ : مَنْ دَخَلَ مقامَ القَلبِ

(١) مابين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : باب .
(٢) لعل العبارة : وهو في الظاهر الخليفة التي باطنها الحقيقة المحمدية .
(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل :الخليقة .
(٤) لعل العبارة : ليحتَفِظ به على هذا الترتيب والنظام .
(٥) في (ب) : وعندما يكمل .
(٦) لعله : ومقام الروح والقلب ...

والرُّوحِ ، واتَّصَفَ بالأخلاق الحميدة والصِّفَاتِ المَرْضِية ؛ تَفِيضُ عليه أنواعُ النِّعَم من بَرْدِ الرِّضى والتَّسْلِيم ، فيالها من أخلاق! ، كما أثنى على سيدنا محمد ﷺ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : آية ٤] ، ويعود يدخل من الغيب إلى الشهادة ، فيفيضُ من ذلك الغيب المعاني والتجلياتُ ، ويظهر لك حقيقة النشأةِ السَّابقة ، وفيه معنى ولطف[1] لا يخفى على الفَطِنِ اللَّبِيبِ ، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ [سورة غافر: آية ٥٩] ، وقوله : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا... ﴾ [سورة طه: آية ١٥] ، وغير ذلك من الآيات نص القرآن العظيم ، ودلائلُها لا تَخْفَى على من طَلَعَتْ عليه شمسُ الذَّاتِ الأَحدِيَّةِ من مَغَارِبِ المظاهِرِ الخَلْقِيَّةِ ، وانكشافِ الحقيقةِ الكَمالِيَّة ، وظهورِ الوحدةِ التَّامَّةِ . قوله : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [سورة غافر : آية ١٦] ، ويَحْصُلُ لِكِبارِ العارفين الفناءُ في الله والبقاءُ بِهِ ، وظهر لهم الرَّوح الإنساني ، مظهرُ الذات في العالم الإنساني ، ولا يَرُومُهُ رائمٌ غيرُ من تَوَلَّتْهُ بضَاحِي شَمسِهَا وظَهَرَ نورُ إيمانِهِ ، ولا يعلم كُنْهَهُ إلا الله ، ومظهر الاسماء من العقل الأول والقلم الأعلى والنور والنفس الكلية واللوح المحفوظ ، ولا يُدرك معرِفتَهُ وظهورَ نورِهِ إلاَّ أربابُ القلوبِ الراسخين في العلم بالله دون غيرهم ، وقوله : ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [سورة طه : آية ٧] ، وقوله : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [سورة الإسراء : آية ٨٥] ، وقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [سورة ق : آية ٣٧] ، وقال في عيسى عليه السلام : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٣٩] ، وقال في محمد ﷺ : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ [سورة النجم : آية ١١] .

* * *

(١) لعله : وفيه معنى لطيف .

﴿ فصل ﴾

(١٤١)

ولـمَّا كَمُلَتْ الحقيقةُ في قلبِ [عَارِفِها](١) ؛ تَجَلَّتْ عليه بلا استعدادٍ لها مع قُوَّةِ نورِها وإشراقها ، فيرجعُ العارفُ بها بالقوة علىٰ أسنىٰ طريق السلوك ؛ ليؤدي شكر مِنَّتِها عليه ، وظهورِ النِّعَمِ ـ منها عليه ـ والرِّضى ، فهو مُتَلَقِّي(٢) للتَّجَلِّي الإلهي ، وهو مجمع البحرين و [المُلْتَقَىٰ](٣) للعالمين بوُسْعِهِ للحق . والمرتبةُ الروحية هي ظِلُّ المرتبةِ الأحدية والمرتبة القلبية هي ظِلُّ المرتبةِ الواحديةِ الإلهية ، ومَظْهَرُ الرُّوحِ بفنائِهِ فيه عند وُقُوعِ التَّجَلِّي ، وببقائه تَفْنَىٰ جميعُ مَظَاهِرِهِ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللهُ ﴾[سورة الزمر : آية ٦٨] ، وكل شيءٍ يرجعُ إلىٰ أصله ، قوله: ﴿ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٨٠] ،وقوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، وقوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦ـ٢٧] ، وقال تعالىٰ: ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[سورة ق : آية ١٥] ، ومَنْ طَلَعَتْ علىٰ قلبه شمسُ العَيَانِ ، وبَانَتْ له حقيقة(٤) علىٰ مظهر كشفها ، وزالت(٥) حجبها ؛ فهو من الواصلين مقالاً وحالاً ، وتُبَدَّلُ الصفاتُ البشريةُ بالصفاتِ الإلهيةِ ؛ فيرتَفِعُ عنه كُلُّ غَيرٍ ، فصار له من الذَّوقِ والشَّوقِ والمحبةِ ما لا ينالُهُ أحدٌ من أَقْرَانِهِ . ولكنَّ عطاء الله سبحانه وتعالىٰ لا يُعَدُّ ولا يُحْصَىٰ و لا يحصر ؛ بل فضلُهُ وجودُهُ السَّابِقُ لعبده من قَبلُ ، ولا كان ثَمَّ عِلَّةٌ ولا عَمَلٌ ، فَظَهَرَ من حيثُ أَظْهَرَهُ الحقُّ علىٰ مرادِهِ ، وفي قَبْضَتِهِ سَعَادةٌ أو بعكسه ، فلله الحمد والشكر علىٰ ما أعطىٰ ومن

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل : عارفيها .

(٢) في (د) : متلقى .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) وفي الأصل : المتلقي .

(٤) لعله : الحقيقة.

(٥) في (ب) : وأزالت .

حيث إيجاده لعبده . قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[سورة الزمر : آية ٥٣] الآية ، فهذه من الحق سبحانه وتعالىٰ أعظم النعم وأفخرها لعبده ؛ حيث قال: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ ﴾نَسَبَهُمْ إليه ، والحقيقة من العبد[١] ، فما وجوده علىٰ أي الصفتين إلاَّ مِنْ رَبِّهِ ، فلله الحمد والشكر علىٰ ما أعطىٰ من نعمه ظاهرة وباطنة . وظُهورُ نظامِ العَالَمِ في الدنيا والآخرة هو حُكْمُ ربِّنا ، الذي هو رَبُّ الأرباب بالعدالة ، وأَظْهَرَ الحقيقةَ ، وجَعلَ الوراثةَ ظاهراً وباطناً ، وهي النبيُّ الحقيقي والقطبُ الأزلي الأبدي ، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ ؛ كما أشار بقوله: (كُنْتُ نَبياً وآدم بين الماء والطين) ؛ أي : بين العِلْمِ والجِسْمِ ، فهو المبعوث إلىٰ الخلق أجمعين ليكون هادياً ومرشداً لهم ، وهي [تَشْمَلُ][٢] للكل قوله تعالىٰ: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٥٧] وهو الفيض الأقدس ، والمقام الأعظم بحُكْمِ التَّفَوُّقِ علىٰ أبنا جِنْسِهِ من الأنبياء عليه السلام ، [وعَلا][٣] مراتبَهم الشريفة ، فَمَرْتَبَةُ النُّبُوَّة بمظهر[٤] المعجزات لتُمَيِّزَ الشيءَ مِنَ الشيءِ ، والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامُهُ مَظَاهِرُ الذَّاتِ الإلهية ، فأخذوا مِمَّا يَفِيضُ عليهم من الحَقِّ سبحانه وتعالىٰ ، والخلافة [ما][٥] يفيضُ عَلَيهَا إلا بالبَاطِنِ ، وهو مقام الولاية ، وهو القُرْبُ[٦] من النَّبوة ، [ومن][٧] هنا الرجوع من الحق إلىٰ الخلق ، وهو مقام الإستِقَامَةِ ، وأحديةُ الجَمعِ والفَرْقِ واندارجُ الحَقِّ في الخَلْقِ ، واضمحلالُ الخَلْقِ في الحَقِّ ؛ حتىٰ يرىٰ العين الواحدة في صور الكثرة . فكن بالتصديق بالظاهر والباطن ، وهو رفع حجاب الوحدة عن

---

(١) في (ب) : من الحق .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : تشتمل .

(٣) في الأصل : وعلى .

(٤) لعل العبارة : ومرتبة النبوة ظهرت بمظهر المعجزات لتُميِّز ...

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : والخلافة من يفيض ... ، وفي (د) : مظاهر الذات الإلهية ، فأخذوا مما يفيض عليها إلاَّ بالباطن .

(٦) لعله : وهو قريب .

(٧) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل : من هنا .

وجوه(1) الكثرة العلمية ، فيكون نهايةُ القصدِ الحقيقةُ المحمدية الذاتية مع التَّعَينِ الأول ، فله الأسماء الحسنىٰ كلها ، وهو الاسم الأعظم ، وحقائقُ الأسماءِ هي الجامعةُ لجميعِ الحقائقِ ، وهي حضرة الجمعِ وحضرةُ الوجودِ الكلي ، فما خرج عنها خارج ولا دخل داخل إلاَّ بالإذن ، وهو الصَّدْرُ الجامعُ ؛ أعني(2): صورة الاسم الجامع الإلهي ، وصورتها منه الفيض والاستمداد علىٰ جميع الاسماء ، وهو مشتمل علىٰ جميع الجهات ، وهي الخلافة، فلها الإحياء والإمَاتَةُ بإذن ربها ، واللطف والقهر والرضى والسخط وجميع الصفات للتصرف في العالم ، وفي نَفْسِهَا وفي بَشَرِيَّتِهَا أيضاً لأَنَّهَا مِنْهُ ، وبكاؤه عليه السلام وضَجَرُهُ وضِيقُ صَدرِهِ لا يُنَافِي ما ذكرناه ؛ لأنه من بعض مقتضيات ذاته وصِفاته ، ولا يَعْزُبُ عن عِلْمِهِ مثقالُ ذَرَّةٍ في الأرض ولا في السماء من حيث مرتَبَتِهِ ؛ وإن كان يقول : (أنتم أَعْرَفُ بأمور دُنْيَاكُمْ) ، فهو من حيث بشريته . والحاصل أن ربوبيته للعالم بالصفات الإلهية الكمالية ، فينزل(3) إلىٰ العالم السُّفْلِي ؛ ليحفظ بظاهره خَواصَّ العالَمِ الظاهر ، وبباطنه خَواصَّ العالم الباطنِ ، ونزوله ﷺ لكماله ، كما أن عروجه إلىٰ مقامِهِ الأصلي كَمَالُه . وهو ﷺ مرتبة الذات الأحدية ، ومرتبة الحضرة الإلهية وهي الحضرة الواحدية مرتبة الأرواح المجردة ، ومرتبة النُّفُوسِ الكامنة(4) وهي عالم المثال وعالم الملكوت ، ومرتبة عالم الشهادة وهو الإنسان الكامل ، وكونهم(5) راجعين إلىٰ الحضرة الواحدة ، كما قال تعالىٰ: ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٨٥] ، باعتبار أحكام الوحدة ، وهي الحقيقة المحمدية ﷺ قوله: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[سورة الرعد : آية ٧] ، وقوله: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ، [تَدْخُل منها إلىٰ](6) الغيب المعاني والآيات من طلوع شمس الذات

---

(١) في (ب) : عن وجوده .

(٢) في (ب) : على .

(٣) في (ب) : فيتنزل .

(٤) في (ب) : الكمالية .

(٥) لعله : وكلهم .

(٦) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : يدخل إلى الغيب ، ولعل العبارة : يُدخل من هذه الآية إلى غيب المعاني والآيات بطلوع ...

الأحدية ، وإن الحقيقة هو الروح الإنساني ، مظهر الذات الإلهي ، فيدخل مِنْهَا جمع الجمع من الأسرار الخفية[١] والعلوم اللَّدُنِّيِّةِ والذوقية ، فعند [مطلعها] [٢] تَغْرُبُ جميع نجومها ، لـمَّا بَانَتْ وظَهَرَتْ وانْجَلَتْ شَمْسُها الضَّاحيةُ على القلوب المنورةِ ، والدلائل فيها واضحة . فَشَمِّر أيها الطالب المخلص في هذه الطريق ، وهي الصراط المستقيم ، والمنهج القويم ، وهو يهدي إلى السبيل ، وبالله التوفيق . فافهم ما أقول لك ، وانظر إلى القطب الأزلي الأبدي أولاً وآخِرَاً وظاهراً وباطناً ، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ ، فهو المقام الفائقُ على أبناء جِنْسِهِ ، فالأنبياء صلوات الله عليهم مظاهرُ الذَّاتِ الإلهية ؛ من حيث ربوبيتها للمظاهر وعدالتها ، وهم شركاء في الدعوةِ بالظَّاهِرِ ، ويشتركُ كُلُّهُمْ في الدعوةِ والهدايةِ ، وكُلُّ ما أمر به وأنصف وعدل في الشريعة ، ويمتازُ كُلٌّ منهم عن الآخر في المرتَبةِ المُحِيطَةِ التَّامة ؛ كأُولِي العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فانختمت النبوة والولاية في الرسول محمد ﷺ ، فهو مجمعُ الشرائعِ الكُلِّ من آدم عليه السلام إلى انتهاءِ قيام الساعة ، وكل منهم في الآخرة على مراتبهم ، وما أوعَدَهم الحق من الفضائل والمعاجز[٣] ، وكل ما وقع في النبيين[٤] عليهم السلام عبرة لنا في عطائهم وفي بلائهم ، فكل مشهود بعيد بالمسافة ، وهو التدبير الإلهي الظاهر والباطن ، والعطاء والمنع والرضى والسخط ، وأهل النَّارِ بدى لهم من الله الغضب ؛ أي : غضبُ الله عليهم [إذا] [٥] ما بَدَى في زعمهم فليس لهم حُكْمُ الرِّضَى من الله ، فصح المقصود ، كما أَنَّهُمْ [مَالَهُمْ] [٦] ـ أي أهل النار ـ إلاَّ إزالةُ الألآم ، وإن سَكنوا النار[٧] في ذلك رضى ، فزال الغضبُ

---

(١) في (ب) : من الأسرار الحقيقة والعلوم .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : مظهرها .
(٣) لعله : المعجزات .
(٤) لعله : وكل ما وقع للنبيين .
(٥) ما بين المعقوفتين في (ج) ، وفي الأصل : إذ .
(٦) ما بين المعقوفتين في (ب،ج،د) .
(٧) في (ج) : وإن سكنوا النار ما لهم في ذلك رِضى .

الغضبُ لزوال الألآم ؛ إذ [غير][١] الغضبِ إن فَهِمتَ قوله تعالىٰ: ﴿ أَنعَمتَ عَلَيهِمۡ ﴾[سورة الفاتحة : آية ٧] ؛ وهم السُّعداءُ غير المغضوب عليهم ، فينتقل[٢] الغَضبُ إلىٰ كلِّ من دخل في خلافِ الرسولِ محمد صلىٰ الله عليه وسَلَّم ؛ وكذلك إخوانه المرسلين عليهم السلام ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ الأَمۡرُ كُلُّهُ ﴾[سورة هود : آية ١٢٣] ، حقيقةً وكشفاً ، فاعبده وتوكل عليه ، وهو بكل شيءٍ عليم ، فهو علىٰ كل شيءٍ شهيد .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٤٢)

واعلم أن العبدَ إذا طلبَ كَشۡفَ بَلاءٍ عَنۡهُ ؛ لم يقدحۡ في مرتبةِ صَبرِهِ ، وشكواهُ من بلائه[٣] لا يَضُرُّ طَلَبَ انفِكَاكِهِ عنه ، وكلما وقع في ذلك العبد المخلص رجع إلىٰ أَصۡلِهِ وصبره[٤] ، وقوله في أيوب أيوب عليه السلام: ﴿ نِعۡمَ الۡعَبۡدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[سورة ص : آية ٣٠] ، فرجع العبد إلىٰ الواحد ، والصبر (حَبۡسُ النَّفسِ عن الشهواتِ ، ولا ينقص لمن أبلىٰ[٥] وتضرع وسأل الله تفريج كربته) ، وإن البلاءَ يكونُ عندَ غَفۡلَتِكَ لتَرجِعَ إلىٰ يقظَتِكَ ومعرِفَتِكَ به ، فهو طريق إلىٰ جنابِ الله ، ووصولك إليه ورَغبتكَ إليه . والبلاء أَشَدُّهُ غفلتك عن المقامِ الإلهي ، فَصَحِّحۡ التِجَائِكَ ، وافتقارك إليه هو[٦] حقيقتك . والحق

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي (أ،ج،د) : عين .

(٢) في (ج) : فينقلب . ولعله : فينتقل إلى الغضبِ كل من ...

(٣) لعل العبارة : وصبره على بلائه لا يضُرُّ طلب ...

(٤) لعل العبارة : وكلما يقع في ذلك العبد المخلص من أمر يرجع به إلى أصله وصبره .

(٥) لعله : ولا ينقص لمن ابتُليَ فتضَرَّع ، وسأل الله تفريج كربته .

(٦) لعله : فهو .

وصف نفسه بأنه يُؤذَىٰ فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[سورة الأحزاب: آية ٥٧] ، ومن لا يكون له فَنٌّ في هذا المقامِ ؛ فيكون في أعظمِ العذابِ ، وهو في عين الحجاب . والكُمَّلُ من العارفين إذا وقعوا في البلاءِ لا يسألون رَفْعَهُ عنهم ؛ لاستغراقِهِمْ في معرِفَةِ الوِرَاثَةِ الأحمدية المحمدية . وفصلنا في هذا العلم [فصول](١) معنوية ، لا يُدْرِكُهَا ويَعْلَمُهَا ويذوقها إلاَّ من تَوَلَّتْهُ أسرارُ الله ، وهم أُمناءُ الله ، فإن لله أُمناءُ لا يَعرفِهُمْ إلا الله ، وقد يَعْرِفُ بعَضُهُم بعضًا . ورحمةُ الله وسعت كل شيء ، سبقت رحمتُهُ غَضَبَه ، والرحمةُ الواسعة ترجِعُ إلىٰ عينٍ واحدة ، وهي لا تتناهىٰ ولا تُحْصَرُ دُنْيَا وآخِرَه ، فهي ساريةٌ في جميع الكائنات حُكْمَاً وعِلْماً ، والحُكْمُ لازمٌ للوجودِ الذاتي ، ولا تلتبِسُ عليك مظاهره ـ أعني: الكونَ ـ فهو الخالق وهو القاهر بقدرته وحكمه ، فيعود العبدُ إلىٰ افتقارِهِ وانكساره ، وهو رَاكِنٌ إلىٰ ربه ومُوجِدِهِ من الحَدَثِ والعَدَمِ إلىٰ البقاءِ في دار الآخرة.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٤٣)

وأهلُ المرتبةِ الذَّاتِيَّةِ لهم النَّظَرُ إلىٰ وَجْهِ الله الكريم ، جَلَّ رَبُّنَا وتعالىٰ ، وهو أَحْكَمُ الحاكمين . فَكُنْ في الاسم العالي الذي يتجَلَّىٰ به الحَقُّ عليكَ ؛ فذلك معنىٰ قولِهِ ﷺ أَنَّهُ سيحمدُهُ يومَ القيامةِ بمحامدٍ لم يَحْمَدْهُ بها مِن قبل ، وقوله: (اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ سَمَّيتَ به نَفْسَكَ ، أو اسْتَأْثَرْتَ به في غيبِكَ) ، والاسماء التي سَمَّىٰ بها نَفْسَهُ أسماء أحوالِ الْمُتَجَلِّي عليه ، وهي المعرفة ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[سورة الذاريات: آية ٥٦] ، وهي المعرفة بالله والأُنسُ به ،

---

(١) ما بين المعقوفتين في (د) ولعلها: أموراً معنوية .

والوصول به إليه ؛ لاسيما من اقتصرت هِمَّتُهُ وعَزْمُهُ سيكون واقف على مرتبته في إرادة الحق ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . والرشادُ والتثبيتُ في عِلمِ السِّرِ هو مختصه[1] بمحمد ﷺ ؛ لأنه لم يَدَعْ حِكمةً ولا هُدَىً ولا علماً ولا سِراً إلاَّ وقد احتواهُ ونَبَّه عليه ، ويشير إليه على قدرِ ما يليق ، وهو الخاتم لجميع الأسرار ، واخْتُصَّ بها فخُتِمَتْ نُبُوَّةُ التشريع به ، وكان محمد ﷺ خاتم النبيين ؛ لأنه جاء بالكمالِ ، ولم يجيء قبل ذلك في أحدٍ قبله ولا خلفه من المرسلين والنبيين عليهم الصلاة والسلام أجمعين . هو يَعْلَمُ ويُخْبِرُ بها في الصُّحفِ والتوراةِ والإنجيلِ مثلما يخبرُ بها في القرآنِ قوله تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[سورة الأنعام : آية ٣٨] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾[سورة العنكبوت : آية ٤٨] ، وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[سورة طه : آية ١١٤] . انظر وافهم قوله ﷺ : (أعطيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي ثلاثةَ علومٍ ؛ فَعِلْمٌ أُخِذَ عَلَيَّ في كَتْمِهِ ، وَعِلْمٌ خُيِّرْتُ في تَبْلِيغِهِ ، وعلم أُمِرْتُ بتبليغه) وهو علم الشرائع ؛ والعلمُ الذي خُيِّر في تبليغه هو عُلمُ الحقائقِ ، والعلمُ الذي أُخِذَ عليه في كَتْمِهِ هو عِلْمُ الأسرار الإلهية ، وقد أُودِعَ جميعُ ذلك في القران العظيم ، فقد قال ﷺ : (الذي أُمِرْتُ بتبليغه ظاهراً ، والذي خُيِّرْتُ في تبليغه باطناً) قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[سورة فصلت: آية ٥٣] ، وقوله: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾[سورة الأحقاف: آية ٣] ، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة الجاثية: آية ١٣] ، وقوله : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[سورة الحجر : آية ٢٩] ، يدل على بيانِ الحقائقِ ، ووجهٌ يتعلق بالشرائع فافهم.

---

(١) لعلها : مختص .

❊ ❊ ❊

﴿ فصل ﴾

(١٤٤)

ومن عَلِمَ وفَهِمَ ذلك الفَنَّ العظيم وكَتَمَهُ ، فالواجب عليه أن لا يُفْشِيهِ إلىٰ غير أهله ، قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ .... ﴾ [سورة آل عمران : آية ٧] ، قال الصِّدِّيق الأكبرُ : (العجزُ عن إدراكِ ذاكَ إدراك) ، وقال ﷺ : (سبحانك لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك) فَتَأَدَّبَ ﷺ واعتَرَفَ بالعجزِ[1] لتوقف كمالِهِ مع ربه ، لأنه أفضل المرسلين والنبيين أجمعين . وقد سبق في كتابنا بيان ذلك ، لئلا [يَحْتَصِر][2] ويقف العاجز عن وصول ذلك العلم ، قال بعض العارفين المحققين: (خُضْنَا بحراً وَقَفَ الأنبياءُ بِسَاحِلِهِ) ، وكلامه حَقٌّ وله وَجْهٌ من التأويل ، معناه: أنهم فهموا ـ أهل البصائر العارفين ـ فَهْمَ علمٍ خفي لا يليقُ ظهوره ؛ وإنما عَلِموا قولَه ك ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[سورة الأنبياء: آية ٢٣] ، [ومن][3] هنا تَبَيَّنَ لهم في حَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ ﴾[سورة الفتح: آية ١٠] الآية ، وقوله: ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾[سورة النساء : آية ٨٠] ، فاهتدىٰ قومُ محمدٍ ﷺ بذلك إلىٰ حقيقة الأمر ، ولهذا لم يخص به أحد دون أحد ، فكانت ساريةً في الجميع فافهم . قوله: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾[سورة البقرة : آية ١١٥] ، وقوله: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[سورة الذاريات : آية ٢١] ، وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾[سورة الحجرات : آية ٨٥] ، ونُحِبُّ تأكيدَ هذا العلمِ اللَّدُنِّي وبيانَهُ لمن كان له قلب وفكر

(١) في (ب): ليُوفق .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي (أ،ج،د) يحتقر .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : من .

، والمشار[1] إلىٰ مستحقيه من أهل الله المخلصين لكمال الإحاطة بشيء من ذلك ، فهو علم ليس له إنتهاء ، فلو فَتَحْنَا بَابَهُ الواسع لحَارَتْ العقولُ فيه ، وهو علم شريف ذوقي لَدُنِّي جامع الصفات[2] ، وحقيقة مظهر الرحمة الواسعة ، نص القرآن: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، فمحمد ﷺ مظهر الأسماء الذاتية ، وهو العادل الكامل ، وإليه أشار بقوله :﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَىٰ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٧٢] ، وليس الأمانة إلا الحَقِّ[3] سبحانه وتعالىٰ بذاته وأسمائه وصفاته ، فليس في الوجود بَأَسْرِهِ من صَحَّتْ له هذه الحَمْلَةُ إلاَّ الإنسان الكامل ، وبهذا المعنىٰ أشار صلىٰ الله عليه سلم بقوله : (أُنْزِلَ عَلَيَّ القرآنُ جُمْلَةً واحدةٍ) ، فالسمواتُ وما فوقها وما تحتها ، والأرض وما عليها وما فوقها وما تحتها من أنواع المخلوقات عاجزةٌ عن [التحقق][4] بجميع اسماء الحق وصفاته ، وكان يُثْنِي علىٰ الله حَقَّ ثنائِهِ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩١] ،﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[سورة الأحزاب : آية ٧٢] ، المعنىٰ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، ولا يقدِرُ أَحَدٌ أن يَفِي بحقوقِ الإنسان الكامل ؛ لجَلاَلَةِ قدرِهِ وعِظَمِ مَنْصِبِهِ ، فهو مظلومٌ بما تعامِله به المخلوقات ، لأنه المُخَلِّصُ لهم من الظلم ، وقَابِلُ عُذْرِهِمْ ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *

(١) لعله : ونشير .

(٢) لعل العبارة : ...ذوقي لدني مَصْدَرُهُ جامع الصفات وحقيقة مظهر ...

(٣) في (د) : بالحق .

(٤) ما بين المعقوفتين في (د،ب) ، وفي الأصل : التحقيق .

﴿ فصل ﴾

(١٤٥)

وليس لما ذكرنا ـ لكماله ـ غايةٌ ولا نهاية ، وهي لا تـدرك لكـمال الإحاطـة ، ومـن لـيس لـه نهايـة ؛ لم يمكن(١) أن تُدْرَكَ معرِفَتُهُ . واعلم أن كَمَالَه سبحانه وتعالىٰ لا يُشْبِهُ كمالَ غـيرِهِ ؛ لأن جميـعَ الكـمالات موجودة ، ولله المَثَلُ الأعلىٰ الجَامِعُ لِكُلِّ جَمَالٍ وجلال علىٰ النَّمَطِ اللائقِ بالتنزيـه الإلهـي ، وهـو عـين الكمالات . ولا يعرف التحقيق إلاَّ من ألقىٰ السمع وهو شـهيد ؛ معنـاه : شـهيدٌ بـالإيمانِ واليقـينِ ، وحصولُ العلم اليقيني للشخص لا يحق إلا لأهل هذا المقام ؛ لأنه لا يَتَجَلَّىٰ الحَقُّ إلاَّ لمن مَحَىٰ رَسْمَهُ(٢) وزَالَ عنه اسمَهُ ، وتَرْجِعُ المقاماتُ(٣) الكلية إلىٰ علمِ اليقين وعينِ اليقين وحَـقِّ اليقـين ؛ فعِلْـمُ اليقـين بِصورِ العلمِ علىٰ ما هو عليه ، وعَينُ اليقين الشُّهودُ كما هو ، وحَقُّ اليقين الفناءُ في الحـق والبقـاءُ بـه . لانهاية لكمال الولاية ، ومن وقع من أهل الإختصاصِ الإلهي في حضرة العيـان مـن شـمس الحقيقـة الأحدية ، فسلطانها قاهر ، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٨] ، وسـتر شمسِ الحقيقة بمظهر العبودية وَوَجْهِ البشرية ؛ لتكون الربوبيةُ ظاهرة والعبدُ في خفائه . والتجليـاتُ الذاتية هي مراتب الوحدة [الأحَدِيَّة ، والتجليات الذاتية](٤) من جملـة الأسـماء المقتضـية لـه كالقهـار والواحد الأحد الفرد الصمد والغني والعزيز والمعيد والمميت والماحي وغير ذلـك . قوله : ﴿ يَمْحُـو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾[سورة الرعد : آية ٣٩] وقوله: ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ﴾[سورة طه : آية ٧] ، وهـو السرـ الخفي والروح والقلب الفؤاد والصدر والعقل وألم نشرح لك صدرك ، وفي الحديث الصـحيح : (إن

---

(١) لعله : لا يمكن .
(٢) في (د) : اسمه .
(٣) في (ب) : وترجع عنه المقامات .
(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) .

روح القدس نفث في روعي أن نفساً لا تموت حتىٰ تستكمل رزقها) الحديث ، ومعناه [وسِرَّه][1] لكمال إدراك نور القلب . تنبيهٌ : كُلُّ من فَهِمَ هذا العلم اللدُنِّي الذوقي ، الذي لا تسعه السطور ، فيكون أصله وفرعه ومنبعه ورأسه وأساسه من علم الذات الأحدي ، وحقيقته نادرة إلا لمن [كان][2] له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد ، ولا يسعه ويفهمه إلاَّ من وسعته الرحمة الإلهية وجوداً حقاً وعلماً وفهم صدق ؛ مع إخلاص القلب الواحد في الجسم الواحد ، ثم تفيض علىٰ من أقبل عليه إمَامُهُ وأستاذه ، فدخل في الرحمة ، فصحت له السعادة بلا ريب ولا شك ، ولا ثَمَّ شَكٌّ . قوله تعالىٰ في القرآن العظيم: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ ﴾[سورة البقرة : آية ٣] الآيَةُ دَالَّةٌ علىٰ العلم اللدني ، وصلتُهُ بهذا الروح المحمدي ﷺ ، قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣٣] ، والإشارة ترجع إلىٰ عين واحدة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، وَسعَتهُ للرحمة[3] لأنه نفسها ، ولا ثَمَّ تَثْنِيَة ، وأشرنا إليها ، وصح فيها كل موجودٍ يوجد[4] إلىٰ ما يتناهىٰ[5] عَرَضَاً وجوهراً ، فوسعت الرحمة الإلهية جميع الوجود الكلي ، فنطق بقوله : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾[سورة الأحقاف : آية ٣١] إلىٰ تمام الآية ، فهو الرحمة الواسعة ، وسعته في الذَّواتِ وفي الأعيانِ غالبة[6] ، وفي الأكوان سارية ؛ حتىٰ تكون الأفكار عالية[7] ، ، فيكون له الشهود ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾[سورة البروج : آية ٣] وقوله : ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٥٨] وقوله : ﴿ وَاللهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب،د) ، وفي الأصل : سره .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) .

(٣) في (ب) : الرحمة .

(٤) في (د) : يوجد .

(٥) في (ب) : ما لا يتناهى .

(٦) في (ب) : وفي العيان غالبه .

(٧) في (ب) : غالبه .

لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾[سورة البروج : آية ٢٠-٢٢] ، فَدَلَّتْ علىٰ مظهر الذَّاتِ من الرحمة العظيمة ، فلو بُحْنَا بشيء من سر مظهر معنىٰ هذه الرحمة ؛ لخشينا علىٰ ضعيفِ العقل واليقين من الهلاك ، لأنه بعيد عن فَهْمِ هذا العلم ؛ لأن أصله ومنبعه من الصدور ، قوله : ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾[سورة الشرح : آية ١] ، ويطلب ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾[سورة طه : آية ٢٥] ، فكل عَارفٍ فاني عن نفسه يُدْرِكُ بالذوق ما ذكرناه ، ولكن قَبَضْنَا في العِنَانِ عن بيان غوامض أسراره ، فَنُخْفِيْ[1] من العلوم عن الغير ، الذين يسكنون بها إلىٰ الجاه في الدنيا والعِزَّةِ ، فهي أعظم المصائب ، فَتَحَقَّقَ ما قاله الحقُّ في القرآن وما شَبَّهَهُمْ به ﴿ كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا ﴾[سورة الجمعة : آية ٥] ، فانظر الذي أسقطه علمه الحقير ؛ لأنه ما خرج عن الكون والحُجُبِ النَّفْسَانِيَّةِ ، وأكثرُ الحُجُبِ من سبَبِ الخلق ، فمنها الرياءُ والسُّمْعَة ، وغير ذلك من العوارض الذي[2] تَطْمِسُ عين البصيرة ، وتُصْدِيْ القلوبَ المُنَوَّرَةِ ، نسأل الله العافية من طَرِيقَتِهم ، فعليك بالفِرار عنهم ، والإعتزال لهم . وارجع إلىٰ التسليم وحسن الظن ، (أنا عند حسن ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء) ، فالعلم الذاتي الأحدي المشار إليه[3] : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣١] ، نسأل الله سبحانه أن يرحم ويغفر للمحجوبين عن العين الواحدة ، وهي الصراط المستقيم ، الطريقة الدقيقة علىٰ القدم المحمدي .

❊ ❊ ❊

---

(١) في (ب) : فتخفى ، ولعله : فنخفي بعضا من العلوم .....

(٢) لعله : التي .

(٣) لعله : المشار إليه بقوله تعالى : { ....

﴿ فصل ﴾

(١٤٦)

وأهل الكشف يسألون الإستقامةَ ؛ لئلا يقعون في الحجاب ، اللهم أَسْبِل الرحمةَ الواسعةَ على جميعِ الأمةِ ، والخواصِ من أهل الطريقة والحقيقة الكل . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[سورة الزمر : آية ٥٣] الآية ، وهو لا بد أن يَرُدَّهُمْ إلى نبيهم الرسول ﷺ ، قوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾[سورة الحشر : آية ٧] الآية ، وأما الحقيقة فما أحد خرج عن عبودِيةِ الحَقِّ ؛ إلا على ما أَثْبَتَهُ نَصُّ القرآن العظيم . وهنا علم غَامِضٌ ، العلمُ إليهِ فهو المُنْتَهَى ، فهو جَامِعُ المعانِي كلها ، والحقيقةُ هو الرَّحِيمُ والرَّاحِمُ على الحقيقة ، فيرحم اللهُ عباده المُعْتَنِي بهم برحمته ، فافهم ذلك وَجْدَاً وحُكْماً وعِلْماً وذوقاً ، ووصفُ[1] العلمِ : كَونُ الذاتِ هي الرحمة الواسعة التي وَسِعَتْ كُلَّ شيء ، ولها شُعَبٌ كثيرة متعددة ؛ لأنها الأسماء الإلهية ، قول السائل[2] : يارب إرْحَمْ وأنت أرحَمُ الراحمين ؛ لأن الحقيقة[3] تنسب إليها جميع الحقائق كلها ، وقد سبق في هذا الكتاب أنها عَينٌ واحِدةٌ ، وهي نعت جميع الأسماء . قوله تعالى : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٥٦] ، وهي الرحمةُ الواسعةُ الأحدية المحمدية ﷺ ، وهي طريق الإمتنان والرأفة والرحمة ، نص القرآن : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[سورة التوبة : آية ١٢٨] ، وهو دليل الذات ، وإثبات الصفات ومحوها ، قوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[سورة الرعد : آية

---

(١) في (ب) : وذوقاً ووصفاً ، العلم ....

(٢) لعله : وقولُ السائل .

(٣) في (ب) : حقيقته .

٣٩] ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾[سورة الحجر : آية ٨٧] ، وكلمة التقوىٰ ، ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾[سورة الفتح: آية ٢٦] ، ونَدُلُّكَ علىٰ عبارةٍ حَسَنَةٍ تَرْفَعُ الإشكالَ وتنفي عنك أعيان الصفات ؛ فتكون راجعة إلىٰ علم الذات ، والكل منها من هذه الاسماء لتدل علىٰ عين واحدة ، وإذا قدمته أعني الذات الأحدي المحمدي دلالتها علىٰ جميع الاسماء وهي عين واحدة ، قوله: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[سورة لقمان : آية ٢٨] ، وقوله في الفَتْحِ : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[سورة الفتح : آية ٢] ، يدخل في ذلك الجميع ؛ لكن له تفصيل وتقرير وتمييز ، قوله : ﴿ فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ ﴾[سورة يونس : آية ٣٢] ، وقوله [في الحديث القدسي][1] : (اعمل ماشئت فقد غفرت لك) وقوله في إدريس : ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً ﴾[سورة مريم : آية ٥٦] ، كان قبل نوحٍ ، رَفَعَهُ[2] اللهُ مكاناً عَلِيًّا ، فهو في قَلبِ الأَفْلاكِ ساكنٌ ؛ ليس له تَعَلُّق بالأعراض النفسانية .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٤٧)

واعلم أن معرفة الله علىٰ التنزيه لا علىٰ التشبيه ، ومَنْ أُعْطِيَ معرفة الله بالتجلي ؛ فنظر إلىٰ ما أحبه محمد ﷺ ، وهو السلطان الأعظم في الحقيقة ؛ لأنه جَمَعَ جميعَ الشرائع السابقة واللاحِقة [في][3]

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السياق .

(٢) لعله : فرفعه .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : وشريعته .

وشريعته الوسطىٰ جميع الشرائع ، وهو شَاهِدٌ لإخوانِهِ المرسلين بأداءِ الرِّسَالةِ مِنهم إلىٰ أُمَمِهِمْ . قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[سورة الشورىٰ : آية ١١] ، ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[سورة الأنعام : آية ١٢٤] ، وهو مجمع الخير إلىٰ رُسُلِ الله أجمعين ، وبها حكم المتقدم والمتأخر ؛ فَنَالَتْهُ بشارة الرحمة ، وَوَقَعَ في طريقته وسُلوكِهِ وتَوَجُّهِهِ إلىٰ الغايةِ القصوىٰ جامعة أمداد الرحمة ، فهي متصلة من حيث هي منفصلة ؛ ومن حيث وجودها سارية من المقام ، فوقع مجذوب بها وسالك إليها ؛ لكن مقام الأول أفضل من مقام الثاني ، الأوَّلُ واصِلٌ إليها بها ، والثاني بحسب وصوله بِجِدِّهِ واجتِهَادِهِ[1] ، فَيَقْصُرُ عن إدراكِ درجةِ العطاءِ والمَنع والرِّضى والسخط . وجاء هنا الشرع بالعلم المحمدي حيث قال : (أعوذ بك منك) ، وغير ذلك من العلم ، فافهم أن الشرع هو المستقيم الرحيم ، ومن تَوَلاَّهُ من غير أمر الله فقد ظَلَمَ نفسه . والنشأة الإنسانية تكون ممتثلة طائعة ، لا تَتَعَدَّىٰ حدودَ الله في الشريعة المحمدية ، نص القرآن : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[سورة آل عمران : آية ٣١] الآية ، ومراعاةُ هذهِ النشأة خيرٌ من هَدْمِهَا ؛ بإقامتها علىٰ قانون الشريعة . قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾[سورة الأنفال: آية ٦١] ، وقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[سورة الشورىٰ : آية ٤٠] ، وَأَمَرَ بِحُسْنِ الخُلُقِ نَبِيَّهُ وصَفِيَّه ؛ لأنه مظهر الاسم الذاتي[2] : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[سورة القلم : آية ٤] فَأَمَرَ[3] الحَقُّ بالتَّخَلُّقِ لعباده ، ومن هنا انظر قوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾[سورة الأعراف : آية ١٩٩] ، وقوله : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[سورة آل عمران : آية ١٥٩] ، فَقَرَّبَهُمْ وَرَحِمَهُمْ ، وفيه حدودُ الله ، ﴿وَلَكُمْ فِي

---

(١) لعل العبارة : والثاني وصوله ، بحسب جده واجتهاده .

(٢) في (ب) : الذاتي الأحدي .

(٣) لعله : فأمَرَه .

الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[سورة البقرة : آية ١٧٩] ، وما أحسن ما قال رسول الله ﷺ : (أَلا أُنَبِّئُكُمْ بما هو خير لكم ، وأفضل من أن تَلْقَوا عَدوَّكُم فَتَضْرِبُوا رِقابهم ، ويضربوا رقابكم ، قالوا : بلىٰ يا رسول الله ، قال : ذِكرُ الله وما والاه) ، فإنه تعالىٰ جليس من ذكره ، فافهم هذا السِّرَ العظيم ، والمنحَةَ العظيمة ، والمواهب الجسيمة ؛ تكون في هذا الذكر العظيم ، قوله تعالىٰ : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾[سورة البقرة : آية ١٥٢] ، والمراد هنا : إذا صَحَّ الذِّكْرُ للذَّاكِرِ ؛ اهتدىٰ إلى الحق ، ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ ﴾[سورة الأعراف: آية ٤٣] ، وقوله: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾[سورة هود : آية ١٢٣] ، بإعطاء الحُكْمِ وفَصْلِ الخِطابِ ، وهي المِنَّةُ الكبرىٰ والمكانة الزُّلْفَىٰ الذي[1] خَصَّ اللهُ بها المتحققَ بالحقيقةِ الأحديةِ الواحِدِيَّةِ المحمدية ، ثم نص بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾[سورة ص : آية ٢٦] ، والذي يفهم هذا العلم ويذوقه تَتَولاَّهُ أسرارُ الحقيقة.

❊ ❊ ❊

﴿ فصل ﴾

(١٤٨)

ومن أعطاه الله ـ مِنْ غير سؤال ـ عن أَمرٍ إلهي ؛ فإن الله تعالىٰ لا يُحاسِبُهُ في الدار الآخرة ، ومَنْ أعطاه بسؤالٍ فلا بُدَّ أن يحاسِبَهُ في الدار الأخرة (دار البقاء)، فإن الله تعالىٰ يقول لنبيه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[سورة الأحزاب : آية ٢١] ، وأَيُّ عَطِيَّةٍ وأُسْوةٍ أعظمُ من الأسوةِ لنبيه[2] ﷺ ؟! ، فهي محبةُ خَواصِّ العارفينَ من هذه الأمة المحمدية ، قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا

(١) لعله : التي .

(٢) لعله : بنبيه .

يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[سورة الفتح: آية ١٠] ، ﴿ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾[سورة الفتح : آية ١٨] ، قال تعالىٰ : ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[سورة المجادلة : آية ٢٢] بطريق الإنعام ، فهي النِّعْمَةُ السابقة والحُجَّةُ البالغة . قوله : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ٧٩] ، فأَقْبِلْ إلىٰ المُجْتَهِدِ[1] المصيب ، وامتَثِلِ الحُكْمَ الذي يَحْكُمُ اللهُ به علىٰ لسان رسولِهِ ﷺ ؛ فإنك في زمانِ الإحسانِ والإمتنان ، فاشهد الإحسانَ والمِنَّةَ حيثُ امتَثَلْتَ واتَّبَعْتَ صاحبَ القدَمِ المحمدي ، وفي نص الحديث : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا بالنواجذ) ، وهو يريك طريقَ بابِ الهدايةِ ، ومَنْ آتاهُ اللهُ الهدايةَ عِلْماً وضِمْناً ؛ يكون من خواصِّ عَارِفِيِّ الأُمَّةِ أهل الكشف الجلي ؛ الذي[2] لا يعارضهم غير ، ويصيرُ عَارِفُ ذلك إلىٰ مرتبةٍ عاليةٍ ؛ لكن لا يُمْكِنُ إلا بطريقٍ صحيحةٍ ، وأمرِ شيخٍ مرشدٍ يبني أَسَاسَه علىٰ الحقائقِ من الوارثة ؛ لئلا يقع في غير الكمال ، ولو تَوَجَّهَ وعمل بأعمال الثقلين الجن والإنس ، ولم يَكُنْ أَخذَ من هذا المقامِ ؛ فَيُرَدُّ عليه عَمَلُهُ كالثَّوبِ الخَلِقِ ، فيُضْرَبُ به وَجْهَهُ ، نسألك يارب العافية من هذه الطريق ، التي هلكوا[3] فيها كثيرٌ من الناس ، نسأَلُ اللهَ العافيةَ ودوامَها . وقال: (مثقال ذرة من عمل أهل البر يوازن عمل الثقلين الجن والإنس) ، فيالها من نعمة أنعمَ بها عليهم ، وسَأَلَ العَبَّاسُ ﷺ رسولَ الله ﷺ حيثُ قال : (دُلَّنِي يا رسولَ الله علىٰ عملٍ يوصِلُنِي رِضَى رَبِّي ، فقال : يا عَمِّ قُلْ : اللهم إني أسأَلُكَ العافية) ، فالعافيةُ جامعةٌ علىٰ أَمرِ الرسول ، فهذا من أعظمِ النَّصَائِحِ والمواهب لِعَمِّهِ ؛ ولو كانَ شيءٌ من الأَوَامِرِ أكملُ منه لَدَلَّهُ عليه.

❊ ❊ ❊

---

(١) لعله : على المجتهد .

(٢) لعله : الذين .

(٣) لعله : التي هلك .

﴿ فصل ﴾

(١٤٩)

فانظر أَيُّهَا المسترْشِدُ لهذه الطريق الصَّعْبَةِ ؛ لكن انظر(١) أنَّ المؤمنَ مِرْآةُ أخيهِ المؤمن ، ينظرُ في مِشْكَاةِ ذلك النُّورِ الذي ليس كمثله شيء ، ولا تعرف الغريزة(٢) الدقيقة إلا بمن أَوْصَلَكَ إليها ، فهي الرحمةُ الشَّامِلَةُ المحمدية ، وهي أحدِيَّةُ العَينِ الواحِدَةِ [التي](٣) اقْتَبَسَ من نَارِ سِرِّها أهلُ الله ؛ الذين مَشَوا على صراطه المستقيم ، قوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهَّ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهَّ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[سورة المجادلة : آية ٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾[سورة الشمس : آية ٩] الآية ، فلما اطمأنت النَّفْسُ وتَزَكَّتْ وسَكنتْ عن(٤) حرارةِ طبعها التُّرَابِي النَّفْسَانِي ؛ فعند اعتِدَالِها ينالُ القَلبُ الْمُنَوَّرُ حِصَّتَهُ من الحقائقِ والشُّهودِ ، يكون له ذلك المَدَدُ على الدوام ، بخلاف العبد الجاهل مُركز(٥) نَفْسَهُ على الهوى ، وحيث قال في الحديث سيدنا رسول الله ﷺ : (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) وهو الإجتهادُ على النَّفْسِ الأمارةِ بالسوء ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ ﴾[سورة يوسف: آية ٥٣] الآية ، فلا يَصْلُحُ الْمُتَوَجِّهُ العبد الصادق إلاَّ بإلْجَاءِ نفسه وإثباتِ نِسْبَتِهِ إلى ربه ، قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[سورة النحل : آية ٥٠] ، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٨] ، قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾[سورة المائدة: آية ٦٦] ، فيدخل كل حكم منزل على رسول الله ﷺ ، انظر على لسانه المترجم

(١) في (ب) : انطق .
(٢) في (ب) : العزيزة .
(٣) في الأصل : الذي .
(٤) لعله : من حرارة طبعها ...
(٥) يعني : جَمعَ نَفْسَهُ على الهوى ...

عنه ﷺ : لو لم يكن عرشه على الماء ما انحفظ وجوده ، وقال لأيوب عليه السلام : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾[سورة ص: آية ٤٢] ، فَسَكَّنَ اللهُ حرارتَهُ من البلاءِ بسِرِّ هذا الماء . فالمقصود في أحوال العارف اعتدال مزاجه ، فيهدي[1] إلى سبيل الرضى بما تحققه مِن رَبِّهِ الأعْلَىٰ من خيره وشره وعطائه ومنعه ورضاه وسخطه ، فمن فهم ما قلنا في ذلك المعنى والسر الغميض ؛ يكون في طَلَبِهِ نيلُ المرادِ فيترقى مَرَاقِيّ أهلِ القُرْبِ من الحق الصرف ، فلا يزال يتجلى عليه الجمال ، ويتجلى الجلال المحرقُ على الصادق المخلص في حُكْمِ الإحتمالِ في النور الفَضْلي[2] ، فيكون في طمأنينة فيما أخبر به عنه ﷺ وهو المقام المحمدي الوارث لجميع الأسرار النبوية .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٥٠)

فتحقق ما أشرنَا إليه وأيَّدْنَاكَ بعِلمِهِ ؛ فظهرت النعمة ، قوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾[سورة الزخرف : آية ٥٩] ، وقوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾[سورة الإسراء : آية ١] الآية ، فالذي في قوله تعالى دليل أن المشار إليه ﷺ ، وأنه ليلة الإسراء صَلَّىٰ وَأَمَّ جميعَ المرسلين على ما رُتِّبُوهُ ، ولا يحتاج تفصيل ، فيكون[3] إشارة الحق لأنهم اعترفوا بفضله العظيم ، وعندهم في العلم السابق في إنذارهم لأممهم وبشائرهم بأنه خاتم النبيين

---

(١) لعله : فيُهدى .

(٢) لعله : بحكم الإحتمال من النور الفضلي .

(٣) لعله : فيكون فيه إشارة من الحق بأنهم اعترفوا ...

أجمعين عليه وعليهم السلام ، فلا يرحم اللهُ عبادَهُ [المُعْتَنَىٰ] [1] بهم إلاَّ برحمته إياهم من فضله ، وأعطاه الرضى بقوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[سورة الضحى : آية ٥] ، فعطايَاهُ ومواهِبَهُ لا تُعَدُّ ولا تُحْصَىٰ ، وهو الحاكم والرحيم والراحم ، وذكرنا : ما يَعْرِفُ الحَقَّ إلا الحَقُّ ، ومِنْ حيثُ دلالتها فليس فيها عبارة ولا فهم إشارة ، فهو السلطان الأعظم في صورته الكاملة الإنسانية ، فارتبط الكل بالكل ، فتكونُ الجهاتُ والأماكنُ والجواهرُ والأعراضُ والأشياءُ كُلُّهَا موجودةً بالحقِّ قائمةً بقَيومِيَّتِهِ ، وهو الكُلُّ بالحقيقةِ لا شيءَ غَيْرُهُ ، والتَّعيناتُ بالحقيقةِ ، وهو المُؤَثِّرُ بِكُلِّ وَجْهٍ علىٰ كُلِّ حَالٍ ، فكان المؤثر في العبد ؛ فكان سَمْعُهُ وبصرُهُ ، فهي من المَحَبَّةِ السَّارِيَةِ إليه السابقة ، فكانَ علىٰ التَّسْلِيمِ والرِّضَى ، فلا يُفَارِقُهُ الرِّضَى ؛ لأن المحبوب كُلُّ أفعالِهِ مَرضِيَّة ، فَأُشْرِبَ من أقداحِ خمرةِ الذات الأحدي ، فيكون[2] عبداً راضياً مستقيماً متعرض لتجلي الحق ، ولكن الستر لصيانةِ أسرارِهِ ومعانِيهِ ، وليس لك طلب في معرفة كنهها ، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾[سورة آل عمران : آية ٧] . وَصَفُوا الودَادِ ، وقوله: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[سورة الروم : آية ٢١] ، وقوله : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴾[سورة طه : آية ٣٩ـ٤٠] ، لتقر عينها بولدها ، وهو هذا السر الأعظم ، فما ظهرت جميع الأحكام إلاَّ فيه ، وهو السر المحمدي ذَاتاً و صِفَاتاً ، والحق إذا أَفْرَدْتَهُ عن العالم يَتَعَلَّىٰ علواً كبيرا ، وهو هَوِيَّةُ العَالَمِ ، فما ظهرت الأحكام إلاَّ فيه ومنه ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾[سورة هود : آية ١٢٣] ، حقيقةً وكشفاً ، فاعبده وتوكل عليه حجاباً وستراً ، فالتدبير الإلهي فيه ، كما لم يكن إلاَّ منه ، فهو ﷺ : الأول بالمعنىٰ ،

---

(١) ما بين المعقوفتين في (د) ، وفي الأصل : المعتني .

(٢) لعله : فكان .

والآخِرُ بالصورة ، والظاهر بتعين الأحكام والأحوال ، والباطن بالتدبير ، فهو بكل شيء عليم وهو علىٰ كل شيء شهيد شهود عين لا عن فكر وغيب ؛ فالفكر ليس له في ذلك الفن ذوق .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٥١)

وأعلىٰ مقام الصبر : وهو[١] حبس النفس عن الشكوىٰ لغير الله ، وليس إلا هو سبحانه وتعالىٰ ؛ إلا من حيثُ تَفصِيلُ الأمْرِ والنهي ، فالعارفُ الكاملُ لا يطلبُ رفعَ البلاءِ من نفسه[٢] ولا يشكوا ؛ لأنه إن شَكَىٰ من رَبِّهِ[٣] فقد سبقت رحمتُهُ غضبَهُ ، فيرجع إليه بالرضى والتَّسْلِيم ؛ لأنها قد سَبَقَتْ لعبدِهِ قبل وُجُودِهِ ، فهو منعم لعبده[٤] . قوله : ﴿ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾[سورة إبراهيم : آية ٤٧] ، ولم يَقُلْ: وعِيدَه ، وقال : ﴿ وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ ﴾[سورة الأحقاف : آية ١٦] ، في أصحاب الجنة ﴿ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾[سورة الأحقاف : آية ١٦] وعد بذلك ، وأثنىٰ علىٰ إسماعيل بأنه : ﴿كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾[سورة مريم : آية ٥٤] ، فزال الإمْكَانُ في حَقِّ الحَقِّ ، وصح التجاوز عن سيئاتهم ؛ أعني : الأبرار ، (حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقربين) ، ويكون التَّغَابُنُ[٥] في ذلك ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾[سورة التغابن : آية ٩] ـ في نعيم جنات الخلد . ومن صَحَّ أنه عَبدُ الحَقِّ الصِّرْفِ فيخرج عن لذة النعيم ، ولا يُحَرِّكُهُ عذابُ أهل العذاب من الأشقياءِ ، والحقيقةُ إذا تَجَلَّىٰ الحَقُّ وهم في ذلك ؛ تَبَايَنَ

(١) لعله : هو حبس .
(٢) هكذا في الأصل ولعلّها : عن نفسه .
(٣) لعله : إلى ربه .
(٤) في (ب) : فهو المنعم لعبده ، ولعلها : فهو المنعم على عبده .
(٥) هكذا في الأصل ولعلَّ الجملة : ويكون التغابن في نعيم جنات الخلد ، {ذلك يوم التغابن} .

عنهم أَليمُ العذابِ ، وسُمِّيَ عذابٌ لِعُذُوبَةِ طَعْمِهِ ، ويكون العذابُ كالقشر صائنٌ اللُّبَ . فانظر ما أقول لك وأُشِيرُ به عليكَ مِنْ مَعْرِفَةِ هذا العلم النفيس ، ومن عرف نَفْسَهُ عرف ربه ، ومن عَرَّفَهُ الحَقُّ عَرَفَهُ ؛ فظهر[1] عليه سيما أهل الله ، قوله : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[سورة الفتح : آية ٢٩] ، وهذا المقام من أُعْطِيَهُ فقد اصطفاه الله ؛ وأعطاه نعمة الدنيا والآخرة والزِّينَةَ ، وقد عَبَّرْنَا باعتبار[2] الحق المبين في قوله : ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ ﴾[سورة الأعراف : آية ٣١] ، وهي المعرِفَةُ بالله العَلِيَّةُ العَالية ، الذي[3] لا يطمع فيها إلا أهل الاستسلام والمنقادين ، وحقيقةُ انقيادِهِمْ الإتباعُ لشرعِ الله الذي شَرَعَهُ وأوصى به على نص القرآن ، وعلى ما أَمَرَ به ونهى عنه سيد المرسلين محمد قائد الغر المحجلين ، وهو المُنْشِئُ لجميع الأديان من أحكام المرسلين أجمعين ، وهو الواضِعُ للأحكام ؛ فالانقيادُ له هو لله بحكم الأصالةِ فاعتبر ، فالدِّينُ كُلُّهُ لله ، قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ١٣٢] ، وهو إثبات الإنقياد لله ، قوله : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٩] ، فكانت السعادةُ لك لـمَّا كان فِعْلُكَ وانقيادك واتِّصَافُكَ بذلك الشَّرْعِ وهو الناموس ، وهو المُؤَثِّر [بك][4] في إثبات سعدك ، فيصح لك أن أهل الحكمة في ذلك ، كما قال الله : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾[سورة القمر : آية ٥] ، فهم يطلبون بذلك الرِّضْوَانَ لكل مُمْعِنٍ في الطريقةِ النبوية الجامعة الخاتمة ، [وهي][5] المعروفة بالتعريف الإلهي ، قوله : ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[سورة الحديد : آية ٢٧] ، وقد صح وثبت انقياد الحق إلى عبده لأفعاله وما هو عليه من الحال ، فالحال هو المؤثر ، وحَكَمَ عليه ـ أعني : عبده ـ فيما لا يَسُرُّ وفيما يَسُرّ ، ﴿ رَّضِيَ اللّهُ

(١) لعله : فَتَظْهَرُ .

(٢) لعله : بعبارة الحق المبين في قوله :

(٣) لعلها : التي .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : لك .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : وهو .

عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٩] ، ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً ﴾[سورة الفرقان : آية ١٩] ، هذا جزاء بما لا يَسُرُّ ، ﴿ وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ ﴾[سورة الأحقاف : آية ١٦] وهذا الجزاء لمن[1] يَسُر ، فصح أن الدِّينَ هو الإنقيادُ إلىٰ ما يَسُرُّ وإلىٰ مالا يَسُرُّ . ومن هنا انظر إلىٰ صحة التَّجَلِّي من الحق علىٰ عبده ، فيقع في العبد بحسب ما أُعطيَ من فيض النِّعمة ، ولا يكون إلا بوقوع المراد ، إلا مَنْ[2] كَشَفَ اللهُ عينَ بصيرتَهُ فأَدْرَكَ أعيانَ المُمْكِنات . قوله : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾[سورة الأحقاف : آية ٩] ، صَرَّحَ الحَقُّ بالحجابِ ، وليس المقصودُ إلاَّ أنَّ الحقَّ يُطْلِعُهُ[3] علىٰ أمر خاص ، ولا لغيره فيه مدخل ولا مجال أو علم أو حال.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٥٢)

وكان رسول الله ﷺ أول ما بُدأَ من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرىٰ رؤيا إلاَّ جاءت كفَلَقِ الصبح لا خَفَاءَ بها ، وبَلَغَ من عِلْمِهَا ، قوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[سورة الفرقان : آية ٤٥] ، والظِلُّ التلوينُ علىٰ الحقيقةِ ، وظهورُ الخَلْقِ السَّاتِرُ للحَقِّ الحاجبُ للمُشَاهِدِ عن شُهُودِهِ ، فلما كانت الحقيقة المحمدية مشتملةٌ علىٰ جميع الجهتين الإلهية والعبودية ، لا يصح لها أصالة بل تَبَعِيَّة ، وهي الخلافة ، فلها التَّصْرِيفُ وتنفيذُ الأمرِ ، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٨] ، وله اللطفُ والقهرُ والرضى والسخطُ وجميع الصفاتِ ؛ تتصرف في العالم

(١) هكذا في الأصل ولعلَّ الجملة : وهذا الجزاء بما يَسُرُّ .
(٢) لعله : إلا لمن .
(٣) لعله : يَطَّلِعُ .

وفي نفسها وفي بشريتها ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء[1] ، من حيث مرتبتِهِ ، وأن تنزل إلىٰ العالم الباطن[2] ؛ فيصير مجمع البحرين ومظهر العالَمَين ، فيكون عروجه إلىٰ أعلىٰ مقام كماله ، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ ﴾[سورة الشورىٰ : آية ٥١] ، وكلها به من الدين ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٨٥] ، فالقطب الذي عليه مَدَارُ أَحْكَامِ العَالَمِ هو[3] مركز دائرة الوجود من الأزل إلىٰ الأبد واحد باعتبار الوحدة ، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ ، وبعد انقطاع ظاهر النبوة انتقلت القطبيةُ إلىٰ الأولياء مطلقاً ، فلا يزال فيها واحد منهم ـ أعني : المرتبة ـ ليحفظَ هذا النظامَ والترتيب ، ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[سورة الرعد : آية ٧] ، وإذا كَمُلَتْ هذه الدائرةُ وجبَ قيامُ الساعة ؛ باقتضاء الاسم الباطن . مقام الروح والقلب وكمالاتها هي عين النعيم ، ومقام النفس والهوىٰ ومقتضياتها نَفْسُ الجحيم . فانظر ما أَدُلُّكَ عليه من ذلك الفَنِّ ، واتَّصِفْ بالأخلاقِ الحَمِيدَةِ ، والصِّفَاتِ المحمودةِ المجيدةِ ؛ التي لا يَنَالُها إلا من وَفَّقُوهُ وأَسعدوه بنظرةِ الرحمةِ الشَّاملة ؛ التي وَسِعَتْ كُلَّ شيء أنا بُدُّكَ اللَّازِمُ فالزم بُدَّكَ ، وما بعد العيانِ شَكٌّ . قوله تعالىٰ : ﴿ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة يونس : آية ١٠١] ، ولم يَقُلْ : انظروا السموات ، وإذا رَأَيتَ الأجسامَ ؛ فاعدل إلىٰ رؤية المعاني ، إنما هي ربوبيةٌ تَوَلَّتْ عبودية ، فلما طلعت شمسُ الحقيقةِ عليهِ ، فمن نظر إليها نظرة فقد سَعِدَ في الدارين ، وقد يكونُ الغَافِلُ في شمسها المحرقة ، فيطلُبُ الفِرارَ من حَرِّهَا الحقيقي الرَّوْحَانِي إلىٰ ظِلِّ الهالِكين الغَافِلين الغارقين في بحور الغفلات ، نسأل الله العافية . وقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[سورة الذاريات : آية ٥٦] ، أي : ليعرِفُونِي حَقَّ مَعْرِفَتِي ، ومَعْرِفَةُ كيفِيَّة الحق منزهةٌ عن كَيفِيَّةِ معرفةِ العبد ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

---

(١) في (ب) : ولا في السماء وهو السميع .
(٢) في (ب) : إن تنزل في العالم الباطن ، ولعل العبارة : وإنْ تَنَزَّلَ إلى العالم الباطن .
(٣) لعله : والذي هو مركز ...

﴿ فصل ﴾

(١٥٣)

وكذلك علم مظاهر أسماء الله الحسنىٰ ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[سورة الأعراف : آية ١٨٠] ، ومراتبه في إصطلاح أهل الله أهل السر الخفي والروح والقلب ، قوله تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ﴾[سورة طه : آية ٧] ، فمن أَيَّدَهُ الله سبحانه وتعالىٰ بنور الفؤاد والصدر والعقل والعلم واليقين ، قوله : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٥] ، وقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَىٰ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] ، وقوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[سورة الجن : آية ٢٦-٢٧] ، والتَّوَجُّهُ من العبدِ الصادقِ إلىٰ رَبِّهِ بفناءِ وجوده وحِسِّهِ ، فلما صح من العبد المخلص ذلك ؛ استضاء بالنور الإلهي من الوجه الذي يَلِي قُرْبَ الحق ، وما ذكرناه منَ النَّفَسِ الرَّحْمَانِي ؛ فتظهر أنواره علىٰ البدن ، فيظهر منه في أوقاته خوف وفَزَع من قَهرِ الحَقِّ ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٨] ، فيظهر في ساعات فنائه عن بشريته إلىٰ وجه ربوبيته ، وهي المرتبة المقدمة ؛ لأنها من المراتب القلبية ، ويظهر عليها سلطانه (علىٰ النفس الأمارة) ، فلما ثبتَ ذلك المذكور ؛ صارت مطمئنة وصارت مرآة التجلي الإلهي ، سُمِّي بالقلب ؛ فَأَيَّدَهُ باعتبار حُكْم باب الجمع شيء واحد وحقيقة صدق .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٥٤)

واعلم أن المرتبة الروحية هي ظل المرتبة الأحدية ، وظل المرتبة القلبية ظل المرتبة الواحدية الإلهية ، وكُلُّ شيءٍ يرجع إلىٰ أصله قوله : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٨٠] ، وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، وقوله : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٧] ، ويكون العبد الكامل مُسْتَتِرٌ ومختفي بالحق ، باختفاء العبد عنه بإظهاره إياه ، يكون تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذَّاتِ ، كُلَّمَا فنيت صفة من الصفات البشرية ، قامت صفة من الصفات الإلهية ؛ وحينئذٍ يكونُ الحَقُّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ ، دل الحديث الصحيح عليه . والكُمَّلُ الأفرادُ الذين قَامَتْ قيامتُهُمْ وفنوا في الحَقِّ وهم في الحياة الدنيا ؛ صُورُهُ يكون مؤجلاً إلىٰ الساعة الموعودة علىٰ لسان الأنبياء الجميع علىٰ نبينا وعليهم صلوات الله وسلامه ، وأَرْبَابُ الشهودِ عيناً وصفةً ، وهم أهل المحبة المستغرقين في بحرها ؛ أعني : من الشوق والذوق والصَّبَابَةِ والمكابدة والفُتُوَّةِ ، قوله شعراً :

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّتِ الخَمْرُ فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ ولا قَدَحُ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلاَ خَمْرُ

فلما تجلت علىٰ عارفي هذا المقام الأعلىٰ والدرجة القصوىٰ ، من شمسِ حقيقة الذات الأحدي [التي][1] غربت فيها مظاهر الخلقية ، وانكشاف الحقيقة الكُلِيَّة ، وهي الوحدة التامة ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : الذي .

ﭐلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ، والفناء في الله والبقاء به قبل وقوع التَّجَلِّي على جميع الخلائق يُسَمَّى بالقيامة الكبرى ، ولها لوازم ونتائج ، ويَحْرُمُ كَشْفُ بعضها ومظهرها ، والله أعلم بالحقائق .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٥٥)

والروح الإنساني هو مظهَرُ الذَّاتِ الإلهية ، ولو تَجَلَّىٰ جمالُها فيكون فيها السلامة لأربابها ، فيكتفون منها بالإشارة ، ولا يُظْهِرونَ العبارةَ ، ولا يَعلَمُ كُنْهَهَا إلاَّ اللهُ تعالى ، ولا يزال ولا ينال بهذه البقية سواه ، وعلى ما نبهنا عليه في أول هذا الكتاب بإثبات هذا العلم اللدني الذوقي ، والمعاني والتجليات والغيب إلى الشهادة شأن فوق شأن[1] ، وقوله : ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ، وقوله: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ * فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾[سورة البروج : آية ٢١-٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾[سورة ق : آية ١٥] ، ولا يمكن الوصول إلى هذا المعنى الخفي إلا بالقدرة التامة والصفات الإلهية ، واشتمال مظهر الحقيقة ولوازمها عند أهل الطريقة ، ظهور الحقيقة الإنسانية استحقت الخلافة على تلك الحقائق كلها ، فيظهر نَاسُوته في جميع خلقه ظاهراً بِسرٍّ ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[سورة الحديد : آية ٣] ، وإظهار شمول ما قال الرسول ﷺ : (أول ما خلق الله نوري) ، وأَرادَ العقلَ ؛ كما أَيَّدَهُ بقوله ﷺ : (أول ما خلق الله العقل) في صورة باقي العقول والنفوس الفلكية ، وتقهر بشمول الاسم الأعظم[2] ؛ لأن الظاهر والمظهر ، الحقيقة في

---

(١) لعلَّ الجملة : وللمعاني والتجليات والغيب إلى الشهادة شأن فوق شأن .

(٢) في (ب) : ويقهر شمول الاسم الأعظم .

الوجود شيء واحد لا كَثرةَ فيه ولا تَعَدُّدَ في العقل ، ولكن يمتازُ كُلٌّ منهما عن الآخَرِ ، يكونُ اشتِمَالُهُ عليها ؛ اشتمالُ الحقيقةِ الواحدةِ علىٰ أَفْرَادِها المَتْبُوعَةِ ، وهي المرتبة الإلهية . فاعلم فَنَّ هذا العلم اللدني : أنَّ حقائقَ العَالَمِ في العِلْمِ والعَيْنِ شيءٌ وَاحِدٌ ، كُلُّها مظَاهِرُ الحقيقةِ ، وهي مظهر الاسم الأعظم .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٥٦)

يَعرِفُ العارفُ بالفراسَةِ الكَشْفِيَّةِ ، قال عليه الصلاة والسلام : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[سورة الفتح : آية ٢٩] ، في حَقِّ أهلِ الجَنَّةِ ، وفي حق أهل النار : ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٤١] ، نسأل الله التوفيق [لما يُرْضِيهِ][(١)] والسلامةَ من ضلال أهل الضلال ، لكن لكل عارفٍ الميزة[(٢)] منهم حالاً ومقالاً ، فالعارفين[(٣)] متصلين بصِلةِ الحَقِّ ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[سورة الإسراء : آية ٤٤] ، فَأَنْهِضْ عَزْمَكَ وهِمَّتَكَ إلىٰ [استيعابِ][(٤)] المعرفةِ الحَقِيَّةِ الذَاتِيَّة ، فهي سُلَّمُ الرُّوحِ وسَفِينةُ النَّجَاةِ إلىٰ ساحل السلامة ، وروحه وعقله يُسَمَّىٰ بِأُمِّ الكِتابِ ، ومن حيث قَلْبِهِ اللَّوحُ المحفوظ ، ومن حيث نَفْسِهِ كتابُ المحوِ والإثباتِ ، فهي الصُّحُفُ المُكَرَّمَةِ المرفوعة المطهرة ؛

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) .

(٢) في (ب،د) : العارف المُنَزَّه .

(٣) لعله : فالعارفون .

(٤) ما بين المعقوفتين في : (ب،د) ، وفي (أ،ج) : استعباب .

التي لا يَمَسُّها ولا يُدْرِكُهَا ـ أعني : أسرارها ومعانيها ـ إلاَّ المُطَهَّرون من الحُجُبِ الظلمانية ، وعِلمُ اليقينِ لا يُشَارِكُهُ فيه غيره ، وهو يكون عين الذَّاتِ الممتَازِ بِذَاتِهِ [عن غيرهِ](١) وما ثَمَّ غير ، لكن الأعيان الثابتة ، وهي أعياناً ثابتة عَدَمِيَّة بالنَّظَرِ إلى السِّوى ، والعَدَمُ مَصْرِفَهُ إلى العينِ الواحدةِ ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٥٧)

قوله تعالى: ﴿ كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[سورة الواقعة : آية ٧٨ـ٧٩] ، قوله تعالى : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[سورة المطففين : آية ٢٦] ، وعَالَمُ الغَيبِ والشَّهَادَةِ ، ومرتبة الكون الجامع هو الإنسان [الكامل](٢) الذي هو مجاوز الجمع(٣) ، الذي هو مظهر لظهور المراتب الأحدية ، وهو حقيقة [يجل](٤) تجليها ، وفتح أبواب أقفالها ؛ لأنه الذات الأحدية ، ومرتبة الحضرة الإلهية ، وهي حضرة الأرواح المجردة ، وأيضاً مرتبةُ النفوس الكاملة المطمئنة . قوله: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[سورة الفجر : آية ٢٧ـ٣٠] ، وهي جَنَّةُ المَعَارِفِ الفائضَةِ من عالم الملكوت وعالم الملك ، فهو مُتَكَلِّمٌ بكلامِهِ سَمِيعٌ بسمْعِهِ بصِيرٌ ببصرِهِ باقٍ ببقائه ، لم يَزَلْ ولا يَزَال ، وهذه الصفات معاني قديمات [كَالذَّات](٥) كلها

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : الجامع .

(٣) في (ب) : مجاور الجمع .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب)، وفي الأصل : يحل .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) .

بذات رتبة لا يُقَالُ فيها أَنَّهَا هو لا لاعتباره له ولا يُشْبِهُهُ شيءٌ منها ، مِن المُسْندةِ إلى الصفات المعنوية لِكَشْفِ صفاتِ ما سِواه ، والصِّفَاتُ الفَضْلِيَّةُ تَرْجِعُ إلى عالمِ المُلْكِ بالكشف الصُّورِي ، وعجائب عالم المثال ، والمدبرات الإلهية الشارقة في قلوب أهل النبوة ، ومن خواص الأولياء الوارثين ، وجميع الأفعال . ومجمع البحرين ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾[سورة الفجر : آية ٣٠] ، لاجتماع سِرِّ الذات الأحدي الذي انفتحت به الأبوابُ المغلقة ، وهو مَجْلَى الذَّاتِ الأحدية ، وعينُ الجمعِ المؤيدة ، ومقام : ﴿أَوْ أَدْنَى﴾[سورة الفجر : آية ٣٠] ، وهو محل مَجَلّي الحقائق ، وحضرة جمع[١] الأسماء ، وغاية الغايات ، ووصول النهايات ، وعليه تدور [الأفلاك][٢] السماوية والأرضية . فالآمِرُ بالأَمْرِ الإلهي تَتَجَلَّى عليه الربوبيةُ المنزهة ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، فانظر في ذات الذات ؛ تَنْظُرُ شيئاً عجيباً ، وعجائب وغرائب من هذا الفن الذي لا يَطْلُبُهُ طالبٌ إلاَّ بالإذن من رَبِّهِ والتمكين . قوله : ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾[سورة الإسراء : آية ٧٤] ، وهو ﷺ مُنْفَكٌّ عن ذلك ، ومُنَزَّهٌ عن طلبِ شيءٍ من العطايا ، بما أَيَّدَهُ الله به ؛ بل يقفُ مع الحَقِّ بما تَجَلَّى به عليه من فَيْضِ الرَّحْمَةِ الذَّاتِيَّة ، قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، ففهمت ما قاله الحَقُّ في نَصِّ القرآن لما أعطاه الرضى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[سورة الضحى : آية ٥] ، فأعطاهُ ذلك من غير طلب منه ، وهذه المراتب الذاتية لها أصلاً ، [لا نهاية][٣] لأعدادها ، كُلُّها مجالي باطنة وظاهرة ، ولا مَجْلَى الأحديةِ الذَّاتِيَّة إلاَّ الإنسانُ الكامل ، حاوي جميع الكمالات ، والمتنعم بالذات ، وهي الحضرة الإلهية ، فاتِّحادُ الحقائقِ فيه كاتِّحادِ بني آدم كلهم في آدم قبل ظهورهم ، وَيُؤَيِّدُهُ قوله عليه أفضل الصلاة والسلام : (أول ما خلق الله نوري) ، والإختلافِ بالمَاهِيَّات

---

(١) في (ب) : جميع .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : لأنها به .

كالإختلافِ بالهَوِيَّاتِ ، وكُلمَّا ظَهَرَ مِنها عبارة عَمَّا به الشيءُ هو : هو هو ، والفرقُ[1] بينهمَا والتمييز [العقلي][2] بين العالم والمعلوم ؛ لا يُنَافِي الوحدةَ في الوجُودِ ، كما أن الأشعة الحاصلةَ في الليلِ والنهارِ واحدةٌ في الوجود ؛ مع أن العقلَ يَحْكُمُ بأن نور الشمس والقمر غير نور الكواكب ، [وأصل][3] واتحادِ المعلومات هو اتحادُ الأسماء والصفات والأعيان بالحق لا غير ، [ونتيجةُ الإنسانُ الكاملُ العَالَمُ الكبير][4] ، الكامل العالم الكبير ، ومشتمل[5] على ما فيه من الحقائق كلها ؛ بل هي عَيْنُهُ من وَجْهٍ تعين من حيث عُلُوِّ مرتبته ، لأن مقامه لا تزال عنه الحجبُ بظهور الحقائقِ فيه ، فلو ظهرت فيه مَا حَمَلَها نَاظِرٌ إليها ، وكذلك علمها وهي حقائق متعالية ، قوله : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [سورة المنافقون : آية ٨] ، سبحانه وتعالى . عالم الجبروت هو عالم الأسماء والصفات الإلهية ، وعالم الملكوت عالم الأمر ، وعالم الغيب هو الأرواح والروحانيات ؛ لأنَّهَا وُجِدَتْ بالأَمْرِ وهو الحَقُّ بلا واسطة ، وعالم المُلْكِ وعَالَمِ الشهادةِ هو عالم الأجسام ؛ وتظهر له الوحدة في الوجود في مراتب الشهود ، وعلمه تعالى عين ذاته ، ومعلوماته كذلك ، يدخل في تجلياته المتعينة ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

❊ ❊ ❊

---

(١) في (د) : الفراق .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : العقل .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) .

(٥) في (ب) : وتشتمل ، ولعله : وهو مشتمل ...

﴿ فصل ﴾

(١٥٨)

والحقيقة أن علمه تعالىٰ بذاته هو عينُ ذاتِهِ ، صفةُ العِلمِ بحقائق الأشياء علىٰ ما هي عليه لا يَعْلَمُهَا إلاَّ مَنْ تَنَوَّرَ قَلْبُهُ بنورِ الحَقِّ ، فإن عَلِمْتَ قَدْرَ ما سَمِعْتَ فقد أُوتِيْتَ الحكمةَ ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٦٩] ، وما هي إلا ما عَلَّمَهُ ، قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ـ وقَوْلِي كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ لأنه ما عَبَدَ صنَماً ، ولا تَوَجَّهَ لغير الله مِنْ نَشْأَتِهِ السَّابِقَة ـ قال : (صحو المعلوم مع محو الموهوم) ، ومِن [نفح][1] كلامه : (نَفْيُ الأعيانِ الثَّابِتَةِ في المعدوم) ، والوجود من العدم ، فالعدم محض ؛ بل المرادُ أَنَّهَا كَوْنَهَا ثَابِتَةٌ في الحضرةِ العلمية المُتَسَمِّيَةِ بالعَدَمِ الخارجي ، ثم ألبسها الحقُّ خِلْعَةَ الوجود الخارجي ؛ فصارت موجودةً بوجودِهِ سبحانه وتعالىٰ ، ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [سورة المؤمنون : آية ١٤] ، اللهم ارفع الحجابَ عن قلب كُلِّ مُقْبِلٍ ومُقِرٍّ بالعجز والتَّقصيرِ ، وارزقهم غايةَ عِرْفَان العارفين ، وعلِّمهم برجوع الكل إليه ، وهو العليم الخبير، وما يَصْدُرُ منها مظاهرُ العِلمِ الإلهي ، مظهر الرحمن ومستواه ، والكرسي مظهر الرحيم .

❊ ❊ ❊

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : نفخ ، وفي (د) : نفخ .

﴿ فصل ﴾

(١٥٩)

واعلم أن للحق(١) ظاهراً وباطناً يشتَمِلُ علىٰ وَجْهِ الحقيقةِ ؛ التي إلىٰ الغيب المطلق ، والكثرةُ والعِلْمِيَّةُ حضرةُ الأعيانِ الثابتةِ ، وهو مَظْهرُ حَكَمٍ عدلي(٢) ؛ ليحكم بينهما ويحتفظَ نظامُ العالَمِ في الدنيا والآخرة ، وهو جَمَعَ العدالةَ علىٰ حُكْمِ رَبِّهِ رَبُّ الأربابِ ، ويوصلُ بعدالته كُلاًّ منهما إلىٰ كماله ظاهراً وباطناً ، وهو النبي الحقِيقِيُّ والقطبُ الأزلي الأبدي أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً ، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ ، قول : (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) ، أي : بين العلمِ والجسم ، وهو المبعوثُ إلىٰ الخَلقِ هادياً ومرشداً لهم إلىٰ كَمَالِهِمْ المُقَدَّر لهم باقتضاء استعداداتهم ؛ أعني : أعيانَهم الثابتة . قوله : ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٣١] ، هذا اختصاصٌ لهم ، ووفاء في حقهم ، والمرادُ التقوىٰ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٣] ، وهو اليقين وعلم اليقين وحق اليقين ، فهم في عين اليقين بشهوده ، وحق اليقين بالفناء في الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً ولا نهاية لكمال الولاية لأنها غير متناهية ، لأنها تكون مراتب بعضُها أَقْرَبُ من بعضٍ ، وكتاب من الله ، فالمرسلون أعلىٰ مرتبةً من غيرِهم ؛ لجمعهم بين المراتبِ الثلاث : الولاية والنبوة والرسالَةَ ، والأنبياءُ لجمعهم بين المرتبتين ، وختم النبوة والرسالة والولاية ، قوله تعالىٰ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٤٠] ، قوله : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سورة ق : آية ١٥] ، فسبحان من دَبَّرَ كُلَّ شيءٍ بحكمته ، وأتقن كل ما صنع برحمته

---

(١) لعلَّه : واعلم أن الحق .

(٢) لعله : عدل .

، وكشف كل حجابٍ بينَهُ وبينَ الوصول إلىٰ الله(١) ، ولا للوصول كيفية إلا من مقامِ الكشفِ الجَلِيِّ ، والوارداتُ الرحمانية لا تكون إلاَّ من روحه الروحاني . وكان ﷺ ـ في معارجه ـ في أوقات يقول : (لي وقت مع ربي لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل) ، فدل عليه أن للقلب عيناً وسمعاً وغير ذلك ، كما أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَارُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج : آية ٤٦] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٦٠)

فلا يكون الكشف العيني الجلي الذي لا يَشُكُّ فيه أهلُ فَنِّهِ ، ولم يكن هذا الفنُّ العظيم إلا لمن هو مُنَزَّهٌ عن طلب الجاه ، وعن طلب المنصب في الدنيا ، فهي رامقة(٢) في الأمور الحقيقية الأخروية ، وجَمْعِ الحقائقِ الروحانية ، وهي من الأرواحِ العَالِيَةِ الجامعة السماوية والأرضية ، وهي مَطْلُوبَة معتبرة ، وهي تكون مجردة عن الإطلاع بالمعاني ، ومنهم من لا يَطْلُبُ في ذلك أعلىٰ ؛ لئلا يكون في أَدْنَىٰ المرتبةِ الفوقِيَّة ، ومشاهدة الأعيان الحضرة(٣) العلمية الإلهية ، ومنهم من يشاهدها في العقل الأول . قوله تعالىٰ ﴿ يَمۡحُو ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [سورة الرعد : آية ٣٩] ، وارتفاع نقابها ، والإطلاع عن ما وراء الحجاب من المعاني المغيبة ، وظهور الكشف والمعاني تختلف ، تكون تارةً في

---

(١) لعله : وبين الوصول إليه .

(٢) لعل العبارة : فأرواحهم عُلويَّة فهي رامقة ...

(٣) لعله : ومشاهدة الأعيان في الحضرة ...

طريق الصوري (١) والحواس ، وتارةً تكون بطريق المشاهدةِ كسماع النبي ﷺ الوحي ؛ الحديث الصحيح أَنَّهُ كان يَسْمَعُ ذلك ويفهم المرادَ منه ، وقد يكونُ منه على سبيل الإستنشاق ، وهو التَّنَسُّمُ بالنفحاتِ الإلهية ، وتَنَشُّقُ نفحاتِ الربوبية ، قال ﷺ : (إنَّ لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها) ، وقال عليه الصلاة والسلام : (إني لأَجِدُ نَفَسَ الرَّحمنِ من قِبَلِ اليَمن) ، وهو على سبيل الملامَسَةِ بالإتصال بين النورين والجسدين . قال ﷺ : (رأيت ربي في أحسن صورة ، فقال لي : فِيْمَ يختَصِمُ المَلاءُ الأعلى يا محمد ، فَقُلْتُ : أنت أعلم ؛ أي : يا رب مرتين ، قال ﷺ : فوضعَ اللهُ كَفَّهُ بين كَتِفَيَّ ؛ فَوَجَدتُ بَرْدَهَا بين ثَدْيَيَّ ؛ فعلمتُ عِلمَ الأولين والآخرين) ،ولله ما في السموات وما في الأرض ، وهذا الحديث مُؤَوَّلٌ على تأويلات صحيحة ، يَعْرِفها ويدركها العلماءُ بالله ، أهل علم الباطن رضي الله عنهم ، وَتَلا هذه الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [سورة الأنعام : آية ٧٥] ، وهو على طريق الإطِّلاع على معاني غيبِ الله سبحانه وتعالى . وهو ﷺ جامعُ العلومِ اللدنية ، والتَّجَلِيَّاتِ الكَمَالِيَّة ، وهو المشتمل على ما تحته من الحقائق والمراتب والأعيان ؛ وأعلاها وأوسطها وفرعها وأصلها هو ﷺ ، ولا يَقْدِرُ على مُكَاشَفَتِهِ غيرُهُ ، وهي نتيجةُ الأسرار السَّابِقَةِ واللاَّحِقَةِ ، والنشأة الأولى في الدنيا ، والنشأة الكبرى في البرزخ الأول ، فمراتِبُهُ لا نِهايةَ لها ، إذ المرادُ الحَق ، والحَقُّ لا نهايةَ لَهُ ، وهي لأَرْبَابِ الذَوق والشهود ؛ ولكن تكون على حسب [مكاشفاتهم] (٢) وعلى قدر استعدادهم من حُسْنِ (٣) الآداب ، وحُسْنِ التَّخَلُّقِ بالأخلاق الحميدة ، قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : آية ٤] .

❊ ❊ ❊

---

(١) في (ب) : الصورة .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : مكافأتهم .

(٣) لعله : بحسن .

﴿ فصل ﴾

(١٦١)

والأرواح لها التَّشَكُّل ؛ كظهورِ جبريل عليه السلام في صورةِ دِحيةِ الكلبي ، وبصورةٍ أُخْرىٰ كما نُقِلَ عن عمر ﷺ من حديث[١] السؤالِ عن الإسلام والإيمان والإحسان ، والجَانُّ لهم التَّشَكُّلُ قال تعالىٰ فيهم : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ١٥] ، والنُّفُوسُ الإنسانيةُ الكاملة يتشكلون[٢] بغير أشكالهم المَحْسُوسَة في دار الدنيا ؛ لقوة يقينهم ، وانْسِلاخِهِمْ من أَبْدَانِهِمْ بعد انتِقَالهم إلىٰ الآخرة . وأصحابُ الأذواقِ والخواص من العارفين المكاشفين قد يَحصلُ لهم حقيقةُ اليقينِ في القلبِ المُنَوَّرِ والصدر المشروح ؛ فيرجع إلىٰ العالم الكبير ، وحقائقُهُ ومعانيهِ الروح الإنساني الجامع لجميع العوالم وما فيها ، فعالم المُلْكِ مظهرُ عَالم الملكوت ، وهو المثال المطلق ، وهو مظهر عالم الجبروت ، ومظهر الأسماء الكُلِّية ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾[سورة سبأ : آية ٣] ، والعلمُ تابعٌ للمعلوم ، والإرادةُ والقدرةُ تابعةٌ للمراد والمقدور في العِلْمِ الإلهي ، والحضرة الواحدية مظهر الحضرة الأحدية.

* * *

---

(١) لعله : في حديث .

(٢) لعله : أصحابها يَتَشَكَّلون .

﴿ فصل ﴾

(١٦٢)

افهم أحوالَها الفائضة عليها من الحق سبحانه وتعالىٰ ، الْمُدَبِّرُ والماحي والمثبت في الأفعال علىٰ مشيئته النافذة ؛ التي يسْتَنِدُ إليها كُلُّ شيءٍ ، وهي لا تستندُ إلىٰ شيء ، واستنادها إليها عبارة علمية بعلم الشيء ، واصطلاحاً عبارة عن كل ما سوىٰ الله ، فإنه يعلمُ به اللهُ من حيث اسمائه الإلهية ، فاستقرت المراتِبُ إليها ، والتَّعَيُّنَاتَ كلها من لوازم الوجود ، حتىٰ القوالبُ الممتازةُ بعضُها من بعض . فانهض إلىٰ عالم الفيض الأقدس الذي هو التجلي ، أَوَّلُها الذات(1) ، وباطنها يَصِلُ الفيض من حضرة الذات ، وهي مفاتيح الغيب من حضرة الجمع الذاتي ، فهو ﷺ جعله الحَقُّ حضرةَ الجمعِ والإبتداءِ والختم ، وكُلٌّ يحتاجُ إلىٰ فيض الحضرةِ الإلهية الجامعةِ لها ، قال الله تعالىٰ : ﴿مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [سورة فصلت : آية ٣١ـ٣٢] ، فسبحان من لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم واللطيف الخبير ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم .

❊ ❊ ❊

﴿ فصل ﴾

(١٦٣)

والإنسان الكامل الحَاكِمُ في العَوَالِمِ كُلِّها يشتملُ علىٰ الأسماء ، ومِن هنا سِرُّ قوله تعالىٰ : ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ

---

(١) في (ب) : الذاتي .

مَدَداً ﴾[سورة الكهف : آية ١٠٩] الآية ، وكلماتُهُ سبحانه وتعالىٰ في مُلْكِهِ ومَلَكُوتِهِ هي أعيانُ الحقائقِ كُلِّها ، وكمالاتُ الاسماء المشتركة بين ظاهرها ، بخلاف الاسماء المختصة فان كمالاتها مختصة ، وهي الفائضة من الذات الإلهية بالفيض الأقدس والتجلي بلا واسطة ؛ ليحصل به العيان ، وهي من الأسماء ، العلم[1] والقدرة من الصفات إعتباراً آخر لا من حيث تَعَيَّنِهِ ، مظهرُ العلمِ الذاتي إحاطته بالكليات المشتملة علىٰ جزئياتها ، ويكون العلم مطابقاً لما في علم الله تعالىٰ ، والله أعلم بالحقائق . وهو تعالىٰ عالمٌ بذاته لذاته واسمائه وصفاته ، والصُّور العِلمية من حيث أنها عينُ الذَّاتِ المُتَجَلِّيةِ بِتَعَيُّنٍ خاص ونِسْبَةٍ مُعَيَّنَةٍ . الحضرةُ العِلمِيَّةُ فائضةٌ من الذات الإلهي والفَيَضِ الأقدسِ ، والتجلي بواسطة الحُبِّ الذاتي ، وطَلَبُ مفاتيحِ الغيب لا يعلمُها إلا هو بكمالها ، والإستعدادُ إلا في صِفَة العلم ، فالعلم الذاتي الحاوي لصور الأشياء كُلِّها ، واستِنَادُهَا إليها ، والمحتاج إليها كل قلب منور ، إذا أقبلت عليه بنورِ ضاحي شمسها إنْجَلَىٰ عنه غَيْمُها[2] ؛ فأزال اشكال البين فيكون في حقيقةِ العينِ الواحدةِ بلا أَين ، فهي أشرف الصفات الصادرة منه ؛ فيكون في نعمة شُكْرِ النِّعمةِ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[سورة سبأ : آية ١٣] ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها ؛ لـمَّا قال لها أبوها أبو بكر الصديق ﷺ ـ لما نزلت براءتها من الإفك ـ : إشْكُرِي رسولَ الله ، فَقَالَتْ : لا أَشْكُرُ إلاَّ اللهَ . فَدَلَّهَا أبوها علىٰ مقام الكمالِ ، وهي في تِلكَ الساعةِ مُصْطَلِمَةٌ غَائبةٌ عن دائرةِ حِسِّها ونور عقلها رضي الله عنها ، فلَمَّا صَحَتْ رجعت ، ومقامُ الرسولِ الرِّضَى والعَفْوُ والحِلْمُ لأمَّتِهِ ، فكيف زوجتَهُ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ؟ ! ، فالصحيح أنها رَجَعَتْ إلىٰ شُكْرِ الرسول ﷺ ، وثَبَتَ ذلك ، فلا يشك في ذلك شاك ، فانظر في هذه الرحمة الذاتية الأحدية محمد ﷺ ، قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ

(١) لعله : والعلم والقدرة ...

(٢) في (أ ، د) : غيمها ، وفي (ج) : غيمتها ، وفي (ب) : غمَّها .

لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[سورة يس : آية ٨٢] ، وهي جامعة الظاهر والباطن ، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، ويرجع إلىٰ العلمِ الذاتي ؛ لأنه يعلمه تعالىٰ بذاته لذاته ، اقتضت ظهورها بالذات ، ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[سورة البروج : آية ٢٠-٢٢] ، فلا ينال حضرة الحق إلا من سلك حقيقة السلوك علىٰ معارج الصدق علىٰ طريق مَسْلَك المرشدِ الكاملِ وقولِهِ ؛ إلىٰ الحق بتحقيق الصدق والإنابة ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[سورة ص : آية ١٧] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٦٤)

قال الله تعالىٰ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾[سورة الإسراء : آية ١] ، أي : في ليلِ الغيبِ ﴿ مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[سورة الإسراء: آية ١] ، وهو العبد الكامل سَرَىٰ إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ ، وهي حضرة الألوهية الذاتية الجامعة ، السارية في الحقائق سِرَايةَ الحَياةِ ، وسَمِعَ خِطَابَهُ في الطريق وأَبْصَرَ آياته ، فهو سَمعُ الحَقِّ وبَصَرُهُ ، لكونِ الحَقِّ سمعاً وبصراً له ، ورفعَ الوسائطَ والحُجُبِ كما أشار إليه ﷺ بقوله : (زُوِيَتْ لِيَ الأرضُ فرَأَيْتُ مشارِقَها ومغاربها) ، حين طُويتْ له أرضُ عالمِ الإمكان ؛ أعني : مغاربها التي غربت فيها تجليات سُبُحاتُ الوجهية إلىٰ الحضرة المحمدية الأحدية [الكمالية الختميَّة فهو دعوة الملل جميعها ولكن مقام الأحدية][1] ، قال الله تعالىٰ : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) .

فِيهِ ﴾[سورة الشورىٰ : آية ١٣] ، فَصَرَّحَ بدعوةِ المِلَلِ إلىٰ إقامة الدين الواحد ، والأمرُ يأخذُهُ(١) عَنْهُ والنَّهيُ عن التَّفَرُّقِ فِيهِ بسر التوحيد ، وهو حجة الله سبحانه . وكان الغالب في زمان محمد ﷺ الفصاحة والبلاغة والخطابة ، فنزل القرآنُ العظيم بالفصاحةِ المعجزة للمتوجهين من الفصحاء والبلغاء من الجن والإنس ؛ فأعجزهم عن الإتيان بمثله ، قوله تعالىٰ : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾[سورة الإسراء: آية ٨٨] ، فكانت فيه الكمالاتُ والآياتُ والحِكَمُ والعلومُ والأذواق ، وجميع المفهومات والأديان ، فهو ﷺ وسلم رحمة ولطف وامتنان وعطف ورأفة وإحسان وغفران ورضوان من قبل الخلق أجمعين ، فهو محمد ﷺ ، وسمَّاه محمد للمبالغة في التَّحْمِيدِ ؛ لكون الحقيقة الإنسانية والكمالية أحدية جمع جميع المحامد في حمد الجامع ، والشاهد بإيجاد الله المحمود الحامد في ذاته من ذاته ، وجميع كمالاته بذات محمد ﷺ ، وقامت الحقيقة المحمدية له بجميع المحامد الفضليَّة ، ومحمد ﷺ حمدَ اللهَ بذاته واسمائِهِ بجميع هذه المحامد جمعاً ، والاعتبار سميت الحقيقة الإنسانية الكمالية محمد ﷺ ، فافهم هذا العلمَ الصحيح الذوقي المعنوي ، وهو رتبة العلميَّة والخلقية القائم مقامه حقيقة ، ومنهم من يكون آله(٢) بالمعنىٰ والصورة ؛ ولكن علىٰ قدر الكشف والشهود والجمع للوجود ، وهم الأُمَنَاءُ الكُمَّلُ ، ومنهم من يكونُ آلَهُ ﷺ في الصورةِ دونَ المَعْنَىٰ ، بأن صحت نسبتهم من حيث الطِينَةِ العنصرية بشريعته المنقطعة المختومة برسول الله ﷺ ، فإذا انضاف إلىٰ هذهِ القَرابَةِ الدِّينية قرابةُ الطينيةِ [الطَيِّبَة](٣) الطاهرة كالمهدي عليه السلام والطيبين الطاهرين الكاملين ؛ فذلك أكملُ وأجملُ وأفضلُ ، وإن تَفَرَّدَتْ(٤) القرابةُ الطينيةُ صَحَّتْ النسبةُ من صورته العنصرية إليه ﷺ . وأسرارُ هذا العلم العزيز مُكَتَّمَةٌ ، وتَلْوِيحُ أنوارِهِ علىٰ

---

(١) لعله : نأخذه ...

(٢) في الأصل : آله ، ولعل الصواب : مِن آله .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : الطِّينة .

(٤) في (ب) : انفردت .

أهل الحجابِ محرمة ، لا يَشُمُّهَا المزكومُ ، ولا يَراها المحرومُ ، وتَمْتَنِعُ علىٰ غير أهلها ، المضيعين نفائسَ أَعْمَارِهِمْ ودُرَرَهُمْ وجَوَاهِرَهُمْ في التُّرَّهَاتِ ، فهي عِنْدَهم كالحِجَابِ لِقَلَّةِ توفيقهم وسعادتهم ، قوله تعالىٰ : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾[سورة النساء : آية ٦٥] ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٦٥)

وما نُشِيرُ به من الأسرارِ العزيزةِ الفائقة ؛ الذي[١] تَحِيرُ فيها العقولُ ، والذوقُ والتحقيق إلاَّ لمن يتأملُ ويَسْتَبْصِر ، فَيَرِدُ عليه التحقيق باطنا وظاهراً ، والصلاة والسلام علىٰ الخاتم والمختوم المكمل ، وعلىٰ إخوانه من كل إمام مكمل ؛ ولا سِيَّما علىٰ سيدهم المصطفىٰ ، وعلىٰ عباده الذين اصطفىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة الشورىٰ: آية ٥٢] و﴿ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[سورة إبراهيم : آية ١] ، ﴿ صِرَاطِ اللهَّ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[سورة الشورىٰ : آية ٥٣] ، فالتحقيقُ في هذا المقام أسرارٌ غامضة ، فلا يُحِيطُ بمعرفتها إلا أهلُ عينِ البصيرة ، فَعَلَيكَ بالْمُتَابَعَةِ بالعلم والعمل . ومَنْ وَقَعَتْ له مِنَّا هِبةٌ وعطيةٌ شَهِدَ بعين بصيرَتِهِ ، والقلبُ هو صورةُ الحقيقةِ ، والولاية الختمية وراثةٌ خاصةٌ[٢] يعرِفُ أذواقَ جميعَ الأنبياءِ والأولياءِ ، ولا يَعْرِفُ ذوقَهُ أحدٌ منهم ، ويوجد في ذوقِهِ مزيد أسرارهم[٣] علىٰ أذواق حكم أهل المقامات بإجابة هذا الخاتم ﷺ ، مقامات

---

(١) لعله : التي .

(٢) في (ب) : وراثة خاصة منه ، ولعل العبارة : وراثة خاصة به يعرف بها ...

(٣) في (د) : ويوجد في ذوقهم زيد ... ولعله : ويوجد في ذوقه مزيد على أسرارهم .

الختمية المعينة كل مقام من مقامات الكمال ، قوله في موسىٰ عليه السلام : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ﴾[سورة الأعراف : آية ١٤٥] ، وعلومها وأحكامها من خاتم الأنبياء تكون وراثة الكُمَّل الجميع . وعليك بالطاعة ظاهراً وباطناً، وهي طاعةُ الله سبحانه وتعالىٰ المتجلي في المَظْهَرِ المحمدي الأكملي ، وإلىٰ طاعته أيضاً[١] له ﷺ من حيث أنه رسول إليه البتة ، ثم كونه ﷺ والي الأمر علىٰ جميع الكُمَّل ، فطاعته واجبة لزوم[٢] في المظاهر كلها ، في أكمل مظاهره ، وهو رسول الله ﷺ من ثلاث حيثيات ، فافهم ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَىٰ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] ، وهي الأمانة إضافة إلىٰ رسول الله صلىٰ عليه وسلم ، وبإضافته إليه ﷺ ، لأنه يحب ستر[٣] كشفها وبيانها علىٰ يدي خاتم الأنبياء ، وهو المنفرد بعملها وبيانها ، وهي أمنيته وقد عينه ورسمه ﷺ ، فإن مقام الأمانة لا يحتمل الزيادة والنقصان ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[سورة الحج : آية ٥٢] ، وأرجوا ألاَّ يكون للشيطان سبيل علىٰ من تقرَّبَ واتبعَ الأمرَ والطاعة ، ودخل في سلك أهل الهداية واليقين ، ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[سورة الحج : آية ٤٢] ، ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[سورة النحل : آية ٩٩] ، والعبد العارف المشار إليه مستكمل درجات الإيمان ، ومُجَاوِزُهُ إلىٰ حقيقة الشهود والإحسان ؛ تحقيقاً علىٰ مقامات التوكل علىٰ الإيقان والإتقان ؛ فأتته التجليات الذاتية الإختصاصية ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ

---

(١) لعله : وعليك بالطاعة أيضاً له ...

(٢) لعلَّه : واجبة وجوب لزوم .

(٣) كشف العلم والحكم والأسرار على ما هي في الذوق المحمدي ، وهو عالم صلى الله عليه وسلم أن ....

الْعَظِيمِ ﴾[سورة البقرة : آية ١٠٥] ، قوله : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٠١] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٦٦)

والوارث المحقق هو ترجمان رسول الله ﷺ ، [وانظر][1] ما جاء به الرسول ﷺ وندب إليه ، ويقول العلم[2] لنبيه ﷺ ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٤٩] ، لإحاطة علمه وهو حُجَّةُ صَفِيهِ آدم لمعرفته ، وحُجَّةُ المؤمنينَ به على من دونهم للتحقق[3] بما هم به ، وتحقيق أفراد الخلق لله في ما ظهر وبطن ، وعلى أهل الملك والملكوت ، وإحاطة جبروته بما ظهر وبما بطن من أعمالهم وصنائعهم ، وهو أول مجامع مجمع التوحيد ، وهو أساس لإيمان أُمَّةِ محمد ﷺ ، فهم بذلك خيرُ أمةٍ أُخْرِجت للناس ؛ لَـمَّا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . قوله تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[سورة لقمان : آية ١٦] ، ولا يعلم الغيبَ إلا الله سبحانه الفتاح العليم ، وهو قوله : ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾[سورة سبأ : آية ٢٦] ، وقوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ ﴾[سورة ص : آية ٢٦] ، والفضلُ الكُلِيُّ الإنقطاعُ عن الخلق إلى الحقِ بِصِدْقِ الرجوعِ إليه ، واليقينُ والرجوعُ إلى الحَقِّ هو الحكم الأعدل ، فاجعل

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : ونظر .

(٢) لعله : ونقُولُ العِلمِ .

(٣) في (ب) : للتحقيق .

نظرك نظر الصدق والإخلاص والتقوىٰ والعدل علىٰ حكم الله الصحيح ، كما قال : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[سورة النحل : آية ٩٠] ، قال جبريل لرسول الله ﷺ : (إن الله يأمرك يا محمد أن تُعطِي من حَرَمَكَ ، وتَصِلَ من قَطَعَكَ وتَعْفُوا عَمَّنْ ظَلَمَكَ) ، قوله تعالىٰ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٥٩] الآية ، وقوله : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾[سورة لقمان : آية ١٧] ، وقوله: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾[سورة الإسراء : آية ١٢] ، ولهذا مِلَّتُهُ خير الملل ، ونسخَ بدِينهِ جميعَ الأديان ؛ لأنه أتىٰ بجميع ما أتوا به وزادَ عليهم بما لم يأتوا به ، فكماله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ ﴾[سورة المائدة : آية ٣] ، ولم تنزل هذه الآية علىٰ نبي غير محمد ﷺ ؛ لأنه الخاتم ولم يَدَعْ حُكْماً ولا هدياً ولا عِلماً ولا سِرّاً إلاَّ وَنَّبَهَ عليه وأشار إليه ، علىٰ قدر ما أشير علىٰ قدر الإشارة تصريحاً و تلويحاً ، فلم يبق لغيره حكم ؛ لأنه ختم النبوة ، فانقطع التشريع بعده ، فكان خاتم النبيين لأنه جاء بالكمال ، وكان الكامل يتجلىٰ عليه من طريقة الذوق والتجلي ، وهو أَمْرٌ ذوقي لا يفهمه إلاَّ مَنْ تَوَجَّه بالصدق والإخلاص ، فيكون في تحقيق عبوديته علىٰ طريق التوحيد المعبر عنها بماهية الحقائق ، قوله : ﴿ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٧] ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾[سورة التوبة : آية ١١٤] ، ومعنىٰ قول عيسىٰ عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٨] فشهد لهم عيسىٰ أنهم عباد الله ، وناهيك بها من شهادة ، قوله: ﴿ يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٩] ، ثم صرح في حق محمد ﷺ بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهَ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[سورة الفتح : آية ١٠] ، وقوله : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾[سورة النساء : آية ٨٠] ، فاهتدىٰ قوم محمد ﷺ بذلك إلىٰ حقيقة

الأمر ، وقوله في الحديث : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ) ، فوصف الحق سبحانه رحمته بهم ﷺ حيث قال : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾[سورة الأحزاب : آية ٤٣] ، لمقام الجمع والرحمة الواسعة ؛ لأنه الشفيق الرؤف بأمته الرحيم بهم ، وَأُعْطِيَ الرِّضَى لأُمَّتِهِ قوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[سورة الضحى : آية ٥] ، فهو ﷺ مجمع المقامات على أسنى طريق ، جَمَعَ شرائعَ النبيين عليهم السلام ، فظهرت الحقيقة الإلهية ، ومرجعها إلى النور الإلهي ، المنزل في الهيكل الإنساني إلى محله ومكانه في الهدى عنده ومن[1] بر التحقيق ، وهي المكانة الزلفى أعلى المراتب ، وبَدَتْ شمسُ الذات الحقيقة[2] ، وظهورُ الوحدة التامة وانقهار الكثرة لقوله تعالى : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾[سورة الرعد : آية ٢٨_٢٩] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٦٧)

فانظر أيها العبد المخلص ؛ انظر إلى مفاتيح الغيب [التي][3] لا يعلمها إلا هو ، ومَنْ تَجَلَّى له الحَقُّ بالهَوِيَّة الذاتية من الأقطاب والكُمَّل ، قال الله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً *

(١) في (ب) : في الهدي عنده ومن بر التحقيق .

(٢) في (ب) : الحقيقه .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : الذي .

إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[سورة الجن : آية ٢٦ـ٢٧] ، وإليه أشار النبي ﷺ بقوله : (أو استأثرت به في علم الغيب عندك) ، وجعلها دَاخِلةً تحت الاسم الأول والباطن وهي الأسماء ، والأرواحُ الملكوتية دَاخلةٌ في الاسم الجامع ، فالاسماء كلها تحت الاسم الآخر ، وأَمَّا الاسماءُ الخارجة عن الخلق والنسب فلا يعلمها إلا هو ؛ لأنها لا تعلق لها بالأكوان فالاسماء الحاكمة علىٰ الأرواح القدسية والنفوس الملكوتية ، فسبحان الذي لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، وعالم الأرواح مظهر الاسم الأول والباطن ، والظاهر مظهر الاسم الآخر المطلق ، ومظهر اسم اللهِ [الجامع لهذه الأربعة هو][1] الإنسان الكامل الحاكِمُ في العوالم كلها ، ويُسَمَّىٰ بالحقيقةِ ، وهذه الحقيقة في اصطلاح أهل الله هي النَّفْسُ الرحماني والهَيُولِي الكُلِّيةِ ، وهي الكمالات الإلهية . فإن اعتبرت الحقيقة من حيث خصائصها المتساوية في أفرادها ؛ فهو حقيقة الحقائق كلها ، تَتَنَزَّلُ[2] من عَالَمِ الغيب الذَّاتِي إلىٰ عالمِ الشهادةِ الحِسِّيَّةِ ، وهي في حقائقها لازِمَةٌ في ذلك الذاتي الأحدي ؛ فكانتْ اللوازمُ والصفاتُ وَكُلَّما يَظْهَرُ قبل ظُهُورِهِ مُنْدَرِجةٌ فيه .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٦٨)

ولَمَّا كانت مَظَاهِرُ الصفات من ظهورِ الذَّاتِ في حُكْمِ ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ، صارت الأعيانُ مُتَكَثِّرَةٌ غير مُتناهية ، وراجعةٌ إلىٰ حقيقة واحدةٍ مشتركةٍ بينهما من وَجهٍ آخر ، كما أن مظاهرها حقائق مُمْتَازَةٌ بعضُها من بعض ؛ لأن كل ما في الوجودِ دليلٌ علىٰ ما في الغيبِ ، فإن

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : جامع لهذه الأربعة وهو الإنسان ...

(٢) في (ب) : يتزل .

لكل شيء نَصيبٌ من عالم الملكوت والجبروت ، وقد جاء ما يُؤَيِّد ذلك من مَعْدن الرسالة المُنْشِئُ للأشياءِ بحقائقها صلوات الله وسلامه عليه ، وكانت تتكلمُ الحيوانات والجمادات معه ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[سورة الإسراء : آية ٤٤] ، وظُهورُ النُّطْقِ لِكُلٍّ منهم بحسب العادة ، والنسبة الإلهية موقوف[1] علىٰ المزاج الإنساني ، والكُمَّل لهم الإطلاع علىٰ بواطن الأشياء ، ومدركين لكلامها بإمعانِ النَّظرِ في مناطقِ الحيوانات والجمادات ، ولا لغيرهم شعور ؛ لأنهم ليس لهم إدراك كُلِّي ، والجهل بالأشياء لما في وجوده ولا حاجة لمعرفَةِ هذا في إمعان[2] النظر إلا ليتحقق ، وأن كل شيء ناطق ومطيع للرسول ؛ لأنه أَصْلُ كُلِّ موجودٍ ، وكلٌّ كان من سَرَيَانِهِ ، وكُلُّ عالمٍ من علمه ، هو اسم الله الجامع مشتمل[3] علىٰ كُلِّ فردٍ من أفرادِ العالمِ بالاسمِ الإلهي ، وكل اسم باشتماله[4] بالذات علىٰ عالمِ الأرواح وحضرة الغيب وحضرة الشهادة . وعندهم أن الإنسان الكامل نُسْخَةُ العالمِ الكبير ، ومشتمل علىٰ ما فيه من الحقائق كلها ؛ بل هي عينُهُ من وَجْهٍ ، والإطلاعُ علىٰ هذه المعاني مِن رشح ينابيعِ الرحمة الشاملة (من مشكاة النبوة والولاية) ، والإيمانُ بها والتصديق بحقائقها الإلهية من شأنها عدم الظهور لقوله تعالىٰ : ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[سورة البقرة : آية ٢٨٥] ، فالقطب الذي عليه مدار أحكام العالمِ ، وهو مركز دائرة الوجود من الأزل إلىٰ الأبد واحد ، باعتبارِ حُكْمِ الوحدة ، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ ، وباعتبارِ حُكْمِ الكَثْرَةِ مُتَعَدِّدٌ وقبل[5] انقطاع النبوة ، وقد يكون القائمُ بالمرتبة القطبية نبياً ظاهراً كإبراهيم صلوات الله عليه وسلم ، وقد يكون وَلِياً خَفياً كالخضر في زمان موسىٰ عليهما السلام قبل تَحَقُّقِهِ بمقامِ القطبيةِ ، وعند

(١) لعله : موقوفة .

(٢) لعله : بإمعان النظر .

(٣) لعله : المُشتَمِلُ .

(٤) في (ب) : لاشتماله .

(٥) لعله : مُتَعَدِّدٌ بعد وقبل انقطاع النبوة ...

انقطاع النبوة ـ أعني : نَبُوَّةَ التشريع بإتمام دائرتها ، وظهور الولاية من الباطن ـ انتقلتْ القطبيةُ إلى الأولياء مطلقاً ، فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم قائم في هذا المقام ، ليُحْفَظَ به هذا الترتيبُ والنظام ، قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[سورة الرعد : آية ٧] ، ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[سورة فاطر : آية ٢٤] ، كما قال في النبي ﷺ : ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾[سورة فاطر : آية ٢٣] ، وهو حقيقة الولاية المطلقة ، فإذا كَمُلَتْ هذه الدائرةُ وَجَبَ قيامُ الساعةِ باقتضاء الاسم الباطن ، قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾[سورة الحج : آية ٧] ، ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[سورة طه : آية ١٥] ، وغيرُ ذلك من دلائل الحقيقةِ ، وذلك هو طلوعُ شمسُ الذَّاتِ الأحدية ، وظهور الوحدة التامة . قال الله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[سورة غافر : آية ٦٠] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ﴾[سورة آل عمران : آية ٣٨] ، ولما تحقق الإجابة ، والله الملقي إلى هذه الحضرة المحمدية الختمية الكاملة الإلهية ، فانظر وافهم فهي وَهْبِيَّة وكَشْفِيَّة بالتجلي لا بالكشف والشهود ، قوله : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[سورة العنكبوت : آية ٤٩] ، الملهم هو نص الحديث ، العِلْمُ المَأخوذُ عن الله هو المُرادُ فافهم ، فالخَوَاصُّ[1] أهل الله الذين أخذوا العلمَ من الحَيِّ الذي لا يموت ، وعُلماءُ الرُّسُومِ وَنَقَلَتُ الأحكامِ والآثارِ والأخبارِ أَخَذُوا عِلْمَهُمْ من عِلْمِ الظاهر الكوني .

❊ ❊ ❊

(١) لعله : فالخواص من أهل الله ...

﴿ فصل ﴾

(١٦٩)

فاعزِمْ وانهضْ بعزمِكَ إلىٰ العِلْمِ الأَسْنَىٰ ؛ الذي يشتَمِلُ علىٰ العلوم المحيطةِ بكل مقامٍ ؛ لأنهم يأخذون العلمَ عن مفاتيح المقامِ المحمدي ، وأشار إلىٰ ذلك رسول الله ﷺ بقوله : (علماء أُمَّتِي كأنبياءِ بني إسرائيل) ، وجميعُ العلوم والإحاطة والوارثة المحمدية الشهود والعيان[١] عن رسول الله ﷺ نص القرآن العظيم . ومن حقق وامتثل أمر الوراثة ، وامتثل أمر مقام نبيِّه في [إخراج][٢] هذا العلم من الحكمة الغيبية إلىٰ الشهادة ؛ فهو ترجمانُ رسولِ الله ﷺ وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين أهلُ شراب الكمال الأحدي الجمعي الإلهي ، المتقيدين[٣] بمشارب الأذواق ، ذلك لمن كان له قلبٌ يَتَقَلَّبُ مع الحق كيفَ تَجَلَّىٰ ، وكما قال أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : (كمالُ الإخلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عنه) . والقيوم والصمد هما صفتان لَهُ بالنسبة إلىٰ الخَلْقِ ، فإن القيوم هو المُقَوِّمُ لكل ما سواه ، فإقامَتُهُ بالوجود حَقٌّ ، فيَقُومُ به كُلُّ موجودٍ وإلاَّ كان عَدَماً مَحْضَاً ، قوله تعالىٰ : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً ﴾[سورة مريم : آية ٦٧] الآية ، ومنه مشاهدةُ العبدِ الحُكْمَ لم يَدَعْ له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة ؛ لصعوده إلىٰ جميع المعاني ، وأن لا يرىٰ [مؤثِّراً][٤] إلا الله ، ولا أَثَرَ ولا فعل فالحُكْمُ منه . ومعنىٰ قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، فأثبت مقام التوحيد الحقيقي ، وهو أحديةُ مقامِ الجمع ونَفْيُ الرُّسُومِ الخَلْقِيَّةِ ، وشهودُ وحدةِ الذَّاتِ في الحضرةِ الواحدية الاسمائية ، أعني : شهودَ وحدانيتها المحيطةَ بجميع الاسماء

---

(١) لعلَّه : والشهود والعيان .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) ، وفي الأصل : أخذ .

(٣) في (ب) : المَتَعَبِّدينَ .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : مؤنس .

والصفات ، وكلاهما شهودُ الحَقِّ بلا خَلْق ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[سورة الحديد : آية ٣] ، فلا يخرج عن إحاطته بالكل شيء [أمَّا][١] ترىٰ إلىٰ مُقَدَّمِ القومِ ، والبابُ الأعظم لمدينة العلم ، وساقيهم من مشرب الكوثر الذي خَصَّ به نبينا ﷺ عليَّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ؛ كيف ابتدأ بالإشارة في عين الحقيقة بقوله : (كشف سبحات الجلال من غير إشارة) ، وهو مَحْضُ تنزيه الذات عن التعدد[٢] الأسمائية ، وأثبت بقوله : (صحو المعلوم مع محو[٣] الموهوم) ، إشارة منه إلىٰ فناء الرُّسومِ كُلِّها في أحديتها ، وصَرَّحَ بذلك في قوله : (جذبُ الأحديةِ لصفة[٤] التوحيد) ، ثم خَتَمَ بقوله : (نُورٌ مُشْرِقٌ من صُبحِ الأزل ؛ فيلوح علىٰ هياكلِ التوحيد آثاره) ، اللهم اسقنا من لذيذ بارد شراب التحقيق واليقين وكُلَّ من أخلَصَ وصدَقَ في هذا المقام العظيم ؛ من المشرب الصافي الهني شراباً طهوراً . وقد صَحَّ واستجاب لنا دعاء نبينا ﷺ قوله : (اللهم أعطنا نوراً ، واجعل لنا نوراً ، وأعظم لنا نوراً ، وزدنا نوراً) ، ومنة الإتحادُ ، وهو شهودُ الوجودِ الحَقِّ الواحد المطلق ، الذي الكل به موجود معدوم بنفسه ؛ لتمييزه[٥] إلىٰ الظهور والبطون ، والبطون مرآة الظهور[٦] ، وهو الإنسان الكامل في الظهور والبطون . فأَقْبِلْ بوَجْهِ قلبِكَ عليه ؛ يَصِحُّ إقبَالُهُ عليك ، حتىٰ تراه أقرب إليك من كل شيء ، وهو المنزه ـ الحمد لله علىٰ ذلك ـ وهو المنزه عن الشريك ، ولا هناك شريك مماثل ؛ بل الكُلُّ تحت الحُكْمِ ، فأَقْبِلْ عليه في كل شيءٍ بحُسْنِ الإرادةِ في كل شيءٍ ، فتكون تُطِيعه في كل شيء ، قوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[سورة فصلت : آية ١١] . ومَنْ سَكَنَتْ قَلْبَهُ حَقِيقَة ؛ ظهرتْ علىٰ هيكَلَةِ نوريةُ الجمال ، قوله

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : ما .
(٢) لعله : التَّعَدُّدات .
(٣) في (ب) : صحو المعلوم محو الموهوم .
(٤) لعله : لِصِحَّةِ .
(٥) في (ج) : لتَمَيُّزِهِ ، ولعله : بتَمَيُّزِهِ .
(٦) في (د) : لتميزه إلى الظهور ، والبطون مرآة الظهور .

: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[سورة الفتح : آية ٢٩] ، وسُئِلتُ عن وِردِ المحققين العارفين ؛ فقلت : عليك بإسقاط الهوىٰ ، ومحبة المولىٰ ، قوله تعالىٰ : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[سورة المائدة : آية ٥٤] ، قوله : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾[سورة طه : آية ٣٩] ، وقوله : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٧٠)

فانظر في لطائف المُنْعِمِ عليك وتَجَلِّيه ، قوله تعالىٰ: ﴿ اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾[سورة الشورىٰ : آية ١٩] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[سورة ق : آية ١٦] ، [فأبدا][1] علينا بظهور سرائر الحق الإلهية المختصة بأهل المواهب ، عَطَايَاهم كالمطر لا مكاسب ، ولاح لوائح القِدم في صفائح العدم ، ونور القدم بالكشف فهو[2] سبحات وجهه الكريم الحَالَّةُ بالتَّجَلِّي الذاتي في حقائقِ الأعيان الثابتة ، قوله عن هود عليه السلام : ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة هود : آية ٥٦] ، فلا شك أنه أقرب الطُّرُقِ إلىٰ المنهج الأول ؛ إخْتَفَتْ الهَوِيَّةُ الإلهية في الهَوِيَّةِ البشرية ، قوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[سورة الكهف : آية ١١٠] ، وعنه عليه السلام : (إن لله سبعين ألف حجاب) [الحديث الصحيح ، وفي كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) وفي الأصل : فأبداه .

(٢) في (ب) : وهو .

وجهه][1] : (الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة) ، وإذا تَقَرَّبَ الناسُ بكثرة الأعمالِ فلا بأس ، ولكن انظر الحديث الصحيح ، جلسة بين يدي أحدهم خير للعبد من أجر عبادة سبعين سنة صيامها وقيامها ، فلا يزالُ العَبْدُ يتقرَّبُ بالرِّضى في الأفعالِ ولا يتَقَرَّبُ بكثرةِ الأعمال ، قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾[سورة فصلت : آية ٣٠] الآية ؛ فما ذُكِرتْ كثرةُ الأعمال ، جَلَّ ربنا أن يُطَاعَ لرجائه[2] في الجنة أو خوفه من النار ، وجَلَّ رَبُّنَا وحاشا أن يُعْصَىٰ عناداً . وهنا نُشِيرُ علىٰ من تَبِعَنا [أن][3] يكون في سلامة الصدر ويُسِيءُ الظَنَّ بالنَّفْسِ [ولا يرضى علىٰ نفسه ، ويُحسِن الظن][4] في عباد الله تعالىٰ ، فيؤدب نفسه عن كُلِّ خُلُقٍ مذموم ، وهم أهل التَّمْكِين الراسخين علىٰ القدم المحمدي ، وهو الصراط المستقيم ، هم صفوة الله ، أي : أصفياؤه المصطفون من عبادِهِ الذين صَفَتْ سرائرُهُمْ عن رُؤْيَةِ الغَيرِ ؛ بشهود الحق المتجلي عليهم من فيض الفضل والجود ، فإنهم مع الحَقِّ في مقامِ الفَنَاءِ ، فَلَهُمْ البقاءُ بالحَقِّ . وقوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[سورة الفرقان : آية ٤٥] الآية ، له في التفسير علوم جمة علىٰ ما ظهر في ذلك ويبينونه ، وخص به أَصْفىٰ الأصفياء صلوات الله وسلامه عليه ، وهو صَفِيُّهُ محمد ﷺ ، الذي أقسم بحياته في إقامته به ﷺ وعلىٰ آله المطهرين ، نص القرن بقوله تعالىٰ : ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾[سورة الشورىٰ : آية ٢٣] ، هم آله الذين خَصَّهُمْ بالشهود الحقيقي بالصفوة ، فهم أصفىٰ الأصفياء ، ذكره باسمه الصفي ، وصلاته إفاضته الكمال والخير التام عن سلامة بشريته ، وتطهيره عن النقائص كلها لصفاء فطرته ، الذي أقسم الله به في سورة يس ، مرموز بالإيماءِ إليه بِذِكْرِ الحرفين الدَّالَّين علىٰ الوِقاية والسلامة ، المقتضيين للكَمالِ

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) ، وسقطت من (أ ، ج) .
(٢) لعله : لرجاءٍ في الجنة أو خوف من النار .
(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) .
(٤) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) ، ولعله : ولا يرضى عن نفسه .

والتَّكْمِيل ، على أنه قال تعالى في تبليغ الرسالة والدعوة وأدائهما[1] : ﴿ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾[سورة يوسف: آية ١٠٨] ، مع ثباته على الصراط المستقيم ؛ الذي هو طريق التوحيد الذاتي ، ونص عليه : ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة يس : آية ١-٤] ، أي : [صعب][2] لا يمكن إلاَّ إذا كان الدَّاعي على بصيرة ، وهو من أَجَلِّ المقاماتِ وأصعبها ، قوله في الحديث : (شيبتني سورة هود وأخواتها) ، لقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[سورة هود : آية ١١٢] ، وهو قائم بالدعوة ، وهو يرى أنه يدعوا من الاسم[3] إلى اسم ، فحياة الوجود حياة حضرة الجمع ، وهو حضرة الحق بحيث لا يرى شيئاً من الأشياء إلاَّ وهو قائم بالله . قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾[سورة الحجر : آية ٨٥] ، وقوله : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[سورة الرعد : آية ٣٣] ، قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦-٢٧] ، فليس الحجابُ إلا أَنْتَ ، فمتى فَنِيتَ ظَهَرَتْ الحقيقةُ ، فإن العلم حجاب عن المعلوم ، فكن مطالعاً للجمع[4] في عين الذات ، وهو المطلوب ، أعني : شهود إفراد[5] الحَقِّ في كُلِّ ما يَصْدُرُ عن الكَونِ من الحَركاتِ والسَّكَنَاتِ والقَبْضِ والبسط ، فلا يرى فيه شيئاً من غيره . قوله[6] الحق : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[سورة المجادلة : آية ٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ

---

(١) في (ب) : وآدابهما .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) .
(٣) في (ب) : لمن الاسم . ولعله : من اسم إلى اسم .
(٤) في (ب) : الجميع .
(٥) في الأصل : افراد ، وفي (ج) : أفراد .
(٦) في (ب) : قول الحق .

عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[سورة يونس : آية ٦١] ، المَعْنَىٰ فيهِ عزيزٌ ولا يصح إظهاره ليخشىٰ[١] علىٰ سامعه ؛ لأنه سِرُّ التجليات وهو شهود الأحدية الجمعية المحمدية ، ونص بقوله تعالىٰ : ﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾[سورة النصر : آية ١] ، وأَمْرُ[٢] الإتصال من مدد النَّفَسِ الرَّحْمَانِي ، الرحمة إليه علىٰ الدوام ، والله أعلم وهو بكل شي عليم.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٧١)

والشمس[٣] الحقيقة هي تجلياتُ الذَّاتِ لأهل الفناء التَّامِ ، وهو عينُ أحدِيَّةِ الجمع ، عند مغربِ الشَّمْسِ استتارُ الحَقِّ ، ورفع القناع عن وجوه عرائس المعارف والأسرار والعلوم اللدنية ؛ فيصيرُ في عين تحقيق اليقين ، ومظهر الشُّهودِ يُلَوِّحُ علىٰ العارف بالله نورَ الحقيقةِ الأحدية ، قوله تعالىٰ فيهم : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ٣] ، وإذا[٤] شكر النعمة ، قوله : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[سورة الضحىٰ : آية ١١] ، فَكَشَفَ بعض عِلْمِ السِّر الأعظم ، فَيَصِحُّ[٥] لِمستَحِقِّيهِ ـ مِنْ نُوِّرَ[٦] قَلْبُهُ ـ تَجَلِّي عرائسَ المعاني فانظر أيها الطالب هذه الطريق ، وهذه الأسرار السَّنِيَّة والمقامات العلية ، هو شهودُ الوجودِ[٧] الحق الواحد المطلق الذي الكُلُّ به موجودٌ ، والحضرةُ الأحدِيَّةُ الواحديةُ هو

(١) لعله : لأننا نخشى ....

(٢) في (ب) : وامن.

(٣) في (ب) : والشمس الجمعة ، ولعلّها : وشمس الحقيقة .

(٤) في الأصل : وإذًا ، وفي (ب،ج،د) : وإذا .

(٥) في (ب) : فتصبح .

(٦) لعله : مِمَّنْ نُوِّرَ ...

(٧) لعله : الموجود .

الإنسان الكامل ، ومَنْ نَوَّرَ اللهُ عينَ بصيرَتَهُ واستنارَ قلبه واطمأن ، قوله : ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[سورة الرعد : آية ٢٨] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] . واعلم أن كل اسم إلهي دال علىٰ الذَّاتِ وعلىٰ المعنىٰ ، وهي حضرةُ ما اتصفت به الذات الإلهية ، حضرة الجمع وحضرة الوجود ، الحقيقة المحمدية هي الذات مع التعَيُّن الأول ، وله الأسماء الحسنىٰ كلها وهو الاسم الأعظم . حَقَائقُ الاسماءِ هي تعينات الذات بنسبتها(١) ، حَقُّ اليقينِ هو شهود الحَقِّ في مقام عين الجمع الأحدية ، ظاهر السر الشارق في قلوب العارفين باللهِ ، أهلُ رُتْبَةِ التوفيق بالسعادةِ السَّابِقة في قوله تعالىٰ : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[سورة المائدة : آية ٥٤] ، وهو مظهر الحقائقِ والتَّجَلِّيَات الظاهرةِ والباطنة ، وبعد الوعي يكون البيان ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[سورة القيامة : آية ١٨-١٩] ، وعند وُرُودِ الوارداتِ الإلهية تهدمت(٢) العوائد عليك ، فهو ﷺ الهادي خَلْقَه إلىٰ ذاتِهِ ، الدَّاعِي مظاهِرَهُ بلسانه إلىٰ عينِ جَمْعِه ، ومرتبة الألوهية في الأول والآخر والظاهر والباطن ظاهر السر الأعظم قوله تعالىٰ : ﴿ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾[سورة الكهف : آية ١١٠] ، فالحقيقة في مرتبتها واحدة ، وشُفْ وانظر واسمع إلىٰ ما أقول لك به ، أن مرتبة التوحيد إلىٰ الأهولية رتبه واحدة لا يقتضيها كثرة ، فحيثُ لَمَحَتْ(٣) بمباسم برق ثغرها ، وتنسمت فيك أنفاس معارفها وعلومها(٤) ؛ شهدت وشُوهِدَتْ لها شهود الألوهية ، وسَجَدَتْ الهَوِيَّةُ للهَوِيَّةِ ، ومَنْ عَرَفَها من العباد الكُمَّل ، وهم أهل الإنقياد الكُلِّي والإسلام الجِبلِّي ، والاستسلام الفطري الأصلي . كمال الإنقياد لله أن تعبُدَهُ وتُطِيْعَهُ . والكامل الذي وَجْهُهُ مُقَابِلٌ وَجْهَ اللهِ لا يغيبُ عنه طرفة عينٍ ، واستغراقه - أعني : الكامل - يكونُ في

---

(١) في (د) : بلبسها .

(٢) في (ب) : هُدِّمت .

(٣) في (ب) : يحب ، في (د) : لمحب .

(٤) في (د) : وتسنَّمتْ فتلك أنفاس معارفها وعلومها .

نَظَرِ الله له فيما تَجَلَّىٰ له من عينِ لطفه وجوده ، فبقوا[1] في درجة الشهودِ الذاتي ، وفي إدبار الكون وفنائه عنه لا يرىٰ له وجوداً ، ومصيرُ الكُلِّ إلىٰ الله الواحد القهار فافهم ، واليقين يقين بغير عين اليقين به[2] ، وعين دعوتهم له إلىٰ الباطن الأحدي الجَمْعِي المحمدي ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، معنىٰ المشرب المحمدي شُهودُ كل شيءٍ في اضمحلال كل شَيءٍ في عَينِ الحق ، قوله : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٧] ، فَيَبْقَىٰ وَجْهُ النُّورِ ، وإلىٰ الله عاقبةُ الأمور.

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٧٢)

والمَشَاهِدُ [القُرْبِيَّة] [3] ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[سورة النجم : آية ٩] الآية ، والصورة الروحانية النورية ، التي هي روحه ﷺ في مظهريته لله تعالىٰ ، لا يراها أحداً أبداً من غير رسول الله ﷺ ، ولا من نفسه به . يظهر[4] بتلك القدسية لكونها وحقيقتها خاصة بالنبي ﷺ ، وكذلك صورته كُلُّ أحدٍ لا يتَمثَّل بها وفيها إلا روحُهُ ﷺ ، خاتم النبيين أجمعين ـ عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم . والعلم بها ـ أي : الحقيقة وكشف أسرارها ومعانيها ظاهرة ، وشمسها ضاحية ، وأنوارها باهرة ، وحقيقتها واحدة . وقال ﷺ : (اللهم إني أسألك لذة النظر إلىٰ وجهك الكريم) ، شهوده وجهه تعالىٰ

---

(١) لعله : فبقى .

(٢) في (ب) : واليقين يقين بعين عين اليقين به . في (د) : والتَّعَيُّنْ تَعَيُّن بعين عين البصيرة .

(٣) ما بين المعقوفتين في (د) وفي الأصل : القريبة .

(٤) في (ب) : تظهر .

، وإنه في شهوده فانٍ عن اللذة ، لما [شاهد][1] الفناء به ، وحيرته الكبرىٰ[2] ؛ فَسَأَلَ اللَّذةَ بما شَهِد ، وهي زيادة علىٰ مرتبةٍ الشهود . فافهم ما أشير إليك من هذا العلم اللدني الذوقي . قوله تعالىٰ : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[سورة العلق : آية ٥] ، هو الأعيان الثابتة ، وهو دائم التَّجَلِّي مع [الآيات][3] . ونَفْيُ الحُجُبِ بينَك وبين هذا المقام الأسنىٰ ، واندراجُ المعاني واللطائف والمِنن فيه علىٰ أهل حضرته الفَانِين في ذلك الشيء العزيز . ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة الحديد : آية ٣] ، حقيقة الشهود : مشربُ جمع الجمع ، من الذات الأحدية حقيقة الشهود ، هم القوم الذي[4] لا يشقىٰ جليسهم ، والله الموفق ، وهم أهلُ الوفاء ، من شَأنِهم التخلق بالرحمة ، وإسبألْ خِلَعَ أستار[5] الجمال عليهم ، بهم يرفعُ اللهُ البلاءَ عن خلقه ، فهم الواصلون إلىٰ الرحمة ، ومفارقين الغضب[6] . ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَٰٓأُولِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾[سورة البقرة : آية ١٧٩] ، فهم أهلُ لُبِّ الشيء ، ومن تفصيل الأمر في نفسه ؛ فالعارف لا يَحْجُبُهُ سؤالُهُ عن هَوِيَّة الحقِّ في رفع الضُّرِّ ، عنه فإنهم الأمناء لا يعرفهم إلا الله ، ولا يعرف بعضهم بعضاً . ورحمة الله وسعت كل شيء وجوداً وحكماً ، والأسماءُ الإلهية ترجِعُ إلىٰ عينٍ واحدة ، وهي سارية وجارية في مكانة الرحمة . وذِكْرُ الرحمةِ للأشياء عينُ إيجادها إياها[7] ، وكل موجود مرحوم ، وهي حقائق الاسماء . ثم إن الرحمة تنال علىٰ طريقِ [تَعَيُّن][8] الوجود ، قوله تعالىٰ : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٥٦] الآية ،

---

(١) مابين المعقوفتين في (ب ، د) . وفي الأصل : شهد .
(٢) لعله : في حيرته الكبرى .
(٣) مابين المعقوفتين في (ب ، ج) ، في (أ ، ج) : الألإنَات .
(٤) لعله : الذين .
(٥) لعل المقصود بــ(أستار) : جمع ستره وهي ما يستر الجسد من اللِّباس .
(٦) لعله : والمفارقون للغضب .
(٧) في (ب ، د) : عين اتحادها إيَّاها .
(٨) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) ، وفي (أ ، ج) : بعين .

، والذي ينال هذه الرحمة بطريق الإمتنان الإلهي ، الذي لا يقترن به عمل ، ومِنْهُ قيل : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[سورة الفتح : آية ٢] ، وقوله : (إعمل ما شئت فقد غفرت لك) . ومن حيث أخذه العلوم ، عن[1] نظره كانت معرفته بالله على التنزيه لا على التشبيه ، وأعطاه اللهُ المعرفةَ بالتجلي ، فَكَمُلَتْ معرفتُهُ بالله ، فَنَزَّهَ في موضع ، وَشَبَّهَ في موضع ، ورأى سَريان الحق في الأشياء ، فهي المعرفة التامة التي جاءت بها الشرائع المنزلِة من عند الله ، وحكمة هذه المعرفة نَفْيُ الأوهام كلها . السلطانُ الأعظمُ في هذه الصورة الكاملة الإنسانية ؛ فارتبط الكُلُّ بالكل ، فنزه عن تشبيه ، ولا تشبيه [عن][2] تنزيه . قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[سورة الشورى : آية ١١] فنزه ، ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[سورة الشورى : آية ١١] فشبَّه ، ثم قال : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[سورة الصافات : آية ١٨٠] ، وما يصفونه إلاَّ [بما][3] تقتضيه عقولهم ؛ فَنَزَّهَ نَفْسَهُ عن تَنْزِيهِهِم ، قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٢٤] ، ولا يقيد بهذه القيود والإحاطة بالكل ، فتكونُ الجهات والأماكنُ والجواهرُ والأعراضُ والأشياء كلها موجودةً بالحق ، قائمة بقيوميته ، وهو الكل بالحقيقية ولا شيء غيره ، قوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[سورة الحشر : آية ٧] فَالْزَمْ .

* * *

---

(١) في (ب) : وعن .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) وفي الأصل : ما ....

﴿ فصل ﴾

(١٧٣)

قاعدة التحقيق ليس إلاَّ بسابقة التوفيق ، قوله تعالىٰ : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٢٥] ، وقوله : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾[سورة الزمر : آية ٢٢] . وإذا ظهر الحقُّ في العارفِ ؛ كانَ الله ولا شيء معه ؛ أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً ، ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ؛ فكان العبدُ الصادقُ سمعَ الحقِّ وبصرَه وسائرَ قواه ، كما قال ﷺ : (إن الله قال علىٰ لسانِ عبده : سَمِعَ الله لمن حمده) ، ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[سورة الفتح : آية ١٠] واليَدُ يَدُ محمدٍ ﷺ ؛ وهو كذلك ـ هو ـ الرامي حقيقة ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾[سورة الأنفال : آية ١٧] ، فَيَدُ الله الحق هو الرامي بنفسه ، والرمي عن محمد قوله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ ﴾ ، وإثبات الرمي للحق : ﴿ وَلَـكِنَّ اللهَ رَمَىٰ ﴾ . وَقُرْبُ النَّوَافِلِ كَونُ الحق بوجوده مَجْمُولاً[١] في آنِيةِ العبد ، وَهَوِيَّة[٢] له ؛ فهو سمعُ العبدِ وبصره ولسانه ويده وسائر قواه ؛ كما في الحديث الثابت الصحيح المثبت في المقامين . فانظر وافهم عني ما أقول لك : أنتَ حقيقةُ عينٍ ثابتة ، علمية أزلية ذاتية ، من جملة شؤونه الذاتية ، ولا شَمَّت[٣] رائحة من الوجود العيني[٤] ؛ بل هي علىٰ وجودها العلمي الأزلي الأبدي ، والمشهودُ الموجودُ في الأعيان مِنْكَ ، لما كان الشاهد المشهود ، وهو الحق . وفي الحقيقة أن الحق هو الموجود المشهود في حقائق العلم ، وفي أعيان المُحْدَثَات كُلِّها ، وهي مظهرُ الحق[٥] ، موجودة في أعيانها ، وفي

---

(١) في (ب) : محمولاً في نية العبد .
(٢) في الأصل (أ) : وهويَّه له . في (ب) : وَهَوِيَّة لَهُ . في (ج) : وَهُوَ بِهِ لَهُ . في (د) :وَهَوِيَّتَهُ لَهُ .
(٣) في (ب ، د) : سمت .
(٤) في (د) : الغَيْبِي .
(٥) في (ب) : وفي مظهر الحق .

كُلِّ العلومِ المختلفة باختلاف صورها ، والمشهود الموجود في الشهود . وَوُجُودُهَا الظَّاهر العلمي ؛ ظهورُ الوجودِ الحق في هذه المظاهر . وعلم الذات لا ينتقل إلىٰ علم الصفات ، العلم الذاتي إلىٰ العين ؛ لكن أَثَّرَتْ في [مرآة][1] الوجود الحق ، من حيث قبوله وصَلاحَتِهِ لتلك الآثار ؛ فكان الحكم لله ولرسوله محمد ﷺ ، فَحُكْمُه حُكْمُ الحَقِّ علينا دُنْيَا وأُخرىٰ ، روحاً وجسماً ظاهراً وباطناً ؛ من حيث [يحكم][2] بما جرىٰ به القضاء والقدر في الأزل شقاوة وسعادة ، من حيث اقتضاء الخصوصيات ، [فكنَّا][3] في الاستعداد والكمال والخصوصية في عين الرحمة علىٰ لسان الرسول محمد ﷺ ؛ فطلب من الحق ما يقبل برحمته ، من ربه علىٰ خلقه . ونحن فيما نَسْتَاهِلُهُ ونَستَحِقُّهُ من اقتفاءه ، وبَانَ نور الإصطفاء ؛ لأنه قد ثبت مع ربه في الرضى في الشفاعة ، والله العليم الحكيم العدل الحكم . فهو أصل الهداية وإثبات الحق ؛ فثبتت الأدلةُ الكشفية بحقائق الذاتية وهو الظاهر المعهود ، وهو الجامع وهو الإنسان الكامل . والإنسانُ المفضل القائم بالحق ، مَظْهَرُ من أَتَمَّ وأَكْمَلَ وأَسْبَلَ علينا نِعمه ظاهرةً وباطنةً ؛ بحقيقة الإسلام ، الذي هو الانقياد للحق الكلي[4] ، لله مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَكُلِّ مَرْضِيٍّ محبوبٍ ، وَكُلُّ ما فعلَ المحبوبُ محبوب ؛ فكلُّهُ مرضي . فَكُنَّا مع الرسولِ وطاعته في ذلك الفن علىٰ قَدْرِ المعرفة والقُرْبِ ؛ فَكُلُّ من تابَعه في امتثاله يكون في أعلىٰ قربه ، وهي حقيقةُ الحقائق ، ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾[سورة البقرة : آية ١٦٩] . وقد صَحَّ لكل عارفٍ بذلك الفن ، أن يكون منهم في أَهْلِيَّةِ فضله وفَضيلته ، هم أهل الله في الدنيا ، وهم أهل الله في الآخرة ، فالظهور لمن كان له قلب ، يعلمُ [تَقَلُّبَ][5] الحق في الصور ، وَتَقَلُّبَهَ في الأشكال ، فمن عرف نفسه[6] ؛ عَرَفَ أن نَفْسَهُ هي عينُ هَوِيَّةِ الحق[1] ،

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) . وفي الأصل : مرات .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) . وفي الأصل : يحكم .

(٣) في (ب ، ج) : فكان .

(٤) لعل العبارة : الذي هو الإنقياد الكلي للحق .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب ، ج) ، وفي الأصل : تقليب ، في (د) : يعلم تقليب الحق في الصورة وبقلبه ...

(٦) في (د) : لمن عرف نفسه عرف ربه هي ....

، ولا شيء من الكون فيه ، كما أن الكون بائن كائن(٢) ، الحق الواحد الذي لا موجودَ على الحقيقةِ ولا مشهودَ في الوجود إلا هو ، والحقيقة واحدة قوله تعالى : ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] يتقلب في تقليبه .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٧٤)

وأما أهل الإيمان فهم المُقَلِّدِينَ ، الذين قلدوا الأنبياء والرسل فيما أخبروا به عن الحق ، لا من قَلَّدَ أصحابَ الأفكارِ ، والمتأولين للأخبار الواردة ؛ يحملونها على أدلتهم العقلية . فأهل الإيمان هم الذين قلدوا الرُّسُلَ صلوات الله عليهم أجمعين ، والسلام على المودَّون(٣) ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] . وقوله عليه السلام : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه) ، والله في قِبْلَةِ كل مصلي ، فذلك هو الشهود على اليقين ، وقد يكون أحدية البصائر ، قوله : (كأنك تراه) ، استحضاره كما مُثِّلَتْ الجنةُ لرسول الله في عرض الحائط ، وكما مثل جبريل في صورة دحية الكلبي . فانظر فيما قاله تعالى : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[سورة ق : آية ٢٢] ، وهذا أكمل ما في مقام الشهود : أن تشهد الحق كما شهد الحَقُّ نَفْسَهُ ، وما عرفَ ذاتَهُ إلاَّ ذاتُهُ ؛ أعني : الحقَّ ، كما شَهِدَ الحَقُّ نَفْسَهُ بعينِ شهودِ الحَقِّ نَفْسِهِ في نَفْسِهِ لنفْسِهِ ، فافهم هذا المقام فهو الشَّاهِدُ والمشهود ، والله ولي التوفيق . وهو اختصاص إلهي ، لا يدخل في باب المكاسب والاستعداد ؛ بل هو من فضله العظيم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

---

(١) في (ب) : عرف أن نفسه ربه في عين هويَّة الحق .

(٢) لعلَّ العبارة : كما أن الكون بائن كائن بالحق ...

(٣) في (ب) : الموذن . في (ج) : المودون . في (ج) : المودن ، ولعله : المُؤذِّين .

أُنِيبُ ﴾[سورة هود : آية ٨٨] ، والحمد لله رب العالمين ، قوله تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٦٤] الآية ، فصح وثبت امتنان الله علىٰ هذه الأُمَّةِ ؛ أن أوصل إلينا هذه الوراثة عنه ، نص القران العظيم ، ثم ضَمَّنَهَا الجامعُ للكل محمد ﷺ ، لِما أخبر به عن الحق ؛ أَنَّهُ[1] عين السمع والبصر واليد والرجل واللسان ؛ أي : عين الحواس ، فلله الحجة البالغة يهدي من يشاء .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٧٥)

ومن صحت له الهداية ، يكون علىٰ القدم المحمدي ، وعلىٰ صراطه المستقيم . علامةُ من عرفَ اللهَ حَقَّ معرفَتِهِ أن يطلع علىٰ سره ، فلا يحيط علماً به ، فتلك المعرفة التي لا معرفة ورَائَها ، وفَضَّلَ اللهُ الرجال بعضهم علىٰ بعض ، فيحتفظ[2] العارف بالعقل عن الجدل ، والقلب عن الزلل ، والسر عن رؤية العمل ، والتحقِيقُ من سابقة التوفيق ، فسبحان الذي لا يعزب عن عمله شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم . فَعَالَمُ الأعيانِ مظهر الاسم الأول ، والباطن المطلق ، عالم الأرواح مظهر الاسم الباطن . والحقيقة الأحدية الجامعة الكاملة المحمدية ﷺ . وارجع إلىٰ طريق التحقيق واليقين ، وعين التوفيق الصرف ؛ أعني : حقيقة الحقائق ، هي الذات الأحدية الجامعة لجميع الحقائق ، وتُسَمَّىٰ حضرة الجمع . حضرةُ وجود الحقيقة المحمدية ، هي الذات مع التعين الأول ، فله الأسماء الحسنىٰ كلها . وحق اليقين هو شهود الحق حقيقة في مقام عين الجمع الأحدية ، ومن شاهد هذا المشهدَ ذوقاً ؛ كان متحققاً بالحق والخلق ، والفناء والبقاء محو العبودية .

---

(١) في (ب) : بأَنَّهُ .

(٢) في (ب) : فيحفظ .

ومحو عينِ العبدِ هو إسقاطُ إضافةِ الوجود إلى الأعيان ، والوجود إلىٰ عين الحق . وعين العبد باقية علىٰ عدمها ، فالعبد مَمْحُو والعبودية مَمْحُوَّة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾[سورة الأنفال : آية ١٧] ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[سورة المجادلة : آية ٧] الآية ، تَقَدَّسَ وتعالىٰ سبحانه عَمَّا يقول الظالمون عُلواً كبيراً . ومِرآة الحضرتين ـ أعني : حضرة الوجوب والإمكان ـ هو الإنسان الكامل ؛ لأنه مظهر الذات . مشارق شمس الحقيقة هي تجليات الذات ، قبل الفناء التام في عين أحدية الجمع ، وبالإضافة والتعين بها ما ظهرت قط ، وهذا أمر كشفي ذوقي ، فبمحو العبد المحبوب المقرب ؛ تنكشف عليه العلومُ اللدُنِّية ، والوارداتُ الإلهية التي تطردُ الكونَ عن القلب ، نور الأنوار هو الحق تعالىٰ .

* * *

﴿ تنبيه ﴾

(١٧٦)

النَّفَس الرحماني هو الإضافي الوحداني بحقيقة المعاني[1] . وانظر إلىٰ الغاية ـ أي الكمال[2] ـ في المحو والفناء ، وإثبات البقاء ، فلما صح وثبت فناؤه ؛ صح بقاؤه ، سجود القلب هو فناؤه في الحق عند شهود إياه ، فلا تشغله ولا تضره الحوادث ، والمشار إليه بقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[سورة النحل : آية ٤٠] ، ومن هنا حقيقةُ : لا يَعْرِفُ الحَقَّ إلا الحق ، ولا يُحِبُّ الحَقَّ إلا الحق ، ولا يطلب الحق إلا الحق ؛ لأن ذلك السر ـ هو الطالبُ للحقِّ ، والمُحبُّ له

---

(١) في (ب ، د) : النفس الرحماني هو الأمنا في الوجود إلى حقيقة المعاني .

(٢) في (ب) : أي المقام .

والعارفُ به ، كما قال سيد الأولين والآخرين ، حضرة رب العالمين ، النبي محمد ﷺ : (عرفت ربي بربي) ، فلو ظهر سِرُّ الربوبية لاندَهَشَتِ العقولُ النورانية فلا تحملها ؛ أعني الظهور . فمن هنا انظر الحديث : (عرفت ربي بربي) والحديث القدسي : (أوليائي تحت فِنائي لا يعرفهم غيري) ؛ لأنهم تحت فِنَاءَ سعة القلب المنور ، [هو](1) تحقق الإنسان الكامل ، قال تعالى [في الحديث القدسي](2) : (ما وسعني أرضي ولا سمائي و وسعني قلب عبدي المؤمن) . عالم الجبروت عالم الأسماء والصفات الإلهية ، عالم الملكوت وعالم الأمر وعالم الغيب الأرواح والروحانيات ؛ لأنها وجدت بأمر الحق من غير واسطة . المتحقق عين العلم هو الإنسان الكامل ، ينظر الله إليه بنظره إلى العالم ؛ بالرحمة للوجود الكل ، قال الله : (لولاك ما خلقت الأفلاك) ، والإنسان المتحقق بالاسم البصير ؛ [لأن كل ما يبصر](3) في العالم من الأشياء فإنه يبصره بهذا الاسم ، عين الحياة هو باطن الاسم الحي ، الذي من تحقق به ؛ شَرِبَ من عين الحياة ، التي من شرب منها لا يموت أبداً ؛ لكونه حَيّاً بحياة الحق ، وكُلُّ حَيٍّ في العالم فحياتُهُ بحياةِ هذا الإنسان الكامل ، وكلما ظهر وبطن من الحضرة الواحدية الذاتية . الفرقان(4) هو العلم اللدني الجامع للحقائق كلها ، فرق الجمع ، وإن تكثر الوجود ظهرت(5) في المراتب ، التي هي سر الذاتية الأحدية ، لا تحقق لها إلا عند بروز الواحد الحق سبحانه وتعالى ، فجعل صاحب الزمان وصاحب الوقت والحال هو المتحقق بجميع البرزخية الأولى ، المُطَّلِعُ على حقائق الأشياء ، الخارجُ عن حكم الزمان ، وَتَصَرُّفَاتِهِ ماضِيَةٌ ، وَمُسْتَقْبَله من الآن الدائم ، فهو طريق إلى أحواله في صفاته وأفعاله ؛ بذلك يتَصَرَّفُ في الزمانِ بالطَّي والنَّشْرِ ـ في المُلْكِ والملكوت ـ والقبض والبسط ؛ لأنه

---

(1) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) ، وفي الأصل : هي .
(2) ما بين المعقوفتين ليس في الأصل .
(3) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) .
(4) في (ب) : القرآن .
(5) في (ب ، د) : وإن تكثر الموجود ظهر ...

المتحقق بالحقائق في القليل والكثير ، فإن المتحققَ بالحق ، المتصرـف بالحقـائق ؛ يفعـلُ مـا يَفْعـلُ[١] في طَورٍ وَرَآءِ طَورِ الحِسِّ والعقلِ والوهمِ ، وَيُسَلَّطُ علىٰ العـوارضِ بـالتَّعْبِيرِ[٢] والتبـديل . صـاد (ص) صورة محمد ﷺ ؛ لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية ، ولما لَـوَّحَ إليـه ابـن عبـاس رضي الله عـنهما ، حين سُئِلَ عن معنىٰ صاد ؛ فقال : (جَبَلٌ بمكة كان عليه عرش الرحمن) ، صورة الإلـه هـو الإنسـان الكامل ؛ لتحققه بحقائق الأسماء الإلهية بِقَابِلِيَّتِهِ الأولىٰ . انظر ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ؛ لأن النبي ﷺ لما وَصَلَ به إليه عَمُّه العباس ـ رضي الله عنهما ؛ قال : (اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويـل ، واهدِهِ إلىٰ سواء السبيل) ، فهو كماله من طَلَبِ النبـي ﷺ . قولـه : (أَحْبَبْـتُ أَنْ أُعْـرَفْ) ؛ فظهـر سِرُّ المادة الوحدانية ، المُسَمَّاه بالفيض الأعظم المطلق ؛ قبل خَلْقِ السموات والأرض . والحقائق في الذات الأحدية ، وهي إيصال[٣] امداد الوجود من نفس الرحمن ؛ إلىٰ كل ممكن لانعدامـه بذاتـه ، مـع وضـع النظر[٤] عند وجوده ، ولكن لا تزاحم في شهود أحدية الذات المتجلية ؛ ليشـمل ـ الكُـلُّ والممكنـاتِ تَجَلِّي الحق ، فيكون نور قلب الإنسان الذي من شأنه [أن يُنوَّرَ][٥] ، قـال الله تعـالىٰ : ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّـذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٥٧] الآيـة ، ومطـالع الجـمال هـو شـهودك مقـام الاستقامة علىٰ القدم المحمدي ، قوله: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَـا نَهَـاكُمْ عَنْـهُ فَـانتَهُوا ﴾[سورة الحشر : آية ٧] . فافهم عني ما أُشيرُ إليكَ من أَلطَافِهِ الخفيَّة ، التـي هـي في صـدق[٦] . المخلـص الصـادق العارف بالله ، يكون مقامُهُ الشُّهود والكشـف الصرـيح ، فـإن كـلَّ عـارفٍ متحقـق بالحقـائق ؛ هـو المتحقق بالحق الصرف . بالحقائق يفعل ما يفعل في طورٍ وراء الحس والعقل ، وصدق وفهم بتصرـفه

(١) لعله : ما يفْعَلُ الحق .

(٢) لعله : بالتَّغْيير .

(٣) في (ب ، د) : اتصال .

(٤) في (ب) : لانعدامه بذاته وضع النظر .... ؛ في (د) : لانعدامه بذاته مع وضع البطن ...

(٥) ما بين المقعوفتين في (ب ، د) . وفي الأصل : أي بنور .

(٦) لعله : صَدْري .

فيها بالشهود العيني ، التي صورها ذلك الظهور . والحقائق في الذات الإلهية كالشجرة ، وأغصانُها وأورَاقُهَا وأزهارُهَا وثمارُها في النَّواةِ ، فتفصل[1] بالعلم التجلي الشهودي في الحضرة الواحدية ، وظهور الحق بصور اسمائه في الأكوان ، التي هي صورها ذلك الظهور ، وهو نفس الرحمن الذي يجدون[2] الكل ، لتحقيق شهود الحق في صور اسمائه واتصال امداد الوجود من [نفس الرحمن][3] كل ممكن لانعدامه بذاته ، وكل كامل متحقق بالحضرة الواحدية . الغُرابُ : كناية عن الجسم الكلي ؛ لكونه في غاية البُعْدِ من عالم القدس ، والمشار إليه قوله : (كنت كنزاً مخفياً لا أعرف ؛ فأحببت أن أعرف) ؛ فظهرت أنوارُ الأحدية الذاتية ، وهو النور الساري في جميع خَلْقِهِ ومخلوقاته ، وهي في الكَثْرَةِ العَينُ الواحدةُ الكُلِّيَةُ . والمطَالِعُ هي مظاهرُ مفاتيح الغيب ؛ التي انفتحت بها مغاليق الأبوابِ المسدودة بين ظاهِرِ الوجودِ وباطِنِهِ . مجمع البحرين ومقام قاب قوسين حضرة جمعية الأسماء الإلهية ، وكذلك تَجَلِّي عالم الجبروت ، وانكشاف عالم الملكوت . انظر إلى المحبة الأصلية ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[سورة المائدة : آية ٥٤] ، فسبقت مَحَبَّتُهُ لهم المجردة في الأزل والقِدَمْ . ومرتبة الأحدية الذاتية ، هو الجامع للحقائق كلها ، الإنسان الكامل الذي هو مَجْلَىٰ الجميع ، وصورةُ جمعِيَّتِهِ بالكل من الإنسان الكامل .

❊ ❊ ❊

---

(١) في (ب ، د) : فيفصِل .

(٢) لعلَّه : يجده .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) .

﴿ بَابُ اللَّحظِ ﴾

(١٧٧)

قال الله تعالىٰ : ﴿ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾[سورة الأعراف : آية ١٤٣] ، محل الاستشهاد قوله : ﴿ انظُرْ ﴾ ، و﴿ الْجَبَلِ ﴾ ، كون موسىٰ ووجوده الإضافي ، ولا يمكنُ استقرارُ كونٍ من الأكوانِ عند التجلي ، ولا يمكن رُؤيَةُ المُحَدَثِ للقديم ؛ لفناءِ المُحْدث عند تجلي القديم بالنظر . والحَقُّ يَلَحَظُ الحقَّ بإشراق النظر ، انظر قوله تعالىٰ : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، فلما أفاقَ موسىٰ عليه السلام من صعقَتِه قالَ : ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٤٣] ، أي : رجعتُ عمَّا طلبتُ من نظرك . وقوله في محمد ﷺ : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾[سورة النجم : آية ٩-١٠] ، فنطقَ الحَقُّ سبحانه وتعالىٰ : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾[سورة النجم : آية ١١] ، وقوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[١] [سورة الإسراء : آية ١] ، إلىٰ أقصىٰ ما أيده به من القرب والفضل في قوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾[سورة الزخرف : آية ٥٩] ، قوله : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[سورة الضحىٰ : آية ١١] ، أي : حَدِّثْ بنعمته عليك ، وإظهار فضله عليك ورضاه لك ، فهو صاحب جمع[٢] الجمع من كل المقامات ، قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[سورة طه : آية ٤٦] ؛ كقوله ﷺ لأبي بكر : ﴿ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾[سورة التوبة : آية ٤٠] خصوصاً ، وَمَعِيَّةُ الصفاتِ عامةٌ لجميعِ المخلوقاتِ ؛ وإنما اختصاص الأنبياء

(١) في (ب ، د) : { مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى } ، ما أيده ....
(٢) في (ب ، د) : جميع .

والأولياء بالشهود والتأييد بالروح منه ، وقد قال بعضُ أكابِرِنَا من خواص أهــل الله : وإني مــا أقــول إلا بما يقال لي به[١] ، إفعل ما شئت كيف شئت بمشيئتي . وذلك يشهد مــا لا يشــهده غــيره ، ويفهمــه ويعلمه عين ؛ لأنه يكون عليه التجلي من كل الاسماء ، وإن يتكلم بلســان الحقيقــة[٢] مــع الإســتهلاك الصرف ، ويكون تارةً في حال الصَّحوِ ، وتارة في حال السُّكْرِ . هنيئاً لهم لأنه[٣] مقامــه ومشــهده مــن الشكر . والحَقُّ ليس في ذاتِهِ سواه ، ولا في سواه ذاته ، قال علي كرم الله وجهه : (كمال الإخــلاص لــه نفي الصفات عنه) ، أي : نفــي الصــفات الزائــدة ، وإلاَّ لا يمكــن نَفْــيُ الصــفات التــي هــي عَيْنُــهُ . المعرفةُ[٤] إِحاطةٌ بَعَينِ الشيءِ ، كما هو[٥] من إدراك حقيقة الشيء بذاته في صفاته على ما هو عليه ، بعينــه لا بصُورةٍ زائده مثلــه ، هــذا إدراك العرفــان ؛ واحْــتُرِزَ عــن إدراكِ العلــمِ ، فالمعرفــةُ ذوقٌ ، والعلــم حِجَابٌ . فسبحان من اختفى عن الخلق لشدةِ ظهورِهِ ، واحتجبَ عــنهم بــإشراقِ نــوره . وبالحقيقــة كل شيءٍ مفتقرٌ إليه في وجوده ، ولا حِجَابَ إلا الجهــل ، والتَلبِــيسُ والتَّخَيُّــل لِغَايَــةِ[٦] قُرْبــهِ وَدُنُــوِّهِ ، وفرط عِزِّهِ لِبُعْدِهِ عن الخليقةِ واتصاله بها . اللهم لا تحرم المقبلين[٧] ، بتحقيق العبودية المحضة الرقية ، جاري على الصراط المستقيم ، قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَــةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾[سورة فصلت : آية ٣٠] الآية . سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهــو الســميع البصــير . ذِكْرُنَا في المحجوبين لَعَــلَّ الرحمــةَ تَسْــتُرُ قبــائحهم ، ويغفــرَ اللهُ ذنــوبهم . قــال الله تعــالى : ﴿ فَــاخْلَعْ

(١) في (د) : يقال لي به ربي .
(٢) لعلَّ العبارة : وإن تكلَّم يتكلَّم بلسان الحقيقة .
(٣) لعله : هنيئاً له لأن ....
(٤) في الأصل : عينة المعرفه .
(٥) لعله : هي .
(٦) بمعنى : لِشِدَّةِ .
(٧) في (ب) : المقبلين إليه . وفي (د) : المقَلّدينَ إليه .

نَعْلَيْكَ ﴾[سورة طه : آية ١٢] ، خَلعُ النعلين عبارة عن التجريد الحقيقي ، تجريد حقيقه عن الكونين ؛ والإشارة إلى الذات أي الحق ، من حيث هو أول الأشياء ، في أزل الأزل . الإتحاد[١] هو شهود الوجود الحق المطلق ، الذي الكل به موجود بالحق ، فاحتجاب[٢] الحق تعالى بعزته ؛ لأن ذاته سبحانه لا يعرفها إلا هو ، ولا يراها أحد على ما هي عليه إلا هو . حقيقة الحقائق هي الذات الأحدية الجامعة لجميع الحقائق . والأسماء حضرة الجمع ، وحضرة الوجود . والحقيقة المحمدية هي الذات مع التعين الأول ، فله الأسماء الحسنى كلها ، وهو الاسم الأعظم ، حقائق الأسماء هي تعين الذات ونسبها ؛ لأنها صفات تتميز بها الأسماء بعضها عن بعض . حق اليقين [هو][٣] شهود الحق حقيقة في مقام عين الجمع الأحدي ، ظاهر السر من لا يغفل عن الله طرفة [عين][٤] بتخليص القلب المنور[٥] يفيض عليه من المعاني ، [فيخرج][٦] القلب عن الكون بإستيثار[٧] المُكُوِّنْ . قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩] ، فالنور كَامِنٌ في هذا التجلي ، ويبرز منه بتجلي الاسم الرحمن ، المشارُ إليه بقوله : (إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن) ، فَالنَّفَسُ للغيور[٨] سراج ، أي : الذي يغار على المحبوب[٩] ؛ حين الإستتار سراج لأنه يستوحش .

---

(١) في (ب) : الإيجاد ، في (د) : لايجاد .

(٢) في (ب ، د) : باحتجاب .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) .

(٥) لعل العبارة : من لا يغفل عن الله طرفة عين بتخليص القلب ؛ النور يفيض عليه من المعاني .

(٦) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) . وفي الأصل : فخرج .

(٧) لعله : بإيثار .

(٨) في (ب ، د) : للعيوب .

(٩) في (ب) : المحجوب .

والشوق والطلب ، فيجذب[1] إلىٰ حضرة المطلوب ، ويغيب[2] عن كل ما سواه . هذا النفس تجلي الأحدية ، قائم بإشارات الأزل ، إشارات الأزل امداد التجليات الذاتية ، من التجلي الأزلي الموجب لقيام الكل ، وهو الفيض الدائم السرمدي ، والتجلي الذاتي الأزلي الأبدي . ثم صدق قوله تعالىٰ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[سورة النور : آية ٣٥] ، هذا[3] موضع الكتاب المبين ، والعالم والأسماء الحسنىٰ ، لمن استرشد كل معلم منها فأرشده ، والله تعالىٰ كُلُّ الكُلِّ ، وإليه يرجع الكُلُّ ، والكُلُّ مُرْشِدٌ إليه ، ومُعَبِّرٌ عنه ، قال الله تعالىٰ حاكياً عن خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَباً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي ﴾[سورة الأنعام : آية ٧٦]، وَجْهُ الاستشهاد لشدة عطشه إلىٰ لقاء ربه ، كالعطشان كلما لَـمَعَ سراباً حسبه ماءً ، وخليل الرحمن عطشان إلىٰ لقاء ربه .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٧٨)

وانظر إلىٰ مُقَدَّمِ القوم ، الباب الأعظم لمدينة العلم ، وساقيهم من مشرب الكوثر ، الذي خص به نبينا ﷺ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، كيف ابتدأ بالإشارة في عين الحقيقة ، بقوله : (كَشْفُ سُبُحَاتِ الجَلالِ من غير إشارة) ، وهو محضُ تنزيهِ الذات عن التعدد[4] الأسمائية ، وأكده

---

(١) لعل العبارة : والشوق والطلب يَجذِبُ إلى حضرة المطلوب وَيغِّيبُ المطلوب ويغِّيبُ عن كل ما سواه .

(٢) في (ب) : ومغيب .

(٣) في (ب) : وهذا .... ؛ في (د) : وهو من ....

(٤) لعلَّه : التعددات .

بقوله : (صحو المعلومِ مع[1] محو الموهوم) ، إشارة منه إلىٰ فناء الرسوم كلها في أحديتها ، وصَرَّحَ بذلك في قوله : (جذبُ الأحديةِ بصفةِ التوحيدِ) ، وخَتَمَ بقوله : (نورٌ مشرقٌ من صبح الأزل فيلوح علىٰ هياكل التوحيد آثاره) ، إشارة لبيان معنىٰ الفرق في عين الجمع ، وبعينه معنىٰ أحدية الفرق والجمع . فالله تعالىٰ يسقينا وجميع إخواننا من هذا المشرب شراباً طهوراً . وقد استجاب لنا دعاء نبينا ﷺ ، ومنه الإتحاد ، وهو شهود الوجود الحق الواحد المطلق ، من حيث [كون][2] كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه . قوله تعالىٰ : ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ﴾[سورة الرعد : آية ٢٤] ، وقوله : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[سورة الأحقاف : آية ٣٥] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[سورة البقرة : آية ١٥٥-١٥٧] ، والصلاة والرحمة منه عليهم ، قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[سورة الزمر : آية ١٠] ، فعطاء الصبرِ بغير حساب ؛ لأنه أعز المقامات ، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[سورة السجدة : آية ٢٤] خطاباً لسيدنا ونبينا محمد ﷺ ، وقد ثَبَتَّ وأَيَّدَ الصابرين بالسعادة ، ومكافأتهم بالرضى والتسليم ، والصبر علىٰ الأذىٰ والإمتحان ، ونفي فعل المخلوقين . وزمامُ سائرِ الخصالِ الحميدة ومَلاكُ كل فضيلة ومكرمه ، وكل علو ورفعة ؛ هو الصبر الجميل ، قال الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه : (الصبر كفيل النجاة والمتوكل لا يغير ظنه) ، ورُوِيَ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال : (إن استطعت أن تعمل لله بالرضى واليقين فافعل ، فإن لم تستطع فاصبر ؛ فإن في الصبر علىٰ ما تكره النفوس خيراً كثيراً) السعادة الأبدية دنيا وأخرىٰ . قوله تعالىٰ : ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾[سورة المعارج : آية ٥] أي : الذي ليس فيه

(١) في (ب ، د) : صحو المعلوم محو الموهوم .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) .

شكوىٰ ، وامتَنِعٌ من الشكوىٰ إلىٰ الله ؛ إنه عليم بما ألقاه قبل مظهر عِلَّة الشكوىٰ ، فهو أعلىٰ مقام البتة ، إذا صح ذلك من العبد ؛ ظهرت شمسُ الأسرار ، ومطالع الأنوار الإلهية ، وتولت المِنَّة ، ورشحتْ علىٰ قلبه الأنوار بلا واسطة ولا سبب إلاَّ بالمنة . قوله : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[سورة الذاريات : آية ٥٦] أي ليعرفوني ، ولهذا قال النبي ﷺ : (من عرف نفسه عرف ربه) ، وقال ﷺ : (عرفت ربي بربي) أشار بذلك ﷺ إلىٰ أنك لست أنت أنت ، بل هو بلا أنت ، لأن من أضاف[1] معرفة الله تعالىٰ إلىٰ فناء الوجود ، فإن ذا غلطاً وسهواً واضحاً ، نسأل الله العافية ، فإن معرفة الله لا تحتاج إلىٰ فناء الوجود ، ولا إلىٰ فناء عن فنائه ؛ لأن الأشياء لا وجود لها حالاً ، ولم يقل ﷺ من أفنىٰ نفسه عرف ربه ؛ فإن الإثبات يناقض ولا له مجال ولا ثبات ؛ بل في محل المحو[2] . فليس لله شريك ولا نِدٌ ولا كفؤٌ ، وكُلٌّ محتاجٌ إليه سبحانه وتعالىٰ ؛ بلا كيف ولا أين ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] بالظاهر والباطن ، بلا شك ولا ريب ؛ بل يُرَىٰ ﴿كل يوم هو في شأن﴾[سورة الأنعام : آية ١٨] ، من إظهاره وجوده بلا كيفية ؛ لأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم . ظهر بوحدانيته ، وبطن بفردانيته ، تنزه أن يكون غيره[3] ، هو بلا غير ؛ ولذلك قال النبي ﷺ : (موتوا قبل أن تموتوا) أي : اعرفوا أنفسَكم قبل أن تموتوا ، وقال ﷺ عن الله : (لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه ؛ فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً) إلىٰ آخره . وانظر واخلص إلىٰ هذه المعاني والمخاطبة ، نص القرآن العظيم : ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[سورة يوسف : آية ١٠٨] الآية ، فعليك بالعلم اللدني فهو بيان .

---

(١) في (ب) : مَنْ أضاف .

(٢) لعله : بل هو في محل المحو .

(٣) لعله : تنزَّه أن يكون غيره هو ، هو بلا غير .

﴿ فصل ﴾

(١٧٩)

واعلم أن الغفلة قطعت بالأكثرين عن معرفة الله ، جل ذكره وعظم شأنه ، تعود عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ورحمته شاملة ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[سورة النحل : آية ٥٣] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[سورة الرعد : آية ٢] ، المعنىٰ في ذلك أَبْيَنُ من الشمس الضاحية . وهو شمس حقيقة الذات الأحدي ، حاوي المعاني ، وهذا موضع الكتاب المبين ، ولسان العبارة . والاعتصام بالله التَّوَقِّي عن كل موهوم ؛ أي : عن كل ما سوىٰ الحق ، فإن وجودَ الغير موهوم ؛ أي : كل ما سوىٰ الحق فانٍ . وانظر إلىٰ تحقيقه بالحق في مقام[١] الشهود كلها ؛ لصفاء فطرته وحسن سيرته ، الذي أقسم به[٢] الله في القرآن العظيم ، والدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة ، مع ثباته علىٰ الصراط المستقيم ؛ أي : هو طريق التوحيد الذاتي المحمدي ﷺ . وإياك أن تقف مع العلم ، فإن العلم حجاب ، وإذا فَنِيَ الحجابُ ظهر شهود الحق ؛ بانكشاف التجلي للقلب المنور ؛ لأنه المضغةُ التي إذا صَلحت صلح الجسد كله وضده ؛ قوله : ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] . نورُ القلب ظِلاًّ[٣] ، لظهور الكل بالنور وعدميته في نفسه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[سورة الفرقان : آية ٤٥] ، أي بَسَطَ الوجودَ الإضافي علىٰ الممكنات ، فالظلمة بإزاءِ هذا النور هو العلم[٤] بكل ظلمة ، فهو عبارة عن عدم النور ، كما إن من شأنه أن يتنور ؛ ولهذا سُمِّيَ الكفر ظلمة ؛

---

(١) لعله : مقامات الشهود كلها .

(٢) لعلَّ العبارة : وهو صلى الله عليه وآله وسلم الذي أقسم ..... الخ .

(٣) في (ب) : ظلال ... ، وفي (د) : ظلا لظهور ....

(٤) في (ب) : هو العدم لكل ظلمه ، في (د) : هو العدم الكل ظلمه .

لعدم نور الإيمان [على][1] قلب الإنسان ، قوله تعالى : ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾[سورة البقرة: آية ٢٥٧] الآية ، لأن تلك الحقائق أيضاً عين ذاته حقيقة ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾[سورة طه : آية ١١٠] ، ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩١] ، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣٠] ، فإذا علمت أن الوجودَ هو الحق ؛ عَلِمتَ سِرَّ قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[سورة الحديد : آية ٤] ، وقوله : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾[سورة الواقعة : آية ٨٥] ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾[سورة الزخرف : آية ٨٤] وقوله : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[سورة النور : آية ٣٥] ، وقوله : ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً ﴾[سورة النساء : آية ١٢٦] . هداية المستبصرين بلسان أهل النظر ، واجب الوجود واجب بذاته ، إذ لو كان ممكناً لكان له مُوجِداً أَوْجَده ، فليزمُ تقدمُ شيءٍ عليه ـ تعالى الله ـ ؛ لأن الممكن في وجوده يحتاج إلى أصله ، وهو غيرُ موجودٍ عندنا ؛ لكونه لا يتحقق في الخارج إلا بالوجود[2] ، إذ عند زوال الوجود[3] ـ [عنه][4] مطلقاً ـ لا يكون إلا عدماً محضاً ، فتأمل ما أقول لك به ، واسمع بأُذْنِي قلبِك عالم الغيب والشهادة ، قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[سورة الشورى : آية ١١] الآية ، واعتبارُ المفروضاتِ غير اعتبارِ الوجودِ ، وذلك يتعين في كلام أهل الله ؛ لأنهم ذهبوا إلى أن الوجود باعتبار تَنَزُّلِهِ في مراتب الكون والنظر[5] ، إلا من نور الله بصيرته ، [وفهم][6] وأمعن النظر فيه ؛ لا يعجز عن دفع الشبه الوهمية والمعارضات ، الباطلة والله المستعان وعليه التكلان .

---

(١) ما بين المعقوفتين في (د) . وفي الأصل : عن . ولعله : في قلب ....

(٢) لعله : الإيجاد .

(٣) لعله : الإيجاد .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) ، وفي الأصل : عند .

(٥) لعله : وكل من .

(٦) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : وافهم .

﴿ فصل ﴾

(١٨٠)

انظر إلىٰ المرتبة الإلهية ، المسماة عندهم بالواحدية ، ومقامِ الجمع ، فهي مرتبة الاسم الرحمن ، والعقل[١] الأول المُسَمَّىٰ بلوح القضاء ، وأم الكتاب والقلم الأعلىٰ ، والرحيم المسمىٰ بلوح [القدر][٢] وهو اللوح المحفوظ ، والكتاب المبين ، وحقيقة الأمر ونفس الأمر ، فإن الصفات الإضافية لها كلها ، وجزئياتها صغيرها وكبيرها جُمَلاً وتَفصيلاً عينية وعلمية ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . فإن قلت العلم تابع للمعلوم ، وهو الذات الإلهية وكمالاتها ؛ فكيف يكون عبارة عن نفس الأمر ؟ ! ؛ لأن علوم الأكوان ظِلال . وأسسوا قواعد العقائد علىٰ أصح الأصول ، وأوضحوا السَّبيل المَصُونِ عن التشبيه والتمثيل . فاعرف مرتبة القِدَمِ الأزلي ، ونفي الحدث العدم ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] . وَسُمِّيَ العالمُ كل موجودٍ سوىٰ الله تعالىٰ في وجوده ، وهو أن الله تعالىٰ قَيَّومٌ موجودٌ قديم واحد أحد فرد قائم بنفسه ، لا يُشْبِهُ شيئاً ولا يُشْبِهُهُ شيءٌ . ولما كانَ المبعوثُ إلىٰ الخلقِ تارةً من غيرِ تشريعٍ وكتابٍ من الله ، وتارةً بتشريع وكتابٍ منه سبحانه ؛ انقسمَ النبيُّ إلىٰ مرسلٍ وغيرِهِ ؛ فالمرسلون أعلىٰ مرتبةً من غيرهم ؛ لجمعهم بين المراتب الثلاث : الولاية ، والنبوة ، والرسالة ، فيأخذون الوحي منهم ، ورسالتهم إلىٰ جهة بشريتهم عليهم ، فبَلَّغوا ما نَزَلَ عليهم من الوحي ، وخُتِمَت بنبينا محمد ﷺ ، نص القرآن : ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[سورة الأحزاب : آية ٤٠] . واعلم أن الحقيقة الإنسانية ، هي الظاهرةُ[٣] بهذه الصُّورِ في العالَمِ الكبير ، وكذلك في العالَمِ الصغير الإنساني مظاهر وأسماء بحسب

(١) في (د) : الفعل .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) . وفي الأصل : القدرة .

(٣) في (ب) : وهي الظاهرة .

ظهوره ومراتبه . قوله تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ﴾ [سورة طه : آية ٧] ، وقوله : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [سورة الإسراء : آية ٨٥] ، وقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [سورة ق : آية ٣٧] أعني : قلبَ من كشفَ اللهُ نُورَ بصيرتِهِ : فأدرك التجلي ، فهو يرىٰ ما لا ترون ، ويشهدُ ما لا تشهدون ، وهي عبادةُ المخلصين الماضين علىٰ الصراط المستقيم . قوله تعالىٰ : ﴿ اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ [سورة الشورىٰ : آية ١٩] أهلُ الكشفِ والشهودِ ؛ بدوام الاسترسال في اليقين بالعين الثابتة ، والحضرة الأحدية ، وحصول الإطلاع علىٰ المعاني المعنوية ، وارتفاع الحجب عنه كلِّها ، أو بعضها دون بعض ، فإن المشاهد للأعيان ، والمحو والإثبات بقوله تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج : آية ٤٦] ، قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف : آية ٤٣] وهي حضرة الجمع ، وقد نَبَّهَ عليه لنا بشيراً ونذيراً وهادياً ونصيراً ، ومن لطفه سبحانه وتعالىٰ ، وعز شأنه تعالىٰ عما يقول الظالمون علواً كبيراً . ومن كشف له الحق صورة تلك النسبة إليه هي الهداية ، فله أن يكون العبد في مظهر الحق له ، فأظهر الكل بالكل ، وصدر الكل في الكل ، وظهرنا به وله ، ولنا نسبتنا إليه ، وافتقارنا من كل الوجوه ، وهو الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

❊ ❊ ❊

﴿ فصل ﴾

(١٨١)

[وانظر](١) إلىٰ حقيقة الذات صرفاً محضاً ، وهو مطلبه الرفيق [الأعلىٰ](٢) الرحماني ـ ومعنىٰ الرفيق التَّحْقِيقُ ، وإثباتُ العينِ الواحدةِ ـ فَتَجَلَّىٰ عليه نفسُ الرحماني ، وكشف النقاب . فعليك بلزوم الباب ، واشهد المعنىٰ ؛ تأتيك أنوار الكشف الجلي . والكشف والشهود والإطلاع بدوام الاسترسال ، التعين بعيون(٣) ذلك الجمال ، والتجلي ذلك الجلال . وعرفت تحقيق الحقائق والكمال ، وصحة تجليات الذات بنسبة أهل القرب(٤) ، وهم الذين استراحوا من هموم التَّعب ، وزال عنهم حُكْمُ وجود الألم والنَّصَبْ ؛ بعد التمكن بتحقيق أمر العظمة ، والتجلي المعروف . فهم الذين ذهبوا إلىٰ تحقيق المعاني ، وضبطوا أوقاتهم يطلبون مقام عين اليقين ، وهو تحقيق أمر المعاني وأساس المباني ، من معارف أهل أكمل الكمال ؛ لأنهم في مقام الزُّلْفَىٰ تابعين لأثار النبي المصطفىٰ ﷺ في ذاته وصفاته وجميع أسمائه الحسنىٰ ، لأنه دليلُهم هنالك ، والمشيرُ عليهم بذلك في قوله(٥) : لما قضىٰ من عالم الدنيا نحباً ، وَوُلِّيَ قلبَ المراتب في الرفيق الأعلىٰ ، فهو كاشف الأسرار ، قرة عيون المحققين ، وارث الأنبياء والمرسلين ، حائز الولاية المحمدية ، كاشف الأسرار الإلهية ، ورافع القناع عن وجوه عرائس معانيه ؛ التي فاضت علىٰ قلبه المنور وروحه المطهر ؛ من حضرة العليم الخبير الحكيم القدير ، بالتجلي منه إليه ، والدنو منه ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[سورة النجم : آية ٩] ، والتدلي إليه . [فَكُنْ](٦) تابعاً

(١) ما بين المعقوفتين في (ب ، د).

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب ، د).

(٣) في (ب): اليقين بعيوب ، وفي (د) : والتعبير بعيون ذلك ... ولعل العبارة : .... والاسترسال ، والمعاينة بالعيون لذلك الجمال ، والتجلّي من ذلك الجلال ، ومعرفة..

(٤) في (ب ، د) : وصحة تجليات الذات ، وهي نسبة تجليات ...

(٥) في (ب) : في قوله تعالى .

(٦) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل: فكان .

لأصله ، ممتثلاً لأمرِهِ ، مُنقاداً لحكمه ؛ فتكون من أهل مرتبة التوحيد ، توحيد الحقيقة الإنسانية ، فإن أهل الله العارفين أهل اليقين ، كشف لهم اليقين ، أهل أصول الاهتداء ، الذين زكت نفوسهم واقتدوا ؛ فكانوا على الطريق القويم . والتوفيقُ في مقام التحقيقِ ، الذي بمعرفته طالت أعناق أهل اليقين ، واليقينُ هو نورٌ محضٌ ، إذ به تُدْرَكُ الأشياء كلها ؛ لأنه ظاهر[1] لذاتِهِ مظْهِرٌ لغيره ، ومُنَوِّر سماواته . ومرتبة الألوهية أنه بهوِيَّتِهِ مع كل شيءٌ وبحقيقته مع كل حي ، وهو عين الأشياء ، بقوله : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة الحديد : آية ٣] ، فكونُهُ عينُ الأشياء بظهورِهِ في [عين][2] ملابس أسمائه وصفاته ؛ في عالمي العلم والعين ، وكونه غيرها باختفائه واستعلائه بصفاته ؛ فتقدس عن كل شيء سواه ، والأشياء متلاشية ، قوله : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [سورة غافر : آية ١٦] ، وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ؛ في عِلْمِ الواحد ، والله تعالى أعلم . الإشارة لمن[3] فهم سر ذلك ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[سورة الرعد : آية ٢٤] فما ظهرت الأنوار إلا من الحق ؛ من كل وُجْهَةٍ على كل وَجْهٍ ، فاستوى السر والجهر ، والذي لا يفهم ويجهل طريق الحق أعمى ، شعراً[4]:

تَجَلَّى لِي الْمَحْبُوبُ فِي كُلِّ وُجْهَةٍ فَشَاهَدْتُهُ فِي كُلِّ مَعْنَىً وصُورةِ

وأما في أهل الشهود ، إذا صح لذلك[5] في عبد من عباده الفضلاء ، سمى[6] بكل اسم ، ويرجع بكليته بكليته إلى بشريته وضعفه ، وهو كماله . فانظر إلى ما أشرْنا به عليك من هذا الفن والعلم اللدني ،

---

(١) في (ب ، ج) مظاهر .
(٢) ما بين القوسين في (ب).
(٣) في (ب): الإشارة إلى فهم سرِّ ذلك ... وفي (د) : وقوله لمن .... .
(٤) في الأصل: وقال بيت شعراً .
(٥) في (د): وإذا صلح ذلك ، ولعله : إذا صح ذلك .
(٦) في (ب ، د): سمي .

والذوق الصِّرْفِيّ والمشرب الهني من المعدن المحمدي ﷺ ، وسنة الخلفاء من بعده رضي الله عنهم أجمعين .

﴿ فصل ﴾

(١٨٢)

ومن قرت عَيْنُهُ ، وظَهَرَ له وجودُ الحَقِّ ، وتَطَلَّبَ[1] منشأ حقائق الأسماء الإلهية ، وقد كان [أحدي][2] العين بالصورة الظاهرة ؛ التي عين الحقيقة فيه ، الذي هو حامل لنا بذاته ، وكانت تَتَجَلَّىٰ له صُورةُ العلم ، مع الأحدية من تعلم ومن العلم[3] للموتجه المخلص الصادق في الإقبال ، وكان التعليم الكلي الإلهي ، الذي قد خَصَّ الله بالإطلاعِ عليه من شاء من عبادهِ المتقين ، أهلُ رتبة الكمال . فالإيمان أَوَّلَهُ الإسلام ، ثم الإيمان ، ثم المعرفة ؛ ونصيبه[4] له في رحمة الله ، و﴿ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِّ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[سورة يوسف : آية ٨٧] ، فامتثل واتبع الهداية علىٰ أوامر الله سبحانه وتعالىٰ لنبيه الخاتم للرسالة محمد صلىٰ الله عليه سلم ، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[سورة الحشر : آية ٧] الآية . فلا يكون مع أهل الله الكمل هذا المشهد إلا لأنهم امتثلوا ومشوا علىٰ دقيق الصراط المستقيم ، علىٰ الشريعة المطهرة الحاوية لكل كمال ، ﴿ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[سورة البقرة : آية ١٨٠] ، وقال تعالىٰ : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾[سورة المائدة : آية ٤٨] ، أي : أحسن الطرق إلىٰ الله سبحانه . والحمد لله علىٰ ما حصل من التوفيق علىٰ أمر ربه ، فكان هو أمر النبي ﷺ ، ونَبَّهَ عليه رسول الله ﷺ بقوله عن ربه : (كنت كنزاً مخفياً لا أعرف ؛ فأحببت أن أعرف) ، فلولا هذه السابقة في المحبة ؛ ما

(١) في (د) : ويطلب .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ج ، د) وفي الأصل: احدى .
(٣) لعله: العمل .
(٤) في (ب) :ويصيبه ، في (د) : وتصبيه .

ظهر العالمُ في عينه . فَأَخْرَجَتْهُ من العدمِ إلىٰ الوجودِ حَرَكَةُ المُوجِدِ لذلك . فانظر إلىٰ رتبة المعرفة ؛ التي لا معرفة ورآها ، وهي تَظْهر [لها][1] لوائحُ وأنوارٌ علىٰ ظواهر الجوارح ؛ فَتُذْهِبُ عنه الكَسَلَ في الطاعاتِ والملل ، والقلب عن الزلل[2] ، والفناء[3] عن رؤية العمل . فلا تكون السعادة إلا بسابقة التوفيق ، قوله تعالىٰ : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٢٥] ، ويَهْدِ قلبَه ، ويحق أن يصعد العبدُ إلىٰ رتبةِ التحقيق بالتعليم ، فصعوده بها إلىٰ درجة اليقين ؛ يكون بالإخلاص الروحاني ، والخُلُق الرحماني ؛ قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[سورة القلم : آية ٤] ، فهو من خُلُقِهِ الحُسْنُ والبهاء والرِّفعة والسناء . فتأتيكم المنةُ الكبرىٰ من الجبروت الأعلىٰ ، فلا ترجع إلىٰ عالم الفكر بالرَّوِيِّة ؛ فتحجب عن تجلي ذلك ، فكن من أهل الفهم عن الله في كتابه وأسراره . وهم أهل الهداية والتوفيق والفهم بالله تعالىٰ ، كما قال ﷺ حاكياً عن ربه : (كنت لسانه الذي ينطق به) ، وقال رسول الله ﷺ : (إن أهل الله عن الله يتكلمون بالحكمة) ، والقرآن له ظاهر وباطن ، فأهل الباطنِ فهموا عن الله أسراراً غامضةً ؛ في أطوار إرادته وحكمته البالغة ، والمقصود الشهود . والتحقيق في الرسل كلهم ؛ فيما أخبروا به في حياتهم الدنيا . وأراد خالد ﷺ[4] إيمانَ العالم كُلَّه ؛ بما جاءت به الرسل ؛ ليكونَ رحمةً للجميع ؛ لأنه أشرفَ بقربِ نُبُوَّتِهِ من نبوةِ محمد ﷺ ، إن الله أرسله رحمة للعالمين[5] ، وإلا لم يكن خالد برسول [الله][6] ، فأراد أن يحصل من هذه الرحمة في الرسالة المحمدية علىٰ حظ وافر ، ولا هنا شك ولا خلاف . والكل من هذه الرحمة المحمدية بقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[سورة الأحزاب : آية ٤] ، وصح له مقام الجمع ، وأنه أوضح دليل وأعظم مِنَّة

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب ، د).

(٢) لعله: وتحفظ القلب عن الزلل ، وتُفْني عن رؤية العمل .

(٣) في (ب) : وتغني .

(٤) المقصودُ بِهِ : النبيَّ خالد بن سنان عليه السلام ، النبي الذي أضَلَّهُ قَومه ، والمدفون في جبل شمسان بِعَدَن ، كما جاء في بعض الأخبار .

(٥) لأنه اسْتَشْرَفَ لقرب نبوته من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن يرسله الله رحمة للعالمين.

(٦) ما بين القوسين في (ج).

وهداية وتوفيق إلىٰ سواء السبيل . وإن طلبت ثبوت المعرفة بالله ، ونتائجُ المعرِفَةِ لها طرقٌ ، وأسناها أن تعرف نفسك ؛ فتبقىٰ في مقامِ العجز ، فقال : (العجز عن إدراك ذاك إدراك) ، فَلَمَّا عرفتَ نفسَكَ ولا عَرَفْتَ رَبَّكَ ؛ فارجِعْ إلىٰ ما قلناه : أن تَعْرِفَها فَتَعْرِفَ رَبَّكَ . فكان محمد ﷺ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[سورة الحجر: آية ٢٩] . ويكون في إقامةِ العَالَمِ دَليلٌ علىٰ أَصْلِهِ ؛ أي : الذي هو رَبَّهُ ، وهو يُدْرَكُ بمظاهرِ أسمائه وصفاته ؛ ظهرت في العلم ثم في العَينِ بحسب إظهار آياتِهِ ، ورَفْعِ أعلامِهِ وراياته . فنظر[1] كثرةَ الصور ، وهو علىٰ وحدته الحقيقية ، وكمالاته السرمدية ؛ لأن تلك الحقائق عينُ ذاتِهِ . وهو يدركُ حقيقةَ الأشياءِ بما يُدْرِكُ حقيقةَ ذَاتِهِ ، لا بِأَمْرٍ آخر كالعقل الأول وغيره ؛ لأن تلك الحقائق عينُ ذاتِهِ ، وإن كانت غَيرَه تَعَيُّناً ، ولا يُدْرِكُهُ غَيرُهُ ؛ قوله تعالىٰ : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، وقوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾[سورة طه : آية ١١٠] ، وقوله : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩١] ، وقوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣٠] ، وهذه رحمة سابقة لهم ؛ لئلا يضيعوا أعمارَهم فيما لا يمكن حصوله . وإذا عَلِمْتَ سِرَّ قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[سورة الحديد : آية ٤] ، وقوله : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾[سورة الواقعة : آية ٨٥] ، وقوله: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[سورة الذاريات : آية ٢١] ، وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾[سورة الزخرف : آية ٨٤] ، وقوله : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[سورة النور : آية ٣٥] ، وقوله : ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً ﴾[سورة النساء : آية ١٢٦] ، وقوله[2] : (كنت سمعه وبصره) ؛ عَلِمْتَ أن الوجودَ عَنْهُ مطلقاً لا يكون إلا عَدَماً محضاً ، وأيضاً الوجود لا حقيقة له زائدة علىٰ نفسه ، قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[سورة الأنعام : آية ١١] الآية .

(١) لعله : فانْظُر .

(٢) في الحديث القدسي .

* * *

﴿ فصل ﴾

(١٨٣)

حقيقة الوجود [و] [١] تحقيقه العدم ، صورة بطلانِهِ ظاهرة . ثم العارف بالله يكون شَوْقُهُ شَديدٌ إلىٰ لقاء ربه ، فقال : (يا داوٗد قل للمشتاقين [إني أشد شوقاً إليهم] [٢]) وهو لقاء خاص ، وفي الحديث : (لن يرىٰ أحدكم رَبَّهُ حتىٰ يموت) ، فلا بد من الشَّوق لمن هذه صفته ، فلا تزال قلوبُ العارفين الذائقين الشائقين لها حنينٌ وأنين إلىٰ [الخاصية] [٣] التي لا وجودَ لها إلا عند الموت . فَشَوْقُ الحَقِّ لهؤلاءِ المقربين مع كونِهِ يراهم ؛ فَيُحِبُّ أن يروه ، وفي حديث التَّرَدُّدْ وهو من هذا الباب ، (ما تَرَدَّدْتُ في شيء أنا فاعله ؛ تَرَدُّدِيْ في قَبْضِ نَفْسِ عبدي المؤمن ؛ يَكْرَهُ الموتَ ، وَأَكْرَهُ مُسَائَتَه ، ولا بُدَّ له من لقائي) فَبَشَّره بلقائه ، وما قال : ولا بد له من الموت ؛ لئلا يَغُمَّهُ بذِكْرِ الموتِ . فَأَبَانَ أنه نفخ فيه من روحه ، فما اشتاق إلا [إلىٰ] [٤] نفسه ، أَلا تراهُ خَلَقَهُ علىٰ صورتِهِ ؛ لأنه من روحه ، فهو يشيرُ إلىٰ نَفَسِ الرحمن ؛ فَحَنَّتْ إليه حنين الشيء إلىٰ وطنِهِ ، فَحَبَّبَ إليه النِّسَاءَ ، فإن اللهَ أَحَبَّ مَنْ خَلَقَهُ علىٰ صورته ، وأَسْجَدَ له ملائكته المقربين ؛ علىٰ [عِظَمِ] [٥] قدرِهِم ومنزلتهم وعلو شأنهم ، الطبيعية [٦] . ومن هناك وقعت المناسبة ، والصورة أعظم [٧] مناسبةٍ وأجلها وأكملها ؛ فإنه زوج [٨] أي : شَفَعَتْ وجودَ الحق ؛ كما كانت المرأةُ شَفَعَتْ بوجودِهَا الرَّجُل [فَصَيَّرَته زوجاً لها] [٩] ، فظهرت الثلاث :

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) .

(٣) ما بين المعقوفتين في (د): وفي الأصل : الخَاصة . وفي (ب) : وأنس الخاصية .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ج ، د) ، وفي الأصل : عظيم .

(٦) في (ب) : الطبيعة .

(٧) في (ب) : الأعظم .

(٨) في (ب ، د) : روح .

(٩) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) .

رَجُلٌ ، وامْرَأَةٌ ، وربٌّ ؛ فَحَنَّ الرَّجُلُ إلىٰ رَبِّهِ ـ الذي هو أصله ـ حنينَ المرأةِ إليه ، فَحَبَّبَ إليه رَبُّهُ النساءَ ؛ كما أَحَبَّ اللهُ من هو علىٰ صورتِهِ ، فما وقع الحب إلاَّ لمن تكون عنه ؛ وقد كان حُبُّهُ لمن تكون(١) عنه ، وهو الحق ؛ ولهذا قال [ﷺ](٢) : (حبب إليَّ) ، ولم يقل : أحببتُ ، مِنْ نَفْسِهِ ؛ لِتَعَلُّق حُبِّهِ حُبِّهِ بِرَبِّهِ ، الذي هو علىٰ صورتِهِ ؛ حتىٰ في محبته لامرأته ، فإنه أحبَّهَا بِحُبِّ الله إيَّاه . والحَقُّ غيورٌ علىٰ عبدِهِ أن يعتقدَ أن يَلْتَذَّ بغيره ؛ ولهذا أحب ﷺ النساء ، لكمال [شهود](٣) الحَقِّ فِيهنَّ ؛ إذ لا يُشَاهَدُ الحَقَّ مُجَرَّداً ، وهو أَكْمَلُ مَجْلىٰ ، وكان فضل الله عليه عظيماً . وهو الوصلة الإلهية ، فقال : ﴿ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾[سورة الإنفطار: آية ٧] ، ونَفَخَ فيه من رُوحِهِ ؛ الذي هو نفسه ؛ فَظَاهِرُهُ خَلْقٌ وبَاطِنُهُ حَقٌّ ، فقال عليه السلام : (حُبِّبَ إِليَّ من دُنْيَاكُمْ ثلاث : النساء ....) ولم يَقُلْ : المرأةَ ، فَرَاعَىٰ تَأَخُّرهِنَّ عنه في الوجودِ ، فَعَلَّمَهُ اللهُ ما لم يكن يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيما ، والحمد لله رب العالمين .

تم النصف الأول ويليه النصف الثاني

ابتدأه فصل : فاقصد الحضرة الإلهية



---

(١) في (ب) : يكون .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السِّيَاق .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب ، د) وفي الأصل : الشهود .

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتداء الجزء الثاني

﴿ فصل ﴾

(١)

فاقصد الحضرة الإلهيَّة، واسلك الطريق[1] ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : آية ٤] ، ومن شاهد هذا المقام؛ شاهد الاسم الذي بيده الختم الإلهي، وكيفية فعله في الوجود؛ فبه تختم النبوة والرسالة والولاية، وبه تختم[2] القلوب المعتني بها، فلا يدخل فيها كون بعد شهود الحق، بحكم التحكم والملك؛ لكن يدخل بحكم الخدمة والأمر، وحكم الطبع من جهة السر الرباني المختوم عليه[3]، الذي هو بيت الحق ، ومقعد صدق ، ومن هنا كان الأنبياء صلوات الله عليهم . والختم في الحقيقة المحمديّة، هو التجلي من اسمه الجميل، فقيَّد البواطن عن التصرف الذي ينبغي لها، فسبحانه وتعالى و﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة الرحمن : آية ٢٩] ؛ بل وجوده من ذاته لذاته ، علم الأشياء من علمه بذاته؛ فخلق ما علم، فعلمه المحيط[4] بجميع الأشياء، لا يفوته شيء جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، ولا إله غيره، جل وتعالى علواً كبيراً، ومن هنا التوحيد غض الطرف عن الأكوان، [بمشاهدت من هو][5] منزه عن كل نقصان، الاسم القدوس أي المنزه عن أحكام الإمكان والحدوث[6]، [والتجلي الذاتي][1] من تجلي الأزلي ، الموجب لقيام الكل، بالأمداد

---

(١) في (ب) الطريقة .

(٢) في (ب) يختم .

(٣) في (ب) في المحتوم.

(٤) في (ب) محيط .

(٥) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل (أ) و (جـ) بمشاهد هو .

(٦) في (ب) الحوادث .

الاتصالية وهو الفيض الدائم السرمدي ، والتجلي الذاتي الأزلي الأبدي ، إذ لو لم يكن هذا التجلي من الأزل إلى الأبد ، لم يبق شيء أصلاً فلا شريك له ، قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة النور : آية ٣٥] ، وهو الخارجي الظاهر بذاته، المظهر للكل ، والتجلي الذاتي الأحدي المعبر عنه بهذا النفس ، هو أصل جميع الأسمائيه ، كامن في الذات الأحديَّه ، بالنور[٢]كامن في هذا التجلي ، ويبرز منه بتجلي اسم الرحمن ، ومن كان سراج الإيمان في قلبه المنور ، ومعراجه بنور التجلي الرافع بالعلم ، الشاخص إلى روح المعاينة ، فهو معراج يعرج بالقاصد إلى حضرة المقصود ، والنفس نور يطهره من دنس الكون ؛ لطلب الإقتفاء بالإتباع والإمتثال ، وإن كان ينطق بجماله[٣]، كان إخباراً بالحق عن الحقيقة على ما هي عليه ، لا فخراً وإظهاراً لوراثة سيد المرسلين ؛ بصحة المتابعة في قوله : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)والله الموفق .

* * *

﴿فصل في اسم الله﴾

(٢)

من كان يسأل التعرف بربه ، الطالب للعلم به إن شاء الله ،هو أن ينظر[٤] في كل ما يقع عليه بصره أو سمعه أو علمه ؛ فيطلب ربه الله فيه وبه ومعه ، دون توهم طرفية ولا معية صحيحة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[سورة طه : آية ٩٨] إلحظ له وحده

---

(١) ما بين القوسين (ب) وفي الأصل (أ) ، (جـ) والحدوث والتجلي ، التجلي الذاتي من تجلي الأزلي .
(٢) هكذا في الأصل ولعلّها : والنور .
(٣) في (ب) كماله .
(٤) هكذا في الأصل ولعلّ العبارة : طالباً للعلم به ، إن شاء الله ؛ ينظر في .....

لا شريك له ، وقد فصل بهذا الخطاب ما حكم في الاسم ، وما حكم في الخطاب [فصله(١)] في ساير القرآن والوجود أجمع ، فافهم فإنه ملأ كل شيء وجوداً و إحكاماً ليس يعزب عن علمه وقدرته ومشيئته مثقال ذرة في الوجود ، وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[سورة الشورى : آية ١١] ، فانظر إلى حقيقة الحقائق ، هي الذات الأحدية الجامعة لجميع الحقائق ، وتسمى حضرة الجمع ، وحضرة الوجود ، الحقيقة المحمديّة هي الذات ، وحق اليقين هو شهود الحق ، والحقيقة في مقام الجمع بالأحدية(٢) ظاهر السر ، فخلص قلبك من الكون باستئثار(٣) المكون ، اللبس هي الصورة العنصريّة ؛ التي هي تلبس الحقائق الروحانية قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩] ، المتحقق بالحق في الحديث القدسي : (أوليائي تحت فنائي(٤) لا يعرفهم غيري) ، المتحقق بالحق والخلق ؛ من يرى أن كل مطلق في الوجود حقيقة واحدة ، له وجه مطلق ووجه مقيد بكل قيد ، ومن شاهد هذا المشهد ذوقاً كان متحققاً بالحق والخلق ، والفناء والبقاء . محو العبودية ومحو عين العبد ، هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان ، فإن الأعيان شؤون ذاتية ظهرت في الحضرة الواحديَّة(٥) والحق يكون .سجود القلب هو فناؤه في الحق عند شهوده إياه ، والهادي إليه والمشار إليه قوله(٦) تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[سورة النحل : آية ٤٠] ؛ ولهذا لا يعرف الحق إلا الحق ، ولا يطلب الحق إلا الحق ، ولا يحب الحق إلا الحق ؛ لأن ذلك السر هو الطالب للحق والمحب له ، والعارف شمل الكل

---

(١) ما بين القوسين في (ب) في (أ ، جـ) فضّله .

(٢) في (ب) بحقيقته في مقام عين الجمع بالأحدية .

(٣) هكذا في الأصل ولعلّها : بإيثار .

(٤) في (ب) قِبائي .

(٥) في (ب) الأحدية الواحدية .

(٦) هكذا في الأصل ولعلّها : والمشار إليه بقوله تعالى .

برؤية الحق[1]، وهو مشرب أسنا المشارب ، وأعلاها يكون[2] مجمع البحرين ، ومقام قاب قوسين ، حضرة جمعية الأسماء الإلهية ؛ بتجلي عالم الجبروت ، وانكشاف عالم الملكوت ، المدبرات السماوية ، هي الأرواح القدسية ؛ بلسان الأسماء الإلهية من [النفس[3]] الرحماني ، ظهورها بصور الأعيان مظهر قائم بإشارات الأزل ، وهو النفس الذي [يسمى[4]] صدق النور ، والنفس الأول للعيوب سراج ، قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشورى : آية ١١] فنزّه ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى : آية ١١] فشبّه ، والقرآن تضمّن الفرقان ، والفرقان لا يتضمن القرآن ؛ ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ﷺ ، وهذه الأمة التي أخرجت للناس ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، فجمع الأمر في أمر واحد ﷺ ، قائد الغر المحجّلين ، وهو ﷺ الاسم الأعظم ، المبعوث برسالته إلى خير الأمم ، قُرَّة عيون المحققين ، وارث الأنبياء المرسلين ، خاتم الولاية المحمديّة ، كاشف الأسرار الإلهية ﷺ ،هو الروح الأعظم ، ومراتبه واسمائه ، في العالم الإنساني ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين ، كما رضي الله عنهم ورضوا عنه .

* * *

﴿فصل﴾

(٣)

فانظر إلى حقيقة ما قلناه لك من هذا العلم اللدني ، والحكمة البالغة ،وقواعده وأساسه أن تكون تعلم أن النشأة الأولى وإقامتها ومراعاتها واتباعها وامتثالك لها ؛هو قانون السعادة ، ولا

(١) في (ب) والعارف به يتجلى لكلٍ برؤية الحق .
(٢) في (ب) تكون .
(٣) ما بين القوسين في (ب) في الأصل من نفس الرحماني .
(٤) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : سمى .

يعلم قدر هذه النشأة الإنسانية التي هي جامعة الكمال ، إلا من ذكر الله الذكر المطلوب منه ؛ فإنه تعالى جليس من ذكره ، والجليس جليس الذاكر ، وهو جليس من ذكره ، والجليس مشهود للذاكر ، ومتى لم يشاهد الذاكر الحق الذي هو جليسه ، فليس بذاكر ؛ فإن ذكر الله تعالى سار في جميع العبد ، [إلا[1]] من ذكره بلسانه خاصّة ؛ فيرى أنه للسان خاصة ؛ فيراه من حيث لا يراه الإنسان ، فافهم هذا السر . وفي ذكر الغافلين ، والذاكر من حيث غفلته ليس بذاكر بلا شك ولا ريب ، إلا ذكر الخواص الكمَّل العارفين ؛ لأن العارف إذا ذكر هدمت صوامع الغفلات والهوى والنفس والترهات ؛ فلما حق ذلك الذكر الحقيقي أخذه إليه في الأمر كله . انتقالهم بصحة الذكر الحقيقي ، انتقالهم إلى دوام البقاء يكون[2] من السعداء لوجود الاعتدال ، قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً ﴾ [سورة الأنبياء : آية ٦٩] ، فنعيم أهل النار بعد استيفاء الحقوق نعيم خليل الله حين أُلْقِيَ في النار ؛ فإنه عليه السلام ما تعذب إلاَّ برؤيتها فقط ، وما تعود في علمه وسؤاله[3] ، فوقعت وجود الآلام عليهم برداً وسلاماً ، مع شهود الصورة الكونيّة في حقه وهي نار في عيون الناس ؛ فالمسمّى يتنوَّع في عيون الناظرين له ، فهذا هو التجلي الآلهي ، وهذا كله شائع في علوم الحقايق ، الذي[4] أمر بصيانتها ، قوله تعالى : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ [سورة هود : آية ١٢٣] أي في[5] التصرف ، وهو المتصرف فما خرج عنه شيء لم يكن عنه ؛ بل هويته هي عين ذلك الشيء ، وهو الذي يعطيه الكشف في قوله تعالى : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ ، وارجعْ في القول الحقيقي ، ونطق الشرع

---

(١) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : لا من ذكره .

(٢) هكذا في الأصل ولعلّها : يكونوا من السعداء ، (أو) يكون من السعد .

(٣) في (ب) وما يعود وفي الأصل : وما يعود في علمه وسؤاله ، ولعل العبارة : وما تعوّد في علمه سؤاله . إشارة إلى قول الخليل : علمه بحالي يغني عن سؤالي . والله أعلم .

(٤) هكذا في الأصل ولعلّها : التي .

(٥) في الأصل : فيه .

الظاهر ؛ لرفع الحرج[١] والعدل في الأحكام المشروعة كلها ، وكان عليه السلام ، إذا تعارضت[٢] الأحكام للأئمة في النازلة الواحدة ، فيعلم قطعاً أنه لو نزل وحي نزل[٣] بأحد الوجوه ، عدله هو الحكم الإلهي ، وما عداه وإن قررها الحق ، فهو شرع تقرير لرفع الحرج عن هذه الأمة ، واتساع الحكم بها ، وأما قوله عليه السلام : (إذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) هذا في الخلافة التي[٤] لها السيف ، وإن اتفقا فلابد من القتل لأحدهما ، بخلاف الخلافة المعنوية لا قتل فيها ؛ إنما جاء القتل في الخلافة الظاهرة ، وإن لم يكن ذلك خليفة هذا المقام ، وهو خليفة رسول الله ﷺ إن عدل ؛ فمن حكم الأصل الذي له به وجود تخيل إلهين ، قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [سورة الأنبياء : آية ٢٢] ، وإن اختلفا ؛ فنحن نعلم أنهما لو اختلفا تقديراً لنفذ حكم أحدهما ، فالنافذ للحكم هو الإله على الحقيقة ، والذي لم ينفذ حكمه ليس بإله ، وكل حكم ينفذ في العالم حكم الله سبحانه وتعالى ، والرجوع إلى امتثال سلطان المشيئة العظيمة ، ومن هنا الرحمة وسعت كل شيء ، [وأنَّها[٥]] سبقت الغضب الإلهي ، فالسابق متقدم ؛ فإذا لحقه هذا الحكم ؛ حَكَمَ عليه المتأخر ، فسبحان من دبر كل شيء بحكمته ، وأتقن [كل[٦]] ما صنع برحمته .

* * *

(١) هكذا في الأصل وفي (ب) لرفع في قوله الحرج .... ولعلّ العبارة : وارجع إلى القول الحقيقي ونطق الشرع الظاهر ، .... الخ ، أو لعلّ العبارة : و(يرجع) في القول ـــ أي الآية ـــ الحقيقة ، ونطق الشرع الظاهر ؛ لرفع الحرج .... الخ .

(٢) في (ب) وكان عليه السلام يقول إذا .

(٣) في (ب) لو نزل وحي بأحد الوجوه .

(٤) في (ب) الخلافة الظاهرة التي .

(٥) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : وإنما .

(٦) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : وأتقن ما صنع .

﴿فصل﴾

(٤)

واعلم أن الحقيقة المحمدية ؛ صورة الاسم (الله) ، لما كان مع الاسم الأعظم الإلهي ، وهون ربها ومنه الفيض ، والاستمداد على جميع الأسماء فافهم ، واعلم أن تلك الحقيقة [تَرُبّ[1]] صور العالم كلها ، بالرب الظاهر فيها الذي هو رب الأرباب ؛ لأنها هي الظاهرة في تلك المظاهر ، قال ﷺ :(خصصت بفاتحة الكتاب ، وخواتم سورة البقرة) وهي مصدّرة بقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة الفاتحة : آية ٢]فجمع جوامع عوالم الأجسام والأرواح كلها ، وهذه الربوبية إنما هي من جهة حقيقتها لا من جهة بشريتها ؛ فإنه من تلك الجهة عبد مربوب محتاج إلى ربه ، ونبه عليه بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾[سورة الكهف : آية ١١٠] ، وبقوله : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ﴾[سورة الجن : آية ١٩]، فسمّاه عبد الله ؛ تنبيهاً على [أنَّه[2]] مظهر لهذا الاسم دون اسم آخر ، ونبّه على الجهة الأخرى بقوله: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى ﴾[سورة الأنفال : آية ١٧] ، فأسند رميه إلى الله تعالى.

❊ ❊ ❊

---

(١) في الأصل : ترب ، ولعله : ترُبُّ فعل مشتق من الربوبيّة .

(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : على مظهر .

﴿فصل﴾

(٥)

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى ؛ من القول والفعل والعلم و العمل والنور والهدى ، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير ، وانظر إلى مطلب أهل التجلي ؛ إنما يتحقق به من ليس له مطلب سوى الحق ؛من حيث تعلق الهِمَّةِ ، لا من حيث الكسب والتعشّق بالجمال المطلق ، ولا يخاطب بهذا المقام إلا من له عزم وهِمَّة وطلب العرفان ، وفي مطلب معرفة[1] النفس ، ويكون إلى الوصول ـ إلى الله تعالى ـ في غاية الاشتياق والذوق مع نية القصد ، وقال تعالى : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٠٣]، فقوله تعالى : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ على أنه ليس غيره سواه ، يعني لا يدركه غيره ، بل مدركه هو الله على غيره لا هو ، فهو المدرك لذاته لا غير ، فلا تدركه الأبصار ، إذا الأبصار إلاّ وُجُوده[2] ، فهو سبحانه وتعالى يدرك وجوده بلا وجود الإدراك، وبلا كَيْفِيَّة لا غير ، ومن عرف نفسه لا يرى غير الله ، ومن لم يعرف نفسه لا يرى الله تعالى ، وكل إناء يرشح بما فيه ، ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [سورة الحشر : آية ٢٢] ، الكبير المتعال ، الظاهر الباطن ، وهو بكل شيء عليم ، قوله : ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ ﴾ [سورة الأعراف : آية ٤٣] .

* * *

---

(١) هكذا في الأصل ولعلّ العبارة : وهِمّة في طلب العرفان وفي طلب معرفة النفس .

(٢) هكذا في الأصل : إذا الأبصار إلاّ وجوده ، ولعل العبارة : إذ الأبصار ليست إلاّ وجوده .

﴿فصل﴾

(٦)

فاسلك طريق الهداية ؛ لتقبل عليك بنورها ، وتشملك هدايتها ؛ إذا كنت تدرك الكشف الجلي ، وتوضح طريق السعادة إلى محل النجاة (الصراط المستقيم) ، فكن في فنائك وذهابك إلى أسنى وأدق طريق الهداية ، مع التحقيق بالحق في مقعد صدق مجرد ، والعجز عن إدراك ذاك إدراك ، فافهم واستقم ، وأعني التجلي الحقيقة المحمدية ، وهو تجلي من اسمه الجميل ﷺ ، قال النبي ﷺ : (من عرف نفسه ، فقد عرف ربه) ، والنبي ﷺ عرف ربه في الابتداء ، وسلك الطريق بالمعرفة ؛ ولهذا ابتداؤه انتهاء الصديقين ، وانتهاء الصديقين ابتداؤه ، ومن تقدم في الانتهاء ابتداؤه العشق ، وابتداؤهم الشوق ، وشتان ما بينهما ، (العشق والشوق) . ليس في المقامات مقام أعلى وأجل في الإبتداء والإنتهاء ، من مقام نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء وخاتم الأولياء ، قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٤٠] الآية ، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، من حيث بشريته مجمع البحرين ، ومظهر العالمين ، فنزوله إلى كماله ، كما أن عروجه إلى مقامه الأعلى كماله ، يعرفها ويذوقها من تنور قلبه بالنور الإلهي ؛ فكانت الخلافة واجبة من الله تعالى في العالم بحكم ، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ ﴾ [سورة الشورى : آية ٥١] وجب ظهور الخلافة في كل زمان من الأزمنة ؛ ليحصل لهم الاستيناس ، ويكون في صفة الجمال اللائق . الحقيقة المحمدية جامعة للأنبياء ؛ لظهور كل منهم ببعض الأسماء والصفات ، وإذا[1] اعتبرت حقيقتهم ، وكونهم راجعين إلى الحضرة الواحدة ؛ لغلبة أحكام الوحدة عليك ، قوله تعالى : ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [سورة

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : إذا اعتبرت حقيقتهم .

البقرة : آية ٢٨٥] ، فالقطب الذي عليه مدار أحكام العالم ـ هو مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد ـ واحد باعتبار حكم الوحدة ، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ .

* * *

﴿فصل﴾

(٧)

واعلم أيضاً أن للحضرة العلمية أعياناً ـ وقد أخبرنا الله تعالى عن إخراج آدم وحوى عليهما السلام من الجنة ـ فلها وجود في العالم الروحاني قبل وجودها في العالم الجسماني ، ومن دخل مقام القلب والروح واتصف بالأخلاق الحميدة والصفات المرضية ؛ يتنعم بالنعم المرضية ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة الرحمن : آية ٢٩] ، أعني العبد المخلص يتجلى عليه من الغيب إلى الشهادة شأن ، ويدخل منها إلى الغيب من المعاني والتجليات ، وبعد العجز يكون إدراك ، قوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [سورة غافر : آية ١٦]، فالعارفين [قد[1]] خصصهم ، وجعل لهم ذلك بالفناء في الله والبقاء به ؛ قبل وقوع ذلك التجلي على جميع الخلائق ، وتسمى بالقيامة الكبرى ، ولا يمكن إظهار كشفها ، تكون إشارة يفهمها من فهم ، ويعلمها من علم ، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [سورة هود : آية ٨٨]، اللهم اشرح صدورنا ونور قلوبنا بنورك الفائض من حضرة القدس ، وامنحنا وأيدنا من التوفيق والهداية إلى أعلى الطريق المستقيم . وأهل رتبة الكمال واليقين ، اللازمين لآداب القلوب المنورة ، وآداب حفظ الجوارح ، وغض الطرف عن السوى والكائنات ، مع تصحيح المحو والإثبات ، فنالوا عند

---

(١) ما بين القوسين في (ب) .

ذلك أشرف وأسنى المقامات ، فهم المطمئنة قلوبهم بذكر الله قوله تعالى : ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [سورة الرعد : آية ٢٨]، وعند ذكر صفاتهم الحميدة ، يمحو الله الذنوب ، من فيض المنح والتجليات ، قوله تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة الزمر : آية ٣٤] ، وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

(٨)

وأما الصمد فإنه الذي يُصمد إليه ، [ووجود[1]] الكل به ، والصمد الذي لا جوف له والذي يصمد إليه ؛ بقصد افتقار الكل إليه ، فهو وصوله باعتبار القدم الذاتي بذاته ، الموجب لاحتياج الكل إليه ، ولهذا قيل الصمد الذي لا جوف له ، ومن قولهم : مصمد ، فإن الممكن ليس إلا صورة من العلم ، نقشاً خياليّاً لا معنى له ولا حقيقة إلا هو ، فهو الأحدي الذي لولا صمديته له وظهوره في صورته لم يكن شيئاً كما قال تعالى : ﴿ أَوَ لاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً ﴾ [سورة مريم : آية ٦٧] ، فإن الأحدية الواحدية ظاهرة بحقيقتها شمس ضاحية لا يليها غروب ، والصفات التي هي اعتبارات ونسب لا وجود لها في الخارج ، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : [كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه] ، فالقيوم والصمد هما صفتان له بالنسبة إلى الخلق ، فإن القيوم هو المقوم لكل ما سواه ؛ بإقامته بالوجود حتى يقوم به كل موجود ، وإلا كان عدماً محضاً ؛ فهو وصوله باعتبار وجود الكل به ، والصمد هو الذي يصمد إليه ، أي

(١) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل وجود الكل به .

يقصد بافتقار الكل إليه ، قوله : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[سورة طه : آية ٩٨] ، فيضمحل بأعيان الشهود ، ويزول حجاب العلم حقيقة عياناً ؛ لمن شهدها ذوقاً ، والله أعلم وأحكم لا شريك له . وما أجمل في الخطاب ، في سائر القرآن والوجود أجمع ، فافهم وجوب وجوده ؛ فإنه ملأ كل شيء وجوداً ، وكما ليس يعزب عن علمه وقدرته ومشيئته مثقال ذرة في الوجود ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، كذلك لا يخلوا منه مكان في الحضور والشهود ؛ بمقتضى هذا الاسم ، فلو أنهم طلبوه هاهنا لوجدوه حاضراً مشهوداً ، لكنهم اعتقدوا البعد وسبق إلى أوهامهم مع الغفلة المسافة ولاثم مسافة ولا بُعدْ ، لكن العارف الكامل لا يزال في أوقاته طالباً ومطلوباً إلى أكمل مقصد وأعلى مشهد ؛ فمن تولَّته الحقيقة المحمدية (على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) ، في تجليات الجمال الأسنى ؛ إلى الحضرة الأحديَّة الواحدية؛ قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣١] ، فألزم الكل الإتباع والإنقياد إلى طريقته وهدايته وهديه ، فانظر إلى من مكنّه الله بعروته الوثقى (التي لا انفصام لها) ، ورقى إلى أعلى طريقهم من الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم أجمعين) ، ورضي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن الحسن والحسين وعن الصحابة أجمعين .

* * *

﴿فصل﴾

(٩)

وبعد أيدك الله ، انظر إلى مقام خاتم الرسالة والنبوة والولاية محمد ﷺ قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[سورة يوسف : آية ١٠٨] ، وفي المبايعة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[سورة الفتح : آية ١٠] ، واعلم بأنك في حقيقة عبوديتك ، ومحوها وإثبات فَنَائِك ؛ في تصحيح إثبات المعاني ، مع رؤية الأجسام . فالصديقين عدلوا إلى اليقين ، الفيضي الذاتي الأحدي ، قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ﴾[سورة الفرقان : آية ٤٥] فهو الواجب الوجود الحق سبحانه وتعالى ،جل أن يوصف بوصف ، الثابت بذاته المثبت لغيره ، الموصوف بالاسماء الإلهية المنعوت بالنعوت الربانية ، المدعوّ بلسان الأنبياء والأولياء ، الهادي خلقه إلى ذاته ، الداعي مظاهره بلسانه ، إلى عين جمعه ، ومرتبة الألوهية والحقيقة ؛ بالأخبار الواردة على ألسنتهم ، الناطقة أنه بهويته مع كل شيء ، وبحقيقته مع كل حي ، وأنه عين الأشياء ،﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة الحديد : آية ٣] ، وننزهه عن الحصر والتعيين ، ونقدسه عن سمات الحدوث والتكوين ، قوله تعالى : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ،وقوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨]، فهو بحسب الصور ، وهو على وحدته الحقيقية ، وكمالاته السرمدية ، فهو يدرك حقائق الأشياء ؛ بما يدرك حقيقة ذاته [لأمرٍ آخر ، لأن الحقائق عين ذاته حقيقه][1]،ولا يدركه غيره ، قال الله تعالى : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣]، وقوله : ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾[سورة طه : آية ١١٠] ، وقوله : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩١] ، وقوله: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣٠] ، وهذا تعطفاً منه لعباده ورأفة بهم ؛ لئلا يضيّعوا أعمارهم فيما لا يمكن حصوله ، قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾[سورة التغابن : آية ٩]، واعلم سر قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا

---

(١) ما بين القوسين في (ب) وغير موجود في الأصل (أ) ولا (جـ) .

كُنتُمْ ﴾[سورة الحديد : آية ٤] ، وقوله : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾[سورة الواقعة : آية ٨٥]، وقوله : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾[سورة الذاريات : آية ٢١] ، وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَـهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَـهٌ ﴾[سورة الزخرف : آية ٨٤] ، وقوله : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[سورة النور : آية ٣٥] ، وفي الحديث : (إذا أحببت عبداً كنت سمعه وبصره) ، وقوله عليه السلام : (لو دليتم بحبل لهبط على الله) ، وقيل لعيسى ابن مريم عليه السلام : أيكون يا عيسى مثلك في الحواريين ؟ ، قال : [نعم ؛ من كان نظره عبره ، وصمته فكره ، وكلامه نور وحكمة ، سيكون] . قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٩١] .

* * *

﴿فصل﴾

(١٠)

فعليك بالامتثال للأسرار المنيفة ، المتوجهة بلسان الإشارة ، وانظر أن جميع ما في الوجود اعتباراً ، والوجود عنه مطلقاً ، لا يكون إلا عدماً محضاً ، والكون العدمي [هو ظاهر[١] الإبطال[٢]] العدم ، ليس بشيء ؛ لأنه [قابل][٣] للزوال وانقلاب الوجود إلى لزوم انقلابه إلى العدم ، وأيضاً فالإمكان عدمه ، مقتضي[٤] ذاته حينئذٍ والوجود يقتضي[٥] بذاته ضرورة ، وذات الشيء

(١) ما بين القوسين في (ب) .
(٢) هكذا في الأصل ولعلّها : البطلان .
(٣) في الأصل : قابله .
(٤) في (جـ،ب) مقتضى .
(٥) في (ب) مقتضى .

الواحد يمكن أن يقتضي نفسه ، وإمكان عدم نفسه ، ولا يمكن زواله ، وفي الحقيقة أن الممكن أيضاً لا ينعدم ؛ بل يختفي ، ويدخل في الباطن الذي ظهر منه والمحجوب[بل(١)] الزوال إضافتها إليها ، واترك التشكيك ، ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾[سورة يوسف : آية ١٨] ، نص القرآن . ثم قال العارف بالله ، واصطلاحات أهل الله العارفين أهل الفضل ، فهو [في(٢)] أعلى مرتبة المعارف ، التي تصان أن تظهر على من لا يستحقها ، ولا يعرف وصفها ونعتها إلا من نوّر الله بصيرته ، أعني بصيرته النافذة ؛ فأمعن النظر فيه لا يعجزك وقوع الشُّبَه الوهمية والمعارضات الباطلة ، والله المستعان وعليه التكلان .

* * *

﴿فصل﴾

(١١)

فانظر إلى جمع الجمع ، وحقيقة الحقائق هي مرتبة الاسم الرحمن رب العقل الأول ، المسمى بلوح القضاء والكتاب والقلم الأعلى .

وافهم مرتبة الاسم الرحيم شهود اللوح المحفوظ والكتاب المبين ؛ فهو مرتبة الاسم الماحي والمثبت ومرتبة الإنسان الكامل عبارة عن جميع المراتب الإلهية والكونية من العقول ، والنفوس الكلية ، فهو الحي القيوم العليم المريد القادر بذاته ، لا بالصفة الزائدة عليها ، ولاح لك معرفة علم؛ أن العلم والحياة والقدرة ، فائضة(٣) منه الأَّزمة له ؛ عين ذاته.

---

(١) ما بين القوسين في (ب) ،وفي الأصل : منه ، والمحجوب الزوال إضافتها إليها .

(٢) ما بين القوسين في (ب) .

(٣) هكذا في الأصل ولعلّها : الفائضة .

* * *

﴿فصل﴾

(١٢)

الحضرة الإلهية الكمالية الجمعية ، وأصله[١] حقيقة التعين[٢] الأول ، وحقيقة الحقائق الكبرى ؛ لهذا اختص بالإنسان الكامل . وأصل[٣] الحقيقة الروحانية ، من باطن التعين[٤] هي الحقيقة الأحدية ، عين الحقيقة المتحققة على إطلاق[٥] نسبة الروح للأرواح الأحدية ، وكذلك منه الحياة والنور والشرف والنزاهة ؛ من جهة إطلاق العين ، وأصل حقيقة الجسمية من حقيقة الحقائق الإمكانية المظهرية ، قال ﷺ : [قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن] ، الإصبع الأول نعمة التجلي ، المتعين من حضرة الجلال ، والغضب وظلمة الحجاب والوحشة والستر ، ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ ﴾[سورة يونس : آية ٦٧] ، إذ غيب التعين بستر على نور السر ، الإصبع الآخر نعمة التجلي المتعين من حضرة الجمال واللطف ، والأُنس والنور والحياة والبشر ، والأول يختص بحقيقة الإنسان ، والثاني يختص بروحانيته ، والنعمة هي جمع الطريقين ، قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[سورة الضحى : آية ١١] وقال : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾[سورة الزخرف : آية ٥٩] ، وهي تختص بأحدية جمع النعمتان ، والتجلي لها التجلي الكامل الجمعي الأحدي الإنساني من كمالات الإصبعين ، فانظر في هذا التجلي ، القلب المتعين من العين الواحدة الأحدية الكمالية ، من الله المستوي على العرش أحدية جمعه ، قوله : ﴿ عَلَى الْعَرْشِ

---

(١) في الأصل : واصله .
(٢) في (ب) اليقين .
(٣) في الأصل : واصل .
(٤) في (ب) اليقين .
(٥) في (ب) الإطلاق .

اسْتَوَى ﴾[سورة طه : آية ٥] ، وسعه قلب المؤمن حيث لم تسعه السموات والأرض ، وهو من حيث تعينه في القلب سمي في عرف القوم بالحق ، المستحق من الله له في [مظهرية[١]] الإنسان الكامل ، كما أشار إليه المصطفى الكامل ﷺ حكاية عن الله تعالى سبحانه جل وعلا ، أنه قال : [ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن] القابل المصدق لإخباء التجليين ، فله الجمع بين الحسنيين ، والنور بالجمع بين الكمالين ، هذا التجلي الحاصل منه لأهل القلوب في من عرفهم وتحققهم بالسر الإلهي ، وهو السر الواحد عن المحققين ؛لمَّا استنارت قلوبهم من نور فيض الحضرة ، أعني حضرة القدس هي نَفَس الرحمن ، وهي تعين الفيض بتعين القدم ، وحرج الصَّدر وضيقه مكان يتجلى عليه نور من الحق سبحانه وتعالى ، بنفي ظلمة عدم الكون ، فبانوا عنه فكانوا في رتبة الشهود والتجلي ، أعني تجلى لهم الله في جلال جماله ، فتولاهم الشوق إليه ، فهاموا فيه ، فليس لهم معرفة بنفوسهم ؛ لكون التجلي أفناهم عنهم رضي الله عنهم ، فهم تغذوا من لبن السر الأحدي ، فلما فاض عليهم ، وأذن لهم في إعطاء كل ذي حق حقه منهم، وصح لمن تنور باطنه وقوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾[سورة فاطر : آية ١٠] ، أي الأرواح الطاهرة بقلب وقالب على الظلمة العدمية ، وقال الله في المسيح صلوات الرحمن عليه : أنه كلمته ، لأنه روح الله قوله تعالى : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[سورة النساء : آية ١٧١] ، الكلمة هي إظهار فضله من الله سبحانه وتعالى ، قوله : ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[سورة الصف : آية ٦] ، فكان الحق جمع في هذه الإشارة ، والاسم الأعظم جمع المحامد ، ومشارب أهل الكمال ، وأسندها إلى جميع المخلوقين قبل وبعد ، فهو المرشد الكامل ، وهو نعمة جميع الوسائط ، وتعديها إلى حضرة الله ، الذي هو من ورائهم محيط ، وهو طريق المعراج ، كما قال الله سبحانه

---

(١) ما بين القوسين في (جـ ، ب) وفي الأصل : مظهرية .

وتعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[سورة الإسراء : آية ١] ، أي في ليل الغيب، الذي في سر كل عبد ، ﴿ مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ، قلب العبد الكامل الذي حرمه الله على غيره ، فلا [موضع(١)] التعين ، إلا قلب العبد الكامل ، لكون الحق ما [أراه(٢)] إلا المسجد الأقصى ، وهي حضرة ألوهية الذاتية إلى الألوهية السارية في الحقائق وقوله ﷺ: (زُويت لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها) ، حين طويت له [أرض(٣)] عالم الإمكان ، وحجابات وسائط الأكوان ؛ فرأى مشارقها التي تطلع منها أنوار الاسمائية ، ومغاربها التي تغرب فيها [تجليات(٤)] السبحات الوجهية ، فافهم تجلي الحق للعبد ، واستوى على عرش(٥) العين(٦)، في سلوك العبد إلى الحق ، يكون الحق عين الطريق ، يكون له سمع وبصر ورجل ويد ، دليله الحديث الصحيح : (إذا أحببت عبداً كنت له سمعاً وبصراً) ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾[سورة الأحزاب : آية ٤٨] ، فلما تجلى الرحمن [عليه(٧)] برحمانيته ، حين زج به في نوره تحقق ﷺ إذ ذاك بحقائق الرحمن ، وبعث من هذا المقام رحمة للعالمين ، ووصف بأنه رؤف رحيم .

* * *

---

(١) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل (أ) ، (ج) فلا مع صنع .
(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل (أ) ، (ج) رآه .
(٣) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : الأرض .
(٤) في الأصل : التجليات .
(٥) في (ب) العرش .
(٦) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : واستوى على العرش ، العين في سلوك العبد إلى الحق ، يكون الحق عين الطريق .
(٧) ما بين القوسين في (ب) .

﴿فصل﴾

(١٣)

فافهم علوم أسرار فيض حضرة القدس ، الذي لا يعلم علم أسرار المعارف إلا هو ، وهو الفاتح لأبوابها ، لكن فيما أشرنا به عليك من فيض الرحمة والرأفة ، فاخرج عن القيود والحجابات وانظر إلى من أيده الله منهم ، بالمدد والمنن ، ثم يترقى العبد العارف إلى ذروة العروج المتلقية ، أسرار الدلوج لحديث : (من أدلج بلغ المنزل) ، وبيان الحالة التي هي أعز وأكمل تعليم العلم اللدني ، الذي هو أتم وأعظم وأجمع ، فكان العارف يترقى بهمته إلى الإتصال والإتصاف به ، وهو مقام النيابة والهداية والإرشاد ، فيصلح القلب ويتنور ، ويعين منطق اللسان ، وأما إمداده ﷺ بالهمة ، فإن هِمَّة الحقيقة المحمدية الكمالية ، سارية بسبق[١] المدد ، من حضرة أحدية جمع الجمع ، فمن حقيقته ﷺ ، تتعين الإمدادات ، ولكن ظهورها من حضرة الرحمن بالنفس الرحماني ، وهو حقيقة الحقائق الكونية ، التي هي حقيقة جميع الكائنات ، وإليها أشار ﷺ ، بأول[٢] ما خلق الله الدرة ، وهو مجمع لمعاني الحروف الكونية ، وهو أم الكتاب المسطور الوجودي في الرق المنشور ، وأم الكتاب المبين ، وهو اللوح المحفوظ ، والمصون الملحوظ ، قوله تعالى : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[سورة المطففين : آية ٢٦] ، وانظر إلى أهل الله العارفين بنظرهم الصرف وهم أهل الله وخاصته ، وافهم أن إمداد جميع هذه الهمم ، إنما هو إلاَّ من الحضرة المحمدية الكمالية الكلية ، وقوله تعالى : ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾[سورة الإسراء : آية ٢٠] ، فافهم واعتبر تكون من

---

(١) في (ب) كسبق .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها بقوله :[أول ما خلق الله الدرة] .

أي صنف أنت ؟!. وأرباب المعارف والأسرار اللدنية ، والعلوم الذوقية ، فهذه العلوم والإشارات سُمِّيت الحقيقة الإنسانية الكمالية ، محمد ﷺ ،فافهم المعنى أنه يكون الخليفة والإمام القائم مقامه حقيقة ، فكل خليفة متقدم ومتأخر [نسبته(١)] إليه ، ومتحقق بحقيقته المعنوية وَوَرَّثَهُ علماً ومقاماً [وحالاً(٢)]، وهو له كالوالد الصلبي ، حقيقة في هذه القرابة والنسبة ، وتتفاوت المقامات ، والدرجات فيها ترتيب الأولياء المحمديون ، وهم أنبياء الأولياء بالنبوة العامة ، ثم النبوة الخاصة من الحقيقة ، وهي الحضرة المحمدية هي حضرة الجمع ، وختم النبوة ؛قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٤٠] ، فانظر في قوله تعالى واثبت(٣) النبوة فيه الجميع نص القرآن ، فهو ﷺ الاسم الأعظم الناطق بلسان مرتبته : (أنا سيد ولد آدم)، المبعوث بالرسالة إلى خير الأمم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المصطفين من العرب والعجم صلى الله وسلم عليه وعليهم.

* * *

﴿فصل﴾

(١٤)

فأمعن النظر في الحقيقة ، وحقيقته الخاصة [الشريعة(٤)] المنقطعة المختومة برسول الله ﷺ ، قوله تعالى : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٤٠] ، وإذا انضاف

(١) في الأصل : نسبتهم .
(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : ومالاً .
(٣) في (ب) وأتيت .
(٤) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل (أ) ، (جـ) الشريعه .

إلى هذه القرابة والنسبة الدينية؛ قرابة الطينة الطاهرة ، قوله تعالى : ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[سورة الأحزاب : آية ٣٣] ، كالمهدي والأئمة الكاملين الطاهرين ، فذلك أكمل وأجمل وأفضل ، وإن انفردت القرابة الطينية ، وصحت النسبة من صورته العنصرية ﷺ ، فإذا صحت النسبة ؛ فلابد أن يكون معها من أخلاقه وعلومه وأحواله ، فاحفظ ما ذكرناه وأظهرناه ، من هذا الفيض القدسي ، وهي على أهل الحجاب محرمة ، وقد قبضنا القول في ذلك ؛ لئلا يغلط الضعيف ، وما ذكرنا فيه أسرار غامضة ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *

﴿فصل﴾

(١٥)

وعلم المكاشفة لا يصح إظهاره لغير أهله ؛ لأن النبي ﷺ ، منع من إفشائه إلى غير أهله ، قوله تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[سورة المؤمنون : آية ٩٦] ، وقوله : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٣٤] ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى ﴾[سورة النحل : آية ٩٠] الآية ، وقوله : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾[سورة لقمان: آية ١٧] ، وقوله : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾[سورة المائدة : آية ١٣] الآية ، [وهي[1]] الحقيقة المحمدية ، هي حقائق الكمال فيها ، ويعطيه السلامة عند سطوات تجليات الجلال ، ويظهر بصورة الخلافة والإمامة والشفاعة الكلية ، ويعطيه لواء الحمد ومجامع المحامد الإلهية الكمالية، قوله تعالى فيما ورد في شرعه ﷺ : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾[سورة النساء:

(١) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : وهو .

آية ٦٥] ، قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الشورى: آية ٥٣] وقوله تعالى : ﴿ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سورة سبأ: آية ٦] .

* * *

﴿فصل﴾

(١٦)

واعلم أن مشاهدة عين البصيرة والقلب ، نور كشفي في عالم الحس ، ولا يتقيد في عالم ليس محسوساً ، فمن رأى صورة الرسولِ صورة الشريعة المحمدية ، فمن كان مقتدياً به ﷺ من كل وجه ، ومهتدياً بهديه ﷺ على الوجه الأكمل ، واتَّبَعَهُ حق المتابعة في العلم والعمل ، وكان له وارثاً ؛ قام من حاله ومقامه ، يكون ما يرى في وقائعه يقظة ، ويكون له تابعاً في جميع الأخلاق والأوصاف والأحوال والسر والأعمال ، ومن رأى رسول الله ﷺ ، علمنا أنه رآه حقيقة ، ورآه بعين البصيرة[1]، ومشهود العين البصيرة ، والقلب صورته الحقيقية والمعنوية ، ورآه بعين الروح الناطق ، وهو لمستحقه ، فافهم واعلم أن كمال الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ؛ بيده وقبضته ﷺ من كونه أحدية جمع الجمع ، الختمية النبوية ﷺ ، جامعة ومحيطة بها جميعاً ، على التخصيص لكل حضرة منها، وهو خاتم الرسل صلوات الرحمن عليهم أجمعين ، وتفصيلها وتعيينها إنما يكون على يدي خاتم الولاية المحمدي الخاص ، ومن خاصته يكون هذا الحكم من الوراثة الخاصة المحمدية الختمية ، وكان الكاملون جميعاً ورثته في المقامات الكلية المحمدية ،

---

(١) في (ب) البصر .

المفضلة على جميع الأنبياء والأولياء ، فلا يصح كشفها وبيانها إلا على يدي خاتم الأولياء ، والأسرار على ما هي عليه في الذوق المحمدي .

وانظر إلى النفث الروحي ، إشارة إلى روح الله ، [ألقي(١)] في صورة روحانية محمد ﷺ ، وكان مراده العلم المأخوذ عن الله ، كما صرّح بذلك نص القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[سورة العنكبوت: آية ٤٩] ، والعلم المذكور بنص القرآن هو العلم المأخوذ عن الله ، والمراد في فهم خواص أهل الله الأعلام ، ولا تنظر إلى علماء الرسوم والآثار ؛ فإنهم أخذوا علمهم [من(٢)]ميت عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي القيوم الذي لا يموت ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا ﴾[سورة غافر : آية ٥٩] ، وقوله : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[سورة طه: آية ١٥] ، وكثير من الآيات دالة على طلوع شمس الذات الأحدية ؛ من مغرب المظاهر الخلقية وانكشاف الحقيقة الكلية ، فظهرت شمس الذات في الوحدة التامة ، فانقهرت الكثرة الجميع ، ولاثم إلا حقيقة الذات ، فحكم ذلك التجلي على جميع الخلائق ، وهو ما يحصل للعارفين أهل علم اليقين ، ولها نتائج يحتمل ظهور بعضها ، ومنها خفي لا يصح ظهوره ، إلا لأهل التوحيد أهل رتبة الفناء ، فصح لهم ؛ لأنهم فانين عن الوجود الحسي ، فلا يرون لأحد موقع ولا محل ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[سورة ق: آية ٣٧] ، قوله تعالى : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾(٣) [سورة غافر: آية ١٦]، فالروح الأعظم في الحقيقة ، هو الروح الإنساني ، فله حقيقة مظهر الذات الإلهية ، ولا يروم وصله رائم ؛ لأن دون وصله بحار مغرقه ، ولا يعلم كنهه إلا الله لقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[سورة طه: آية ٧] ، وقوله

(١) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : ألقى .
(٢) ما بين القوسين في (ب) .
(٣) في (ب)(لله الواحد القهار) فلا يروم وصله رائم .

تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [سورة النجم: آية ٩] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [سورة الإسراء: آية ٨٥] ، وفي اصطلاح أهل الله : (السر الخفي ينطوي على معاني الكمال الكلي) ، فافهم إشاراتنا والزم باب واحد ، ولا تلتفت إلى قرع أبواب جمة ، لا يفتح لك الباب ، إنما هو باب الله الأعظم . وهنا مرآة التجلي الإلهي ، سمي بالقلب ، وهو مجمع البحرين والملتقي للعالمين ، وصح له ذلك وثبتت رتبة التوحيد الذاتي ؛ اللهم ثبتنا بالقول الثابت ، لذلك وسع الحق وصار عرش الله ، كما جاء في الخبر الصحيح : [لم تسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن] التقي النقي ، وقلب المؤمن العارف بالله عرش الله ، وحكم الجمع شيء واحد ، حقيقة صدق ، فهو المرتبة الروحية، هي[١] ظل المرتبة الأحدية ، والمرتبة القلبية ظل المرتبة الواحدية الإلهية ، فأمعن النظر إليها ، وافْنِ حسك ورسمك ووجودك ؛ تظهر لك أسرار خفية لا يصح إظهارها لغير أهلها ومستحقها ، فإنها أدق من الصراط المستقيم على ما عَرَّفوه ، وأهل الفناء الكلي يجوز لهم إظهار بعضه لمن يفهمه ، والشارب من خمر أقداحها ، وسلطنتها[٢] عليه ظاهرة في العالم ، ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [سورة الفتح: آية ٢٩] ، ومظهرها بارتفاع الحجب ، لا يكون[٣] وسعها إلا في الآخرة. وظهور الحق بالوحدة[٤] فالحقيقة يَظْهرُ كلُّ شيءٍ فيها على صورته [الحقيقية[٥]] ، ويميز[٦] بين الحق والباطل يوم الفصل والقضاء ، ومظهر الروح ومظهر التجلي [يفنى[٧]] فيه عند وقوع ذلك جميع مظاهره ، قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن

---

(١) هكذا في الأصل ولعلّها : وهي .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : سلطنتها .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ولا يكون .
(٤) في (ب) الوحدة .
(٥) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : الحقيقة .
(٦) في (ب) وتميِّز .
(٧) ما بين القوسين في (ب) في الأصل : تفنى .

فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ﴾[سورة الزمر: آية ٦٨] ، وهم الذين سبقت لهم القيامة الكبرى ، ويرجع كل شيء إلى أصله ومحله ، قوله تعالى عز من قائل : ﴿ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة آل عمران: آية ١٨٠] ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص: آية ٨٨] ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن: آية ٢٦ ـ ٢٧] ، فبان إشراق شمس الحقيقة ، ونارت في أفلاكها ، وتنعدم قطرات المطر في البحر المحيط ، وليس لها محل ، أعني شمس الحقيقة ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[سورة الأنبياء: آية ١٠٤] ، أي زال التعين ؛ ليرجع إلى الوجود المطلق ، بارتفاع وجود المقيد ، وقال تعالى : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر: آية ١٦] الآية ، وقال تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[سورة ق: آية ١٥] .

* * *

﴿فصل﴾

(١٧)

ومن اكتحلت عينه بنور الإيمان ، وتنور قلبه بطلوع شمس العيان ، وقد يكون باختفائها فيه، كاختفاء الكواكب عند وجود الشمس ، [وسُترت[١]] وجوه العبودية بوجه الربوبية ؛ فيكون الرب ظاهراً و العبد مخفي في ظهور الرب ، لكن جناح ظل البشرية ستر[٢] مظهر السر الأعظم ،

---

(١) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : وستر .

(٢) في (ب) هو ستر .

والمقام الأكرم ، قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [سورة الكهف: آية ١١٠] ، أي في البشرية الظاهرة [لكم[1]] ؛ حتى لا يكون إشكال عند ضعيف اليقين ، وأهل رتبة الإفراد ، الذين قامت قيامتهم ، وفنوا في الحق وغابت عنهم بشرية النفوس ، [فكانوا[2]] من أرباب الشهود ، والعلم بكيفيته مختص بالله ، لا يمكن أن يطلع عليه إلا من شاء الله من عباده الكمَّل ، وحصل له هذا المشهد بفنائه عن وجود بشريته لهذا[3] المشهد العظيم ، قوله : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً ﴾ [سورة الأعراف: آية ١٤٣] ، فَطَلَبُ موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ؛ التجلي من ربه على قدر ما يسعه[4]، قوله : ﴿ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ [سورة الأعراف: آية ١٤٣]، فانظر في مطلبه وكان نبينا ﷺ خاتم النبوة ، وخاتم الولاية ، فلم يطلب من الحق شيئاً ، قوله عن موسى ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [سورة طه: آية ٢٥]، وقال لمحمد ﷺ : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [سورة الشرح: آية ١] ، فما طلب من الحق شيئاً إلا الرضى ، قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [سورة الضحى: آية ٥] ، فما بقي مطلب ، وما وسيلته وطلبه إلا ربه تعالى .

* * *

﴿فصل﴾

(١٨)

(١) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : بكم .

(٢) في (أ ، ب، جـ) فكان .

(٣) هكذا في الأصل ولعلّها : في هذا .

(٤) في (ب) وسعه .

وحقيقة مرتبة الذات فناء الأعيان ، عندنا وعند أهل الله فناء الأعيان ؛ بنور الواحد القهار ، في النبوة والرسالة والولاية . فلها سر ظاهر وباطن يشمل الوحدة الحقيقية ، فهي بالغيب(١) المطلق وكل اسم(٢) ، الظاهر في غيره ، فاحتاج الأمر الإلهي إلى مظهر حكم عدل ؛ ليحكم بينهما ، ويصح بيان مظهر [حكم(٣)] نظام العالم في الدنيا والآخرة ، وبِحُكْمِ ربه الذي هو رب الأرباب ؛ بَيِّنَ الاسماء بالعدالة(٤) ، ويوصل كل منهما إلى كماله ظاهراً أو باطناً ، فهو الحقيقة المحمدية ﷺ ، والإتباع والإنقياد في أهل أمره ونهيه ، والمحبة والمتابعة في أقواله وأفعاله ، ورضي الله عن الصحابة أجمعين ، ولا نهاية لكمال الولاية ، فمراتب الأولياء غير متناهية ، لكنها تشتمل على أسرار معنوية دقيقة خفية ، لا يفهمها ويعلمها إلا من نور الله بصيرته ، وشهد نور العيان ، قوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة الرحمن : آية ٢٩] ، فانظر وارجع لما أقول لك به . فكن من أهل رتبة أهل الفناء الكلي في محبة الذات الأحدي ، فما بقي هنا رسم ولا وجود ، فلله الحمد والمنة ، ولا يكون بالكسب ؛بل وهبي ، فغاية عرفان العارفين العلماء الكُملاء (رضي الله عنهم) ؛ إسقاط نفوسهم وفناءِها ، لا طمع لهم في شيء من المطالب ، فهم في حقيقة الفناء والمحو وإفناء الرسوم ، وصح لهم إقرارهم بالعجز والتقصير ، وعلمهم برجوع الكل إليه ، قوله : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٦٩] .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

---

(١) في (ب) الغيب .

(٢) في الأصل : فهي بالغيب المطلق ، وكل اسم الظاهر في غيره فاحتاج الأمر الإلهي ، .

(٣) ما بين القوسين في (ب) .

(٤) في (ب) ويحكم ربه الذي هو رب الأرباب بين الأسماء بالعدالة ، ولَعَلّ العبارة : ويحكم بحكم ربه الذي هو رب الأرب بين الأسماء بالعدالة .

(١٩)

واعلم وافهم ما أقول لك : أن عين المخلوق عدم ، والوجود كله لله سبحانه وتعالى ، وكل صورة موصوفة خارجة موصوفة به ، في إ ثبات العدم فلما فنيت في عدمها ؛ ألبسها الحق خلعة الوجود الخارجي(١) إيَّاها ، فصارت موجودة ، وهو العليم الخبير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وأنَّه لمَّا كشف لنا بعض الأسرار ، وتجلت لنا البصائر والأبصار ، فَهَلُمُّوا واغترفوا من بحرٍ تيار ، وهو من الرحمة التي وسعتكم ، ووسعت كل شيء . رفع القناع عن وجوه عرائس أبكار المعارف ، واشربوا من فيض برد شراب معدن الرسالة ، واستطال [الشرب(٢)] ، ولم نطلب الشرب ، لقوة الصحة(٣) على طريق أسنى الهداية ، قوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ٣] ، وقوله : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[سورة الضحى : آية ١١] ، فبان في القلب من نُورِ المظهر ، من حضرة العليم الخبير الحكيم القدير ، وقوله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾[سورة مريم : آية ٩٣] ، وقوله : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٩] ، في فنون الإتحاد الموجود(٤) ، حقائق ذاتية علمية ، وهي الاسماء والصفات في حقائق علمه ، وهي الأعيان الثابتة ، فتأمل ما أقول لك به ؛ فإنه علم دقيق ، وبحر عميق ، الهالكين أي الفانين فيه قليل ، لا يدخل داخل إلا بإذن استأذنه وشيخه ، ومن حام حوله ولم يكن في تحقيق فناء الإرادة مع شيخه ؛ فهو مخطر(٥) ، نسأل الله العافية .

---

(١) في (ب) خارجيّة .
(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل المشرب .
(٣) في (ب) والقوة الصِّحة على طريق ...
(٤) في (ب) في فنونها الإيجاد الموجود .
(٥) هكذا في الأصل ولعلّها : فهو في خطر .

* * *

﴿فصل﴾

(٢٠)

والمحبة الأصلية هي محبة الذات ، أمر كشفي ذوقي ، لا يدركه ذو فهم بفهمه ، ولا ذو علم بعلمه ، قوله تعالى : ﴿ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة التحريم : آية ٣] ، [في[1]] مظهر نساء النبي ﷺ ؛لأنه محل الرحمة الواسعة ، والأخلاق السنية ، وكان خُلُقُه القرآن العظيم ، قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[سورة القلم : آية٤] ، وقوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾[سورة الأعراف : آية ١١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[سورة لقمان: آية ١٧] ، فنطق الحق لأولي العزم أهل رتبة الرسالة ، وقوله ﷺ عن ربه : (كنت كنزاً مخفياً لا أعرف ، فأحببت أن أعرف) يشير إلى سبق الخفاء والغيبة ، والإطلاق على الظهور ، والتعين ﷺ[2] ، قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾[سورة الكهف: آية ١٠٩] ، فكلماته تعالى هي عين الحقائق كلها ، ومن فيض الفيض من حضرة الجمع ، فكن أيها الصادق المخلص في مقام الفناء الكلي ، والمشهود[3] الذي هو عين الحقيقة ، فهو الدليل والمدلول ، والشاهد والمشهود ، وسيلة لارتفاع الوسائل ؛عند إشراق نور الحقيقة ، وعند التجلي المنتشر ، فهو تجلي ومحض اصطفاء وَجُوْدٍ صرفٍ ، ليس للكسب فيه مدخل ، لكن

---

(١) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : ومظهر .

(٢) هكذا في الأصل ولعلّ العبارة : يشير إلى سبق الخفاء والغيبة والإطلاق على الظهور والتعين به ﷺ.

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : المشهود .

أركان معرفته مشاهدة القرب ومحو الرسوم ، فليس الحجاب إلا أنت ، فلما ظهرت الحقيقة ، شعراً :

بدى لك سرٌ طال عنك انكتامه

ولاح صباح كنت أنت ظلامه

وبعد : اسمع ما أقول لك : الصعود عن العلم ؛ فإن العلم حجاب عن المعلوم ، فكن مطالع للجمع بفناء الكل في تجلي الذات ، قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [سورة الحديد: آية ٤] أي معيته بهذا المعنى ، لا بمعنى المقارنة ، كيف ولا وجود لغيره أصلاً قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [سورة الفرقان: آية ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٥٧] ، وقوله تعالى : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ [سورة الأنعام: آية ١٠٣] ، وقوله : ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ [سورة طه: آية ١١٠] ، وقوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ ﴾ [سورة آل عمران: آية ٣٠] .

* * *

﴿فصل﴾

(٢١)

فلما تجلى ، على العبد الكامل العارف بالله في غير جهة ؛ [بوجهه[١]] فصحت [ربوبيَّته[٢]] ، الحق سبحانه وتعالى ـ جل ثناؤه ـ ووصفه ، منزه عن أن يحاط به علماً أو يعلم قدره غيره ، (كان

(١) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : توجهه .

(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : ربوبية .

اللـه ولا مكـان ، وهـو الآن علـى مـا عليـه كـان). ﴿ أَلاَ لَـهُ الْخَلْـقُ وَالأَمْـرُ تَبَـارَكَ اللّـهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأعراف: آية ٥٤] ، ما في الوجود سواه من موجود ، وما بان لك من علم المعاني ؛من عالم الملكوت والملك ، الذي تلقاه محصوراً عن التحديد[1] ، وهو عـالم الجبـروت واللاهـوت والناسوت والمعدوم [والموجود[2]] وإن طلبت أيها العبد المخلص الصادق ، كشف النقاب ورفع الحجاب . فعليك بِحَجْبِكْ ما سواه ، من كل باب تُصُوِّرْ، ولاحظ عدمية العـالم واجحـده ، فعـن قريب يشرق القلب بنوره ، ولا حاجة للكشف والإطلاع على ذلك الجمال ، والتجلي بأنواع ذلك الجلال ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص: آية ٨٨] ، فعن قريـب تتحقـق بحقـائق الكمـال .

وأهل التوفيق تكون الصفات معارجهم إلى طور التجليات ، وأضحت تجليات الذات مـدرجهم ؛ فساروا في الذات بتحقيق معاني الصفات ، وَسَرَوا في أفلاك المعاني الصـفاتية ، فـلا يزالـون فـي النعم وشكرها متلذذين بالذات ، واستراحوا من هموم التعـب ، وزال عـنهم حكـم وجـود الألـم والنصب ، وحصل التمكين بتحقيق أمر العظمة ؛من التجلي المعروف بـ(الحُطمة) ، [فتطمئنوا[3]] في ذاته وصفاته ، ﴿ لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ ﴾[سورة الأنبياء: آية ١٠٣] ، وقوله : ﴿ وَهُمْ فِـي مَـا اشْـتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾[سورة الأنبياء: آيـة ١٠٢] ولا يبقون في المنزل الأَوطىء ، ولا يستريحون في المستوى الزلفي ، تابعين لآثار النبي المصطفى ﷺ ، في ذاتـه وصـفاته ، وجميـع اسـمائه الحسـنى ، قولـه تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ ﴾[سورة الإسراء : آية ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿ اللّهُ وَلِـيُّ الَّـذِينَ آمَنُواْ ﴾[سورة البقرة: آية ٢٥٧] ، الآية تشتمل على الواصلين من السـالكين فقـط عنـد فنـائهم ، وبقـائهم عبارة عن فناء العبد في الحق ، فالولي هو الفاني فيه والباقي به ، وليس المراد بالفنـاء هنـا انعـدام

(١) في (ب) التحديد.
(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : والمأجوذ .
(٣) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : فنظموا .

عين العبد مطلقاً؛ بل المراد منه فناء جهة البشرية في الجهة الرَّبانية ، إذ لكل عبد جهة من الحضرة الإلهية ، المشار إليها لقوله[١] تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[سورة البقرة: آية ١٤٨] ، ولا يمكن التوجه إلا بالمحبة الذاتية ، الكامنة في العبد ، والمحبة هي المركب ، والزاد التقوى ، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[سورة الحجرات: آية ١٣] ، وهذا المقام دائرته أتمّ وأكبر من دائرة النبوة ؛ لذلك انختمت النبوة ، والولاية دائمة ، وجعل الولي اسماً من اسماء الله تعالى ، دون النبي ﷺ ، ولمَّا كانت الولاية أكبر حيطة من النبوة ، وباطناً لها ؛ شملت الأنبياء والأولياء ، فالأنبياء أولياء فانون في الحق باقون به ، مُنْبِئُونَ عن الغيب وأسراره ، بحسب اقتضاء الاسم الذي من إثباته وإظهاره في كل خير منه ، وهو مقام [اختصاصي[٢]] لا كسبي ، بل جميع المقامات اختصاصية لا كسبية ، لكن لابد من رجوعك إلى صفتك ، أعني الأعمال الظاهرة ، [على ما في[٣]] الشريعة الزكية ، فمن مال أو شطّ عنها حَرْف قدم ؛ فليس هو على تلك ، ولا يتخلص من القيود والأستار والعيوب .

* * *

﴿فصل﴾

(٢٢)

وإياك أن ترى الكثرة ؛ تحجبك عن وجه الوحدة ، وحقيقة المعرفة رفع حجاب الكل من المخلوقات ، فيكون له تصحيح الرجوع عن الخلق إلى الحق ، في مقام الاستقامة ، وهو أحدية الجمع. والعز والشهود ، اندراج الحق في الخلق ، واضمحلال الخلق في الحق ؛ حتى ترى العين

---

(١) وهكذا في الأصل ، ولعلّها : بقوله .

(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : اختصاص .

(٣) ما بين القوسين في (ب) .

الواحدة مقام أعلى ، مقام أهل رتبة الفناء ، فصح لهم البقاء [الأبدي(١)] السرمدي ، فهم لا يزالون تحت ظل النعم يتقلبون فيها ، لا يرون إلاّ شهود الحق الصِّرف ، هم الذين مشت أقدامهم على الصراط المستقيم ، يدعون إلى الله على بصيرة ، ومشوا على طريقه ، إلى أن وصلوا إلى القرب ، وعين القرب : قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴾[سورة الواقعة : آية ٨٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[سورة ق : آية ١٦] ، والروحانية أقرب من الحواس ، فكمل العلم في صدور الذين أوتوا العلم ، ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ ﴾[سورة العنكبوت : آية ٤٧] ، وافهم امتنان الله علينا ، وفضله وجوده أن أوصل إلينا هذه المقالة في القرآن العظيم ،ثم جمعها الجامع للكل محمد ﷺ بما أخبر به عن الحق ؛ بأنه عين السمع والبصر والرِّجل واليد واللسان ؛ أي هو عين الحواس ، والقوى الروحانية أقرب من الحواس ، فاكتفى بالأبعد المحدود ، عن الأقرب المجهول . فترجم الحق لنا عن نبيه المصطفى محمد ﷺ ، و نطق بالبشائر ، وترجم ﷺ عن الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[سورة الشورى : آية ١١] ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، فافهم وأمعن النظر فيما أقول لك به ، وإني ما أقول إلا بما يقال لي به ، فقلب العارف بالله هو من رحمة الله ، وهو أوسع منها ، فكيف وهو وسع الحق جل جلاله ؟!. ورحمته لا تسعه ، والحق راحم ليس بمرحوم ، فلا هنا حكم للرحمة فيه ، وعند التجلي يتحول في الصور كلها لا يخرج منها خارج ، ولا يدخل فيها داخل إلا بها ، والله أعلم ؛ في صور الكثرة ، قوله تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[سورة لقمان : آية ٢٨] .

(١) ما بين القوسين في (ب) .

* * *

﴿فصل﴾

(٢٣)

فانظر وأمعن النظر في أهل المراتب العلية ، الذين تخلصوا و خُلِّصوا من كيد الشيطان الرجيم ، وحُفِظوا عن حب الرِّئاسة ؛ لأنها آخر ما خرجت من قلوب الصديقين ، أهل عين اليقين عن يقين[1] الشهود ، لا نهاية لكمال الولاية ، ويكون بعض المراتب أقرب من بعضها إلى النبوة والولاية ، قوله تعالى : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٦٣] ، ولما كان المبعوث إلى الخلق تارة من غير تشريع وكتاب مبين من الله تعالى ، وتارة بتشريع وكتاب منه سبحانه وتعالى ، فجمع نبينا محمد ﷺ المراتب الثلاث : الولاية والنبوة والرسالة ، صلوات الله عليهم أجمعين ، فلله الحجة البالغة ؛ فمن هنا شهود الحق لأهل التمكين ، وهم صفوة الله سبحانه وتعالى الذين صفت سرائرهم عن رؤية الغير ، بشهود الحق المتجلي ، وشهود خواصهم لذاته قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[سورة الفرقان : آية ٤٥] ، وليس هذا التفسير بلسان العبارة ؛ بل بحسب التأويل ، فما ثَمَّ وجود لغيره أصلاً في نفس الأمر ، إذ هو بشهود[2] بعد الحس الوجود الحقيقي ، والظل المحدود على الأشياء ، وليس إلا وجود الحق المتجلي ، ولا لصورة العدمية حس ولا مدخل ، ولا مجال ولا وجود ، ولا موجود في الحقيقة إلا هو ، قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[سورة الأنعام : آية ١١٨] وهو اللطيف الخبير ، والسميع البصير ، وهو حسبنا ونعم

---

(١) هكذا في الأصل ، وفي (ب) عين يقين الشهود ، ولعلّها : أعني يقين الشهود .

(٢) في (ب) شهود .

الوكيل ، وإليه المصير ، والله هو الغني الحميد ، قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[سورة فاطر : آية ١١٥] ، إذ إليه الافتقار بلا شك ، وقد مهّدنا طريق السبيل للصادقين من الرجال المخلصين أهل الكشف الحقيقي ، وهذه الرحمة للكل منها نصيب ، وفي الخبر الصحيح أن النبي ﷺ رآى جبريل عليه السلام بالسدرة ، وله ستمائة جناح وفيه أنه يدخل كل صباح في نهر الحياة ، ثم يخرج فينفض أجنحته ؛ فيخلق الله من كل قطرة من قطراته ملك من ملائكته لا عدد لهم . وهذا العالم يشتمل على العرش والكرسي ، والسموات السبع ، والارضين السبع ، وما في جميعها من الأفلاك وغيرها ، وفي هذا المقام تنبيه للطالب على كيفية المعراج النبوي ، وشهوده ﷺ ليلة الإسراء جميع الأنبياء ، واجتماعه بهم عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، وعروجه يحصل للمتوسطين عنه في السلوك ، وقد يعرف العارف بالفراسة الكشفية ، ولا فيها اصطلاح إلا لمن أذن له وقهر ، فيها قال عليه السلام : (اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله) ، وقال عليه السلام : (الدجَّال مكتوب على ناصيته ، كاف ، فاء ، راء ، لا يقرأه إلا مؤمن) ، وقال تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[سورة الفتح : آية ٢٩] ، في حق أهل الجنة وفي حق أهل النار ، ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ١٤١] وأقول والله أعلم : أن المحبة تورث الإتصال بين العدم والوجود ، فلا وجود ولا موجود في الحقيقة إلا هو وحده ، والظل خيال زائل ، وتوهم باطل ، قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦ ـ ٢٧] .

* * *

﴿فصل﴾

(٢٤)

والعلم بالله سبحانه وتعالى علم يكون لَدُنِّي ذوقي ، لا يعلمه إلاَّ هو ، وكيفيته على ما هو عليه مختص بالله ، لا يمكن الإطلاع عليه إلا من شاء الله من عباده الكمَّل ، وحصل له هذا المشهد العالي الشريف ، الذي لا يناله إلا أهله ومستحقيه ، وهو التجلي الذاتي المفني للأعيان بالأصالة ، قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً ﴾[سورة الأعراف : آية ١٤٣] ، والإتحاد بين الشيئين المتغايرين من كل الوجوه ؛ شرك عند أهل الله ، فالأعيان عندهم منطمسة بنور الواحد القهار ، وظهور الصفات من حيث خصوصياتها الموجب لتعددها ؛ لا يمكن لها ، إلا أن تكون الاسماء لكل منها صورة مخصوصة ؛ فيلزم التكثر . ولما كان كل منهما طالب لظهوره وسلطنته وأحكامه ؛ حصل النزاع والتخاصم في الأعيان الخارجة ، باحتجاب كل منهم عن الاسم الظاهر في غيره ، فاحتاج الأمر الإلهي إلى مظهر حكم عدل ؛ ليحكم بينهما ويظهر نظام العالم في الدنيا والآخرة ؛ بحكم[١] ربه الذي هو رب الأرباب ؛ بيّن[٢] الأسماء أيضاً بالعدالة ، ويوصل كل منهما إلى كماله ظاهراً وباطناً ، والنبي الحقيقي الأزلي الأبدي، أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً ، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ وهي الحيطة التامة الجامعة ، مشتملة على دوائر متناهية ، قال الله تعالى : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٥٧] ، وهم أهل عزم النبوة والولاية ، ولا يلحق بهذا المقام العالي المنيف القدسي ، ولا يتجلى الحق إلاَّ لمن انمحى رسمه وزال عنه اسمه ، فكشف عين بصيرته ، وكاشف ما فاض عليه من أسرار المكاشفة ، وهي[٣] معراج

---

(١) في (ب) ويحكم .
(٢) في (ب) بين .
(٣) في (ب) وهو .

في حقه وسلسلة معنويّة ذوقيّة ، لا لها وقت معلوم ، ولا يعلمها إلا أهل الفناء ، الذين هم باقون على قانون السر الخفي ، والله أعلم .

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : (سبحان من اتسعت رحمته لأوليائه ، في شدة نقمته لأعدائه ، واشتدت نقمته لأعدائه ، في سعة رحمته لأوليائه) ، ومن هنا يعلم سر قوله عليه السلام : (حفّت الجنة بالمكاره ، وحفّت النار بالشهوات) ، ويرجع التكثر إلى العلم اللدني ؛ لأن علمه سبحانه بذاته لذاته ، ووجب العلم بكمالات ذاته في مرتبة أحديته ، المتعلق بحقيقة الكمال الذاتي ، في مقام جمع الجمع ، والأعيان في مقام الجمع ، والتفصيل ظاهراً وباطناً إلا بطريق الشهود ، وكلامنا عبارة عن التجلي الحاصل من تعلق الإرادة والقدرة ؛ لاجتماعها في إظهار ما في الغيب ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[سورة يس : آية ٨٢] .

* * *

﴿فصل﴾

(٢٥)

وانظر في القسمة ، هي أربعة اسماء هي الأمهات ، فهي : الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن . يجمعها الاسم الجامع ، وهو الله و[1] الرحمن ، قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾[سورة الإسراء : آية ١١٠] ، فالكل منها الاسماء الحسنى الداخلة تحت حيطتها ، فكل اسم يكون مظهره أزلياً وأبدياً أزليته من الاسم الأول ، وأبديته من الاسم الآخر ، واسماء الذات هو الله ، الرب ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبّر ، العلي ، العظيم ، الظاهر ، الباطن ، الأول ، الآخر ، الكبير ، الجليل ، المجيد ، الحق ، المبين ، الواحد ، الماجد ، الصمد، المتعالي ، الغني ، التواب ، الوارث ، ذو الجلال ، الرقيب . واسماء الصفات الحي ، الشكور ، والقهار، المقيت ، القوي ، القادر ، الرحمن ، الرحيم ، الكريم ، الغفار ، الغفور ، الودود ، الرؤف ، الحكم ، الصبور ، البر ، العليم ، الخبير ، المحصي ، الحكيم ، الشهيد ، السميع ، البصير . فكن أيها الراغب في أسنى الطريق في الاستقامة ، قال ﷺ : (شيبتني سورة هود) ، ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[سورة هود : آية ١١٢] ، وهو ﷺ روح الأصل ، جامع الرسالة ، والنبوة ، والولاية ، ﷺ . ولا ترمق غير هذه الطريقة ، فكن معنا في سلكنا وعروتنا الوثقى ؛ التي لا انفصام لها ، وتجرد عن الكونين ، وإيّاك أن تطمع في متاع الدنيا وطَيِّباتها ، وامتنع عن مقتضيات النفس ولذاتها ، وعن اتباع الهوى ، فإذا صح ذلك ؛ صح لسالكه الدخول في إرادة المريد ، وأما المريدين لنا فقد توليناهم بعين الرحمة الواسعة ؛ فكانوا في الفناء الكلي ،

---

(١) في (ب) أو الرحمن .

تحت الحكم الرباني ، فلا تأخذهم المكاشفات لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا ﴾ [سورة غافر : آية ٥٩] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [سورة طه : آية ١٥] ، وآيات دالة .

* * *

﴿فصل﴾

(٢٦)

وحقيقة التوحيد ؛ معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم ؛ فعل الله وحده لا شريك له ، وإذا عرفت ذلك ؛ فقد وَحَّدْتَه ، وكذلك إن لم يكن نظرك فيه ، فقد أثبت معه غيره ، ولا غير في الحقيقة سواه ، ورؤية غيره دونه ؛ تعمي القلب وتحجب اللب ، فالمعاني أوسع من العبارات ، والصدور أفسح من الكتب المؤلفات ، وعندنا علم كثير ما يعبر عنه ، وأَطْمِحْ قلبك في كلامنا ، والزم وقوفك بين أيدينا . [ولصاحب(١)] جمع الجمع من كل المقامات [واردات(٢)] وفي كل الحضرات له مشاهدات ، ومن كل الاسماء عليه تجليات ، يتكلم بلسان الحقيقة ، مع إثبات الصّحو لا بالسكر ، وهي الأسرار المكنونة ، مع الكشوفات العينية(٣) ، فافهم الكلام الصحيح ، كن مع الله عز وجل كأن لا خلق ، ومع الخلق كأن لا نفس ، وعن الكل فنيت ، وإذا كنت ذا فهم وعلم وحلم ؛ فارحل وافهم العلم اللدني الذوقي ، وتمكّن في دَرْسه ،كما يدرسون أهل العلم الظاهر الفنون الذوقية ، لكن يدرسونه كما هذا العلم الظاهر ؛ حتى ينطبع فيهم ، وهذا العلم اللدني تقاصرت الأفهام عن كنه ذاته بلا كيف ، ولا يدركه إلاَّ أهل العقول المنورة ، فكانوا هم الفضلاء

---

(١) وفي الأصل : وصاحب .

(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : واردات .

(٣) في (ب) الغيبيّة .

النجباء ، رحلوا عن كل علم غير ذلك العلم وفنونه ، والمعاني أوسع من العبارات ، والصدور أفسح من الكتب المؤلفات ، وعلم كثير ما يعبر عنه، واطَمْحَ بنظر قلبك إلى باب القصد الصحيح ، والذوق الصريح ، وإيَّاك أن تنظر إلى شيء من درجة أو مقام ؛ يقطعك عن هذا العلم اللدني . اللهم ارزقني وأحبابي العلم اللدني ، والمشرب الصافي الهنيء ، وافهم الإشارة مجردة عن العبارة ، وتَبَعَّدْ عن من لا له ذوق وفناء في تحقيق الإرادة .

* * *

﴿فصل﴾

(٢٧)

وأما نحن فنقول للعارف : خمرنا الذات ، وكأسنا الاسماء والصفات ، وقلنا : هنيئاً لأهل حضرة الدَّيْر ، أهل السكر الصحوي ؛ فلا تأخذهم الدهشات والصعقات ؛ لأنهم كلما شربوا من أقداح خمر الذات ؛ حقت لهم مشاهدات المعاني والجمال ، فلا تحرقهم تجليات الجلال ، فلهم الأنس العظيم ، ولله الحمد والمنة . والإمكان ، وهو الإنسان الكامل ، وكذا مرآة الحضرة الإلهية ، وهو مظهر الذات ، مع جمع الاسماء ؛ لأنها حضرة الوجوب والإمكان ، أعني الحضرتين ، فكان العارف الكامل له فيها العلم والذوق ، ولا يمكن التصريح إلا لأهله ، فما صحّت الخلافة إلا للإنسان الكامل ، فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العلم وصوَّره ، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى ؛ ولذلك قال فيه : (كنت سمعه وبصره) ، ما قال : كنت عينه وأذنه ، ففرق بين الصورتين ، وهكذا هو في كل موجود من العالم ؛ بقدر ما تطلبه حقيقة ذلك الموجود ، وليس لأحد مجموع ما في الخليفة ، فما فاز إلا بالمجموع ، ولو لا سريان الحق في الموجودات

بالصورة ؛ ما كان العالم وجود ، كما أنه لو لا تلك الحقائق المعقولة الكلية ؛ما ظهر حكم في الوجود ، ولله الحمد وكمال المنة ، ولهذه الحقيقة صح افتقار الجميع إلى الحق ، ونشأة جسد آدم أعني صورته الظاهرة ، ونشأة روح آدم أعني صورته الباطنة ، وقد استحق الخلافة ، فآدم النفس الواحدة التي خلق منها هذا النوع ، وهو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء ﴾[سورة النساء : آية ١] ، وقوله : ﴿ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ ، أي اجعلوا ما ظهر وما بطن وقاية لكم ، واعلم أن القبضة الواحدة فيها العالم ، وقبضة أخرى فيها آدم و[بنيه(١)] ، وبيّن مراتبهم فيه . وآدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، هو الوالد الأكبر ، [وأمّا(٢)] الخاتم الجامع لختام النبوة والولاية ، هو محمد ﷺ ؛أب الكل من الأرواح ، قوله تعالى : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[سورة الأحزاب: آية ٤٠] ، ولو سألتني عن هذا السر الأعظم ، والمقام الأكرم ، لأجبتك فيما سألت وطلبت . لكن كن معنا بالأدب ، ولو أبحناه [لما(٣)] وسعته الصدور ، ولو أن الشجر أقلاماً ، والبحر مداداً ، وجميع الخلق يكتبون الإحاطة بذلك ؛ ما أحصوه . قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ [سورة الكهف : آية ١٠٩] ، فليس عليك إلاَّ المحبة والتوجه الكلي ؛ تذوق ذلك .والحذر أن تطمع نفسك ؛ أن ترقى إلى هذا الدرج والمعراج العظيم ، إلا من فيض المعدن الأقدس ، ولكن ارجع إلى العجز عن إدراكه ، إذ العجز عن إدراك ذاك إدراك . ومن أعطاه الله العلم والسكون ؛ ما [أعطاه(٤)] العجز . وهذا عندهم وعندنا أنه أعلى علم بالله ، وليس يكون

(١) ما بين القوسين في (ب) في الأصل : وبنوه .
(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : والخاتم .
(٣) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل ما وسعته .
(٤) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل ما أعطى .

هذا العلم إلاَّ الخاتم الرسل ، وخاتم الأولياء ، [فهو(١)]من مشكاة الولي الخاتم ؛ حتى يكون من مشكاة الرسالة والنبوة ، أعني بيده الشريفة ، وذلك لا يقدح في مقامه ، ولا يناقض ما ذهبنا إليه ، فيلزم الكل أن له التقدم في كل شيء . ورتب العلم في كل مرتبة ، وهو العلم بالله ، وهو مطلبهم ، ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللِّبنِ ، وقد كمل سوى موضع لَبِنَة واحدة ؛ فكان ﷺ موضع تلك اللبنة ، غير أنه ﷺ لا يراها إلاَّ كما قال : لبنة واحدة . وكان خاتم الأولياء وليّاً وآدم بين الماء والطين ، وغيره من الأولياء ما كان ولياً ، إلا بعد تحصيل شرائط الولاية من الأخلاق الإلهية في الاتصاف بها ،من كَونِ الله تسمّى بالولي الحميد ، فخاتم الرسل من حيث ولايته ؛ نسبته مع الختم للولاية ، نسبة [الأنبياء(٢)] والرسل معه . فإنه الولي الرسول النبي ، وخاتم الأولياء . [فالولي(٣)] الوارث ، الآخذ عن الأصل ، المشاهد المراتب ؛ حسنة من [حسنات(٤)] محمد ﷺ ، مقدم الجماعة وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة ، فعين حالاً خاصّاً ما عمم في الحال الخاص ، تقدم على الاسماء الإلهية ، فالرحمن ما يشفع عند المنتقم في أهل البلاء ، إلا بعد شفاعة الشافعين ، ففاز محمد ﷺ ؛ بالسيادة في هذا المقام الخاص ، فمن فهم المراتب والمقامات لم يعسر عليه قول من هذا الكلام . وخَلَقَهُ رحمةً منه بهم قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم: آية ٤] ، فهذه أخلاقه من عين الرحمة الواسعة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، ونؤيدك [بهذا(٥)] العلم ، والنبي ﷺ ربط معرفة الحق بمعرفة النفس ، فقال : (من عرف نفسه عرف

---

(١) ما بين القوسين في (ب) وسقط من الأصل .

(٢) في (ب) الأنبياء وفي الأصل : الأولياء .

(٣) في الأصل : فإنه الولي الرسول النبي وخاتم الأولياء الولي الوارث ، الآخذ ...

(٤) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : حُسنا .

(٥) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : بذلك .

ربه)، قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾ [سورة فصلت : آية ٥٣] ، واسمع قوله: ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الفاتحة : آية ٢] ، أي يرجع إليه عواقب الثناء ، فهو المثنى عليه ، قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشورى : آية ١١] فنزه ، وهو السميع البصير فشبّه ، لأن نوحاً عليه السلام لو جمع [لقومه(١)] بين الدعوتين ؛ لأجابوه ، فدعاهم جهاراً ، ثم دعاهم إسراراً ثم قال لهم : استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، وقال : دعوت قومي ليلاً ونهاراً ؛ فلم يزدهم دعاءي إلا فرارا . وقوم تصامموا عن دعوته ؛ لعلمهم بما يجب عليهم من إجابة دعوته ، فليعلم كل عالم بالله ما أشار إليه نوح عليه السلام ؛ في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذمّ . وعلم أنهم لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان . والقرآن يتضمن الفرقان ، والفرقان لا يتضمن القرآن ؛ ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ﷺ ، وإنه النبي محمد ﷺ ، المبعوث إلى خير أمة أخرجت للناس ، وليس كمثله شيء ، فَجَمَعَ الأَمرَ في أَمرِ واحد ، فلو أن نوحاً أتى بمثل هذه الآية ؛ لأجابوه فمن هنا محمد ﷺ ما دعى قومه لا ليلاً ولا نهاراً ؛ فكان في أعلى مقام الصبر ، قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ ﴾ [سورة النحل : آية ١٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ﴾ [سورة المعارج : آية ٥] ، فهذا مقامه ، وهو ﷺ ، قال : (من عرف نفسه عرف ربه) ، فهو أعلم الخلق بالله ، وأكملهم وأفضلهم ، فإنه ما يعطي العبد الصادق الكشفَ الجليَّ ، إلا بعد فناء نفسهِ الأمارةِ ، وبقاء نفسه المطمئنة الراضية ، الراجعة إلى ربها راضية مرضية ، قوله تعالى : ﴿ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٤٩] .

* * *

(١) ما بين القوسين في (ب) ،وفي الأصل : لقوله .

﴿فصل﴾

(٢٨)

ومن أيده الله بالهداية ، وفتح عين بصيرته ؛ أدرك مَنْ نَفْسُهُ[١] ،قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾[سورة ص : آية ٢٠] ، وافهم وارجع إلى عين واحدة ، (كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) ، وذَكَرَ أن هويته هي عين الجوارح ؛ التي هي عين العبد ، والهوية واحدة والجوارح مختلفة ، وآداب القلب ؛صلاحها . قال الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[سورة فصلت : آية ٣١-٣٢] ، والأعيان الممكنة تنقسم إلى أقسام : الجوهرية والعرضية . والجوهرية متبوعات في العرضية ، وكلها توابع مظهر الاسم المطلق . ومظهر الاسم الجامع الآخر ، الجامع لهذه الأربعة ؛ الإنسان الكامل الحاكم في العوالم كلها . وعالم المثال : مظهر الاسم المتولد من اجتماع الظاهر والباطن ، وهو برزخ بينهما مظاهر رقائق الاسماء ؛ التي تحصل من اجتماع بعضها بعضاً[٢] ، وهي أسرار متناهية ، ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾[سورة الكهف : آية ١٠٩] ، وكلماته تعالى هي أصل وفرع أعيان الحقائق كلها ، وكمالات الاسماء المشتركة . بخلاف الاسماء المحضة ؛ كمالاتها مختصة بأربابها وأهلها. والعرش مظهر الرحمن ومستواه ، والكرسي مظهر الرحيم. فأمعن النظر

(١) في (ب) أدرك أمر من نفسه .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بعضها مع بعض.

وتجرد بخصائصهم ، واطمع في رمقهم العالي ، فهم أهل لها وأحق بها . ولا يزال فيض المعدن إلى حضرة الجمع من غير انقطاع ، والقابلية إلى الأعيان ، وقد وصف الحق نفسه على لسان مَنْ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾[سورة النجم : آية ٤] ؛ بقوله : (إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة) ، والحجب النورانية [هي[١]] الأرواح ؛ وإنما حجبت لغاية[٢] قربها ؛ ما ورائها ، وإن كانت نورانية ؛ لأنها اللطيفة ، وإن اتصفت ببعض الكدورات النفسانية . ومِنْ حَجْبِهَا أنها تنسب الأمور الراجعة إلى الله سبحانه وتعالى ؛ لأَنه إنما يحصل برفع الحجاب من كل وجه ، وهو ما يرفع[٣] نفسه بالكلية ؛ فلا يتصور له الإدراك ، [أو الاتحاد[٤]] ؛ لكنه[٥] باطل . وكمال معرفته ما يكون بالتميز[٦] ، لكن نفهمك ونميزه لك : وهو يكون بالنظر إلى العالم الذي هو الحجاب برفع الحجاب ؛ في كمال المعرفة المطابقة للواقع ، من تمييزه عن موجبه بافتقاره إليه ، فلا يزال في وجوب[٧] الذاتي ، فهو وإن عرف الحق من جميع تلك الحقائق ، ولابد أن يقوم بجميع ما تحتاج إليه الرعايا . وخذ ما قلنا أيها الصادق المخلص ، وما أشرنا به ؛ لأنكم قاصرين عن إدراك فهمه وعلمه ؛ عليك بالأدب ، وامتثال الأمر على ما ورد وصدر . ولا تزال أرواح العاكفين أهل القلوب ؛ في الترقي إلى مشاهد أسرار الغيوب ، على علم اليقين ، وعين اليقين، وحق اليقين ، وحق الشهود ؛ لأنه أصل اللوح المحفوظ ، الذي هو الكتاب المبين ، وهو ﷺ لم يظهرها للعامة ،

---

(١) في الأصل : وهي .

(٢) أي : لشدّة قربها .

(٣) [ما] في العبارة نافيه أي : لا يرفع نفسه بالكلية .

(٤) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : وبالاتحاد .

(٥) لعلّها : لأنه .

(٦) في (ب) بالتمييز .

(٧) في (ب) وجود .

وأمرني بإظهارها لأهل القلوب والبصائر ، ولو جاوزنا علوماً جمة ، أوجب الحق صيانتها ؛ أمكن(١) كتمه على بعضهم من أرباب النفوس وحب الرئاسة والجاه ، فلا بهم عبرة . لكن أظهرنا لأهل الذوق على قدر فهمهم وما ظهر لهم ، وما لم يظهر لهم العذر فيه(٢) ، أعني بيانه لأهله ؛ وليس لهم تمييز بين النورين ، فإن التجلي لا يكون إلا بذوق على ما يأتي به المتوجه من غير سؤال ، وقد يكون في سؤال العبد ، بعض عجل لأن الإنسان خلق عجولاً ، فسؤال العبد إن تركه وتَضَمّن(٣) الإجابة لقوله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[سورة غافر : آية ٦٠] ، والسكوت ولزوم الأدب أحسن وأفضل للمريد المتوجه ؛ لأنه آلة مطروحة لا يأمن نفسه ، وقد يطلب الكمال من له نفس وحظ في هوى ؛ يكون به الدعوى وقصد أمر بعينه ،غير التقرب إلى ربه وتقربه(٤) ، فلا يكون ذلك في بعض الكمَّل ، قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[سورة يوسف : آية ٥٣] ؛ لأنه اختيار للسؤال ، ولذلك إن إبراهيم خليل الرحمن على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ؛ لما أُلقي في النار من النمرود ورمى به فيها ، فتلقاه جبريل عليه السلام بحريرة خضراء من الجنة ، وقال له : (أَلَكَ حاجة يا إبراهيم ، فقال : أمّا إليك فلا ، وأما إلى الله فبلى ، قال : فاسأله ، قال : علمه بحالي يكفي عن سؤالي) ، فهذا من أعظم مشهد النبوة ، عَلِمَ في باطنه ليس لأحد وجود(٥) ؛ فكانت عليه برداً وسلاماً ، قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ٦٩] ، فكان جزائهم يعني نمرود وقومه أن يعذبوا أبد الآباد ؛ بالنار الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة

---

(١) في هامش (ب) ، لعلّه : إن أمكن .

(٢) هكذا في الأصل لعلّها : فالمعذرة فيه .

(٣) في (ب) وتُضْمن.

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلها : وقربه (أو) وتقربه إليه .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بأنه ليس لأحد وجود .

. فصح له ذلك بامتثاله للحق ؛ في أمر ذبح ولده ، وسمع ورضي فخلصه الله، فحق له الرضى قال النبي ﷺ في الإحسان : (أن تعبد الله كأنك تراه) والله سبحانه وتعالى في قبلة المصلي ، لاشيء يتصور مع تنزيه الحق ، بلا شك ولا ريب ، وهذا إذا صح المعنى ، ولا يمكن إلا بالقدرة التامة والصفات الإلهية جميعها ؛ فله كل الاسماء يتصرف فيها في العالم بحسب استعدادهم . وكانت الحقيقة على الجهتين : الربوبية والعبودية ، لا تصح لها أصالة ؛ بل تبعية خلافة ، فلها الإحياء والإماتة ، واللطف والقهر والرضى والسخط وجميع الصفات ؛ لتتصرف في العالم ، وفي نفسها وبشريتها أيضاً ؛ لأنها منه . وبكاؤه ﷺ ، وضجره وضيق صدره ، لا ينافي ما ذكر ؛ فإنه من بعض مقتضيات ذاته وصفاته ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴾ [سورة يونس : آية ٦١] من حيث مرتبته ، وإن كان يقول : (أنتم أعلم بأمور دنياكم) من حيث بشريته ، و[كلَّما[١]] كان يراه[٢] في سكوته ونطقه ، وما يظهر في بشريته من اللوازم من حيث البشرية ؛ من التقيد والتنزل إلى العالم الباطن ، فيصير مجمع البحرين ومظهر العالمين ، فكلما رأيته في نزوله أيضاً فهو عين الكمال ؛ [لأنَّ[٣]] عروجه إلى مقامه الأعلى كماله ، والنقائص كمالات ، يعرفها من تنور قلبه ، بالنور الإلهي .

❊ ❊ ❊

(١) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : وكما .
(٢) هكذا في الأصل وجميع النسخ ، ولعلّها : يُرى .
(٣) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : لأنه .

﴿فصل﴾

(٢٩)

ولما كانت الخلافة واجبة من الله تعالى في العالم بحكم قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ ﴾[سورة الشورى : آية ٥١] ، وجب وثبت وصح ظهور الخلافة ، في كل زمان من الأزمنة ؛ ليحصل لهم الاستئناسْ ، ويَعْرِفُ وصفَهُ بالكمالِ اللائق به ، كُل من الناسْ ، قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩] ، فظهرت تلك الحقيقة بِصِوَرٍ خاصة ـ كل منها في مرتبة ـ بأهل ذلك الزمان ، وللزمان والوقت ما يقتضيه الاسم ، وهنا تَصَحَّحَ مظهرها ؛ من ظهور مظهرها مِن صور الأنبياء عليهم السَّلام . وكن محقق وراجع إلى حقيقتهم ، وكونهم[١] عين تلك الحقيقة المحمدية ، الجامعة للأنبياء ؛ لظهور كل منهم ببعض الاسماء . وحقيقتهم ـ الجميع ـ [راجعة[٢]] إلى الحضرة الواحدة ؛ بغلبة[٣] أحكام الوحدة ؛ وحكمت باتحاد علمهم ، ووحدة ما جاءوا به من الدين الإلهي ، وقوله تعالى : ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٨٥] ، فالقطب الذي عليه مدار العالم وأحكامه ، وهو مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد ؛ واحد باعتبار حكم الوحدة ، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ ، وباعتبار الكثرة بالتعدد ، وقبل انقطاع النبوة ، وهذا الترتيب والنظام ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[سورة الرعد : آية ٧] ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[سورة فاطر : آية ٢٤] ،إلى أن تختم بظهور خاتم الأنبياء ، وهو الخاتم للولاية المطلقة ، وهو

---

(١) في (ب) وقلوبهم .

(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : راجعين .

(٣) في (ب) تغلبه .

الخاتم لها على الإطلاق . وانظر قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾[سورة الرعد : آية ٩] ، ولابد أن يظهر الغيب إلى الشهادة ، ويدخل منها إلى الغيب المعاني والأسرار الخفية ، واللطف والعلوم اللدنية ، وجميع المعاني والتجليات والكائنات ، من كل صورة صلاحاً وفساداً ، ما لا يختص به إلا الله ، وسميت باسمها قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[سورة ق : آية ١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩].

* * *

﴿فصل﴾

(٣٠)

واعلم أن الروح الأعظم ، الذي في الحقيقة هو الروح الإنساني ، لمظهر الذات الإلهية ، من حيث ربوبيتها ، ولا يحوم حوله حائم ، وله في العالم الكبير مظاهر ، وأسماء من العقل الأول ، والقلم الأعلى واللوح المحفوظ ، قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[سورة طه : آية ٧] و ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٥] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] ، وقوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾[سورة النجم : آية ١١] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[سورة الشرح : آية ١] ، ولا يدرك ذلك إلا أرباب القلوب الراسخين في العلم بالله ، دون غيرهم ، وافهم أن حكم باب الجمع شيء واحد ، حقيقة صدق ، ولا يفهم ما قلنا به إلا ذوي المعارف ، أهل الأرواح المجردة ، قال الله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ ﴾[سورة الزمر : آية ٦٨] ، وهم الذين سبقت لهم القيامة الصغرى ، وقال عليه السلام : (كل

شيء يرجع إلى أصله) ، وقال عز من قائل : ﴿ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة آل عمران : آية ٨٠] ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨]، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦ ـ ٢٧] ، وفناء وجه العبودية ، في وجه الربوبية كانعدام القطرات عند وصول البحر ، وذوبان الجليد بطلوع شمس الحقيقة ، قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٤] ، أي نزيل عنها التعين السماوي ؛ليرجع إلى الوجود المطلق ، بارتفاع وجوده المقيد ، وقال تعالى : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] يشير إلى ظهور دولة حكم المرتبة الأحدية ، والصحيح أيضاً أن الحق سبحانه يميت جميع الموجودات ، حتى الملائكة وملك الموت أيضاً ثم يعيدهم لفصل القضاء بينهم ؛ لينزل كل منزلته من الجنة والنار ، وكلها ترجع إلى مراتب الوحدة ، من جملة الاسماء المقتضية له : القهار ، والواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، والمغني ، والعزيز ، والمعيد ، والمميت والماحي ، ومن لم يذق ويفهم هذا المشهد من العارفين ، علماء الغير الواصلين حالاً ، فهو من المغرورين بعقولهم الضعيفة الغاوية قلوبهم ، فليس بهم عبرة ، وذلك كله من ضعف إيمانهم بالأنبياء عليهم السلام ، أعاذنا الله وأحبابنا من ذلك ، فالزم الفرار منهم ، والنظر إليهم يظلم القلب ، ويمحي عنه أنوار الإيمان . قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ﴾[سورة الفرقان : آية ٤٥] ، فهو لا غيره ، فكل ما تدركه فهو وجود في أعيان الممكنات ، فمن حيث هوية الحق هو وجوده ، ومن حيث أحدية الحق ، فكل ما تدركه من الممكنات ، ومن حيث اختلاف الصور فيه أعيان الممكنات ولا يمكن إظهار الحق فيه ، إلا من يكون الحق سمعه وبصره ، وجميع قواه وجوارحه ؛ بعلامات قد أعطاها الشارع ، الذي يخبر عن الحق سبحانه وتعالى ، وافهم أن الجامع للكل محمد ﷺ؛ بما

أخبر به عن الحق ، بأنه : عين السمع والبصر ، واليد والرجل ، واللسان ، أي هو عين الحواس . والقوى الروحانية أقرب من الحواس . وترجم الحق لنا عن نبيه هود ، مقالته لقومه بشرى لهم ، وترجم رسول الله ﷺ عن الله بمقالته بشرى لنا ، وكمل العلم في صدور الذين أوتوا العلم ، ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٤٧] ، فإنهم يسترونها وإن عرفوها حسداً . ويلزم العبد الصادق الكامل مع علمه ، فهذا لزم في [الصورة الظاهرة ، والحالة المقيدة[1]] ، وهنا التوجه بالصلاة إلى المسجد الحرام ، ولابد أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى في قبلته حال صلاته ، وهو بعض مراتب وجه الحق : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾ [سورة البقرة : آية ١١٥] ، فشطر المسجد الحرام منها ؛ ففيه وجه الله ، ولكن لا تقول : هو هنا فقط . بل قف عندما أدركت ، والزم الأدب في الاستقبال[2] ، شطر المسجد الحرام . واللازم للأدب في عدم[3] حصر الوجه في تلك الأبنية الخاصة ، من جملة [أبنيه[4]] ما تولى متولي إليها ، فقد بان لك عن الله في أبنية كل وجه ، وما ثَمَّ إلا اعتقادات ، فكل مجتهد مصيب ، وكل مصيب مأجور سعيد ، وكل سعيد مرضي عنه عند ربه ؛ وإن شقي زماناً في الدار الآخرة ، فقد مرض وتألم أهل العنايات ، مع علمنا وفهمنا ، والعقيدة الجازمة ؛ أنهم أهل حق في الحياة الدنيا ، فَمِنْ عباد اللهِ مَنْ تدركهم تلك الآلام في الحياة الأخرى ، في دار تسمّى جهنم ، ومع هذا لا يقطع أحد من أهل العلم ، الذين كشفوا الأمر على ما هو عليه ، لأنه لا يكون لهم نعيم في تلك الدار . نعيم خاص بهم ، [إما[5]] بفقد ألم يجدونه ؛ فارتفع عنهم ، فيكون نعيمهم إراحتهم عند وجدان ذلك الألم . أو يكون نعيم ـ مستقبل ـ زائد ؛

(١) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل و(ج) : الصورة في الظاهرة والحالة المفيدة .
(٢) هكذا في الأصل ولعلّها : استقبال .
(٣) هكذا في الأصل ولعل العبارة : واللازم في الأدب عدم حصر الوجه .....
(٤) في الأصل (أ ، ج) أبنيّات ، وفي (ب) بنيان ، ولعل الصواب : أبنيه.
(٥) في الأصل : أمّا وفي (ب ، جـ) اما ، ولعل الصواب : إمّا .

كنعيم أهل الجنان في الجنان ، والله أعلم . ولا يفهم ويعلم ما قلناه ؛ إلا عبد له همّة ، وتحقيق في فناء محو رسمه وحسه ، وتحقيق العبودية ، فكان في طائفتنا الكلية الجامعة ، وفي رسم أهل حضرتنا الفائقة العالية ، فهي مأوى ومجمع العارفين بالله المتجردين المخلصين ، قوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [سورة الزمر : آية ٥٤] ، فنحن ننطق للمحبين الممتثلين ، قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] ، عقل راسخ منوّر ، والعقل قيد ، والقلب لتقلبه في أنواع الصور والصفات ، ولم يقل لمن كان له عقل، وأهل المعروف في الدنيا ، هم أهل المعروف في الآخرة ، وإن عارضت النفس الأمارة بالسوء ؛ إلا ما رحم ربي ، فاعدل ، وأثبت عدم الهوى والنفس والشيطان ؛ فزالت الحجابات من تلك ، وبقي حقيقة الحقيقة الذاتية ، التي هي دائرة محيطة بكل مقام ودرجة عالية لا ينالها إلا الصديقون .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

(٣١)

ونحن ولله الحمد والمنة ، لا يغتاص علينا شيء من فنون العلوم اللدنية ، وكمال المعرفة بالله سبحانه وتعالى ، وكل من أتى إلينا بالعجز والتقصير ؛ توليناه على قدر علومنا[١] بالله لأنه عزيز ، وافهم العلم اللدني والعين الثابتة ، ولكل منها صورة ، وتلك الاسماء لها آثار ، التي هي مظهر الاسم الظاهر ، فظاهرها يربي صور العالم[٢] ، وباطنها يربي باطن العلم[٣]لأنه صاحب الاسم

(١) في (ب) علمنا .
(٢) في (ب) العلم وفي (أ) ، (ج) العالم .
(٣) هكذا في الأصل (أ) وفي (ب، ج) ولعلّها: العالم .

الأعظم ، والربوبية المطلقة لذلك قال ﷺ : (خصصت بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة) وهي مصدرة بقوله : ﴿ الْحَمْدُ للّـهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ ﴾ [سورة الفاتحة : آية ٢] ، فجمع عوالم الأجسام والأرواح كلها ، وهذه الربوبية من جهة حقيقتها ، لا من جهة بشريتها ، قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَـا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [سورة الكهف : آية ١١٠] ، قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [سورة الجن : آية ١٩] ، فسمّاه بأحب الاسماء (عبد الله) ، نبّه على أنه مظهراً لهذا الاسم دون اسم آخر ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى ﴾ [سورة الأنفال : آية ١٧] ، يشير بعلم كل مرتبة ، فسبحان من دبر كل شيء بحكمته ، وأتقن ما صنع برحمته ، سبحانه ، قوله تعالى : ﴿ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَـى ﴾ ، فأسند رميه إلى الله سبحانه وتعالى ، ولا يتصور[1] لهذه الربوبية إلاَّ بإعطاء كل ذي حق حقه ، فافهم وشمّر عن ساق ، وعرج إلى صفة العبودية الرِقيَّة ، وخذ من الخمول والمحو ؛ لتثبت لك الهداية والسعادة والسيادة ، لما رمقت واهتديت إلى ما أشرنا به عليك ، وباعتبار أخر لا يعرفه إلا من تنوّر قلبه ، وانجلت بصيرته ، فكان فيه من الذِلَّة والافتقار والإنكسار ؛ لينظر بعين بصيرته ، ما تضمنه العارف الكامل ، ورشح من فيض حضرة القدس ؛ما ينال به درجة الصديقين نفع الله بهم ، وهم أرباب القلوب الواعية ، والراسخين في العلم بالله ، دون غيرهم ، وهم أهل لطفه الخفي .

* * *

﴿فصل﴾

(٣٢)

---

(١) في (ب) تتصور .

وحقيقة العارف بالله القائم بالله، لا يكون له ميل إلى غير الحق، ويظهر على الكامل النفس الرحماني، فانظر وافهم أن العبد محتاج إليه في بيانه وقوامه، من حيث أن البدن صورته ومظهره، وبه كمالاته وقواه، وعالم الشهادة محتاج إليه، غير [منفك[1]] بل سار سريان [لا[2]] الحلول والاتحاد عند أهل النظر؛ بل كسريان الوجود المطلق الحق في الأشياء، لأن الروح ربّ بدنه، فمن تحقق له حال الرب مع المربوب، تحقق له ما تحققته في أول كتابنا وما ذكرناه، والله الهادي وهو يهدي السبيل. وظهور الحق بالوحدة الحقيقية[3]، كما ظهر كل شيء فيها على صورته الحقيقية، ولابد من تمييز الحق [عن[4]] الباطل، لكونه يوم القيامة يوم الفصل والقضاء، ولابد من فنائه فيه، عند وقوع التجلي، وإذا صح وثبت فنائه؛ تفنى جميع مظاهره، قال الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾[سورة الزمر: آية ٦٨]، وهم الذين سبقت لهم القيامة الكبرى، لقوله ﷺ: (كل شيء يرجع إلى أصله)، قال عز من قائل: ﴿ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة آل عمران: آية ١٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص: آية ٨٨]، وقوله تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن: آية ٢٦ ـ ٢٧]، والحلول والاتحاد بين الشيئين المتغايرين ـ من كل الوجوه ـ شرك عند أهل الله؛ لفناء الأغيار[5] بنور الواحد القهار، فلا يرتفع التعين والتوجه إلا

(١) ما بين القوسين في (ب)، وفي الأصل و(ج): منك.
(٢) ما بين القوسين في (ب)، وفي الأصل و (ج): بل سارٍ سريان الحلول والاتحاد . . .
(٣) في (ب) بالوجه الحقيقة.
(٤) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل: من.
(٥) في (ب) الأعيان.

بالمحبة الذاتية الكامنة في العبد ، وظهورها لا يكون إلا باجتناب ما يضادّها ويناقضها ، وهي التقوى عما عداها من المحبة [المحضة[1]] هي المركب والزاد والتقوى[2] ، وهنا الفناء موجب البقاء بالله الحق ، فلا يرتفع التعين منه مطلقاً ، وهذا المقام دائرته أتم وأكبر من دائرة النبوة ، ولذلك انختمت النبوة ، والولاية دائمة . وجعل الولي اسماً من اسماء الله دون النبي ؛ فلما كانت الولاية أكبر حيطة من النبوة وباطناً لها ؛ شملت الأنبياء والأولياء ، فالأنبياء أولياء فانون في الحق ، باقون به منبئون عن الغيب ، وهذا المقام اختصاصي وهبي ليس بكسبي ؛ بل جميع المقامات اختصاصية ـ [عطائيَّة[3]] ـ غير كسبية من الفيض الأقدس ، وافهم من علم أرباب الطريقة ، والمحجوب يتوهم ويظن [أنه[4]] كسبي بالعمل ؛ ولا يكون إلا بمجرد العلم اليقيني[5] ، وفيه كنوز وخبايا خفية يعلمها ويشهدها المقربون . وانكشاف الوحدة التامة ، وانقهار الكثرة بقوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ، ووقوع هذا التجلي لأهله ، أهل الفناء في الله ، والبقاء به ، قال ﷺ في مقام الإحسان : (أن تعبد الله كأنك تراه) ، [فافهم[6]]والله سبحانه وتعالى في قبلة[7] المصلي ، وذلك هو شهيد ، ومن كان صاحب نظر فكري ، وتقيّد به ، فليس هو الذي : ﴿ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] ، ومن ألقى السمع وهو شهيد ؟ ! .

---

(١) ما بين القوسين في (ب ، جـ) وفي الأصل : المحصنة .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة: ، وهي التقوى عمّا عداها ، المحبة المحضة هي المركب والزاد والتقوى .
(٣) ما بين القوسين في (ب) .
(٤) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : أنها .
(٥) في (ب) التعيني .
(٦) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : وافهم .
(٧) في (ب) قلب .

فتفكر أيها المتوجه الصادق المخلص ؛ ينكشف لك الغطاء ، وليس ينكشف لكل أحد ، إلا من صرف همته ونيته وعقيدته لمعتقده[1] في المُحَكِّم الحَكَم ، قوله تعالى : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾[سورة الزمر : آية ٤٧] ، فأكثرها في الحكم ، ومن تخلص وانجلت بصيرته عاد عالماً بالمشاهد ، وبعد اجتهاد النفس ؛ لا يرجع كليل النظر ، ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾[سورة الزمر : آية ٤٧]، وقول الله عن لوط عليه السلام : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[سورة هود : آية ٨٠] ، قال ﷺ: (يرحم الله أخي لوط ؛ لقد كان يأوي إلى ركن شديد) ، فنبَّه ﷺ أنه كان مع الله مِن كونه شديداً ، والذي قصد لوط عليه السلام بالركن الشديد : القبيلة والمقاومة ؛ بقوله : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ هي الهمة ـ هنا ـ من البشر خاصة ، فقال رسول الله ﷺ : (فمن ذلك الوقت ؛ الذي قال فيه لوط عليه السلام ﴿ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ، لم يبعث نبي بعد ذلك إلا في منعة من قومه) ، وكان تحميه قبيلته ، كأبي طالب مع رسول الله ﷺ ، وقوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ لكونه عليه السلام سمع الله تعالى يقول : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾[سورة الروم : آية ٥٤] ـ بالأصالة ـ ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾[سورة الروم : آية ٥٤] فعرضت القوة ؛ ومن هنا رجع إلى خالقه ، وحكم الشيء حكم أصله في الضعف ، وما [بُعِثَ[2]] نبّي إلا [بعد[3]] تمام الأربعين ، فهو زمان أخذه في النقص والضعف . وحجاب الغفلة لا ينجلي وينكشف إلا بتجلي[4] الشهود للمشهود ، قال الله تعالى

(١) في (ب) المنقدة ، وفي الأصل : لمعتقده ، ولعلّها : وعقيدته المعتقدة .
(٢) ما بين القوسين في (ب) .
(٣) ما بين القوسين في (ب) .
(٤) لعلها : بالمشهود ، (أو) في المشهود .

فيهم : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[سورة الروم : آية ٦ ـ ٧] ، وهم أرباب القلوب المغلوفة ، لقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾[سورة البقرة : آية ٨٨] ، أي في غفلات[١] هوى ، ولكن الذي ستره عن إدراك الأمر على ما هو عليه[٢]، والله الموفق ، والمهدي إلى الصواب .

* * *

﴿فصل﴾

(٣٣)

واعلم وافهم ، أن من أعطي التصرف[٣] ، رمق لكل متوجه ومخلص المعرفة بالله ، فإن المعرفة هي الكنز الأبدي والإسعاد السرمدي ، فحق التصرف لأهله بالهمة ، وهي الحجة البالغة ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١١٧] ، ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[سورة ق : آية ٢٩] ، أي قَدَّرْتُ الكفر الذي يشقيهم ، ثم طلبتهم[٤] بما ليس في وسعهم أن يأتوا به ، فمثل ما [علمْنَاهم[٥]] عاملناهم ، فإن كان ظُلم فهم الظالمون ، قوله تعالى : ﴿ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ٥٧] ، وما ظلمهم الله سبحانه ، ولكن ثبتت السعادة ، وحقت الشقاوة ؛ على أهلها في القبضتين ، (هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أبالي) ، أنفذ الله حكمه في سابق أزله ، ﴿ أَلاَ لَـهُ

---

(١) في (ب) غلاف .

(٢) هكذا في الأصل : ولعلّ العبارة : ولكن الهوى هو الذي ستره عن إدراك الأمر على ما هو عليه .

(٣) في (ب) أعطى المتصرف .

(٤) هكذا في الأصل ولعلّها : طالبتهم .

(٥) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل :علمناه .

الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف : آية ٥٤] ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۞ لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠١ ـ ١٠٢]، وقوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٥٦] ، وقوله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [سورة الفتح : آية ٢] ، ومنها : (اعمل ما شئت فقد غفرت لك)، ومبادئ الوحي الإلهي في أهل العناية ، قول عائشة رضي الله عنها: (أول ما بُدِأَ به رسول الله ﷺ من الوحي ، الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كمثل فلق الصبح) ، تَقُولُ : لا خفاء بها . وإلى هنا مبلغ علمها لا غير ، وكانت المدة له في ستة أشهر ، ثم جاءه الـمَلَكْ ، أَوَ مَا علمت ، أن رسول الله ﷺ قد قال : (أن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) ؟! وكل ما يُرى في حال النوم واليقظة ، هو من ذلك القبيل ، كذلك إذا أقبل الملك في صورة رجل ، وهو مَلَكْ ليس برجل ، وإنما هو ملك فدخل(١) في صورة إنسان ، فَعَبَّرَهُ النائم العارف ؛ حتى وصل إلى صورة الحقيقة ، فقال : (هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم) ، فقال لهم : (ردوا عَلَيَّ الرجل) فسمّاه برجل(٢) ؛من أجل الصورة التي ظهر لهم فيها ،ثم قال : (هذا جبريل) ، فاعتبر(٣) الصورة صادق في المقالتين لك ، وفي العين الحسية ، وصدق أن هذا جبريل ، وهو جبريل بلا شك . وقال يوسف عليه السلام : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [سورة يوسف : آية٤] ، فرأى إخوانه في صُورِ الكواكب ، ورأى أباه وخالته في صورة الشمس والقمر . فانظر كم بين إدراك محمد ﷺ ، وبين إدراك يوسف عليه السلام في آخر أمره ، حيث قال

(١) هكذا في الأصل ولعلّها : دخل .
(٢) هكذا في الأصل ولعلّها : رجل .
(٣) في (ب) فاعبر الصورة الصادق ، ولعل العبارة : فالتعبير بالصورتين صادق في المقالتين لك .

: ﴿ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً ﴾ [سورة يوسف : آية ١٠٠] ، [معناها[١]] حساً محسوساً ، وما كان إلا محسوساً ، فانظر ما ستر[٢]، وأورثه محمد ﷺ ، وسأبسط في هـذه الحضـرة بلسـان يوسف المحمدي ؛ ما تقف عليه إن شاء الله تعالى : اعلم أن نسبة الرسول ﷺ إلى الحـق كالظـل للشخص ، فهو ﷺ ظل الله في الدنيا والآخرة ، لمن كان معه ، بالمحبة والإتبـاع والاقتفـاء علـى قدمه وصراطه المستقيم ، فهو عين مظهر نسبة الوجود إلى العالم ؛ لأن الظل موجوداً بلا شك في الحِس ، ولكن إذا كان ثم من يظهر فيه الظل ، حُقَّ[٣] ظهور هذا الظلِّ الإلهي ، فيـدرك مـن يسـمَّى بالعالم ، إنما هو أعيان الممكنات ، عليها امتد هذا الظلُّ ، وظِلُّ الممكنات ليسـت نَيِّـرة[٤] ؛ لأنهـا معدومة ، ولو اتصفت بالثبوت ، فارحل إلى أعلى نسبة[٥] إلى الحق الصرف ، فهو يورث الاتصـال بين[٦] العدم والوجود ، ولا وجود ولا موجود في الحقيقـة إلا هـو وحـده ، والظـل خيـال زائـل ، وتوهم باطل ، قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَـى وَجْـهُ رَبِّـكَ ذُو الْجَـلَالِ وَالْإِكْـرَامِ ﴾ [سورة الرحمن : آية ٢٦ ـ ٢٧] ، فإن الحقيقة تتنزه عن أن يتصل بها شيء أو ينفصل ؛ فإنها عـين الأشـياء ، وما عداها العدم الصرف ، فلا شيء غيره يتصل به أو ينفصل ؛ فإن الإتصال والإنفصال على عظم تفاوتهما في الاسم والرسم ، أي في اللفظ والمعنى .

* * *

﴿فصل﴾

---

(١) ما بين القوسين في (ب) وفي (أ ، جـ) معنى .

(٢) في (ب) وانظر ما سيروا ورثة محمد ﷺ.

(٣) في (ب) حتى .

(٤) في (ب) ليس يراه .

(٥) في (ب) فالرجل إلى أعلى نسبة إلى الحق انصرف .

(٦) في (ب) من .

(٣٤)

واعلم وافهم ما أقول لك به ، ما صَفَتْ سرائر العارفين عن رؤية الغير ؛ إلا بشهود الحق المتجلي باسمه النور دائماً ، دليلاً على الظل العدمي عندهم، المتخيل عند المحجوبين ، ثم قبض ظل التفرقة عندهم(١) إليه قبضاً يسيراً ، أي قبض الوجود الإضافي الخيالي ، الموجب للتفرقة ، عن الحق المبين ، ويهدي إلى السبيل ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّـهِ وَاللَّـهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[سورة فاطر : آية١٥] ، ومَهَّدْنا الطريق للمخلص الصادق النجيب ، ندخله بالرحمة السابقة . والزم المشي على الصراط المستقيم ، لأهل هذا الفن الخاص ، من علم الأذواق ، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴾[سورة الواقعة : آية٨٥] ، ومن كشف عنه الغطاء فبصره حديد ، وما خص ميت ، دون ميت ، أي ما خص سعيداً في القرب من شقي ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ، فإذا أفنيت عنك الغير بان [بالعلم(٢)] الإلهي توحيدك النافي للشرك ، المستلزم لنفي الوهم والخيال ، وامح سائر الأعيان ، بأن تراها من الله ، ﴿ وَاللَّـهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[سورة الصافات : آية٩٦] ، ونسبة أعمالك إليك كسبية وإلى الله خَلْقِيِّة فالله خالف وأنت كاسب لتثاب أو تعاقب، فإذا عرفته كانت أنفاسك به ، وحركاتك له ، وإذا جهلته كانت حركاتك بك ، [لأنك(٣)] تشهدها صادرة منك ، بخلاف العارف فإنه لا يشهد إلا الله تعالى فاعلاً ، والعابد ماله سكون ، والزاهد ماله رغبة ، والصديق ماله ارتكان ، والعارف ما له حول ولا قوة ، والموجود بالله ما له وجود مع نفسه ، لفنائه واستغراقه بالله . الخلق حجابه وأنت حجاب والحق ليس بمحجوب .من

(١) في (ب) عنهم .
(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل: العلم .
(٣) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : لا تشهدها .

شهد الخلق لا فِعل لهم فقد فاز ، ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ، ومن شهدهم عين العدم فقد وصل .

* * *

﴿فصل﴾

(٣٥)

سؤال الحضرتين ،هو السؤال الصادر عن حضرة الوجود ؛ بلسان الاسماء الإلهية ، من نفس الرحماني ، بصور الأعيان عن حضرة الإمكان ، بلسان الأعيان . وافهم أن صاحب جمع الجمع له من كل المقامات واردات ، وفي كل [الحضرات(١)] له حقيقة مشاهدات ، ومن كل الاسماء عَلَيه تجليات ، فتارة يتكلم بلسان الحقيقة مع استهلاك الصورة ، وتارة بلسان الصحو صرفاً لا شيء من السكر ، والحق ليس في ذاته سواه ، ولا في سواه ذاته ، عند كمال الإخلاص ؛ نفي الصفات الزائدة ، وإلا لا يمكن نفي الصفات عنه ، قال الله تعالى : ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾[سورة طه : آية ١٢] ، ثبت وصح عند أهل الله خلع(٢) النعلين عبارة عن التجريد الحقيقي ، وهو تجريد الحقيقة عن الكونين ؛ لأن الإنسان هو حقيقة الحق ، متنزلاً بالتعينات إلى عالم الروح والجسم ، قوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[سورة النور : آية ٢٥] ، بذاته لذاته ، القدم الصدق(٣)، هو عين التفريد ، وهو الحق المبين ، قال عليه الصلاة والسلام : (أول ما خلق الله درة بيضاء) ، الحديث ، أول ما خَلق [الله(٤)] العقل . وافهم حقيقة الحقائق ، هي الذات الأحدية الجامعة لجميع الحقائق ، والاسماء حضرة الجمع ، وحضرة الوجود الحقيقة المحمدية هي الذات مع التعين الأول ، وله الاسماء كلها ، وهو الاسم الأعظم حقائق الاسماء تعينات الذات ونسبتها ؛ لأنها صفات تتميز بها الاسماء بعضها عن بعض ، حق اليقين هو شهود الحق حقيقة في مقام عين

---

(١) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : الحضرة .

(٢) هكذا في الأصل ولعلّها: أن خلع النعلين عبارة .. الخ .

(٣) في (ب) بقدم الصدق . وفي الأصل : القدم الصدق ، ولعل العبارة : قَدَمُ الصدق هو عين التفريد .

(٤) ما بين القوسين في (ب) .

الجمع الأحدية ، وفي الحديث الصحيح القدسي : (أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري) ، سعة[١] القلب هو تحقق الإنسان الكامل بحقيقة البرزخية[٢]، الجامعة للإمكان ، فاخرج عن كل علم غير علم الحيطة الجامعة ؛ للحقيقة الجامعة كَلَّ اسم من اسماء الصفات والذات[٣] .

* * *

﴿فصل﴾

(٣٦)

وكانت حقيقتنا مع الله فائقة علوية ، أعلى درجة روحية وملكيّة وبسطيّة فلكيّة ، وكلما كان نسبته إلى الإمكان ، كان أقوى وأحسن وأدنى ، وانطمس[٤] جميع الكثرة الإمكانية سمى إلى حضرة الأنس الرَّباني والعلم اللدني الإلهامي ، وإن دخل في غلبة[٥] وجوب كان من السابقين الأنبياء والأولياء ، وكل من تساوى منه الجهات كان مؤمن من المؤمنين ، ويرجع إلى قوة حقيقة الإيمان ، وبالروح والجسد ، هي المناسبة الذاتية بين الحق وعبده من وجهين ، إما لا يؤثر بأحكام تعين العبد أحكام[٦]، وبصحة إثبات التعبد المخلص[٧] ، العبد الصادق يتحقق بصفات الحق ، ويتحقق باسمائه كلها فإن اتفق الأمران ؛ فذاك العبد هو الكامل المقصود بعينه ، وإن اتفق الأمر الأول دون الثاني ؛ فهو المحبوب المقرب دون الأول .قوله : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[سورة القلم

(١) في (ب) سعد .
(٢) في (ب) هو تحقق الإنسان في مقام عين الجمع الأحدية الكامل بحقيقة البرزخية الجامعة كل البرزخية بلا مكان .
(٣) في (ب) في الذات .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وانطمست .
(٥) في (ب) عِليّة .
(٦) في (ب) بعين العبد أحكام العبد .
(٧) في الأصل : اما لا يؤثر باحكام تعين العبد احكام ...

:آية ١] هو العلم الإجمالي في الحضرة الأحدية ، والقلم حضرة التفصيل ، النور اسم من اسماء الله تعالى ، وهو تجليه باسم العالم ، أعني الوجود الظاهر في صور الأكوان كلها ، وقد يطلق على ما يكشف الستور من العلوم اللدنية ، والواردات الإلهية ؛ التي تطرد الكون عن القلبِ ، نور الأنوار هو الحق تعالى ، النفس الرحماني هو الإضافي الواحداني ، بحقيقته المنكشفة بصور المعاني ، التي هي الأعيان . وانظر إلى الغاية التي هي تدريج الاسماء الداخلة تحت حيطة الاسم الرحمن عند مغربها ، والستور يخص(١) بالهياكل الإنسانية البدنية ، المرخاة من عالم الغيب إلى الشهادة . سجود القلب هو فناؤه في الحق عند شهوده إياه ، وفي الستور سترها ما ضمت الستور ، والستائر (٢) لتصان أسرار الحقيقة ، والوجود الحقيقي عين الحق وعين الله ، وعين العالم هو الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى ؛ لأن الله تعالى ينظره بنظره إلى العالم ؛فيرحمه(٣) بالوجود كما قال الله تعالى : (لولاك ما خلقت الأفلاك) ،والإنسان المتحقق بالاسم البصير ، لأن ما يبصر من العالم من الأشياء ، فإنه يبصره بهذا الاسم . عين الحياة ، هو باطن الاسم الحي ، الذي من تحقق به ؛ شرب من ماء عين الحياة ، الذي من شرب منه [لا(٤)] يموت أبداً ؛ لكونه حيّا بحياة الحق ، فكل شيء من العالم يحيا بحياة الإنسان ؛ لكون حياته حياة الحق . الفرقان هو العلم التفصيلي ، الفارق(٥) بين الحق والباطل ، والقرآن هو العلم اللدني الجامع للحقائق كلها ،فرق(٦) الجمع تكثر الواحد بظهور المراتب التي هي ظهور شئون الذات الأحدية ، وتلك الشؤون في

---

(١) هكذا في الأصل ولعلّها : تختص .

(٢) هكذا في الأصل ولعلّها : وبالستائر تصان أسرار الحقيقة .

(٣) هكذا في الأصل ولعلّها : فيرحم به الوجود ، أو : فيرحمه بالإيجاد أي رحم العالم بإيجاده من العدم ، وفي (ب) ورحمة بالوجود .

(٤) ما بين القوسين في (ب) .

(٥) أي : الذي يفرِّق .

(٦) هكذا في الأصل وفي (ب، ج) ولعلّها : فرِّق الجمعْ ، تكَثُّرُ الوحد بظهور المراتب ...

الحقيقة، اعتبارات [محضه[1]] ،لا تحقق لها ؛ إلا عند بروز الواحد الحق بصورها .صاحب الزمان وصاحب الوقت والحال ، هو المتحقق بجمعية البرزخية الأولى ، المُطَّلِع على حقائق الأشياء ، الخارج عن حكم الزمان ، وتصرفات ماضيه ومستقبله ، ويكون له القبض والبسط . الرجوع من الحق إلى الخلق في مقام الاستقامة ؛ هو أحدية الجمع والفرق بشهود اندراج الحق في الخلق ، واضمحلال الخلق في الحق حتى [يرى[2]] العين الواحدة في المجالي الكلية ، المطالع المعينات[3] في مظاهر مفاتيح الغيوب ، التي انفتحت بها مغاليق الأبواب المسدودة . والمحبة الأصلية هي محبة الذات ، عينَها بذاتِها. ومرتبة الأرواح المجردة ، ومرتبة النفوس الكاملة ، وهي عالم المثال ، وعالم الملكوت . ومرتبة عالم الملك وعالم الشهادة ومرتبة الكون الجامع ، [هو[4]] الإنسان الكامل الذي هو مجلى الجميع ، وهو الحق ، والله لا إله إلا هو ؛ الحق المبين ، وذلك لأولي الألباب المتفكرين بما أوجده الله من الحق ، آياته على ذلك ودلائله قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[سورة الحج : آية ٦٢] ، قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[سورة الحديد : آية ٤] ، أي معية بهذا المعنى ، لا بمعنى المقارنة[5]، كيف ولا وجود لغيره أصلاً ، ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾[سورة الأحزاب : آية ٤] .

* * *

(١) ما بين القوسين في (ب) وفي (أ، ج) مُحَصّنه .
(٢) ما بين القوسين في (ب) وغير موجود في أ ، ج .
(٣) في (ب) المغيّبات .
(٤) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : وهو .
(٥) في (ب) المقاربة.

﴿فصل﴾

(٣٧)

إرمق أيها الصادق ، والمتوجه المخلص أقبل ، وافهم أن الظل الأول هو العقل ؛ لأنه صحَّ ذلك في الحديث النبوي عنه ﷺ ، أول عين ظهرت بنوره تعالى ، وقبلت صور الكثرة ، التي هي شئون الوحدة الذاتية .ظل الإله هو الإنسان الكامل ، المتحقق بالحضرة الأحدية والنورية عن الإدراك ، فصح وثبت عنه ﷺ بقوله : (لست كأحدكم إنما أظل عند ربي يطعمني ويسقيني) أي طعام وشراب المعاني من فيض حضرة القدس ؛ التي هي معششهم كل روح[١]، إليها يأوون ، وفيها يسكنون ، فهم في حقيقتهم متلاشيين ، وقوله تعالى : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية١٦] ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] وقال تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۞إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾[سورة الجن : آية ٢٦ ـ ٢٧] ، وإليه أشار ﷺ في دعائه بقوله : (أو استأثرت به في علم الغيب عندك) ، وكلها داخلة تحت الاسم الأول والباطن ، وأن الله هو العلي الكبير . قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾[سورة محمد : آية ٣] فلله الحمد والشكر والثناء والمنة ، الحمد له والمجد . وكل باطل في الحقيقة ؛ لا وجود له في الحقيقة ، قوله تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة يونس : آية ٥٥] ، ولما كان من وجود العلي الكبير ، أن يكون[٢] رضيّاً وحُباً وسخطاً وبغضاً ، وجب في وجوده أمر ونهي ، ولما كان ذلك لم يكن للأمر بد من مؤتمر ، وللنهي لابد من

(١) هكذا في الأصل ولعلّها : التي هي معشش أرواحهم .

(٢) في الأصل : يكونا رضيًا وحبًا ، في (ب) أن يكون رضا وجب في وجوده وسخطاً وبغضاً وجب في وجود أمر ونهي .

مرتكب مخالف ، وكان في حكم الحق على مشي[١] الحكمة ، على ما يحبه ويرضاه ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾[سورة طه : آية ٤٦] ، ورب عبد شهد معيته له مطلقاً ، كقوله ﷺ لأبي بكر على ما جاء في القرآن : ﴿ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا ﴾[سورة التوبة : آية٤٠] ، ومعية الصفات خاصة[٢] لجميع المخلوقات ، وإنما اختصاص الأنبياء والأولياء ؛ بالشهود والتلقي بالروح منه وإليه سبحانه وتعالى ، وقال بعضهم : (العارف ، يشهد ما لا يشهدون) هذا للخاصة ، وافهم واعلم ما أقول لك به ؛ فإن فيه هديك ورشادك ، لا تكون إلا مع صاحب جمع الجمع ؛ فله من كل المقامات واردات ، وفي كل الحضرات له مشاهدات ، قال علي كرم الله وجهه : (كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه) ، أي نفي الصفات الزائدة ، وإلا فلا يمكن نفي الصفات التي هي عينه .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

(٣٨)

المعرفة إحاطة بعين الشيء ، فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره ، واحتجب عنهم لإشراق نوره ، ولا ثم حجاب إلا الجهل ، ومن شهد الحق شهيداً على كل شيء ، فيشهده في نفسه ، وفي غيره من خلقه ؛ سمي شهيداً عند الحق ، هو الذي تجلى له الحق ، فعصمه وثبته في أقواله وأفعاله وأحواله عن الباطل ، فيرى الحق في كل شيء ، وتسمى حضرة الجمع ، وحضرة

(١) في (ب) مُنشي .
(٢) في (ب) عامة وخاصّة .

الوجود الحقيقية المحمدية هي الذات مع التعين الأول ، فله الاسماء الحسنى كلها ، وهو الاسم الأعظم ، فهو شمس الحقيقة ، ومشارقها ؛ هي تجليات الذات الأحدي والله أعلم .

* * *

﴿فصل﴾

(٣٩)

افهم هذا العلم اللدني ، الْحَظْ إلى لمح مستغرق شربه ، ظاهراً[١] بلحظ الكون ، وفي الحقيقة بلحظ الحق ؛ باستراق النظر عن أَعْيُنْ الحجَّاب والرقباء ، الذين هم الحِجَابْ ؛ لأنهم يحسبون أنهم مع الله ، وهم في حظوظهم وهواهم وهم ظلمة ، لكن انظر إلى ضياء الكمّل وشهودهم ؛ فإنهم غايتهم المحبة وهي الصلة ، قوله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [سورة المائدة : آية ٥٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [سورة طه : آية ٣٩] ، وكل ما سوى الحق هو الباطل ، وما سوى الحق هو العدم ، إذ لا وجود في الحقيقة إلا الحق ، قال عليه السلام : (أصدق بيت قالته العرب ، ما قال لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل)

فسبحان من احتجب عنا بعزته ؛ أن يعرف بحقيقته وهويته ؛ كَمَا يَعْرِفُ هو ذاتَه بذاتِه ، فإن ذاته لا يراها أحد على ما هي عليه إلا هو . الجمال من تجليه بوجهه ؛ لذاته بجماله المطلق [جلاله[٢]]، وافهم أنه لا يعرف الله إلا الله .

---

(١) في (ب) طاهراً .

(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : جلال .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

(٤٠)

واعلم أن الله أحد ، فهو واحد في صفاته وذاته ، سبحانه منزه عن المعية ، فليس هو مع شيء ، ولا معه شيء ، ولكنه مع كل شيء بصفاته ، وكذلك الذي وحده وأشهده في ذاته بتجلي(١) ذاته ، بسر الوحدانية المقدسة على سره ، فيظهر لك بهذا(٢) المعية ، وكل عارف بالله عند ربه مرضي ، وكذلك كل نفس مطمئنة ، قيل لها : ﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾[سورة الفجر : آية ٢٨] ، أمرها أن ترجع إلى ربها الذي دعاها فعرفته من الكل راضية مرضية ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾[سورة الفجر : آية ٢٩] ، هم من لهم هذا المقام ، فالعباد المذكورون هنا كل عبد عرف ربه تعالى واختص به ، ولم ينظر إلى ربٍ غيره ،مع أحدية العين ، ولابد من ذلك ، ﴿ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[سورة الفجر : آية ٣٠] التي هي تَسَتُّرِيْ(٣) وليست جنتي سواك ، فأنت تَسَتُّرِيْ(٤) بذاتك فلا أُعْرَفُ إلا بك ، كما أنك لا تكون إلا بي ، فمن عرفك عرفني ، فأَنْتَ لا تَعْرِفْ ؛ فإذا دَخَلْتَ جَنَّتَه دَخَلَتْ نَفْسُكَ معرفةً أخرى ، غير المعرفة التي عَرَّفَهَا إيَّاها ، حين عَرَفْتَ رَبَّكَ بمعرِفَتِكْ ، فتكون في معرفتين من حيث أنت ، ومن حيث هو لا من حيث أنت . وإياك إياك ، أن تنظر إلى الخلق ولا تكشف سر الحق ، ونزهه ولا تشبهه ، وقم في مقعد صدق وكن في الجمع إن شئت ، وإن شئت ففي الفرق ، تجد الكل(٥) ، فيكون الثناء بصدق الوعد ، وتصديقنا إياه قوله تعالى : ﴿ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ

---

(١) في (ب) يتجلى ذاته بسر الوحدانية المقدسة على سره .

(٢) في (ب) هذه .

(٣) في (ب) ستري .

(٤) في (ب) تسترُني بذاك .

(٥) في (ب) فالنبي يصدق الوعد ، فيكون النبي يُصَدِّقْ الوعد وتصديقنا إياه قوله تعالى : . . .

رُسُلَهُ ﴾[سورة إبراهيم : آية ٤٧] ، ولم يقل لنا وعيده ، فقال : ﴿ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ ﴾[سورة الأحقاف : آية ١٦] ، مع أنه أثنى بذلك على إسماعيل ، بأنه كان صادق الوعد ، وهنا زال الإمكان في حق الحق ، لما فيه طلب المرجح ، فالأمر واحد ، وبينهما عند التجلي تباين . يسمى عذاباً من عذوبة طعمه ، وإن دخلوا دار الشقاء ؛ يكونون على لذة فيها ، ونعيم يشابه نعيم الجنة ، فالأمر واحد ، وبينهما تباين ، وتباعد عند التجلي ، وهو يكون لأهله كالقشر صائن ، وهذا يحق[1] عند التجلي معرفة الحق سبحانه وتعالى . ولما فتحنا في هذا العلم اللدني ، لمن فهمه وعرفه ، ونحن نَدُلك على الرحمة الواسعة ، ورجعنا إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٩] ، وهو الانقياد ، فالدين عبارة عن انقيادك ، والدين عند الله هو الشرع الذي انقدت إليه أنت ، فالدين الانقياد لما شرعه الله سبحانه وتعالى [له[2]] ،فذلك هو الذي قام بالدين وأقامه ، أي أنشأه كما يقيم الصلاة ، فالعبد هو المنشئ للدين ، والحق هو الواضع [لأحكام[3]] الإنقياد ، والرسول ﷺ مبلغ ولهذا ، قال ﷺ : (شيبتني سورة هود وأخواتها) ، لما احتوت عليه من قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[سورة هود : آية ١١٢] ، فشيبته كما أمرت ، فإنه لا يدري هل أُمِرَ بما يوافق الإرادة فيقع ، أو بما يخالف الإرادة فلا يقع ، ولا يُعْرَفُ حُكمُ الإرادة إلا بصدق وقوع المراد ؛ إلا من كشف الله تعالى عين بصيرته ؛ فأدرك أعيان الممكنات في حال ثبوتها ؛ فيحكم بما يراه ، فهذا قد يكون لآحاد الناس في أوقات ، ولا يكون مستصحباً ، قال النبي ﷺ : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾[سورة الأحقاف : آية ٩] ، وهنا صرح بالحجاب وليس المقصود ، إلا أن يطلع في أمر خاص لا غيره .

---

(١) في (ب) الحق .

(٢) في (ب) .

(٣) في الأصل : للأحكام الإنقياد .

﴿فصل﴾

(٤١)

فكن أيها العبد المخلص الصادق ؛ إلى عين واحدة ، وهذا الفن الخاص من العلوم اللدنية والأذواق ، وقولي في ذلك حق صرف ، وإن تشتت عنه ذهن سامعه أو قارئه ، ارجع إلى عين واحدة ، فإن الله تعالى يقول : (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) ، فذكر أن هويته هي عين الجوارح ؛ التي هي عين العبد ، فالهوية واحدة ، والمشي والسلوك والمشي فيه والسعي ؛ لا يكون إلا بالأرجل ، فما صح هذا الشهود إلا في أخذ النواصي بيد من هو على الصراط المستقيم ، وهذا الفن الخاص من علوم الأذواق والناس مختلفين في غاية الطريق ، ومنهم العارف يدعو إلى الله على بصيرة ، وغير العارف بالله ، يدعوا إلى الله على التقليد والجهالة ، فهذا علم خاص ، وذلك علم عندي ، وهو غزير ، وبحر عميق لا يخوضه ويعلمه إلا من وفقه الله إليه وهداه ، ألزم ما أقول لك به . وقوله : ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة هود : آية ٥٦] ، وأي بشارة للخلق أعظم من ذلك ؟! ، وهذا من امتنان الله علينا ، كما وصلت إلينا في نص القرآن العظيم ، ثم تممها الجامع للكل محمد ﷺ ، بما أخبر به عن الحق أنه عين السمع والبصر واليد والرجل واللسان ، أي هو عين الحواس ، والقوى الروحانية أقرب من الحواس ، فاكتفى بالأبعد المحدود عن الأقرب المجهول ، فترجم الحق لنا عن نبيه هود عليه السلام مقالته لقومه بشرى لنا ، وترجم لنا رسول الله ﷺ عن الله بمقالته بشرى لنا ، فكمل العلم في صدور الذين أوتوا العلم ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ ﴾[سورة العنكبوت : آية ٤٧] ، فإنهم يسترونها ـ ولو رأوها ـ حسداً ، فإن الله تعالى عظم أن

يحصره عقد دون عقد ، فإنه يقول : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾[سورة البقرة : آية ١١٥] ، وبعض مراتب وجه الحق ، فألزم الأدب ، وما الذي عليه في نفس الأمر ، وما حققناه في العقائد في العمل ، فما رأوا إلا نفوسهم، وما جعلوا فيها ، فانظر مراتب الناس في العلم بالله ؛ هو عين مراتبهم يوم القيامة ، وقد نحن نشير عليك ، ونعلمك بالسبب الموجب لذلك ، واعلم بالعلم اللدني الوهبي ، والعارف بالله لا يزال في الشهود ، والصلة بعد انفصاله ، فلما ثبتت رتبة الشهود في المقصود[١]، إيصال الحق لعبده العارف ؛ عطاء مرغوب مطلوب من المعطي له ، والصلة[٢] إيصال الحق لعبده الكامل في التجلي والتنزل والتدلي ، رحمةً وحناناً ونعمة وامتناناً وإفضالاً وإحساناً ، وفي صِلاتِه[٣] تعالى يوصل العبد الكامل به ، ويجعله خليفة له على الخليقة ، ومصلياً[٤] أي تابعاً للحق المستخلف في الظهور في الصورية والمظهرية ، والكاملة في الذات والصفات ، والاسماء والإخبار عنه والإنباء وكذلك صلاته تعالى بالتجليات الاختصاصية الذاتية ، والتجليات في اسمائه بحقائق الاصطفاء والإجتباء ، وأشار ﷺ ، فيما حكاه ليلة المعراج لما كان في الترقيات والمعارج القدسية ، زُجَّ به في النور من التجليات العرشية ، فاستوحش ؛ فنقول : لما كان القلب المحمدي عرش الاسم الله[٥]، والمقام الذي زج به في النور ﷺ عرش الاسم الرحمن ، إلى[٦] الاسم الله ؛ لاندراج حضرته في حضرة الله ، وهي قلبه ﷺ ، فلم يحس به، فلما تجلى الرحمن برحمانيته ، حين زج به في النور ﷺ ، وهو تحقق ﷺ إذ ذاك بحقائق الرحمن ، وبعث بهذا المقام رحمة للعالمين ، ووصف بأنه رءوف رحيم ، فافهم ما أشير به عليك أيها السامع وانهض إلى ذروة

---

(١) في (ب) والمقصود إيصال الحق لعبده العارف .

(٢) في (ب) الوصلة .

(٣) في (ب) صلواته .

(٤) في (ب) ومصليها .

(٥) في (ب) لاسم الله .

(٦) في (ب) في .

العروج ، والمتلقية[1] أسرار التدلي ؛ حتى يفتح لك أبواب فهمك ، ويخرجك من قيود الغفلة إلى معارج اليقظة واليقين ، ويرقيك إلى أعلى وأسنى درجة المتقين ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[سورة الحجرات : آية ١٣] ، ويفيض عليك أسراراً من خزائن الجود والكرم ، وهي الحضرة الاسمائية ، قوله تعالى : ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾[سورة الإسراء : آية ٢٠] ، فافهم وتدبر واعتبر من أي صنف أنت ، ولا تعشق بأمر متعب ، غير الحق المطلق ، والله أعلم وافهم أن رسول الله ﷺ له صورة طينية عنصرية ، وله صورة دينية شرعية وصورة نورية روحية ، وحقيقة معنوية ، فمن قام بصورته الدينية ، وصحت نسبته إلى صورته الروحية النورية ؛ تحقق بحقيقته المعنوية ، وورثه علماً و[مقاماً[2]] وحالاً ، وهو كالولد الصُلبي حقيقة في هذا القرابة والنسبة بتفاوت المقامات والدرجات ، وفيها ترتيب الأولياء المحمديون ، فهم أنبياء بالنبوة العامة ، لا بالنبوة الخاصة [الشرعية[3]] المنقطعة المختومة برسول الله ﷺ ، وإذا انضاف إلى هذه القرابة الدينية قرابة الطينة الطاهرة ؛ كالمهدي عليه السلام والأئمة الكاملين الطيبين ، فذلك هو أجمل وأكمل وأفضل ، وإن انفردت القرابة الطينية وصحت النسبة من الصورة العنصرية ﷺ ؛ تخلفت النسبة الروحانية المعنوية ، فسوف يؤول إلى ذلك ولابد ؛ لأن الولد على كل حال بسر أبيه ، وإذا صحت النسبة فلابد أن يكون معها من أخلاقة وعلومه وأحواله بسر معنوي ، وإن وقعت منهم مخالفة في الصورة الدينية الشرعية ، فلا يصح ولا يجوز لمؤمن أن ينظر إليهم بنظر التعظيم والتبجيل والسيادة . والأحوال سميت أحوالاً ، لأنها تُحَوِّل من حال إلى حال ، ومن صفة إلى صفة ، والحقيقة إلى طهارتها الأصلية ، ونعلم أسرار في هذا المعنى ، لكن

---

(١) في (ب) المُبَلِّغة.

(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل و (ج) : ومقالاً .

(٣) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل الشريعيّة .

مُكَتَّمَة ومسترة ومحجبة ؛ لعظم قدرها وعزتها قوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة المنافقون : آية ٨] ، وإظهار أنوار الحقيقة ، يصرح بها أنها مظهرها ، على أهل الحجاب[1]، وقولي[2] لمن فهمه وعلمه وذاقه فيه مقنع (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) .

* * *

﴿فصل﴾

(٤٢)

ونذكر علم غزير لمن فهمه ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، ونذكر في السلام على رسول الله ﷺ ، وهو طلب التحية استدعاء السلام أعنى تُسَلّم إليه حقائق الكمال[3] ؛ يعطيه السلامة عن سطوات تجليات الجلال ، ويظهر بصورة الخلافة والإمامة والشفاعة الكلية ، ويعطيه لواء الحمد ، ومجامع المحامد الإلهية الكمالية ، وقول الله تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾[سورة النساء : آية ٦٥]، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة الشورى : آية ٥٢] ، وقال : ﴿ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[سورة إبراهيم : آية ١] ، ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[سورة الشورى : آية ٥٣] ، فالعبد لا يزال مُتَحَطٍّ إلى تراب العبودية الرقية المحضة ؛ فيكون عبده ، مستقيم مع الله ورسوله في أقواله وصفاته ، بطينته الترابية ، فيكون إلى خلاصة الأذواق ، وزبدة مشارب الكمل من علم التوحيد ، رحمة من الله خاصاً بأهل الخصوص ، وأكثر العلماء يقعون في درجة

---

(١) في (ب) فصرح بها أنها مظهرها ، ومتوارية على أهل الحجاب .

(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : وقوله .

(٣) وهكذا في الأصل ولعلّ العبارة : أعني يُسلِّم إليه حقائق الكمال ، ويعطيه السلامة عن سطوات تجليات الجلال ، ويظهره ..... ، ويعطيه .

فهم الخلق ، فهم محجوبون بذلك عن الحق ؛ لأن مفهومهم يبنون[١] الأمر على الفرق والتمييز ، وإثبات الغير مع الله في وجوده ، ولكن افهم على دقيق ذوق الأنبياء ، وأهل الكمال الأولياء من ذلك ، فافهم فما أثبتوا بشهادة القرآن العظيم ؛ إلا الله وحده في الوجود والشهود ، بحسب خصوصياتهم ، من حيث ما هم عليه ، وكلهم على هذا الأول[٢]الواحد ، فأراد رسول الله ﷺ بأمر الله ، أن ينقذهم من الضلال ، ويرحمهم بالعلم الحقيقي بحقيقة الأمر ، على ما هو عليه في نفسه ، وهو أعلى مراتب الرحمة ، وأفضلها وأكملها حقيقة ظاهرية ؛ للأحدية الجمعية الكمالية الكلية ، فاتضح لنا ما قال الله ، وهو الحق المبين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، وافهم : صورة الرحمن مستوية على عرش الوجود ، وكذلك صورة الله مستوية على عرش قلب العبد المؤمن ، كشفاً وشهوداً وإيماناً وتصديقاً وحقاً موجوداً ، قال رسول الله ﷺ ، حكاية عن الله : (لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) ، هو العالم الكلي والجامع الكوني الأزلي [الأبدي[٣]] الذي تظهر به الاسماء والصفات والذات على ما يقع عليها من الكمال ، مؤمن بقابليته الكلية المحيطة ، [ويعطي[٤]] الأمان صور الذات ، الاسماء والصفات الظاهرة ، ومظهريته عين اليقين والتحريف[٥]، فتظهر صورتها في مرآته الكاملة كاملة ، ومؤمن أيضاً أي يعطي الأمان صور النسب وحقائقها أيضاً من عدم ظهور آثارها من خفاء حكم الغيب والعدم ، بإظهارها في مجالي أحكامها وأسرارها ؛ في حقائق مظهرياته المعنوية والروحانية ، فافهم . الكشف عبارة عن رفع الحجب الظلمانية ؛ فتظهر لك الشمس الضاحية ، شمس اليقين والشهود

---

(١) هكذا في الأصل ولعلّها : بناء الأمر على .....
(٢) في (ب) الأَزَلْ .
(٣) ما بين القوسين في (ب) .
(٤) ما بين القوسين في (ب) ، (ج) وفي الأصل : (يعطى) .
(٥) هكذا في (أ ، ب ، ج) ولعلّها : والتعريف .

في العين الواحدة ، استمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها ؛ فكنت من طائفتنا ، طائفة أهل المعرفة بالعين الواحدة ، قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٥٣] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[سورة يوسف : آية ١٠٨] ، فلا يُمَيَّز بعضها من بعض ، إلا بأحدية الجمع الجامع لصورها ، والموجب[١] للتفرقة جميعها ، وهي تسري لأحدية الجمع ـ النفس الرحماني ـ بالتجلي الوجودي الإحساني ، جمع سر الحقائق المتبوعة وتوابعها ، والنسب الملزومة ولوازمها ، وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ٣٣] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ٣٠] ، واسمع العين الواحدة ؛ بالوحدة الحقيقية ، وهي من حيث حضرتها الجلالية ؛ تقهر أعيان الأغيار وتغضب عليها غيرةً أحدية ، ولكنها من حيث أحدية التعين ، تعين بالرضى عن كل معين قابل ومتعين مقبول[٢]، رضى تخصيص بخصوصيته، وافهم هذا العلم ، ترفع إلى أعلى علم . وافهم فيما يجري في الوجود والإمكان حرف[٣] ولا كلمة ، إلا وهي الإنسان الكامل ، فما وصلت الآلاء والنعماء ، الواردة بالتجلي الرحماني على حقائق العالم ، إلا بعد تعينه في الإنسان الكامل ، بمزيد[٤] الصفة لم يكن في التجلي قبل تعينه في مظهرية الإنسان الكامل ، بحقائق العوالم وأعيانها ، رعايا للملك الحقيقي المالك لهم ، وعلى الخليفة رعاية رعاياه ، والله الهادي.

* * *

(١) في (ب) الموجبة .

(٢) في (ب) بعين الرضى عن كل صغير قابل ، ومتعين مقبول .

(٣) هكذا في (أ ، ب ، ج) ولعلّها : لا حرف ولا كلمة .

(٤) في (ب) بمن يريد .

﴿فصل﴾

(٤٣)

قال رسول الله ﷺ : (أوصاني ربي بغير ترجمان ولا واسطة ؛ بسبع خصال : خشية الله في السر والعلانية ، وأن أصل من قطعني ، وأصفح عَمَّن ظلمني وأعطي من حرمني ، وأن يكون نطقي ذكراً ، وصمتي فكراً ، ونظري عبرة) ، وافهم عني ما أقول لك به واعتمده ،فإن الخلق صور خيالية محركهم الحق ، والناطق عنهم الحق ، فهم مصرفون تجري عليهم أحكام القدرة ، وهم محو في عين ثبوتهم ، وعدم في حال وجودهم ، فلما عدموا ؛ أولئك هم الصامتون ، الناطقون الميتون الأحياء ، كحياة الشهداء ، قوله تعالى : ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾[سورة طه : آية ٥٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[سورة الصافات : آية ٩٦] ، و ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة الفاتحة : آية ٢] ، و ﴿ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ﴾[سورة البقرة : آية ١٥٦] ، فسبحان الذي لا إله إلا هو العزيز الغفار ، ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، أظهر كل شيء بحكمته ، وأعطى كل شيء خلقه بقدرته . فاسجد إلى القبلة ، فإن الله بكل شيء محيطاً ، أي قبلة القلوب بلا خلاف ، وإذا سجد لله فقد سجد للقبلة ، ويرجوا أن لا يسجد العارف بالله ؛ إلا مع قلوب الساجدين ، فكان لا يعرف ما نقول ، إلا ذو فهم وعقل نوراني ، لكن من لمحناه بنظرنا فهو والي الطريق ؛ التي هي الصراط المستقيم ، اللهم اسْبِل التوفيق على الخواص [من[1]] أحبابنا الجميع ، واجعل عليهم برد الرضى في الدارين .

* * *

---

(١) ما بين القوسين في (ب) .

﴿فصل﴾

(٤٤)

فلما ظهر هذا الروح الأعظم الكلي ، وهو نفس رحماني ، والحياة ذاتية ، والصورة مثالية ، ظهور هذا الروح الكلي مثلاً على البراق ، وأيضاً روح يتمثل كذلك من روح البراق ، وافهم الناسوت هو المحل القابل ذلك الروح ، سمي الناسوت[1]، يسمى روحاً ، ولكن إذا كان جاء بصورة إنسانية يسمى ناسوت الحقيقة ، فلما تمثل الروح الأمين ـ الذي هو جبريل عليه السلام ـ لمريم عليها السلام ؛ بشراً سوياً ، فحسبت أنه بشر يريد مواقعتها فاستعاذت بالله منه ، استعاذت بجمعيّه منها ؛ ليخلصها الله منه ، لما تعلم أن ذلك لا يجوز ، فحضرت حضوراً تاماً مع الله ، وهو الروح المعنوي ، يعني أن حضورها ؛ لأجل التنفيس عنها استدعى روحاً معنوياً ، لأنه لا يكون إلا بتجلي نفس رحماني في معنى الإنسان وروحه ، فرجع ناطق يقول : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[سورة النساء : آية ١٧١] ، فسرت الشهوة في مريم عليها السلام ؛ فخلق عيسى من ماءٍ محقق من مريم ، ومن هنا سبحانه وتعالى جعل تمثل جبريل في صورة البشر ؛ حتى لا يقع التكوين في هذا النوع الإنساني إلا على الحكم المعتاد ، ومن ماء سِراية الشهوة في مريم ، فبأمر[2] الله ؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾[سورة آل عمران : آية ٤٧] ، وإنما قالت ذلك بحكم العادة المتعارفة ، في التوالد البشري ، فلو غلب عليها إدراك شهود قدرة القدير لم تقل ذلك بحكم الفرق ، بل بحكم الكثرة والشهود ، قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾[سورة مريم : آية ٩] ، لما رجعت عن الملك إلى ربها ، أنّى[3] تخلق الولد بلا مس

---

(١) هكذا في الأصل ولعلّها : سمي الناسوت ويسمى روحاً .

(٢) هكذا في الأصل ولعلّها : بأمر الله .

(٣) هكذا في الأصل ولعلّها : قالت : أنّى .

بشر بصورة الوقاع ، [1]﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً ﴾[سورة مريم : آية ٢٧] ، هـذا وقت النفخ فجاءها الملك ، وبشّرها وهو جبريـل ، ﴿ إِنَّمَـا أَنَـا رَسُـولُ رَبِّـكِ لِأَهَـبَ لَـكِ غُلَامـاً زَكِيّاً ﴾[سورة مريم : آية ١٩] ، فتذكرت قدرة الحق الصرف ، وعلمت وفهمت من أيـن أصـل وجودهـا ؛ فزال عنها القبض ، فسرت الشهوة من حيث اشتهت ، وتمنت وقوع ما بشرها الله به ، فنفخ الله ـ عند انشراح صدرها ـ روح الله وابن أمته ، نص القرآن العظيم ، فخرج منشرح الصدر غالباً عليـه البسط ، حسن الصورة بسَّاماً طليق الوجه مستبشراً ، رزقنا الله وإياكم الاجتماع به ﷺ يقظة ورؤيا ، في الدنيا والآخرة ، إنه على كل شيء قدير ، وأما خلق عيسى من ماء محقـق فمـن حيـث سـراية الشهوة فيها ، [و[2]] من ماء متوهم من حيث توهم مريم أن الرسول بشر ، والروح ظهر في صـورة بشرية بأمر الله ؛ لإتحاد الولد والوالد ، فيما زعمت أن لا يكون إلا من الرجل[3]، فتأثرت بـالوهم ، فوجد من ذلك ماء روحاني نوراني ، منه خلق الله جسمَ الروح ﷺ ، فإن خلق الإنسان مخصوص بالله ، من كونه متجلياً في صورة إنسانية ، وتخمير طينه فـي مـادة النوريـة[4]، لاهوتيَّـه مـن حيـث الأحدية الجمعية البرزخية العظمى ، التي من أراد ذكرها يتذكر ، فكذلك ما تجلى من حضـرة مـن حضرات الاتحاد نوع أو جنس فما دونهـا ومـا فوقهـا ؛ إلا علـى صـورة ذلـك النـوع والجـنس ، والشيء على صوره[5] فتصح إضافة الإحياء إليه ، بشاهد الحس عرفاً عادياً وتحقيـق اتصـالا ؛ لأن هويته الله سبحانه ، وهو أحدية جمع الهويات ، والصورة الروحية ، فافهم وما أظنك تفهـم ذلـك العلم العزيز ، هو من علم الذات الأحدي ، والمقام العالي الأمجـدي ، قولـه تعـالى : ﴿ الرِّجَـالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء ﴾[سورة النساء : آية ٣٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[سورة البقرة : آيـة ٢٢٨] ، وقوله تعالى : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾[سورة النساء : آية ١١] ، وغيـر ذلـك ، فكـان عيسـى يُحْيـي

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّه : فقال ربها لها (ولنجعله ......) الآية.

(٢) ما بين القوسين ليس من الأصل ولا في (ب ، ج) وفي الأصل : ، وأمّا خلق عيسى من ماء محقق فمن حيث سراية الشهوة فيها من ماء متوهم .

(٣) في (ب) من ماء الرجل .

(٤) في الأصل : وتخمير طينيّة في مادة النورية ، لأهويته ، وفي (ب) : وتخمير طينته من مادة النورية لاهوتيّة .

(٥) في (ب) صورة فيصح .

الموتى في صورة البشر ، ولو لم يأت جبريل في صورة البشر ، فليس عيسى يحيي الموتى إلا حين يظهر في تلك الصورة الطبيعية النورية العنصرية ، مع الصورة البشرية من جهته أمه ، فكان يقال فيه عند إحيائه الموتى : هو لا هو ؛ وتقع الحيرة والنظر إليه ، فصحيح لم يكن يحيي الموتى إلا [من[1]] جهة جبريل الأمين ، فإن الأرواح ذاتية ، فإنها أنفاس رحمانية ، وإحياء عيسى وغيره ممن أحيا ؛ من الروح الأمين ، إن جبريل إنسان العناصر ، فإن له أن يظهر في السموات السبع ، وما تحتها من العنصريات والعناصر ؛ لأهلها بأي صورة شاء من الصور ، وصح في الحديث النبوي ، أن جبريل خلقه الله سبحانه وتعالى من نور عقل محمد ﷺ ، وإلا كان[2] إحياء عيسى الموتى على ذلك التقدير ، إلا في تلك الصورة البشرية ، فيراه الرأي متحولاً من صورته العيسوية ، إلى صورته الجبريلية ، وقعت الحيرة في هذا العلم اللدني ، الذي هو شراب رسل الله عليهم الصلاة والسلام . ونشير إلى أن الموجودات كلها ، لما كانت تعينات الوجود الحق وتنوعات صور تجلياته الإلهية ، فهي كلمات الله ، وفي ما أقول لك اعتبارات ، ونسبة العلم كله إلى الله ، في الإطلاق والتقييد ، والجمع والذوق والفرق ، أعنى بالتفرقة ، وإفراد المخَاطِبْ عن المخَاطَبْ ، وعليك بالجمع في مقام مظهر الذات الأحدي ، فأرواح هذه الأمة لم تزل عاكفة على قلب محمد ﷺ غيباً وشهادة ، وقلبه الكريم مظهر صفات الله تعالى ، وأمته وجميع الأرواح عاكفة على أمره ، وقد جاء نص القرآن العظيم : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [سورة الحشر : آية ٧] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٣١] ، وقوله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [سورة المائدة : آية ٥٤] ، والرسول ﷺ ، واسطة بين الله وبين خلقه ، تلك هي الوسيلة الكبرى ؛ التي لا تكون إلا لرجل واحد ، وهو محمد ﷺ ، فعليك باتباعه والامتثال في ما أمر به ونهى عنه ؛ تجوز على الصراط المستقيم ، ومن هنا افهم علم ذاتي ، وقد أخبر عن نفسه في حديث جابر رضي الله عنه ، فقال : (أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر) ، ثم خلق العرش منه ، ثم خلق العالم

---

(١) ما بين القوسين في (ب) .

(٢) هكذا في الأصل ولعل العبارة : وإلاّ لما كان إحياء عيسى الموتى ....

منه ، والصفات لابد لها من ذات تنسب إليها ، فالذات أقدم في الوجود ، وكان رسول الله ﷺ أقدم في الوجود ، لأنه ذات محض ، والعالم جمعيه صفات ذلك الذات ، وهذا معنى خلق الله العالم منه ، وروح محمد ﷺ هو المعبر عنه بالقلم الأعلى ، فالعقل الأول معنى[1] وجوهه من هذا المعنى ، وورد قوله ﷺ : (أول ما خلق الله نور نبيِّك يا جابر) ، فخلق محمد ﷺ من نور ذاته لتجلي ذاته ؛ لأن العالم بأجمعه لا يسع تجليه الذاتي ؛ لأنهم مخلوقين من أنوار الصفات ، فهو في العالم بمنزلة القلب الذي وسع الحق وإلى هذا المعنى أشار ﷺ ، أن يس قلب القرآن العظيم ، وسائر العوالم [الوجودية[2]] بمنزلة القلب من الهيكل ، وبقية الموجودات كالسماء والأرض ، الذي[3]لم تسع الحق ، قال الله على لسان نبيه ﷺ : (لم تسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن) ، فالأنبياء والأولياء والملائكة ، وسائر المقربين من سائر الموجودات ؛ ليس عندهم وسع المعرفة الذاتية ، ومحمد ﷺ هو قلب الوجود ، هو الذي عنده الوسع الذاتي للمعرفة الذاتية ، وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله : (لي وقت مع الله ، لا يسعني فيه نبي مرسل ، ولا ملك مقرب) ، يجعلهم بمنزلة السماء والأرض ؛ فالملك من أهل السماء ، والنبي المرسل من أهل الأرض ، فحاز ﷺ الكمالات الوجودية الحقية والخلقية ، ولم يجتمعان في مخلوق سواه ، واستحقاقه ﷺ الكمالات الحقيَّة صورة ومعنىً ظاهراً وباطناً ، وصفاً وتحققاً ذاتاً وصفاتاً ، جمالاً وجَلالاً وكمالاً ﷺ .

* * *

﴿فصل﴾

(٤٥)

---

(١) في (ب) أعني .

(٢) ما بين القوسين في (ب) .

(٣) هكذا في الأصل ولعلّها : التي .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٤٩] ، واسمع واستلزم ما أقول لك به ، فما ثم إلا واحد ، فهو هو لا غير ، فالوجود حقيقة واحدة تعينت لك في مراتب متميزة عقلاً فما ثَمَّ عقلا إلا متميز ، فما(١)ثم موجب إلا التثنية ؛ المظهر عين الظاهر عن المظهر ، وانظر وافهم تشهد المشهد السامي الأحدي ، مقام الكمالات كلها في مشهد الرسول محمد ﷺ ، قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٤٠] ، وهو ﷺ أُعطي كل المقامات من سابقة الرحمة التي سبقت الغضب ، (رحمتي سبقت غضبي) قول الحق المبين ، فلابد أن تسبق رحمته غضبه في الآخرة ، فينقلب العذاب عذباً عند أهل النار ، الذين هم أهلها [إذا(٢)] دخلوها كانوا على أحوال ثلاثة ، فالأولى يسلط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم ، فيكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضا ، ومأواهم النار ومالهم من ناصرين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وهذا المقام عين الواحد الأحد ، وهو محمد ﷺ ، فعليك بالانقياد لأمر الله ، وسعادتك وسعدك ، لسبب فعلك في أصل ما جاء به نبيك واتباعك لأمره ، وميلك عن ما نهى عنه ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[سورة الأنفال : آية ٣٣] ، وإذا كان يوم القيامة ؛ وضعت لهم منابر من نور يمجدون الله والناس في الحساب . نص القرآن العظيم : ﴿ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ٤٧] ، وقوله تعالى : ﴿ هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ ﴾[سورة الأعراف : آية ٣٨] ، وقوله تعالى : ﴿ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾[سورة ص : آية ٦٠] ، ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ

---

(١) في (ب) فما ثَمّ موجب موجب المظهر عين الظاهر عن المظهر .

(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : إذ .

﴾ [سورة سبأ : آية ٣٢] ، فلما حق عليهم ؛ ذَكَرْنا المخاصمات والمخاطبات بين أهل النار ، بعضهم يلعن بعضاً ، ﴿ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [سورة إبراهيم : آية ٢١] ، ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ [سورة سبأ : آية ٣٣] ، فهم قد رضوا بالعذاب ، ووطنوا أنفسهم على الصبر على العقاب ، فأراح الله عند ذلك بواطنهم عن[1] العذاب الشديد ، ونار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، ورفع العذاب عن قلوبهم ، ثم الحالة الثالثة وهي الأخيرة ، وذلك بعد مضي الأحقاب ، إنهم يتغذون بالعذاب ، ويألفون تعاقب العقاب ؛ حتى لا يحسون بحدته ، ولا يتألمون بشدته ، وطول مدته ، ويلقي الله على أعضائهم وجلودهم الجذر ؛ حتى لا يحسون به ، ووصفهم في هذه الحالة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى ﴾ [سورة الأعلى : آية ١٣] ، ثم يزداد تألفهم بذلك حتى إنهم يتغذون به ؛ بل يَعْذُب لهم عذابها ، فيتلذذون ويستعذبون ، بحيث أنه لو هبت لهم نفحة من قصور الجنة ، وفوحة من نعيم الرحمة ، وشموا ذلك ؛ لتعذبوا وتألموا من ذلك فافهم ، فإن العذاب والاستعذاب ، وارتفاع الآلام ، وعذاب وعقاب [أهل[2]] النار ، على نعيم مباين نعيم أهل الجنان ، وإن وجد بنسبة بعض التجليات إلى بعض ؛ بين النعمتين فرقاً عظيماً وفواتاً عظيماً ، فافهم ، ونعيم أهل النار من رحمة الرحمن ، بعدما آل العذاب إلى النعيم والغضب إلى الرحمة ، وافهم نعيم أهل الجنان نعيم محض ، ولذة خالصة ، ورحمة صافية ؛ من حضرة الرحمن الرحيم ، وعين الامتنان الجسيم ، فافهم . فلما ذكرنا في هذا الكتاب ذكر أهل النار ؛ ليكون السامع في ذلك على ذوق ما قلناه ، وفهم ما استوعيناه في هذا الكتاب الذي اجتمعت فيه أسراراً ، لا تعد ولا تحصى ولا تتناهى ولا يحصى عدها ، وفهمها علينا ، لمن أفنى نفسه وحسّه ، فلا يكون إلا ما وضعناه في إنائه ، أعني قلبه ، وأيدناه بالعلم الذوقي ، فإن أهل فنه لم يكن لهم فيه مدخل إلاَّ ما

(١) في الأصل : عن ، ولعلّها : من .

(٢) في الأصل : وعقاب بأهل .

جاءت به المنة ، قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[سورة التوبة : آية ١٢٨] ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : (الخلق كلهم عيال الله ، فأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله) ، ومعنى عيال الله الفقراء إلى الله ، فالخلق كلهم فقراء الله ، وهو الذي يعولهم ، وقال رسول الله ﷺ : (إن لله عباداً خلقهم لحوائج الناس ، وآلى على نفسه ، أن لا يعذبهم) ، فلما ذكرنا قبل ذلك في عذاب أهل النار على ما ذكروه ، وميزناه وقررناه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

(٤٦)

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾[سورة الحجر : آية ٨٧] ، فالقرآن هنا عبارة عن [الجملة[1]] الذاتية لاعتبار الربوبية ، ولاعتبار المكانة ، لمطلق الأحدية الذاتية ، التي هي مطلب الهوية ، ومراتب الصفات الجامعة ، فلما ظهرت حقيقة الذات ، فارجع إلى تصحيح الحقيقة المحمدية ، وهو رحمة للعالمين ، وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة محمد : آية ١٩] ، ولا تزال أمداد الحق سبحانه ، اللهم اجمع الأوصاف الحميدة من كون الله . تَسَمَّى بالولي الحميد ، فإنه الولي ، فله أن يوحى بولايته إلى أسرار باطن النبوة ، وخاتم الولاية ؛ إنما برز بأسرار باطن النبوة ، وظهر بكمال ولايته ؛ لأنه الولي الوارث ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٩٦] ، ﴿ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[سورة آل عمران :

---

(١) في الأصل : الحمله ومابين القوسين في (ب) ، (ج) .

آية ١٧٣] ، ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[سورة الأنفال : آية ٤٠] ، وأشار رسول الله ﷺ ، [إلى[١]] جميع ما يسأل الله تعالى فيه ، وكما قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[سورة طه : آية ١١٤] ، فامتثل أمر ربه فكان يطلب الزيادة من العلم ؛ حتى كان إذا سيق إليه لبن ، يتأوله علماً كما يُؤَوِّل رؤياه ، فلما رأى في النوم ، أنه أتي بقدح لبن ، فشربه وأعطى فضله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قالوا : فما تأوِّله ؟ قال : العلم . وكذلك لما أُسْرِيَ به ؛ (أتاه الملك بإناءٍ فيه لبن ، وإناءٍ فيه خمر ، فشرب اللبن ، فقال له المَلَكُ : أصبت الفطرة ، أصاب الله بك أمتك) ، فاللبن متى ظهر[٢]صورة العلم . والعلم في صورة اللبن ؛ كجبريل تمثَّل في صورة ﴿بَشَراً سَوِيّاً﴾ لمريم ، ولما قال عليه الصلاة والسلام : (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) ، نَبَّه أن كل ما يراه الإنسان في حياة الدنيا ، إنما هو ـ بمنزلة الرؤيا ـ خيال ، فلابد من تأويله ، قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[سورة الأحزاب : آية ٢١] ، وأي أسوة أعظم من هذا التأسي عن الله تعالى لمن عقل ، وقد أمر[٣]ﷺ ، إذا قدم إليه اللبن ؛ قال : (اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه) ، والرحمة وسعت كل شيء ، وهي سابقةٌ الغضبَ الإلهي والسابق متقدم ، فإن في الحقيقة هذا الذي حكم عليه المتأخر[٤]، حكم المتقدم ؛ فنالته الرحمة ، إذ لم يكن غيرها سابق ، فهذا معنى سبقت رحمته غضبه ، لتحكم على من وصل إليها بحسب ما يعطيه حال الواصل إليها ، وكل عبد راجع إلى ربه خالقه من العدم ، وقوله إليه : ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾[سورة هود : آية ١٢٣] ، أي فيه التصرف وهو المتصرف ، فما خرج عنه شيء ، وهو (الظاهر) بتعين الأحكام والأحوال ، و(الباطن) بالتدبير ، وهو بكل شيء

---

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل ولا في (ب) ولا (ج).
(٢) في (ب) فاللبن مظهر متى ظهر فهو صورة العلم .
(٣) هكذا في الأصل ولعلّها : وقد كان .
(٤) في (ب) قال في الحقيقة هذا الذي حكم على المتأخر حكم عليه المتقدم .

عليم ، منه الولاية ؛ حتى قام مقام المُورِّثْ ، فهو [الأخذ(١)] عن الأصل ، وغيره وإن كان وراثاً ؛ أخذ عن الأصل محمد ﷺ مقدم الجماعة ، أي جماعة الأنبياء والأولياء حتى الخاتم ، فيكون له التقديم ، وهو سيد ولد آدم ؛ كما قاله عليه السلام : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) ؛ لأن افتخاره بالله ، لا بهذه السيادة . فاعلم أن منح الله خلقه(٢)، أي عطايا الاسم الجامع جميع خلقه ، المخصوص بالكمال ، يقلب فيه نور الذات ، يكون عارفها ؛ تكون له العطايا والمواهب والمنح ، فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه ، وهو القائل سبحانه : ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[سورة الإنسان : آية ٣٠] ، وأنه سبحانه كما علم وحكم وأراد وقدّر وأوجد ، قوله تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[سورة ق : آية ٢٩] ، وتلك الحقيقة عميت عنها البصائر ، ولم تعثر عليها الأفكار والضمائر ؛ إلا بفضل إلهي ، وجود رحماني ؛ لمن اعتنى الله به من عباده ، وسبق له ذلك في حضرة الأشهاد ، فسبحان من لا فاعل سواه ، و﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ٢٣] ، ﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٤٩] .

* * *

﴿فصل﴾

(٤٧)

وكما أشهدتُ الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم ؛ على نفسي وأثبت الإيمان بمن اصطفاه الله واختاره واجتباه من الوجود ذلك سيدنا محمد ﷺ ، الذي أرسل إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ،

---

(١) ما بين القوسين في (ب) [الآخذ] وفي الأصل ، جـ : الأحد .

(٢) هكذا في الأصل ولعل العبارة : فاعلم أن الله منح خلقه .

وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فَبَلَّغ ﷺ ما أنزل إليه من ربه ، اللهم[١] إني أشهد وإني مؤمن بكل ما جاء به ﷺ ، ما علمت منه وما لم أعلم ، فافهم هذا ، وسلام على نبيه وعلى عباده الصالحين ، وذلك مقام الكمال ، فلا يكمل الولي إلا بتحققه بالحقائق الإلهية ، وبالإتباع لمحمد ﷺ والاقتفاء والإتباع له في أقواله وأفعاله ، فارجع إلى الحقيقة الواحدة الذاتية ، وافهم ما أشير به عليك ، فإن العارف الكامل لا يطلب التصرف في الوجود ، ولا ثم فائدة في مظاهر الخليقة ، والناس غايتهم حجاب لا شك ، فعليك بالفرار من معرفتهم ، لأن المخالطة والمعرفة ؛ تعود مداهنة ورياء وسمعة وطلب جاه ومنزلة عندهم ، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، وفي الحديث النبوي : (ازهد في الدنيا ؛ يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس ؛ يحبك الناس) ، وقلنا إن بين العبد وبين الوصول إلى معرفة النفس وهي معرفة من عرف نفسه عرف ربه ، ونقول : بينك وبين الوصول إلى الله عشرة حجب ، الناس تسعة والنفس والشيطان وكل مانع [حجاب واحد[٢]] ، فانظر إلى ما أقول لك وأُأَيِّدك به ، فعليك بالفرار منهم ، وفرّ منهم كفرارك من الأسد .

* * *

﴿فصل﴾

(٤٨)

ونقول عبارة عن المرتبة الإلهية ، والكعبة عبارة عن الذات اللطيفة الإنسانية ، ثم الحجر الأسود ، واسوداده عبارة عن تلوثه بالمقتضيات الطبيعية ، وإليه أشار[٣]ﷺ، (لما نزل الحجر

---

(١) هكذا في الأصل وفي (ب ، ج) ولعل العبارة : اللهم إني أشهدك بأني مؤمن .

(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : واحد حجاب .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّه : أشارﷺ بقوله : (.............

الأسود أشد بياضاً من اللبن ، فسودته خطايا بني آدم) ، وهو معنى قوله : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾[سورة التين : آية ٥] ، فإذا فهمت هذا ؛ فاعلم أن الطريق عبارة عمّا ينبغي له ، وافهم ما أقوله لك شرعنا في العبارة في دوام العبادات، وهي أعمال البر طلباً[1] لثواب الله تعالى وخشية من عقابه ، فهو من يعمل الأشياء لله ولكن يطلب بها منه الزيادة ، في دنياه وآخرته ، فهو عابد لله خوفاً من ناره[2] ، وطمعاً في جنته ، فحكم بذلك بقلبه ، تمكن الإلهية من سويد القلب ، فلو كشف الغطاء عنه ؛ فلا يكون في العبادات ؛ وإخلاص المحسنين ، عبادة الحق تعالى من غير طلب جزاء في الدارين ، بعبادتهم لله ؛ لكونه أمرهم بعبادته ، وأهل التحقيق من العارفين ، إخلاص الشهداء[3] إفراد الحق بالوجود ، وحقيقة السجود لله؛ المحو عن السِّوى ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

(٤٩)

قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[سورة البروج : آية ٢١ـ٢٢] ، يعني بالقرآن نَفَسْ الذات ، ذات المجد الشامخ ، والعز الباذخ ؛ في لوح محفوظ ، أي الكل ، أعني تعين الإنسان الكامل بغير حلول ، تعالى عن الحلول والاتحاد ، والله يقول الحق وهو يهدي إلى سبيل الرشاد ، وافهم نهاية المكانة التي يبلغها المخلوق في سيره بالله ، وما بعدها إلا المكانة المختصة

---

(١) في (ب) طلبنا .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : فمن داوم على العبادات ــ وهي أعمال البر ــ طلباً ..... ، ...... ؛ فهو عابد لله خوفاً من ناره .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : الشهود .

بالحق وحده ، ليس للمخلوق هنالك قدم ، ولا يمكن البلوغ إلى ما بعد السدرة ، لأن المخلوق هنالك معدوم ، مسحوق ، ممحوق ، مدموس ، مطموس ، ملحق بالعدم المحض ، لا وجود له ، في ما بعد السدرة ، وإلى ذلك الإشارة في قول جبريل عليه السلام ؛ للنبي محمد ﷺ : (لو تقدمت شبراً لاحترقت) ، فافهم إرشاد الله سبحانه وتعالى ، وهيبته وعزته وجلاله ، وأخبر النبي ﷺ : أنه وجد هناك شجرة سدر ؛ لها أوراق كآذان الفيلة ، فينبغي الإيمان بذلك مطلقاً ؛ لإخباره عن نفسه بذلك ، يتمثل شجرة سدر محسوسة لخياله ، فشهوده بعين كماله ، وهذا ما أخبر به ليلة الإسراء ، قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ [سورة الإسراء : آية ١] ، في معراجه ، فظهر له ما يليق بمعرفته وفهمه ، وذكرنا في شجرة السدرة هي الإيمان ، قال ﷺ : (من ملأ جوفه نبقاً ؛ ملأ الله قلبه إيماناً) ، وكونها لها أوراق كأذان الفيلة ، ومرتبة أهل الإيمان الحقيقي يختلفون فيها ، وهم على حسب أذواقهم أهل حضرات في كل حضرة من المناظر العلى ، ما لا يمكن حصرها ؛ لأن فيها تفاوت ومعاني .

* * *

﴿فصل﴾

(٥٠)

واعلم أن روح القدس هو الروح المقدس ، الذي أقام الله به الوجود الكوني موجوداً ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾[سورة البقرة : آية ١١٥] ، وهو الروح المقدس من الوجه الإلهي ، والروح المقدس لما كان الله وصف عيسى وصفه[١] ، ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[سورة المجادلة : آية ٢٢] ، أعني

(١) في (ب) الرحمة الإلهي ، فالروح المقدس لما كان الله ، ووصف عيسى عليه السلام وصفه {وأيدناه بروح منه}.

روح القدس ، فافهم ولا تسأل فيما لا تعرفه ، ولا تفهمه؛ فتضلك الحكمة البالغة ، فترجع إلى اصطلاح الصوفية ، فالحق[1] المخلوق به ، والحقيقة المحمدية موضع نظر الله إلى هذا الملك ؛ بما نظر به إلى نفسه ؛ فخلقه من نوره ، وخلق العالم منه ، وجعله محل نظره من العالم ، وأما اسمائه : (فأمر الله) هو أشرف الموجودات ، وأعلاها مكانة وأسماها منزلة ، ليس فوقه ملك ، هو سيد المقربين ، وأفضل المكرمين ، أدار الله عليه سر الموجودات ، وجعله قطب المخلوقات ، له مع كل شيء خلقه الله وجه خاص به يلحظه ، وفي المرتبة التي أوجده الله تعالى، وافهم الإشارة ؛ إن كنت ذا عقل ، ولا تطلب أن تفهم بعلمك وذهنك شيء من هذا العلم القاهر[2] ؛ فتكل العقول في فهمه ، ولكن ارجع إلى من يعرف أصله ومحله ، وإلا علمنا هذا بحر عميق ، قليل السفن ، فليس فيه إلا سفينة واحدة ، سفينة نوح جرت بها قل : ﴿ بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾[سورة هود : آية ٤١] ، وقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[سورة ق : آية ٤٧] ، أعني أصل شيء يرجع إليه ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾[سورة العنكبوت : آية ٢١] ، فافهم .

* * *

﴿فصل﴾

(٥١)

وما زلنا راتعين في ميادين الرضى ، ونتقلب في النعم ، أعني تقليب[3] النعمة الكبرى ، قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[سورة الضحى : آية ١١] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فألحقه .

(٢) في (ب) الطاهر القاهر .

(٣) في (ب) تَقَلُّب .

عَلَيْهِ ﴾[سورة الزخرف: آية ٥٩] ، واسمع وانهض إلى ما أقول لك به ، أخرج من صدق الظاهر إلى باطن الدَّرة ، والهِمَّة هي أعز شيء في طريق الكمَّل ؛ فإن الهمة محتد ميكائيل ، من محمد ﷺ يسعى في ذرى العلياء جوار مقدسه ، فيكون لذلك العبد المتوجه له عينان فيها تحفظه له ثمانية ، صورهم حملة العرش ، خلق الملائكة جميعها عليها ، وعنصريها نسبة الملائكة الفضلاء إليه ؛ نسبة القطرات إلى البحر ونسبة الثمانية الذين يحملون العرش منه ؛ نسبة الثمانية التي قام الوجود الإنساني بها من : روح الإنسان وهو العقل ، والوهم ، والفكر ، والخيال ، والصورة ، والحافظة ، والمدركة ، والتعين[1] ، ولهذا الملك في العالم الجبروتي ، والعالم الأعلى ، والعالم الملكوتي ، والعالم الملكي ؛ هي من الهيبة خلقها الله تعالى في هذا الملك ، وقد ظهر لإكماله في الحقيقة ، ولهذا كان ﷺ أفضل البشر المحمدية أمين الله تعالى ، وعلا عليه[2] ،وعده[3] من جملة النعم ؛ التي أسداها إليه تعالى وجل وعلا ، وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة الشورى: آية ٥٢] ، يعني إنا جعلنا لروحك وجهاً كاملاً من وجوه هذا الملك ؛ الذي هو أمرنا ، لأن الملك اسمه : (أمر الله) ، وإليه الإشارة ، بقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾[سورة الإسراء: آية ٨٥] أطلق في الجواب تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[سورة الإسراء: آية ٨٥] ، أي وجه من الأمر[4] تَجَلَّى في روح محمد ﷺ ، فإنه قال فيه : ﴿ أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ ؛ للاهتمام به ، ولكن لحالة ذلك الوجه ، تنبيهاً على عظم قدر محمد ﷺ، قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ

---

(١) في (ب) ... ، والمصوِّرة ، والحافظة ، والمنكرة ، والمدركه ، واليقين .

(٢) في (ب) جار وعلا .

(٣) هكذا في الأصل ولعلّها : أمين الله تعالى جل وعلا عليه ، وعدّه من ....

(٤) في (ب) وجه من وجوه الأمر.

مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ ﴾[سورة هود : آية ١٠٣] ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦ ـ ٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾[سورة طه : آية ١٦ ـ ١٧] ، عصاي أدب الله مع الله في حضرة الله الاسم ، أعني الإنسان الكامل لتقواه ، [فيكمل(١)] بموجبه ، فيكتب من السعداء ، وافهم في مركب الثناء في بحر التبيان إلى أن أشرف على الساحل ؛ فلنرجع إلى بحر الحقائق في التعين ، ولا تصلح إشارة بالتعبير ، فنرجع إلى قول الله القديم ، وهو الصراط المستقيم ، ﴿ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٥٥] ، ﴿ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ ﴾[سورة الشورى : آية ٥٣] .

* * *

﴿فصل﴾

(٥٢)

اعلم أن الله خلق الفكر لمحمد ﷺ ؛ من اسمه الهادي الرشيد ، [و(٢)]تجلى عليه من اسمه المبدي المعيد ، خلق من فكر محمد ﷺ أرواح ملائكة السموات والأرض ، الأسافل والأعالي ، فلا تزال العوالم محفوظة ، ما دامت هذه الملائكة ملحوظة ، إلى أن يصل الأجل المحتوم ، قبض الله أرواح هذه الملائكة ونقلهم إلى عالم الغيب ، وافهم علم غيب الشهادة ، وهو علم الإحساس ، والصواب أنَّ منهم أهل كشف الحجاب ، ورفع البرقع عن أستار الكعبة

(١) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : فتكمل .

(٢) ما بين القوسين في (ب) .

المشرفة المجلَّلة المعظمة ، فلما ظهرت شمس الحقيقة المحمدية ، فيا لها من مظهر من ذات الحق الصرف ، فأطلق لسان المنة على خلقه الجميع ، وفقنا الله وإياكم على محل ومرقى أعلى في تحقيق محض العبودية الرقية المحضة ، الذي[1] طالت أعناقهم بها ، ورفعت لهم في الموقف الأعلى ، أعلا منابر من نور ، يغبطهم النبيون والمرسلون عليهم الصلاة والسلام ، فقالوا لهم : ما نلتم هذه المنزلة إلا بالمحبة في الله والبقاء بالله . فهم السابقون المقربون ، في جنات النعيم على سرر متقابلين . ومعراج الأسرار ، ما بَيَّنا منه إلاَّ مثقال ذرة أو أقل من هذا العلم ، أعني الحقيقة الواحدة الذاتية ، وكان التجلي لأهله في طي خمولهم ، ومحو رسومهم ، وذلك أنهم علموا سر[2] الكاف والنون ، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[سورة يس : آية ٨٢] ، ومعراج العبد إلى الحق يحجب الباطل والتزوير ، نعوذ بالله من الخذلان ، السماع مهلك لأكثر الخلق ، ولا يصح إلا لمن له على الأمر اطلاع ، ولا يؤخذ[3] ويتبع أو يتكلم بعلم يطيقه ، وارجع إلى من هو على الصراط المستقيم ، ورئيس المرسلين والنبيين ، عليه أفضل الصلاة والتسليم .

* * *

﴿فصل﴾

(٥٣)

ولما جعل الله أهل اليمين أهل الجنان ؛ من اسمه المنان ، وجعل النار دار الشقاوة ، والقسم الطيب الذي خلق منه الجنان ، الحديث : (إن الله كلما خلق لأهل النار عذاباً ، جعل في

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : التي .

(٢) في (ب) أسرار .

(٣) في (ب) يؤاخذ .

قلوبهم قوة على حمل العذاب ، وإلا لهلكوا وانعدموا واستراحوا من العذاب) ، فلابد أن يخلق لهم قوة على حمل العذاب ؛ الذي نزل بهم ، ليذوقوا عقابه ، وهو قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ ﴾[سورة النساء : آية ٥٦] ، وفي النار كلما زال عنهم عذاب كذلك ، ولا يزالون يزدادون قوة عليه ، اسمه العادل اسم صفه ، واسم الرحمن اسم ذات ، ألا ترى الغفار ، الذي هو أول مظاهر النعمة ؛ التي أوجبتها الرحمة ، ورد فيه ثلاث صيغ : الغافر والغفار والغفور ، اسمه الستار ومظهر النقمة العدل ، فلما خلق الله آدم عليه السلام ، وأمر الملائكة له بالسجود ، والتبس الأمر ، على إبليس ، فظن أنه إن سجد لآدم ، كان ساجداً لغير الله تعالى ، ولم يعلم أن من سجد بأمر الله فقد سجد لله ، فلهذا امتنع من السجود ، وما سُمِّي إبليس إلا لنكتة هذا التلبيس ، واسمه قبل ذلك عزازير(١) ، وكنيته أبو مرة ، فلما قال له الحق سبحانه وتعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾[سورة ص : آية ٧٥] ، والعالون هم الملائكة المخلوقون من النور الإلهي ؛ كالملك المسمى بالنون وأمثاله ، وباقي الملائكة مخلوقون من العناصر ، فهم المأمورون بالسجود ، فقال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[سورة ص : آية ٧٦] ، هذا الجواب يدل على أن إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة وأعرفهم بالسؤال ، وأما تنصيصه في الجواب للحق لما سأله عن سبب المانع ، فتكلم بسر الأمر ، ولو كان كذلك لكان صيغته ، لِمَ امتنعت أن تسجد لما خلقت بيدي ؟ ، وصحّ له اللعن ، بقوله : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾[سورة ص : آية ٧٨] ، فلا سبيل له لتعرض هلاكه ، أبد الآباد ، وخلود النيران ، وحق له الطرد عن(٢) القرب والتوبة ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

---

(١) لعله عزازيل.

(٢) في (ب) من.

* * *

﴿فصل﴾

(٥٤)

وافهم ما قلت لك به ، وكان الشيخ محيي الدين عبدالقادر الجيلاني ، تصوَّر له إبليس ، وقال له : إني أنا الله ، وقد أبحت لك المحرمات ؛ فاصنع ما شئت ، قال : كذبت إنك شيطان ، فلما سئل عن ذلك ، وقيل له : بما علمت أنه شيطان ، فقال لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَـأْمُرُ بِالْفَحْشَاء ﴾[سورة الأعراف : آية ٢٨] ، فلما أمرني هذا اللعين ؛ علمت أنه شيطان يريد أن يغويني ، على أن مثل هذا قد يجري لعباد الله مع الحق ؛ كما جرى لأهل بدر وغيرهم ، هذا انتقام ، لا يكون ، وقد أخذ الوقت من بدايتي طرفاً مختصاً ، ونعلمك أن الأولياء المحققين ، ما تعز[1] إلاَّ بعناية ربانية ، ومؤيدة بنفحات رحمانية ، إلى أن ينظر الحق بعينه ، وقد يظهر العارف الكامل ؛ تارة من حيث الاسم الإلهي ، وتارة من حيث الوصف ، وتارة من حيث الذات ، وتارة من حيث العرش ، وتارة من حيث الكرسي ، وتارة من حيث اللوح ، وتارة من حيث القلم ، وتارة من حيث القمر ، وتارة من حيث الأُلوهية ؛ يظهر عليهم في كل مظهر، والولي صار ما كان يريد أن يغويه هداية في حقه ؛ لأن العارف يتقرب به في الحضرة الإلهية ، هذا[2] لا يزال يفعل بالولي ؛ حتى يصل إلى الأجل المحتوم ، فانظر في هداية الولي ، وحفظه من التباس النفس والشيطان والهوى والدنيا ، فله عليهم سلطان بجنوده .

---

(١) في الأصل : تعزّ وفي (ب) تعرفهم .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : هكذا لا يزال .

* * *

﴿فصل﴾

(٥٥)

قوله تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[سورة ق: آية ٢٩] ، في بحر مسجور ، هذا العلم المصون ، قال ﷺ : (وعلم أخذ علي في كتمه ، ليلة أسري بي) ، فخذ من كلامي وتأمله وافهمه ، فالسعيد ابن السعيد من قرأه وحصّله[١] ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والسلام ، لا عاش من هو غارق في ظلم بحور الهوى والغفلات ، نسأل الله العافية ؛ من نظرهم ، وفي علم الله كفاية لمن فهم وعرف هذا اللفظ ، وافهم ما أقول لك وانظر في هذا العلم ، والله المستعان على ما تصفون ، وعليه التكلان ، وأعلمك فيما جعل الله في السبع السموات ، والسبع الأرضين ، والسبعة الأبحر ، وما فيهن من العجائب والغرائب ، ومن يسكنهن من أنواع المخلوقات ، واعلم أيدك الله بروح منه ؛ أن الله كان قبل أن يخلق الخلق ، في ياقوتة بيضاء الحديث الصحيح ، فلما أراد الحق سبحانه وتعالى إيجاد هذا العالم ، نظر إلى حقيقة الحقائق ، وإن شئت قلت إلى الياقوتة البيضاء ، التي هي أصل الوجود ؛ بنظر الكمال فذابت فصارت ماء ، ولهذا ما في الوجود شيء يحمل ظهور الحق[٢] إلا هو وحده ؛ لأن حقيقة الحقائق ، التي هي أصل الوجود ، لم تحمل ذلك إلا في البطون ، فلما ظهر عليها ذلك ذابت ، فلما تجلى بنوره السابق في محمد ﷺ ، فهو محل تجلي نظر الحق للكل ، فلا يكون شيء من الأنوار إلا به ، وله ومنه نص القرآن ، وخاتم النبيين الآية ، فَعَدَلنا إلى العلم اللدني الذوقي ، علم تحقيق الذات فيه ، ودخول

---

(١) في (ب) من فهم له أو خُصه .

(٢) في (ب) يحمل ظهور كمال ظهور الحق ......

الصفات كذلك ، وخاتم الأمر كله ، فلم يكن وراء خلقه خلق ولا بعد أمره بعد ، فلذلك كان ﷺ ، أكمل جمالاً[1] خلقاً وأمراً قال ﷺ : (رأيت يوسف عليه السلام ، فإذا هو قد أعطي شطر الحسن) ، ويوسف حبيب يعقوب ، فهو ﷺ ، قد أوتي الحسن كله ؛ فهو حبيب الله ، ولا أكمل ممن هو حبيب الله ، فهو أحب الأحباء ، ونور الله الذي لا يطفئ . قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾[سورة الحج : آية ٧٨] ، يُوزن مداد العلماء بدم الشهداء ، تحابوا بروح الله ، بينكم فلحقنا بالرفيق الأعلى ، ﴿ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾[سورة النمل : آية ٥٩] ، قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء ﴾[سورة آل عمران : آية ١٦٩] ، فاحيا[2] الخلق آدم ، وأحياء[3] الأولاد الآدميين ، محمد ﷺ ؛ لشعاع النور في لحمه ودمه ، وعظمه وشعره وبشره وظاهره وباطنه ، وأكمل حياته ؛ حياته عن ربه إياه ، حيث قال عن ربه : (كنت سمعه وبصره ويده ورجله) ، وقلبه كان حياً بالله ، حي من روح الله هو آدم وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[سورة الحجر : آية ٢٩] ، وقال : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾[سورة الأنبياء : آية ٩١] كانوا بروح الله بينكم ، وهو بنور الله ، وهي قلب رسول ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً ﴾[سورة الشورى : آية ٥٢] ، وَحَيٌّ بالله وهو رسول الله ﷺ ، حيث قال : (اللهم بك أصول ، وبك أجول ، وبك أخاصم ، وبك أناضل) ، فأكمل عباد الله حياةً حبيب الله ، وأتمهم كمالاً ليس وراءه منتهى ، قال الله : ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾[سورة النجم : آية ٤٢] ، ليس وراء الله مرمى ، فهو ﷺ ،

(١) في (ب) كمالاً .

(٢) في الأصل : فاحيا ، ولعلّه : فإحياء الخلق آدم ، .

(٣) وأَحْيَا الأولاد .... وربما كانت (أحيا) على وزن أفعل التفضيل خلافاً للقاعدة الصرفية .

أكمل خلقه بخلقه الكريم ، آخر يوم دنياه الخلق ، وأكمل بأمره الأمر ، فمحمد ﷺ خاتم الخلق كله ، وخاتم الأمر كله ، قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأسْمَعَهُمْ ﴾[سورة الأنفال : آية ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[سورة الفتح : آية ١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾[سورة التوبة : آية ١٠٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[سورة الإنسان : آية ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١١٢] ، وقوله تعالى: ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾[سورة الإسراء : آية ٢٠] ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾[سورة النساء : آية ٤٨] ، بوسيلة توحيده استخبر النبي ﷺ رجلاً عن شيء كان فعله ، فأنكر وحلف له بالله الذي لا إله إلا هو ، يا رسول الله ما فعلته ، فنزل جبريل عليه السلام وقال : (يا محمد أمّا أنه قد فعل ، ولكن الله غفر له بإخلاص) ، ثم ذلك منه دائم متكرر ، ما أصر من استغفر ، ولو عاد في اليوم سبعين مرة ، [فلذلك(١)] تسمى باسمه الغفور ، صيغة مبالغة وإدامة ، والغفور أنه لا يعاقب بالذنب ، والغفران لا يذكره ؛ حتى كأنه لم يكن ، والرحمة أن يظهر البر ويثني بالخير ، ﴿ كهيعص ۞ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾[سورة مريم : آية ١-٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً ۞ وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ﴾[سورة مريم : آية ٥٦ ـ ٥٨] ، فهو الغفور ، (لا تسبوا الموتى فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا عليه) ، قوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً ﴾[سورة الحجرات : آية ١٢] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ

(١) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل و(ج) فذلك .

الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[سورة النور : آية ١٩] ، فيحب تعالى فعل الخير لعباده ، فلذلك اسمه الغفور .

وفي البر لمعارف[1] الأب ؛ شكر الأب ، ﴿ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[سورة لقمان : آية ١٤] ، لذلك اشتمال شكر الله زائد على شكر الأب ، لأنك تصير إلى ربك لا إلى أبيك ، والله سبحانه هو المظهر للخير كله ، أصله وفرعه ، ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ... ﴾ [سورة الكهف : آية ٦٤] ، قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾[سورة الملك : آية ١] ، فهو تعالى إلى الشكور دائماً دائباً ، في الدنيا والآخرة ، والعبد الشكور محمد ﷺ ؛ مُظْهِر من عبادة ربه أتمّ ما يمكنه إظهاره ، ومِمَّا أظهره الله عليه من الخير ، فقد صح له الشكر ، ومن أسند أفعاله وأقواله ، في الخير كلها لله ؛ فقد شكر ، ومن أسند من ذلك شيئاً إلى نفسه أو إلى غيره ؛ فقد كفر ، لعدم الشكر ، وافهم واعلم أن الذاكر الشاكر لم يسبقه أحد إلى مظهر اتباع الرسول محمد ﷺ في أوامره ، وفيما نهى عنه ، فيكون في القرب من الله سبحانه جل وعلا ، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[سورة ق : آية ١٦] ، وقوله : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الواقعة : آية ٨٥] ، قوله تعالى : ﴿ وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾[سورة البقرة : آية ١٦٣] ، وقوله : ﴿ الم ۞ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[سورة آل عمران : آية ١ ـ ٢] ، واسمه الأعظم ، هو الذي إذا بدى ؛ بَادَ ما سواه ، تضمحل الباديات بقيوميته ، من اسم القيوم ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٥] ، ومن له الخلق والأمر باطن[2] عن الأمر ، فلا يتحقق البطون إلا للباطن الحق ، اللهم إنك الباطن فليس دونك شيء . والصمد هو الاسم ، وهو الذي إليه الخلق يصمدون ، والحق

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : لمعروف .

(٢) في (ب) ناظر .

اسمه الظاهر تعالى ؛ فهو المحتجب عن الخلق بظهوره ، ومن هنا جاء الحكم بالخلافة ، ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾[سورة ص : آية ٢٦] وَوُلاَةُ[١] الجَور لأن جنايتهم عند الوالي الحق ، فهم أشد عذاباً يوم القيامة ، (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه ، فأدخل عليه الجور في عدله) ، وولاة الحكم بحكم المصير ، قضاهم ظاهر الحكم ، أشرف الناس منازلاً يوم القيامة الإمام العادل ، وهو جليس الله يوم القيامة ، وليس الولاية بالحقيقة إلا مَعَنَا ، وهي [تختص[٢]] بأهلها أهل الولاية ، وسؤددها ، (وكانوا أحق بها وأهلها) ، فلما وصلوا إلى الحضرة الإلهية ، وهي مسكنهم ، إليها يأوون ، وفيها يسكنون ، وظهرت منهم ، وأشرقت شمس الحقيقة المحمدية ، واستغرقتهم المحبة والمشاهدة في تلك الحضرة ، فبهم يستغيث[٣] ، ويغاث جميع المخلوقات ؛ بنزول الرحمة الشاملة ، فيلحقها الكل من المحبين لهم ، والغير في هذه الدار لهم نصيب منها ، مضى الحكم الذي لا يعثر عليه ، والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب . ﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٤٩] ، فهو المتعالي علماً : ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [سورة النور : آية ٢٥] ، وقوة صعودنا إلى علم الذات الأحدي ، فإن الظهور حق حقيقة[٤]، هو تعالى الجامع الذي لا جامع إلا هو ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[سورة الحشر : آية ٧] فأقبلنا إلى الأمر بالمحبة السابقة والرضاء ، ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[سورة المائدة : آية ٥٤] ، ونميل إلى الأقرب للحكم ، لم

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وهم ولاة .
(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : تخص .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : يستغاث .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فإن الظهور الحقُّ حقيقةً .

يستطيع الخلق العدل عاماً[1] ، إلا من اختصه الله بفضله وجوده ، قال ﷺ للذي خرج عليه : (ويحك إن لم أعدل ، فمن يعدل غيري) ، وقال عليه الصلاة والسلام : (أقضاكم علي) ، وأَنهَى ـ بحسب الانقطاع ـ عن طباع الخلق ، قال الله تعالى في بعض كتبه : (ما كمحمد ﷺ ، اجعل الصدق والوفاء طبيعته ، والعدل سيرته) ، والانقطاع عن الخلق بحسب صدق المراد إلى الحق ، والحق تعالى حَكَمٌ عَدْلٌ ، لأن جميع الخلق في يده ـ والعبودية إليه ـ سواء ؛ ليس بعضهم أولى من بعض ، في كونه عبداً ، ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾[سورة مريم: آية ٩٣] ، ليس منهم شيء أقرب إليه تعالى من شيء ، ولا شيء أبعد من شيء ، إلا على حكم إثباته ، فهو تعالى في القرب والبعد، فلا مدخل عليه في عدله ، وفي أسرار خلقه في أمره ، فهو الحقيقة المشار إليها بالعدل ، الذي لا عدل إلا هو ،(اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون ، اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون ، اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون)، فالتكرار في ذلك ثلاث ، والحلم علم حصول العلم ، فمن لا حلم عنده فلا يتحقق العلم بعدله ، لا خير في عمل إلا بعلم ، ولا خير في علم إلا بحلم ، قوله: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ﴾[سورة الصافات : آية ١٠١] ، فما أثنى الحق على غيره ، وافهم وإياك والوقفة والفترة ، ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾[سورة هود : آية ٧٥] ، والحلم هنا : رضى الله ، والعدل : حكم الله ، ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[سورة النحل : آية ٩٠] قال جبريل عليه السلام ، للنبي ﷺ : (إن الله أمرك[2] أن تعطي من حرمك ، وأن تصل من قطعك ، وتعفو عَمَّن ظلمك) ، والمح بفكرك ، وتحجَّب عن ظن الغير ، والحظ إلى عالم الشهادة ، وتقيد بإشارات مِنَّا ، إلزم أهل العلم

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : عامة .

(٢) في (ب) يأمرك .

والحلم ، وأهل العقول، وفر من أهل النسب والرسوم ، والجد والجدود ، وكن متقيد [عن أن تتساهل[1]] في شيء من الأخذ مما يحرم أو يكره ، وازهد في الحلال الطيب ، تكن من طائفة أهل الحق المبين ، الذين لا يأخذون[2] في الحق لومة لائم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

❊ ❊ ❊

(١) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : عن من يتساهل .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : لا تأخذهم .

﴿فصل﴾

(٥٦)

وأشرفنا في قلوب المحبين ، وتوليناهم ؛ بأن لا يتولاهم كيد الشيطان ، قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[سورة الزخرف : آية ٣٦] ، ونقيد[1] المستقيم والمستمد والمستحسن بقيد الشرع ، ويرفض قيود العادات ويكون عبداً مخلصاً نَزِهاً من تبعات هوى النفس الأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، وأَجْمِلْ في الطلب ؛ تبين لك الطريق الواضحة ، ويثبت لك الإيمان ، وعبدالله لا يقبل سواه ، ولا يأخذ إلا بما[2] أعطاه مولاه ، ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[سورة آل عمران : آية ٨٥] ، وهو دين النبي ﷺ ، وملة أبينا إبراهيم ، ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ ﴾[سورة الحج : آية ٧٨] فافهم ، فلا حجة ولا حكم لعبد على سيده ؛ فيما أقامه فيه من صورة سعادة أو شقاوة ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ ﴾[سورة الانفطار : آية ٨] ، وقال تعالى: ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾[سورة القيامة : آية ٤] ، وقال : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[سورة الواقعة : آية ٦٠-٦١] ، وكلما أثبتنا في [هذا[3]] الكتاب ، هو في إخلاص القلب ، وطيب النفس وآداب الجوارح ، وهي جامعة الشريعة ، وكذلك آداب القلب المنور[4] ، أدب القلب ، فجمع في ذلك معنى كتب الرقائق الكل . وآداب الصلاة خشوع الجوارح ، والهدوء في الأركان ،

---

(١) في (ب) ويتقيّد .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ما .
(٣) ما بين القوسين في (ب) .
(٤) في (ب) وكذلك أدب المنور ، أدب القلب .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ﴾[سورة العنكبوت : آية ٤٥] ، والأعمال ما تنتهي إلا بالإخلاص ، فلا يصح عمل ولا يقبل إلا بالإخلاص ، ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[سورة الزمر : آية ٣] ، ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[سورة الأنفال : آية ٢] ، وقوله تعالى : ﴿ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾[سورة المزمل : آية ٢٠] .

* * *

﴿فصل﴾

(٥٧)

أحب العبادات إلى الله ، ترك الدنيا وحِمْيَة النفس عن الهوى ، أعنى جاهها ومالها ، والنبي ﷺ خُيّر بين أن يكون نبياً عبداً أو نبياً ملكاً ؛ فاختار أن يكون نبياً عبداً ، وقال : (أجوع يوماً وأشبع يوماً ، ومن رغب عن سنتي فليس مني) ، والقرآن حجة لمن عمل به ، وصار أمامه يقوده إلى الجنة ، وحجة على من لا يعمل [به(١)] ، فيصرف بسوء ظنه عن الجنة ؛ إلى الحَيَّة التي في جُبٍّ في وادٍ في جهنم، التي تستعيذ منها جهنم ، والوادي والجب في كل يوم سبع مرات ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا ﴾[سورة الشورى : آية ٥٢] ، وقوله تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً ﴾[سورة البقرة : آية ٢٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً ﴾[سورة الإسراء : آية ٨٢] ، نسألك يا الله العافية في الدارين ، أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، فلك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد بعد الرضى ، وقل اللهم ارزقنا قوة الإيمان ، في مشهد ملازمة خدمة الأبرار

---

(١) ما بين القوسين في (ب) .

، فإن أحوالهم إيماناً ويقيناً ، فأسبل النِّعم علينا من فيض الكرم والجود ، من العطاء[1] الوهبي الرحماني[2] .

* * *

﴿فصل﴾

(٥٨)

وإياك أن تكون من الواقفين على ما ظهر لهم من حال الكشف ، فإنهم لابد لهم من شيخ مرشد مربي ملقح منجح ، لكل مطلب بالتوجه إليه ، فإنك إن توجهت إليه ، ولم تلتفت إلى شيء دق أو أجلّ ولمحت المقام الأسنى ؛ تكون من أهله ، قوله تعالى : ﴿ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٨٩] ، وقوله تعالى : ﴿ يعلم سركم وجهركم وإليه يرجع الأمر كله وهو اللطيف الخبير ﴾ ، فلما وقع الإختبار ؛ وقع اللطف من الحق ، تولى فضله بفضله ، وإحسانه بإحسانه ، إن الله يحب المحسنين ، وقوله تعالى : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾[سورة التوبة : آية ٩١] ، وقوله تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾[سورة الرحمن : آية ٦٠] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾[سورة الزمر : آية ٥٣]، وقوله تعالى : ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ

---

(١) في (ب) العلم .

(٢) في متن (ب) (ولعلّه ليس من أصل الكتاب) ما يلي : فائدة : ذكر في أهل النار بقوله : {إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً } الزّفر هو : اجتماع النفس في الجواب ، ثم يخرج دفعة واحدة ، وهو الزفير ، وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من انتمى إلى غير أبيه وادّعى إلى غير مواليه أو كذب عليّ متعمداً فليتبوأ بين عينين جهنم مقعداً ، قالوا :يا رسول الله ، أو لجهنم عينان ، قال : أو لم تسمعوا قول الله جل ذكره : {إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا}) . وعن رسول الله ﷺ ، حديثه المشهور الذي يقول فيه : (إن النار اشتكت إلى ربها ، فقالت: أكل بعضي بعضاً فأذن لي أن أتنفس ، فإذن لها بنفسين نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف) الحديث . مصنف نفعنا الله ببركاته آمين .

الْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأعراف : آية ٥٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[سورة المؤمنون : آية ١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[سورة الملك : آية ١] ، وقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[سورة غافر : آية ١٩] ، وكل من جعل القرآن أمامه ؛ قاده إلى الجنة ، ومن جعله وراء ظهره ؛ قاده إلى النار ، نسأل الله العافية والنجاة من ذلك . والورع الحاجز هو الذي يمنع من معصية الجسم ، وما يؤذي النفس ، وما يكره الخلق ، وما يُغْضِب[1] ؛ فمن أصاب شيء من ذلك ولم يبادر بالتوبة ؛ عُذِّب[2] بكل آية قرأها ، وهو مخالف لحكمها . والربا محرم بنص القرآن ، قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٧٥] ، وأعظم من ذلك ما حرمه الله ؛ لأن من أكل شيئاً حرمه الله تعالى بنص القرآن ؛ عاقبه الله تعالى . فخذ من القرآن تحصل لك النجاة ، والذين يقرؤون حروفه ، ويضيعون حدوده ؛ الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: كان هؤلاء من القُرّاء : (لا كثّرهم الله) ، ومن لم تكن له قراءة بهذه الأحرف ، لم تصح[3] له قراءة حرف[4] سواه ، ولا تصح له عبادة ، كما ورد في الخبر ، وهو الذي لا تزيده صلاته ، من الله إلا بُعداً ، ولا يقبل منه دعاءً ؛ كالرجل يكون مطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، والله ولي التوفيق.

* * *

---

(١) في (ب) وما يغضب للرب .
(٢) في (ب) كذّب .
(٣) في (ب) لا يصح له من قراءة حرف سواه .
(٤) ولعلّها : بحرف .

﴿فصل﴾

(٥٨)

قوله تعالى : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٦٤] ، ومن[1] طلب جمع المال ، إلاَّ لأعمال الخير ، واستعان به على وجه البر ؛ لكان ترك التكسب والنمو له أبرَّ ، قال ﷺ : (إنما أهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم) ، وهما مهلكاهم ، فكل من أحبهما وأحب جمعهما ؛ فهو مشرك هذه الأمة ، لا إله إلا الله ، نجاة لعباد الله من عذاب الله ؛ ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فافهم ومن وجد من هذا دسيسة ؛ فليسمع جميع ما أنزل في المشركين متطلعاً عليه ، ومنزلاً الله وحاقاً به[2] ؛ حتى يخلصه الله من[3] خاص شِرْكه ، كما خلّص ممن[4] أخرج من الظلمات إلى النور ، من الأولين فيخلص هذا المشرك بماله من ظلمته ، التي غشيت ضعيف الإيمان ؛ إلى صفاء نور الإيمان ، مضمون قوله تعالى : ﴿ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[سورة الطلاق: آية ١١] فهذا وجه تفصيل وتبيين ، من تكرار الشرك في هذه الأمة ، فذكرنا في هذا الكتاب ؛من الخوف ليخاف الجاهل ، وحفظاً للشريعة المحمدية ، لأنك في آخر الزمان ، ونبينا محمد ﷺ جامع الخيرات ، ومنتهى لختام النبوة والرسالة ، والولاية ، فخشينا عليهم من التهاون ، وقد قلنا في بعض أنفاسنا :

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ومن لم يطلب المال .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ومنزلاً له عليه وحاقاً به .

(٣) في (ب) عن .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : كما خلص السابقين مِمّن ... (أو) : كما خلص من .

فكنــت لأتبــاعي[1] شــفيقاً راحمــاً

ومراعيـــاً في حـــق كـــل موحـــدِ

فانظر فيما دخلنا فيه ، وفي الطلب من ذلك وقلنا :

يا رب واسمح لي جزيل عطيتي

وأعــط الشــفاعة في بيــاض واســودِ

فافهم التوانا[2] بالأمة ، والتوائهم بالمقام المحمدي ، فما لهم غير بابه باب ، ولا ملجأ من الله إلا إليه ، فهذا صاحب المقام المحمدي ، غياث الأمة ومنجي الغرقى في بحر الهوى والغفلات ، ومنجيهم من بحرها إلى ساحل السلامة ؛ ليدخلهم في ميادين السعادة ، فقد صح وثبت في الصحيح: (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره) ، مثل أويس وغيره من أولياء هذه الأمة ، الوارثين لأسرار النبوة ، لأن نبيهم خاتم النبيين ، وربما يكون العارف بالله منتظر السؤال من ربه بالرضى ، وقد خص الأمة برضى نبيهم ،بنص القرآن ، فكل قريب عارف ذلك[3] العلم ؛ ثابت وكان رسول الله ﷺ ؛ إذا نزل[4] عليه آيُّ القرآنِ ، وذُكِرَ فيه العدلُ ؛ يقشعر جلده ابتداءً ، ثم يلين جلده وقلبه انتهاءً ، وربما يجد من الله نفح رحمة ؛ يفتح له باب إلى التخلق[5] بالقرآن ؛ ولذلك هو ذوا الخلق العظيم ، والله واسع عليم ، والحمد لله رب العالمين .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

---

(١) في (ب) لأصحابي .

(٢) أي : إحاطتنا .

(٣) في (ب) في ذلك .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : نزلت .

(٥) في (ب) إلى الحق للتخلّق بالقرآن .

(٥٩)

فنحن جمعنا في كتابنا هذا الطريقة والحقيقة ، وهمتنا تسمو إلى أعلى الدرجات ، وسلوك طريق الحق الصرف سبحانه وتعالى جل وعلا ، وهو بكل شيء عليم ، وبما في الصدور وخائنة الأعين ، فرقينا إلى أعلى مرقى في طريقة السلوك ، وعليك بالجد في الطلب ، واجعل وقتك كله جد لا هزل فيه ، وحقاً لا باطل فيه ، واقنع من الدنيا بلقيمات يقمن صلبك ، بقدر الضرورة ، من الحلال الصرف ، فما للحرام عندنا مجال نص الحديث : (الحلال بيّن والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات) ، واترك الخلق ولا تخالطهم ، ودع الخلق جانباً ، لا تعرفهم إلا في صلاة الجمعة ، ولا تنظر إليهم ، ولا تكلمهم إلا بالسلام ، وإن وقع كلام [فبقدر(١)] الحاجة ، فافهم معنانا واخرج من القرية الظالم أهلها؛ لأنهم يحجبونك عن الوصول إلى عالم الحقيقة ، وافهم واترك الستة والعشرة واقطع الأربعة ، واخلص وتوجه إلى الواحد ؛ فهنالك يحق الوصول ، وافهم قد أشرق شمس اللاهوت ، على سطح الإمكان ، فزالت عنك يا متجرد ظلمات الأجسام ، فادخل كعبة الإيمان ، واظعن عن ظلمة العمى والحرمان ، [فعليك(٢)] بالباب وملازمة الجناب فإنه باب ما استوحش طالبه ولا خاب قاصده ، فهذا كله لنفوس تزكت وبرّت واطمأنت وتوجهت إلى ربها ، قطعت مسالك الناسوت ووصلت ، وتخلصت عن قيود العشرة ، والحجب بصحبة العشرة ، وارتفعت عن الحضيض ، إلى حيث روح القدس ، فنالت ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، طوبى طوبى لقوم مقامهم في مقام العنديّة ، ومظاهرهم إلى فضاء القيومية ، ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾[سورة البقرة: آية ١٢٨] ، ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾[سورة الفرقان: آية ٧٤] ، واترك التشبه بعلمنا هذا ؛ فإنه حق صرف من الحق سبحانه وتعالى ،

(١) في الأصل : بقدر الحاجة .

(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : فعليكم .

وإني ما أقول إلا بما يُقَال لي به ، وإني أخرج كل طالب ومقبل من سجن الحدثان ، وأرفعه في عالم الإمكان ، فإن تكن من الرجال ؛فلا تسمع القيل والقال ، فَلأَنفاسك النفيسة معنا في طي حضرتنا ، وفاضت الأنوار على القلوب ، ولا تكن كالأكمه يجحد الشمس ولا يشاهد نورها ، وهي تحرقه بلمسها ؛ هذا مزكوم محروم ، مصدود عن مشهد شمس الحقيقة ؛ فأخذته سموم المهلكات ، ومن زالت عنه المهلكات ، كان من الناجين ، ومن دعيناه أجاب ولبّا (لبيك اللهم لبيك) ، أُخْرِج من الغفلات ؛ إلى كعبة الأزل ، وانشدوا :

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمرُ

وافهم وأتقن من أهل الرمز ؛ تظفر بالكنز ، ذوق ثم شوق ثم عشق ، ثم وصل ثم فناء ، وليس وراء عبادان ، قرية غير متناهية ، اعلم وافهم ، أيدك الله بروح منه ؛ أن القمر عاشق صادق ، ملك الكواكب وسلطان السيارات ، بصورة مبادئ السموات ، قاهر الظلمات بالنور ، حافظ الأزمان والدهور ، باسط الخيرات على سطح الأرض ، وأهل حقيقة التجريد أقمار نارت أرض قلوبهم ؛ بنور ربهم ، فهم أهل السر الخفي الواضح ، ﴿ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[سورة فاطر : آية ١٤] ، ﴿ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[سورة الأنفال : آية ٤٠] .

* * *

﴿فصل﴾

(٦٠)

قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[سورة الشورى : آية ١٣] ، ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ ﴾[سورة الأعراف : آية ٤٣] ، الخلق محجوبون عن الله ؛ بنفوسهم الأمارة بالسوء المتابعة للهوى ، راحت بهم لذات المأكل والملبوس ، وأوقاتهم ضائعة ؛ [لاشتغالهم(١)] بعضهم ببعض ، بمخالطة البعض من البعض ، والشيخ الكامل المربي الملقح لكل مريد ، يراعيه ويحرسه ويحميه عن النفس والهوى والشيطان ؛ ليوصله إلى رضى ربه(٢) ، ويدخله في سلك أعماله ، فيكون له مثل الوالدة الشفيقة البارة الرحيمة بولدها ، وقولي في المذاكرة للواحد كقولي لكثرة الجماعة ، فظهرت لهم لوائح وطوالع ، بعد تحقيقهم لعروة الإيمان ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾[سورة الأنفال : آية ٤٠] ، ويميز بعضهم على بعض بيقينهم ، وفيهم تفاوت ، قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[سورة العنكبوت : آية ٦٩] ، وقوله : ﴿ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة آل عمران : آية ٦٨] المخلصين ، وألزمنا المجاهدة في ابتداء السالك ، فمن صحت له رتبة الإسلام ؛ يرجى أن يكون في طائفة أهل السلوك ، ومن لم يثبت على قواعد الإسلام ؛ فما ينال حقيقة الإيمان ، لأن الإيمان أعلى درجة من الإسلام ، ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٦٣] ، ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ ﴾[سورة الأعراف : آية ٤٣] ، ونفهمك شأن السلوك ؛ على ميزان القسطاس المستقيم ، فإن فهمت علمنا واتبعت أمرنا ؛ كنت من الطائفة الناجية ، والعصمة منا ، فمن حقق السلوك الصحيح على الأمر ؛ نال رتبة أهل اليقين ، قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[سورة التغابن : آية ١٦] لعوام أهل الإيمان وحقيقته لخواص أهل الإيمان ، فإنهم نالوا بفنائهم عن كل علم وعمل ، (سبق المفردون) وأهل صرف التوحيد ، ومقام

---

(١) في الأصل : لاشتعالهم ، وفي (ب، جـ) لاشتغالهم .

(٢) في (ب) ليوصله إلى منازله .

المفردون المحكوم لهم بالسبق ، وفي مكاشفة الروح ، وأهل المحبة المخلصة الصادقة ؛ فلما باداه[1] تجليات الحقيقة ، وانكشف صرف التوحيد بتجريد فضل الله تعالى ، ويتجلى له الحق في الحوادث والعوارض ، على أهل الحق ، أعني تجلي بحركة مقام الأفعال والطمأنينة المفردون لهم من الهيبة ، فظهر لهم سمت الطمأنينة ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[سورة الرعد: آية ٢٨] ، وتنزل الرحمة عند ذكر أوليائه ، اللهم لا تحرم أهل الإيمان ، فذلك مشهد التجلي الأحدي الذاتي ، قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۞ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[سورة البروج : آية ٢١ ـ ٢٢] ، قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[سورة الشورى : آية ١٣] ، والله المنعم المنان .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

(٦١)

قال الله تعالى لنبيه ؛ ﷺ: ﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٤٩] ، وهذا لإحاطة علمه ، وكذلك هو حجة صفية آدم ؛ لمعرفته به ، وحجة المؤمنين به على من دونهم ؛ لتحقق إيمانهم به ، وتحقق إفراد الخلق لله ، فيما ظهر على أيدي الملك والملكوت ، وإحاطة جبروته بما ظهر وبما بطن ، من أعمالهم وصنائعهم ، هو أول مجمع من مجامع التوحيد ، وهو أساس الإيمان لأمة محمد ﷺ ؛ لذلك كنا خير أمة أخرجت للناس ، حيث أخلصوا الدين لله ، فمن أيقظ قلبه حتى استوى الخير على أعماله ؛ تحقق أن لا خالق إلا الله ، كما يشهد أن لا إله إلا الله ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وذلك مظهر الامتنان في إحسانه ، قوله تعالى

(١) في (ب) فاداه ، هكذا في الأصل ، ولعلّها : فلما بادئته تجليات وانكشف له صرف التوحيد .... ، ..... ويتجلى الحق ....

: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[سورة غافر : آية ٦٤] ، ولا يكاد لإحسان الخلق[١] في مصوراتهم إلا وفاقاً لا يعلمون كنهه ، فتعرف لا بارئ إلا الله سبحانه ، كما لا خالق إلا هو ، اسمه المصور لتمام تصوير الخلق لتمام فطرته ، (فطرة الله) . واسمه المصور ؛ سَلَبَ الخلق جميع ما ينسب إليهم من الآلات والصنائع ، كما أن اسمه الملك القدوس ، واسمه الغفور ، غُفري أي ستري من سابق فضلي وجودي لخلقي ، وإليه يرجع الأمر كله ، وهو الغفور الرحيم ، قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾[سورة سبأ : آية ٢٦] ، الفتح بدوّ إظهار الخير ، وقوله : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا ﴾[سورة سبأ : آية ٢٦] ، والحكم هو الذي يوسع الضيق بين المتخاصمين ، هو الفتاح : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾[سورة الأعراف : آية ٨٩] . قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ ﴾[سورة الشورى : آية ٥١] تحقق اسمه العليم ، فالعبد تحت الأمر من أنه أسند إليه ما غاب ، وشهده وشهد له بظاهر ما شهد ، ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ ، ثم ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾[سورة البقرة : آية ٣٣] ، حين عَلَّمهُ الأسماء كلها ظاهرها وباطنها ، وأوتي إحاطة ذاته بذاته ، فشهد آدم سِرّ من خلقه الله قبل وجود طينته ، بألفي عام الخاصة بمحمد ﷺ ، (لي وقت لا يسعني فيه غير ربي) ، وفي الأخرى دواماً ما شاء الله ؛ لأنه ﷺ مئآله[٢] في الدارين ، في دوام مشيئة الله ، ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾[سورة النجم : آية ٤٢] ، وهو يحق له البسط والرضى ، وهو الخاص بمحيطة الأحدية الذاتية ، وهو قوله : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۝ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾[سورة النجم : آية ٨ ـ ١١] .

---

(١) في (ب) الحق .

(٢) في الأصل : مئآله ، في (ب) ماله .

* * *

﴿فصل﴾

(٦٢)

المريد في صدق الطلب، يكون مع شيخه كالميت بين يدي الحي، لأن شيخه يكون له بنظر الرحمة الخاصة به، أعني بالمريد، وقد رحمك بأستاذك إذ هو معك في الحركات والسكنات، قوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[سورة المجادلة: آية ١١]، هو الذي كتب الإيمان في القلوب، وعلم الإنسان بالقلم، وعلّم عبده ما لم يكن يعلم، فهو الرافع لا رافع إلا هو، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾[سورة غافر: آية ٥١]، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً ﴾[سورة فاطر: آية ١٠]، يخص بها أخص أوليائه الذين ليس لهم بديل، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة المنافقون: آية ٨]، فهو خاص بالله، مختص بأولياء الله، من ابتدأه رحمة وعلماً، ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[سورة الأعراف: آية ١٥٦]، ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[سورة يونس: آية ٢٦]، ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[سورة ق: آية ٣٥]، وفَهَّمَ في الدعاء بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[سورة البقرة: آية ١٨٦]، وفاضت النعمة بمقتضى الرحمة.

* * *

﴿فصل﴾

(٦٣)

وعليك بحسن الخلق ، (لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم) ، والناس بخصوص حسن الخلق ، فعساه يكاد ، قال ﷺ : (فسعوهم بأخلاقكم) ، ولما أجزل الله لمحمد ﷺ ، من فضله العظيم ، وكان على خلق عظيم ، وسع بعِظَمِ خلقه ؛ فكان رحمة للعالمين ، وكان هو العبد المؤمن ، الذي قال فيه العلي العظيم ، الواسع العليم : (لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) ، وقال ﷺ : (لي وقت لا يسعني فيه غير ربي) ، فما وسع السعة ، إلا الله ورسوله وإذا كان هو إلاَّ هو ولا واسع إلاَّ هو ، وهو خاتم النبيين وقائد الغر المحجلين ، قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[سورة الجمعة : آية ٢] ، وافهم إظهار سلطان الكلمة على الحكمة ، وفيه إشفاق وحكم وبيان ، ﴿ تَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[سورة المائدة : آية ٢] ، ولا ينفد بره وعطاءه وإحسانه إلى[1] المخلصين من عباده ، وبره هو رحمة من خُلُقِهِ ، ﴿ وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾[سورة هود : آية ٤١] ، قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[سورة النور : آية ٢٥] ، وقوله تعالى : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٥٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٣٤] ، اعلم أن الله سبحانه أعطى عباده نوراً من نوره ، نوراً إلى أعينهم وحواسهم ؛ فبه استبصروا المحسوسات ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ ﴾[سورة الملك : آية ١٩] ، ﴿ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[سورة الغاشية : آية ١٧] ، نطق به أصدق قائل ، انظر إلى المعقولات ، وما وراء المعقولات ﴿ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا ﴾[سورة الشورى : آية ٥٢] ، من نوّر الله قلبه ؛ يهدي بنوره ، فصار عارف متمكن ، ولا يبين إلا برسول الله ﷺ ،

---

(١) في (ب) إلاّ .

﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾[سورة التوبة : آية ٦٢] ، فما دون الله ورسوله ، لأن فيه أغوار وتعميق عن الإحاطيَّة[١] ، لا يصح ولا يثبت ، أن يبدو معه بادٍ والحمد لله ، وإذا حمدت الله سبحانه وتعالى باد ما سواه ، فهو الحمد الذي لا حمد إلا هو ، قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾[سورة البقرة : آية ٢١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾[سورة الزمر : آية ٥٤] ، فيرجع العبد إليه ، يعظهم بالتهديد والوعيد ، فلزم خوف العبد ، ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ ۞ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[سورة الأعراف : آية ٩٧-٩٨] ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾[سورة الأنعام : آية ٤٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[سورة السجدة : آية ٢١] ، والبطش قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[سورة الدخان : آية ١٦] ، روح الأمر في قلبه في دنياه ، وفي نسمته ومثله حين وفاته ﴿ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾[سورة إبراهيم : آية ٤٧] ، وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٦٩] ، ولا تحق الولاية للعبد، إلا أن يرجع ويأخذ من القرآن بما نطق به الرسول محمد ﷺ ، وهو واسطة الرحمة الأصل والفرع ، أعني يرجع الولي في أحواله وأقواله بقلبه إلى ربه ، ونفي الحجابات الموانع عن وصل[٢] صرف الحق الذاتي ، فيكون قائم متأدب على باب الحقيقة المحمدية ﷺ ، صفة الولي يبدو بواسطة الحق ، وهو المقام ، وقوله : ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[سورة الفاتحة : آية ٢] ، أحسن الكل بانتهاء الكلية إليه سبحانه وتعالى فالرسول محمد ﷺ

(١) في (ب) الإحاطة .
(٢) في (ب) وصله .

الدال عليه والمدلول به ، والمتبوع والتابع له ، دال ودليل ، ومبين ومستدال ، فهو جامع المقامات ، وما حوته إخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، من التوراة والإنجيل والصحف والزبور ، ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[سورة الأنعام : آية ٣٨] ، ومن اسمائه عبدالله ومحمد واحمد ويس قلب القرآن ، وطه ص والقرآن ، فله من الاسماء تسعة وتسعون اسماً ، واسماء الله الحسنى عزيزها وجليلها ، وهو ﷺ قائم بالحمد ، ونور محمد ﷺ ، فارج الكرب ، ومجلي هموم أمته ، بما [أظهر[1]] الحق عليه من الرحمة ، قوله تعالى : ﴿ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٩] ، قال ﷺ : (وإنما الحمد فاتحة الكتاب) ، ونور محمد ﷺ ؛ فاتح الكل ، وكل شيء وجد منة ، قال : (إن الله عز وجل ، خلق نوري ، أو لكل شيء والشمس والقمر من نوري ، وكل شيء سجد لله من نوري ، وخلق العرش من نوري ، والكرسي من نوري ، واللوح من نوري ، والقلم من نوري ، والشمس والقمر من نوري ، ونور الأبصار من نوري ، والعقل الذي في رؤوس الخلق من نوري) ، فهذه الأنوار المتسعة ، التي هي تبيان الكون ، على تفاصيلها كلها ؛ من نوره ﷺ فهو أوحَدَها الأول ، وكما كان نوره ﷺ ، هو فاتح هذه الأنوار الزاهرة التي بها ضياء الكون كله ، ملكه وملكوته ، وجامعه الخليفة في هذا كله ؛ فكذلك نوره ﷺ هو فاتح جميع الكون ، المقام بهذا الأنوار ؛ لأن ما تنزل وانخفض من نوره ؛ كان قائماً ، وما نظرت من تكاثر من نوره ؛ كان مقام نبينا محمد ﷺ ، من نوره الضّبابة ، وأنشاء من الضبابة الدُّرة ، وأنشاء من الدرة الماء ، وأنشاء من الماء الموج ، وأنشاء من الموج الزبد ، وأنشاء من الزبد الأرض ، وأنشاء من الأرض التراب وخلق آدم من تراب ، نص القرآن فهذه الكواين[2] السبع ، فيما بين الضبابة والتراب ؛ من نوره ، فهو لذلك أحمدها ومحمدها ، فهو أحمد الآخرين ، كما هو أحمد الأولين ، كذلك اسمه في السماء أحمد ،

(١) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : ظهر .

(٢) هكذا في الأصل ولعلّها : الأكوان .

وفي الأرض محمد ، صورة له في الخلق والأمر ، ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف : آية ٥٤] ، وأنشأ آدم مستلقياً على الأرض ، في يوم الجمعة من أيام الله ، وأكمل الله جميع الكون به ظاهره وباطنه أوله وآخره محمد ﷺ ، وجعل له الجمعة بين نشأت آدم ، فهو حميد ومحمود ، وعبده وحبيبه ، أحمد ومحمد والعبد لا يكون إلا بالله ، ورسوله ﷺ .

* * *

﴿فصل﴾

(٦٤)

الكشف الصوري الذي يجسد[١] الله تعالى ، ويمثل له المعاني والأمور الغيبية ، صوراً مثالية ، وأمثلة جسدية محسوسة من الله ، على علم آخر من الكشف المعنوي ، كشف على وجه ذلك المعنى له قناع الصور والأمثلة الإلهية ، وهو الكشف العالي وعلم شريف ، يؤتيه الله من يشاء من عباده المصطفين المعتنين[٢] لسر[٣] علم التعبير ، الذي[٤] أخذوا من كتب التعبير . اعلم أن صورة النبي ﷺ ، يشاهدها الحس . أنها في المدينة مدفونة ، وإن صورة روحه ولطيفته ما شهدها أحد من أحد ، ولا من نفسه ، كل روح بهذه المثابة ، أعني الصورة العنصرية المشهودة ، والحسية مدفونة في المدينة لا يتعلق روح أحد بها ، والصورة الروحانية النورية ؛ التي لروحه ﷺ في مظهريته ، تعالى الله أن يراها أحد! ، من رسول الله ﷺ ، ولا من نفسه يظهر بتلك الصورة

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّه : يجسده اللهُ .
(٢) في (ب) المعترفين .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بسر .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : الذين .

المقدسة ؛ لكونها خاصة بالنبي ﷺ ، وكذلك الرجل العارف الكامل لا يمتلئ بالتجلي ، ولا يرتوي في مطلق الغيب الذاتي أصلاً ، فلو امتلئ ارتوى ، فإنه لا يزال في تجليات الحق ، ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ، ولا يحس بتجليات الحق المتعين ، والعرش والكرسي الذي فيها السموات والأرض السبع لأنه قد علم علم مالا ينتهي ، ومحمد ﷺ أحدية جمع الجمع ؛ فالكل فيه ، والداخل والخارج فيه ، ولولاه ما كان للوجود وجوداً أبداً ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾[سورة فاطر : آية ٤١] ، وانظر العارف بالله ، نفع الله به ؛ لم يغفل ولا يزال متيقظ من نسيم القرب والاتصال ، ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾[سورة النجم : آية ٩ــ ١١] ، انظر وحقق وشمر عن ساق الجد والاجتهاد ، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[سورة العنكبوت : آية ٦٩] ، وجميعه[1] القلب المنور ؛ يجتمع الجسم والحقيقة ، على ما يحق له الرضى من ربه ، وموطن الحس عن ربه ، والهمة والعزم شيمة المرسلين ، عليهم الصلاة والسلام ، وأولوا العزم من الرسل ؛ أولها وآخرها في ذلك الطي ، أعني طي الأسرار والمعاني ، عن رتبة الغافلين والجاهلين .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

(٦٥)

---

(١) هكذا في الأصل ، (ج) وفي (ب) جميعية ، ولعلّها : وَبِجَمْعِيِّة .

واعلم أن الوقت الذي يكون فيه العبد الكامل ، في ظاهر خلافته ، وخلافته عن الله ، وإذاً[١] هو الكامل الناطق عن الله ، فهو الجامع إذ هو بتعين العبودية العظمى ، والربوبية الكبرى ؛ عبدالله رب العالمين ، بالخلافة ، فإن الخليفة على صورة مستخلفه ، ومن له تخلفة[٢] رب العالمين ؟!، وصورة الخلافة مستخلفة من ربه ، وصورة خلقه أي الخليفة عليها ، هي الربوبية . والوقت الذي يكون فيه العبد عبدالله ؛ يكون على أعلى فلك ، يكون استخلافه لله بعد أن كان مستخلفاً له ، وهو كان خليفة الله مستخلفاً ؛ فصار المستخلف مستخلف ، تحققاً بالعبودية العامة ، والمعرفة التامة ، قوله ﷺ في هذا المقام : (اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل) ، تخلف[٣] الله على أهله ، مقام الخلة العظمى ، الذي أشار إليها الخليل بقوله : (إنما كنت خليلاً من وراءِ وراءِ) ، وهو ظاهر الخلافة المحمدية ، إذ هبط إلى محمد ، فإنه الخليل والحبيب ، فإن الخلافة إذا استقلت بخلافته لله ؛ أحبه الله ، قال رسول الله ﷺ ، في آخر أمره وهو على الطريق بقوله : (فإني أبرأ إلى الله ، أن أتخذ منكم خليلاً ، ولو كنت متخذ منكم لاتخذت أبا بكر خليلا ، إن الله اتخذني البارحة خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، وأوتيت مفاتيح خزائن السموات والأرض) ، فالخليفة الثابت على الأمر وتحقيقه وهو الإنسان الكامل ؛ من كونه العبودية العظمى[٤] ، كان بلا شك واسعاً بالحق ووسعه الحق بكل شيء ، فإنه في وكالة الحق وكفالته بربوبيته ، وهو رب الحقيقة ، فتتسع آمال للعبد في الله حقيقة ، فإن للآمال واللامين[٥] في الله فتحا في قضاء ربوبيته مجالاً جليلاً وظلاً ظليلاً ، وإن كان رباً وظهر بربوبيته عرضيه؛ لزمه القيام

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فإذاً .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بخلافة .

(٣) في (ب) يخلف .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : في العبودية العظمى .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : اللاّمِينَ (أي) : المجتمعين .

بربوبيته ، من ظهر بالعبودية ، وحينئذ لم يقم بذلك حق القيام ، فإن الحقيقة[1] من كان فيه جميع ما تطلبه الرعايا ، ولكن ذلك غير ذاتي له ، بل مجعول فيه ، وله قيامه بربوبية العالم ، يجعل الله له ، وإن كان قبول ذلك باستعداد غير مجعول مختص ، ولكن افهم واعلم ، الفرق بين الربوبية الذاتية والربوبية العرضية بَيِّن ، وإن كان الكل حقا للكل في الحقيقة ، ولكن للكل من الكل مستنداً أعلى وأدنى في الكل هو له ذاتي كالنقائص والمذام والانفعال والتأثر والفقد والعبودية ؛ فإنها ذاتية للعبد ولكون الوجود الحق من حيث تعينه في العبد لا الذات ، والكوني مضاف بالوجود ، فرحلنا إلى ما نشهده من عين[2] البصيرة ، أن كل عين مرضية عند ربها ؛ لأنه ظهر به ، واستتر به ، فسبحان من ستر سر الخصوصية ؛ بظهور البشرية ، لصيانتها وعزتها ، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة المنافقون : آية ٨] ، وخاطبنا وقلنا : أنت رب وأنا عبد ، فلما أثبتنا تصحيح العبودية ؛ ظهر لنا سلطانك على من دونك ، وله أيضا الجمع بين المعرفتين ، والتحقق بالحسنيين فافهم ،ثم خاطب ربه عبده ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٧٢] من العباد الراضين بربوبيته ، المرضيين عنده ، حين قالوا ما قلته ، فنالوا ما نلته ، وما توجه الخطاب من أَحَدِيّ الذات إليك خاصة ،فما للعبد مقابلة ، واعلم وافهم ، الاسم الواحد من هذه الذات ، فكن مستلزم ممتثل لتكون بمشهد التجلي الصرف ، ولما تخلقوا أهل الأخلاق بأخلاق الرحمة ، أخذوا[3] من معدن الرسول محمد ﷺ . ونحن الشاربون من ذلك المعدن ، ورضعنا من لبن السيدة بضعة الرسول محمد ﷺ ، من لبن السر السابق ، فلا أظهرنا من ذلك شيء أبداً ، ونقول : هل من مزيد ، هل من مزيد ، هل من مزيد ، وقبضنا في عنان النطق بالبسط في ذلك ، ثم نادى مناديهم ألا رجل من الأخيار ، هلموا يا

---

(١) في (ب) الخليفة .

(٢) لعله : بعين البصيرة .

(٣) في (ب) وأخذوا .

صادقين إلى مقعد صدق ، فمن أذن له وحق له ؛ اغترف من المعدن المحمدي ﷺ ، وكنا نريد نطق بمناطق ما تحملها العقول والصدور ، يعجزوا عمَّا أقول لهم به ، إلا من كان مِنَّا على بصيرة ، قد كرع وروي من شراب المعدن ، فيكون جامع حافظ لكل سِرٍّ من أسرارنا الحقيقية ، والحذر الحذر أن تنظر إلى الضامئين العطاشا ؛ فإنهم صُدوا عن هذا الباب :

ومن صد عنّا حسبه البين والقلا

وَمَنْ فاتنا يكفيه أَنَّا نَفُوتُهُ

فافهم الخلع الرحمانية المترادفة في طي سر الحضرة المقدسة ، في هذه الدار ، ولا يسع هذا الكتاب ما أوضح فيه من هذا العلم اللدني ، فلو شممت يا مزكوم !.

﴿فصل﴾

(٦٦)

وظهور الخلق في رأي العين ؛ وإن كان ظهور أهل الرياء والسمعة ، ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء ﴾ [سورة النور : آية ٣٩] ، (اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون) ، ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾ [سورة النور : آية ٣٩] ، مسكين الغافل الجاهل ، ﴿ وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾ [سورة النور : آية ٣٩]، فافهم فإن النظر بالعين إلى أهل الغفلة خصوصاً فهم في العذاب في الدنيا والآخرة ، اللهم أرحم الأمة الجميع . ومقامنا مقام العفو ، وإذا فهمت تحقق العبد وعدمه ؛ رجعت إلى حقيقة الرحمة ، التي سبقت الغضب ، فإن عوقبوا[1] أهل العذاب فلابد أن يؤولوا إلى الرحمة ، ونعيم

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها: عوقب .

أهل التحقيق العبودية الرِّقيَّة[١] هم من أهل دخول الجنة ، ونعيم الجنة ، والجنة هي سلعة الله الغالية ، وكم في القرآن من نعم الله ، وميز السُّرُر ، والصِحَافْ والحور العين ، فهي دار الأبد ، نِعمَ الدار ، من رحمة أرحم الراحمين ، جعله[٢] محلا لعباده الصالحين المرضيين عنده ، فإن سيدنا محمد ﷺ ، قال : (اللهم إني أسألك الجنة ، وما قرب إليها من قول وعمل) ، وقال : (أسألك الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله) ، وأقول : (أسألك ما سألك به نبيك محمد ﷺ ، وأستعيذك مما [استعاذ بك[٣]]منه محمد ﷺ ، وحفظ ما قضيت لي من أمر[٤] ، فاجعل عاقبته رشدا) ، ونعلمك فيما فتح الله سبحانه وتعالى بينه وبين قلوبهم ، بالعناية والرحمة ، من حيث لا يشعرون ، جعل في قلوبهم التعظيم ما شَرَّعوه[٥] ؛ يطلبون بذلك رضوان الله ، على عين الطريقة النبوية المعروفة بالتعريف الإلهي ، قال : ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[سورة الحديد : آية ٢٧] ؛ أي الذي شرعوها وشرعت[٦] لهم حق رعايتها ؛ إلا ابتغاء رضوان الله ، وكذلك الإعتقاد والتشريع والإنقياد ، والامتثال وقوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً ﴾[سورة الشورى : آية ١٣] ، ﴿ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٤٩] ، فالعلم يتبع المعلوم ، ونشرّع لأصحابنا [ما نؤيدهم به ونصلحهم ونهديهم ، ونرشدهم[٧]] إلى أسنى طريقنا ، فما عليهم إلاَّ نفس توجههم إلى هذا الباب ، فالناطق فيهم ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾[سورة طه : آية ٣٩] ، وقوله : ﴿ قُلْ

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : ونعيم أهل التحقيق ؛ العبودية الرِّقيّة ، وهم أهل دخول الجنة ، .... أو لعل العبارة : ونعم أهل تحقيق العبودية الرِّقية بأن جعلهم من أهل دخول الجنة .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّه : جعلها .

(٣) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : استعاذك بك منه .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : واحفظني ، وما قضيتَ لي .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : جعل في قلوبهم التعظيم لما شرعه ، يطلبون .

(٦) هكذا في الأصل ، ولعلّها : أي التي شرعها وشرعت لهم . أو لعل العبارة : التي شرعوا فيها وشرعت لهم .

(٧) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : ما يؤيدهم ويصلحهم ويهديهم ويرشدهم .

يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾[سورة الزمر : آية ٥٣] ، وافهم وتحقق [أن الحق[1]] هو الوجود الحق المتعين لموجب عينه الذاتية في هذا الأمر الذي فوق السر ، والعين الثابتة في عينها ، بل هي لاستهلاكها الأزلي الأصلي في الحق ؛ كما كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان ، لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يعلم سبحانه دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، وهو منزه في كنهه لا يعرفه إلا هو سبحانه وتعالى عَمَّا يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ، عالم الغيب والشهادة ، أنطق بقدرته وإرادته . والرسول الوارث خادم الأمر الإلهي ، بإرادة الخادم للإرادة ، فهو يريد عليه به طلب السعادة المطلقة ، فلو خدم الإرادة الإلهية[2] ؛ ببعض ما يفتح[3] وما يصح إلا بها ، أعني الإرادة لله تعالى ، وإن لم يقع الإمتثال المأمور به ، لعدم[4] [اقتران[5]] الإرادة ووقوعه منه ، ولا إرادة تعريفك[6] وتفهمك منه ﷺ[7] ، لأنه شخص الحقائق كلها ، أو ما علمت أنه ﷺ ، كان يشهد الحق ، في كل ما يرى ويدرك !؟ ، بل لا يغيب عن شهود الحق الصرف ، كما قال ﷺ : (اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم) ، فصرح منه بشهود قربه ، وأنه في شهوده تعالى فَانِي عن الَّلذَات ؛ بما شهد لفنائه وحيرته الكبرى ؛ فسأل اللذة بما شهد ، وهو في الزيادة في مرتبة الأحدية الذاتية ، فهو جامع المراتب ﷺ ، وعلم الذات عن الروح ، ولما وصل إلى صورته الحقيقة ، فقال : (هذا جبريل

---

(١) ما بين القوسين ملحق في هامش الأصل على ما هو عليه ومثبت في أصل المتن في (ب ،جـ).
(٢) هكذا في الأصل ولعلّ العبارة : فلو خدم فبالإرادة الإلهية وببعض ما يفتح الله ، وما تصح الخدمة إلاّ بها ، أعني الإرادة ....
(٣) في (ب) ببعض ما يفتح الله .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فلعدم .
(٥) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : الاقتران .
(٦) في (ب) ولإرادة تعريفك .
(٧) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة :ولا إرادة تعرفك وتفهمك إلاّ منه ﷺ .

أتاكم يعلمكم دينكم) ، وقد قال لهم : (رُدُّوا عَليَّ هذا الرجل) ، فسماه الرجل من أجل الصورة التي ظهر لهم فيها ، ثم قال : هذا جبريل ، فاعتبر الصورة التي قال :بـ(ـهذا) ؛ العين الحسية ، وصدق في أن هذا جبريل ، فإنه جبريل عليه السلام بلا شك ، وهذا ظاهر مبين ، ولكن الكل تحت حيطة تلك الصورة الإنسانية الكمالية ، والكل تبع له وفي حكمه وطاعته ، وافهم فإنه أعلى مراتب علم التعين الأصلية العقلية الحقيقية ، محمد ﷺ ، ﴿ وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة إبراهيم : آية ٢٩] ، وهي للكُمّل .

* * *

﴿فصل﴾

(٦٧)

إنما الله تعالى إله واحد لا ثاني له ، منزه عن الصاحبة والولد ، مالك لا شريك له ، مَلِكٌ لا وزير له ، صانع لا مدبر معه ، موجود بذاته ، من غير افتقار إلى مُوجِد يُوجِده ، بل كل موجود مفتقر إليه في وجوده ، فالعالم كله موجود به ، وهو موجود بنفسه ، فلا افتتاح لوجوده ، ولا نهاية لبقائه ، بل هو وجود مستمر مطلق قائم بنفسه ، ليس بجوهر متحيز فيقدر له المكان ، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فتكون له جهة ، سبحانه وتعالى مقدس عن الجهات والأقطار ، وهو مَرئِيٌّ بالقلوب الأبصار ، ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، ﴿ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [سورة الأنفال : آية ٤٠] ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ما شاء كان، وما لم يشاء لم يكن ، لو اجتمعوا[1]

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : اجتمع .

الخلائق كلهم ، على أن يريدوا شيئاً لم يرده الله تعالى ؛ ما أرادوا[1] ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[سورة الإنسان : آية ٣٠] ، ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾[سورة الحشر : آية ٢٢] ، ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[سورة غافر : آية ١٩] ، قوله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[سورة ق : آية ٢٩] ، سبحانه وتعالى ، عظيم الإحسان ، جسيم الامتنان ، كل ما سواه عن جوده فائض ، وفضله وعدله الباسط والقابض ، خلق العالم واخترعه لا شريك له في ملكه ، ولا مدبر معه في ملكه ، إن أنعم فَنَعَّمَ فذلك فضله ، وإن أَبْلَى وعذب فذلك عدله ، لم يتصرف في ملك غيره ، وكل ما سواه تحت سلطان قهره ، ومتصرف عن إرادته وأمره ، فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور ، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء ، والآخذ بها من شاء يوم النشور ، لا يحكم عدله في فضله ، ولا فضله في عدله ، فأخرج العالم قبضتين ، وأوجد لهم منزلين ، فقال : (هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أبالي) ، ولم يعترض عليه معترض هناك ، إذ لا موجود كان ثَمَّ ، فالكل تحت تصريف اسمائه ، فَقَبْضَةٌ تحت اسماء آلائه ، وقَبْضَةٌ تحت اسماء بلائه ، لو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيداً لكان ، أو شقياً لما كان من ذلك في شأن ، لكنه سبحانه لم يرد ؛ فكان منهم الشقي والسعيد ، ولا سبيل إلى تبدل ما حكم عليه القديم ، وقد قال تعالى في الصلوات الخمس ، وهي خمسون : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[سورة ق : آية ٢٩] ، لِتَصَرُّفِي في ملكي ، ونفاذ مشيئتي ، وذلك لحقيقة عَمِيَتْ عنها الأبصار والبصائر ، ولا تعثر عليها الأفكار والضمائر ؛ إلاَّ بفضلٍ إلهي ، وَجُودٍ رَحْماني ، لمن اعتنى الله تعالى به من عباده في حضرة أشهاده ، فسبحان من لا فاعل سواه ، ولا موجود بذاته إلا إياه ، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[سورة الصافات : آية ٩٦] ، ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ

(١) هكذا في الأصل ، لعلّها : ما أرادوا .

يُسْأَلُونَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ٢٣] ، ﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٤٩] ، هذا علم في التنزيه ، ونشهد به كما شهد الله وملائكته وأولوا العلم من خلقه ، وقد أثبت الإيمان واليقين لمن اصطفاه واختاره واجتباه من وجوده ، وذلك سيدنا خاتم النبيين محمد ﷺ ، الذي أرسله إلى جميع الناس كافة ؛ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلغ بحسن خلقه ولطفه ، قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٥٩] ، فَبَلَّغ ما نزل إليه من ربه ، وأدّى أمانته ونصح أمته ، ووقف في حجة وداعه ، على كل من حضر من أتباعه ؛ وخطب وذكّر ، وخوّف وحذّر ، وبشر وأنذر ، ووعد وأوعد ، وأبرق وأرعد ، وما خص بذلك التذكير أحداً دون أحد ، عن إذن الواحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤاً أحد ، ثم قال : (أَلاَ هل بَلَّغْت ، أَلاَ هل بَلَّغْت) ثلاثاً ، فقالوا : بلى يا رسول الله ، فقال : ﷺ : (اللهم اشهد) ، واشهدوا أني مؤمن بكل ما جاء به ﷺ ؛ إيماناً لا ريب فيه ، ولا شك فيه ، ما علمت منه وما لم أعلم ، وآمنت بما جاءت به رسل ربنا بالحق ، فانظر إلى هذا الخاتم ؛ خاتم الأنبياء وخاتم الأولياء محمد ﷺ ، واعلم أنه لما عَلِمتُ وفَهِمْتُ ما ظَهر عَلَيَّ من فيضان الحق ، بواسطة الرسول محمد ﷺ ، أطلعني الله سبحانه وتعالى كشفاً على علوم لدنيّة وحقائق ومعارف ، فكنتُ قائماً بالأدب ، لم أدخل فيها بحجاب خطاب إلهامي ؛ فَبَيَّن لي مرتبته في الوجود ، وما الشرف[١] الذي يحصل[٢] له حين خضعت له الملائكة بالسجود ! ، فإذا سجد له الملك الكريم الأخلص ، فما ظنك بالملأ الأسفل الأنقص ؟ ! ، أَلاَ ترى خبر الحق الصدق عنه حين قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾[سورة الجاثية : آية ١٣] ، فأدخل العالم كله أجمع ، تحت تسخير هذا الإنسان الأرفع ، فما من مَلأٍ أعلى إلاَّ بك

---

(١) في (ب) وما فوق الشرف .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : حَصَل .

مشتغل ، وما من ملأٍ أدنى إلاَّ ويتضرع إليك ويبتهل ، وكلهم مستغفر لك ومصل عليك ، وملك يوصل سلام من الحق تعالى إِلَيَك ، وإذا كان السيد الحق يصلي عليك ، فكيف ملائكته ؟ !، وإذا كان الخالق ناظر إليك ، فما ظنك بخليقته؟!، وما من فاكهة ونعمة عند تناهيها ؛ إلا متضرعة لك وخاضعة ، وهذا الإنسان في أحسن تقويم ، ومهما تصور لك العلم ، والمراتبُ كُلُّها طالبةٌ المقامَ الأعظم ، الإنسان الكامل ، ويمتاز كل منهم عن [الآخر(١)] في المرتبة بحسب الحيطة التامة ؛ كأولو العزم من المرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وأقررت أن سؤال فَتَّانَا القبر حق ، وبعث الأجساد من القبور حق ، والعرض على الله حق ، والنار حق ، وفريق في الجنة وفريق في السعير حق ، والحوض والميزان حق ، وتطاير الصحف حق ، والصراط حق ، والجنة حق ، وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر حق ، وشفاعة الرسول محمد ﷺ حق ، وشفاعة الملائكة والمؤمنين أهل اليقين العارفين حق ، وجماعة من أهل الكبائر يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة حق ، والتأبيد للمؤمنين في النَّعِيم المقيم حق ، والتأبيد للكفار والمنافقين في العذاب الأليم حق ، فكل ما جاءت به الرسل في الكتب من عند الله عُلِمَ أو جُهل حق ، هذه الشهادة أمانة عند كل من وصلت إليه أن يؤديها(٢) إذا سُئِلَها حيث ما كان ، نفعنا الله وإياكم بهذا الإيمان ، وثبتنا عليه عند الإنتقال إلى الدار الحيوان ، وَأَحَلَّنَا دار الكرامة والرضوان ، وَحَالَ بينَنَا وبين دارٍ سَرابِيلُها من قطران ، وَثَبَّتَ على الصراط القدمان ، وهو أرحم الراحمين المنعم بالإحسان ، ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾[سورة الأعراف : آية ٤٣] ، ﴿ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾[سورة الأعراف : آية ٤٣] ، والعلوم وجميع ما يفيض من الحق تعالى عليه إلى الباطن ، وهو مقام الولاية ، المأخوذة من الولاء وهو القرب ، والولي بمعنى الحبيب أيضاً منه ، فباطن النبوةِ الولايةُ ، وهي تنقسم إلى العامة

(١) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : الأخرى .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : يجب أن يؤديها .

والخاصة ، [فالأولى[1]] تشتمل على كل من آمن وعمل صالحاً ؛ على حسب مراتبهم ، قوله تعالى : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٥٧] ، وتشتمل الأخرى على الواصلين من السالكين فقط ؛ لكن عند إثبات محوهم وفنائهم فيه وبقائهم به ، وانظر إلى الحضرة الإلهية ، المشار إليها ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [سورة البقرة : آية ١٤٨] ، وهو لا يحصل إلا بالتوجه التام ؛ إلى جناب الحق المطلق سبحانه ، وانختمت النبوة والولاية في الرسول محمد ﷺ .

* * *

(١) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : فالأول .

﴿فصل﴾

(٦٨)

ويكون العارف بالله مستهتراً مناجياً مجيباً لِمَا دعاه ، قوله : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[سورة البقرة : آية ١٤٨] ، ويأتي على علوم التوحيد الذاتي ؛ فلا يشهد ولا ينظر إلى كبير المنزلة الظاهرة ؛ من عادات أهل المناصب والجدود ، ولكن بئس ما نسلوا ، فافهم يا فقير إلى الله سبحانه وتعالى والحقيقة فنزِّهّها بالعجز ، وبالعجز عندنا تدرك سهمك ونصيبك من قسمة الحق ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[سورة الزخرف : آية ٣٢] ، ومعيشة الدنيا فانية ، ومستهلكة في العدم ، ومعيشة الآخرة ـ دار البقاء ـ أبد الآباد ، سرمد السرمد ، فيا لها من محل ودار ! ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [سورة النساء : آية ١٢٢] ، وفيها رضى مولاهم الحق سبحانه ليس يرضيه عمل عامل ، أو يسخطه معصية عاصي ، وهنا جَفَّتْ الصحف ورفعت الأقلام ، فما بقي هنا إلا محض الفضل وشمول الرحمة . وعليك بعلم الذوق والذات المشرق المنور ، ويظهر في الهياكل الطيبة ، قوله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[سورة الفتح : آية ٢٩] ، والله خلقكم وما تعلمون ، وافهم الإشارة تكفي عن العبارة ، إنه لما وقع الغافل في غفلته ، وفي الحظ الساقط ، وتحققته فلا له هنا عين ولا أثر ، في ثبوته في اللفظ الحقيقة ، أعني حقيقة نفس الكمال ، وفي ذات الحق ، يفعل هذا الحق ؛ بفعل هذا الكامل ، من أهل الله تعالى في أكمليته ، لترقي الجمال ، والحق سبحانه وتعالى لا يزال في تجليات ، قد يتجلى[١] عليه صورة جمال الحق ؛ فيُخَاطَبْ ويَنْعَمْ [بتجلِّي[١]] الحق الصرف ، والله هو الولي

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : تتجلّى .

الحميد ، يعني أن الإنسان الكامل الذي قال فيه: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[سورة يونس : آية ٦٢] ؛ لأنه يستحيل الخوف والحزن وأمثال ذلك على الله ؛ لأن الله هو الولي الحميد ، وهو محيي الموتى ، وهو على كل شيء قدير ، والولي حق متصور في صورة خلقية ، إذ قال لموساهم[٢] : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾[سورة طه : آية ١٤] ، قلت الصادق أن يخلص[٣] بفنائه في بقاء الحق ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] ، ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾[سورة هود : آية ١٢٣] ، ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[سورة غافر : آية ١٩] ، من الذين هم في صفاته ؛ وظنوا أنهم في ذاته ، فهذا عِلَّتُهُ عظيمة ، يحتاج إلى علم دقيق :

غزلت لهم غزلاً دقيقاً فلم أجد
لغزلي نسّاجاً فكسّرت مغزلي

فنحن في أهل هذا العصر ، فيما يطلبون؟ ، يطلبون القشر ويتركون اللب! ، فهم مِنَّا بمعزل بالظاهر[٤]، والباطن نشملهم بالرحمة الواسعة ، وأكثر الخلق في صفاتهم وغفلتهم ؛ غارقين في ظلم مهاويهم ، ونحن على القانون المفهوم ؛ بمظهر العقلية واسْتِدَامِ نور الذات ، فلا نزال في ذلك المشهد في حركاتنا وسكناتنا ، ونفيض منها ما أمكن على حقيقة وشريعة ، ولو علمنا وفهمنا من مولانا الحق سبحانه الكشف الجلي ؛ فلا نرى ذلك كمن هو في شمس الضحى ، فلا ينكر نورها ، ولا يكون عنده منها انزعاج ، فنحن نقول : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[سورة الصافات : آية

---

(١) ما بين القوسين في (ب) ، (ج) وفي الأصل : بتحلّي .
(٢) في الأصل : لموسى هم ، ولعل الصواب : لمُوسَاهم .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : قلت الصدق أن .... (أو) : قلت الصادق يخلص .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : في الظاهر ، وفي الباطن نشملهم .

٩٦] ؛ لأن من تَولاَّه الكشف الإلهي[١] ؛ إنّك إياه وهو إيـاك ، وأن لا اتحـاد ولا حلـول ، فـنحن فـي طريق الذوق والكشف الإلهي ، الذي هو فوق العلم والعيان ، ولا يطمع فيه طامع إلا بعد السـحق والمحق الذاتي ، قولـه تعـالى : ﴿ ن وَالْقَلَـمِ وَمَـا يَسْـطُرُونَ ﴾[سورة القلم : آية ١] ، كَنَّـى عـن اللـوح المحفوظ ، فهو كتاب الله الذي قال فيه : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِـن شَـيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام : آية ٣٨] ، وافهم مما ظهر لنا وتحققناه : أني ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله سبحانه وتعالى قبلـه ، إشـارة إلـى ذات الله تعالى ، فانظر إلى هذا الاسم الكريم ، وما حواه من الأسرار ، التي تحـار فيهـا الأفكـار ، فاختصرنا الكلام ، وهو علم قدسي ،فيض[٢] رتبة علم المعاني والصفات والذات ، وما ذلك علـى الله بعزيز ، ورجحنا أن كل من[٣] في الإنقياد والإمتثال ، فيؤخذ من[٤] طريـق الهدايـة ، ﴿ وَمَـا كُنَّـا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ ﴾ [سورة الأعراف : آية ٤٣] ، اللهم اسبل مِنَنْ الهداية علـى مـن امتثـل ، [واتبـع طريق الكتاب والسنة[٥]] ، الحديث الصحيح عنه ﷺ : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين مـن بعدي عضو عليها بالنواجذ) ، التجلي العام المعرفة بالتجلي الإلهي ، وهو موضع حيرة الكمّل من أهل الله تعالى ، وإلى سر هذه الأُلوهية أشار ﷺ : (أنا أعرفكم بالله ، وأشدكم خوفـاً منـه) ، فمـا خاف ﷺ من الرب ولا من الرحمن ؛ وإنما خاف من الله تعالى ، وإليه أشار ﷺ ، ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ ﴾ [سورة الأحقاف : آية ٩] ، أي لا أدري أي صـورة أَظْهُرُهَـا فـي التجلـي الإلهـي ، ولا أُظْهِرُ[٦] إلاَّ بما يقتضيه قانون حكمها ، ولا نقيض له ، فهو يَعْلَمُ ولا يُعْلَم ويُجْهَلُ ولا يَجْهَل ، وليس

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : لأنه إن تولاّك الكشف الإلهي ؛ فكأنك إياه ....

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : من فيض .

(٣) في (ب) ما في .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : منه .

(٥) ما بين القوسين في (ب) ، (جـ) وفي الأصل : واتبع على طريق الكتاب والسنة .

(٦) في الأصل : أُظْهِرُ ، ولعلّها : أَظْهَرُ .

لتجلي الألوهية حد يعتمد عليه بالتفصيل ، فلا يفتح عينها الإدراك التفصيلي ، بوجه من الوجوه ؛ لأنه محال على الله سبحانه وتعالى أن تكون له نهاية ، ولا سبيل إلى إدراك ما ليس له نهاية ، لكن الحق سبحانه وتعالى قد يتجلى بهذا على سبيل الكلية والإجمال ، والكُمَّل العارفون متفاوتون في الحظ من ذلك التجلي ، والعبد العارف يتجلى عليه ربه الكبير المتعال؛ ويحكم ما[1] ظهر من ذلك ، ويكون المحب الصب العاشق العارف بين شيئين : ماء ونار ، ونار الليل ما تطفئ في النهار . كتب الحب في الفؤاد وقرأناه وأمليناه بالإقتدار ، فأخذنا من البشائر والإنذار ، لأن القلب بالعشق ، فإذا ظهر نور العشق المعنوي الذوقي ؛ أطفأ بنوره الإشتهار ، مُتَبَدَّي من حجاب النقاب نطق الثغر منها مباسم حور الأبكار ؛ الذي حارت في جمالهم أولو اللُّبِ[2] والأفكار ، فكانوا في لذة الفقر والإفتقار ، فنطق من مبسم لفظها نور الأنوار ؛ فسكروا من ريقهِ خمرَ المدام . الخمر خمر القلب ؛ الذي بتجليه فتحت أبواب أستار معارفها ، وتَجَلِّينا إلى حضرة الذات الإلهي - الحضرة الكاملة - الذي[3] لا فوقها حضرة ، فهي الحضرة المقدسة للشهود ؛ عند مليك مقتدر ، الرحمن ، فلا داخل إلا فيها ولا خارج إلا منها ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وَوُقِفَ[4] هنا في مقام الأدب ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [سورة الصافات : آية ١٦٤] ، فهم أهلها وأحق بها في سابقة السعادة ، ومقام الإحسان والرؤية لأهل البصائر منها ؛ ومقام الإحسان (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ، فهذا مشهد أهل الظاهر ، وأما أهل الباطن فيشهدونها حساً ومعنى ، فلما استغرقتهم رتبة الشهود ؛ فلا عَادْ يقابلهم سواها ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف : آية ٧٦] ، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الجمعة : آية ٤] .

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بما ظهر .
(٢) في (ب) الألباب .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها: التي .
(٤) في (ب) وَقِف .

﴿فصل﴾

(٦٩)

ولو شئنا لنطقنا بعلوم لدنية لا يحصرها علم ، ولا يقوم[1] في مقام غير رتبة الكمال الذاتي ، فلا نزال مستغرقين في كشف قِناعها ، ومشاهدة جمالها ؛ فيظهر من أنفاسنا ما يُنْجِحُ المطالب ، ويُلَقِّحُ المريد الصادق ، وقوله : ﴿ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[سورة فاطر : آية ١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣١] ، فكن مَعَنَا في طائفة المحبين ، المستهترين بالذوق والفناء ، ولا تلتفت لشيء دق أو جل غير ما أمرناك به ؛ يكون لك الحَظُّ الوافر والنصيب ؛من فيض المعدن المحمدي ﷺ ، فترى بعين البصيرة النافذة ؛ في عالم الغيب والشهادة ، فتكون من المطمئنين ، ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[سورة الرعد : آية ٢٨] ، وما ذلك على الله بعزيز ، وافهم السر المكنون بين الكاف والنون ، هذا تعبيره بلسان الإشارة ، وأما الظاهر فيقال : أنه تحت العرش ماء يلج فيه جبريل كل يوم ؛ فإذا خرج نفض جناحه ، فقطرت منه سبعين ألف قطرة فيخلق [الله[2]] بكل قطرة ملكاً ، يحمل علماً إِلهياً ، وهذه الملائكة[3] هم الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم من باب ، ويخرجون من باب ، ولا يعودون إليه إلا يوم القيامة ، فافهم ما ذكرناه ، وقبضنا عن التصريح ، وأظهرنا لك التلويح ، والرفرف عبارة عن المكانة الإلهية ، ولابد في إشارتنا من تصريح ، فهو لفظ عزيز وعِلم دقيق ؛ لم يأت بمثله الزمان ، ولا يسمح بشكله الأوان ، فافهم وتأمله بِحِدَّةِ عقلك ؛ تكون سعيد ، وما تأمله وقرأه[4] ، فإن أكثره من علوم الذات

---

(١) في (ب) ولا نقوم .

(٢) ما بين القوسين في (ب) .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وهؤلاء الملائكة .

(٤) في (ب) ومن تأمله وقرأه .

البارزة من فيض بحر الإلهية الذاتية ، وقوله تعالى : ﴿ فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ ﴾[سورة يونس : آية ٣٢] ، ﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾[سورة الإسراء : آية ٨١] ، فما بقي هنا للسوى محل ولا مجال ، فهو خيال محض وعدم محض .

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ وكل نعيم لا محالة زائلُ

وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦-٢٧] ، ولا نطلب مع العين أين ولا أثر ، فاغنم ما نؤيدك به من أنواع الكمالات ؛ كالإلوهية والرحمانية والربوبية ؛ وكالعزة والكبرياء والعظمة ، وصح أن العِز ما فصل منه الكبرياء ، وكالعلم والسر المصون لا يفهمه ولا يعقله إلا ذوو العقول الراسخة واللُّب ، فاعتبروا يا أولي الألباب ؛ إن كنتم تعلمون ، وتعلمون سلطان الحقيقة الإلهية ، الظاهرة إلى الناس الكل ، أعني الناس[١] أفراد هذا العالم الدنياوي ، ولابد لهم من ذلك الحكم عليهم ، وهو أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وما ذكرناه في الكتاب في[٢] الساعة الكبرى ، لهذا الوجود ؛ فلما علمنا هذا العلم أعلاه وأسفله ، والساعة الكبرى ؛ التي وعد الله بها ، والساعة الخاصة ، والساعة العامة الأَوَّلَه[٣] ، لافتراق الأحكام والساعة العامة ، على ما فهمت من كتاب الله ؛ خشية على إيمانك أن يسلبه سلطان الشك والريب ، إن ذكرنا لك عجائب الساعة الكبرى ، فتحصر عن ذلك على ذكر الساعة الصغرى ؛ التي هي بيان الساعة الكبرى ، ولا تظن أنهما ساعتان ؛ بل ساعة واحدة ، فمثل هذه الساعة الكبرى ؛ السر الواقع على كل واحد ، والساعة الصغرى لها علامات وأشراط مناسبة لعلامة الساعة الكبرى وأشراطها فكَمَا أَنَّ أمارات الساعة الكبرى : (أن تلد الأمة ربتها وأن ترى

(١) لعلّها : أعني بالناس ، أفراد .
(٢) لعلّها : عن الساعة الكبرى .
(٣) لعلّها : الأولى .

الحفاة العراة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان) ، فصح في الحديث هذه علاماتها من صحيح الحديث النبوي[1] عليه الصلاة والسلام ، ومن علامات الساعة الخاصة ؛ ظهور ربوبية الحق سبحانه وتعالى في ذاته ؛بذات الإنسان ، فذات الإنسان هي الأَمَةُ والولادة ، وهي ظهور الأمر الخفي باطنه إلى ظاهره ؛ لأن الولد محله البطن ، والولادة بروزه إلى الظاهر الحسي ، فذلك الحق سبحانه وتعالى موجود بلا حلول في الإنسان بغير ظهور ، وإذا رأيت الأجسام ؛ فاعدل إلى رؤية المعاني ، إنما هي ربوبية تولت عبودية ، وهذا الوجود باطن ، فلما ظهر بأحكامه ؛ وتحقق العبد العارف بالله بحقيقة (كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها) ؛ ظهر الحق سبحانه وتعالى في وجود هذا الآن ؛ بتمكن هذا من التصرف في عالم الأكوان بذاته ، بأمانة الأمة ، وأبان ربوبية الحق بمثابة الربوبية ، ومراكز العارفين أهل هذا الفن العظيم ، فلا يزالون في نزولهم وخمولهم وفنائهم ؛ لطلوعهم في مشهدهم في حضرتهم بعد فنائهم ، فنالوا البقاء الأبدي ، فمشوا على أصل القسطاس المستقيم ، فافهم ما أقول لك به ، نذكِّر ونعظ بأقوال ، ومن شروط الساعة خروج الدجال ، وأن يكون له جنة عن يساره ، ونار عن يمينه ، مكتوب بين عينيه هذا الكافر بالله ، وأن الناس يعطشون ويجوعون ، ولا يجدون[2] الناس ماءً ولا كلأً ولا شراباً ؛ إلا عند هذا الملعون ، وأن من آمن به ؛ فإنه يسقيه من مائه ويطعمه من طعامه ، فمن أكل من ذلك وشرب ؛ فإنه لا يفلح أبداً ، وإن اللَّعِين لا يزال يدور في أقطار الأرض ؛ إلا مكة والمدينة ، فإنه لا يدخلها ، وأنه يتوجه إلى بيت المقدس ؛ فينزل عيسى عليه السلام على منارة هنالك ، وفي يده الحربة ،فإذا رآه اللعين ؛ ذاب كما يذوب الثلج في الماء ، فذلك علامة الساعة الكبرى .

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : حديث النبي عليه الصلاة والسلام .

(٢) لعلّها : ولا يجد .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

(٧٠)

ونفهمك علم النفس الأمارة بالسوء ووجوهها ، أعني شياطين الإنس ، وهي محل الشياطين، والوسواس موضع المردة ، والحواسد يُسمّون ببعض وجوهها أيضاً ، وبعض وجوهها بالنفس الأمارة بالسوء ، فهي إطلاق اسمها على ذلك ، افهم أهل الرياء والسمعة أخذتهم نفس السوء الأمارة ، يريدون بها الأوصاف من العبد السوء ، هي بمثابة الدجال ، لأن النفس الأمارة أخذت كثير معها ، فكانوا عن يسار الطريق ، فكانوا أهل جريدة الشقاوة ، فالنفس السوء بمثابة الدجال وطريقته ؛ لأن طريقة أهل الشقاوة بالصفات بإثبات الطبائع والعوائد ، وحسم العلائق والقواطع ؛ فإنه بمثابة النار التي هي عن يسار الدجال ، إذا اليمين طريق أهل السعادة ، وقال ﷺ إشارة إلى هذا المعنى : (سيأتي على الناس زمان يكون القابض على دينه فيه كالقابض على الجمر) فمن رجع في تلك المدة من المجاهدة ـ ونعوذ بالله من ذلك ـ إلى مقتضيات النفس والركون إلى الأمور الطبيعية والشهوانية ، والإصغاء إلى أفعالهم ، ولم ينكرها ولم يهرب منها من الفنون[1] العادية ؛ فهو بمثابة مَنْ أخذ مِنَ الدجال ؛ فأخذه الركون إلى المباحات ، التي هي عندنا وعند العارفين أهل رتبة اليقين ؛ أنها كالخمر الحرام ، وهو بمثابة من أكل من أطعمة الدجال ، وانْهِمَاكُ من رجع إلى النفس في غفلات الأماني ، التي هي كالسراب ؛ بمثابة من سَقَاهُ اللَّعِيُن من ماء عنده من الشراب ، ومن رجع من العارفين قبل بلوغه إلى هذه الأشياء فهو الذي بمثابة من لا

---

(١) هكذا في الأصل و(ب ، ج) ولعلّها : الفتن .

يفلح أبداً ، نسأل الله العافية من الخذلان، ونعوذ بالله من [زخارف اغترار][1] ، هـذه الـدار بمثابـة من دخل جنة الدجال ، فقلبها عليه الحق ناراً ؛ فيصير قراره فيما بعد بـواراً ، فـلا يكـون عنـد مـن أسعده الله بالتوفيق ، وثبته الحق في جادة الطريق ، سالك بأنوار الشريعة ، في ليل التحقيق ، راكباً على متون المخالفات والمجاهدات والرياضات ، آكلاً من حشيش الأكـوان ، بخـلاف العـاكفين على جيف الدنيا الفانية :

[2] وما هـي إلاّ جيفة مستحيلة
عليهـــا كـــلاب هَمُّهُـــنَّ اجتـــذابها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها
وإن تجتـــذبها نازعتـــك كلابهــــا

فما ذكرنا ذلك إلا خشية على أهل الغفلة من هذه الأُمة ، لا يغترون ، قال ﷺ : (أخوف مـا أخاف عليكم من غير الدجال ، قيل ومن هم ، قال : علماء السوء) ، والله يقول الحق وهـو يهـدي السبيل ، وهو المُهْدِي إلى أسنى الطريق ، وحصرنا الخوض في المحسوسات ، قولـه : (أنـا عنـد حسن ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء) ، وهذه الصورة المعنوية ، وهي المراد بالتشبه ، ولاشـك أن الله تعالى في ظهور جماله ؛ باقي على ما استحقه من تنزيهه ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾[سورة البقرة : آية ١١٥] ، وقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[سورة البقرة : آيـة ١٤٨] ، فنبهـت في هذا القدر على علم موجود به ، السـعادة تكـون بنظـر مـن غيـر كسـب ولا عمـل ولا طلـب ، وشرعنا فيما أقول لكم به ، ومن هذا التجلي ؛ كَلَّم الله عبَادَه دون حجاب الاسماء قبل تحملهـا ، فمن المكلمين من تناجيه الحقيقة الذاتية من نفسـه ؛ فيسـمع خطابـاً لا مـن جِهـةٍ بغيـر جارحـة ،

(١) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : زخراف اغترار هذه .
(٢) للإمام الشافعي .

وسماعه للخطاب بكليته لا بأُذن(١) ، فيقال له : أنت حبيبي ، أنت محبوبي ، أنت المراد ، أنت وجهتي في العباد ، أنت المقصد الأسنى ، أنت المطلب الأعلى ، أنت سري في الأسرار أنت نوري في الأنوار ، أنت عيني أنت زيني أنت جمالي أنت كمالي ، أنت اسمي أنت ذاتي ، أنت نعتي ، أنت صفاتي ، أنا اسمك ، وأنا رسمك ، أنا عينك ، وأنا أينك ، حبيبي أنت خلاصة الأكوان ، والمقصود من الوجود والحدثان ، تَقَرَّبْ إِلَيَّ بشهودي ؛ فقد تقربت إليك بوجودي(٢) ، ولا تبعد فإني الذي قلت : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[سورة ق : آية ١٦]. ونقول : مظهر العبودية المحضة ؛ فيكون(٣) فيها مظهر الحق وربوبيته ، وكما أنك واحد في ربوبيتك ، لا شريك لك وحدك منزه ، وجعل عبوديته من خلقه قوله : ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾[سورة طه : آية ٤١] ، فكيف ترجع نفسك لغيره ، فنحن نَشُمُّه، والكُمّل تشمه في المشمومات الجميع ، وكل شيء خلقه وقدره [وهداه](٤) ونسبه إليه عطوف لطيف ، ما أجلاها وأعجبها من ملاطفة ، والعطف والرأفة : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾[سورة الأحزاب : آية ٤٣] ، ولكن العجيب كيف يعرف سواه ، أو ينظر إلى الغير ، وألبسني من ملابس الملبوسات وفي المطعوم ، وظهر في كل شيء ؛ بِكُنْهِ أنه المتكلم في كل شيء ، فهو الذي يطعمني ويسقيني ، وإذا مرضت فهو يشفيني ، ودخولنا معرفتنا فيما ظهر لنا من حقائق الذات المنزه . ثم رجعنا إلى ما كنا فيه من تجليات الصفات ، فالعبد يلزم الأدب ، فلا يطلب شيء من ربه إلا بإذن وتمكين ، ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾[سورة السجدة : آية ١٣] ، وما ظهر من هذا التجلي ؛ وجب علينا وعلى أهله كتمه وصيانته ، لئلا يؤاخذ صاحبه ، تجلي(٥) عليه

---

(١) في الأصل : بإذن .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بجودي .

(٣) لعلّها : يكون .

(٤) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : وأهداه .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : التجلّي .

من صفات القدرة في العالم العيني؛ إلى العالم الغيبي، فلما مطرت لقلوب[1] العارفين بمطر الإيمان؛ فظهر على[2] كمل منهم نور الأنوار، وممن[3] لا يعرف ذلك يرجع القهقرى، فيخشى عليه انكسار زجاجة قلبه، فأنكر الحق بعد شهوده، وفقده بعد وجوده. وَأَخذَ من أهل الصفاتِ كثيرٌ من الواصلين، من أهل تجلي الصفات، يتجلى عليه[4] بصفة الإرادة. وَذَكَرْنَا المُكَلَّمِين، فلنرجع إلى ما كنا بسبيله، من تجليات الصفات، وكنا في علم الحقيقة، فخاطبنا المخاطب: يا كعبة التحقيق وقبلة الصفات، أظهرناك بملكنا على أمرنا، فنقول: هل من طالب يطلبنا؟، هل من هارب من خوفٍ يَمَّمَنا؟، فنجعل لك التَّصرُّف في الدنيا جميعاً مع الأخرى، فلولاك ما كُنَّا، ولولاي لم تكن، وجعلناك تغنى بنا بالعزة والغنى، وإياك تعني[5] بالفقير، ولا فقرا، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة فاطر: آية ١٥].

وقد أثبتنا لأهل هذا الفن، من فيض مما هو إلا هو، ولما ضرب الجلال على سرادق المتعال، ودخل جمل الجمال بعين المنظر الأعلى، ويزيل العمى، ونودي بعد أن استوى الفلك على الجودي: أيتها السماء والأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا: أتينا طائعين:

[6] تصرف في الزمان كما تريد
فمولىً أنت نحن لك العبيد
وسل السيف في عنق الأعادي
لسيفك في العدى ذكر جديد

(١) هكذا في الأصل، ولعلّها: على قلوب.
(٢) هكذا في الأصل، ولعلّها: على الكُمّلِ منهم. (أو): على كلٍّ.
(٣) هكذا في الأصل، ولعلّها: ومن.
(٤) لعلّها: عليهم.
(٥) هكذا في الأصل، ولعلّها: نَعْنِي.
(٦) لعلّها: للمتنبي.

فهب ما شئت وامنع لا لبخل
ولكن كي تجود بما نجود

ولنا أيضاً هذه الأبيات :

وأعطيت الأماني من عطاها
وأمنحت الوفود لتستفادي
ورقيت المراقي السبع فيها
فنادى الله الحق لي مرادي
وطنبت الخيام بحيّ ليلى
وأجلبت الظلام بلا عنادي
وطاف البيت بي سبعاً ولبّت
قولب الكل لي تحت المرادي
وساق الله ركب القوم قهراً
إلى أمري بأمر الله هادي
فناخت ركبهم تحت المصلى
وكانوا كلهم نغمة سعادي
وكل قبّل الحجر المسوّد
وهانا شفتها زال السوادي
ومشروبي صفاها كل وقت
وأنسي للأحبة بالرشادي
وسلطاني على الأكوان طرًّا

وأعطيـــــت المثـــــاني والمـــــرادي

فكـــل القـــوم عشـــاقي ورائـــي
فأعطيـــت الســـيادة والرشـــادي

وأعطيـــــت المراقـــــي في علـــــوّ
وألبســـــت الملابـــــس بازديـــــادي

وأنجيــت الغريــق بقعــر بحــر
وأغنيــت الفقــير مــن امتــدادي

وافهم واعلم واسمع ما أقول لك به ، ونبّهناك على علوم وفنون ذوقية ، ومشارب خمرية ذاتية ، وعلوم صفاتية تشرق في قلب العارف المتوجه الصادق ، وافهم إن كل ما وضعته في هذا الكتاب ؛ فهو مؤيد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإن من لاح له شيء من كلامي ، ففيه مظهر الحقيقة ؛ وهي ثمرة الشريعة المطهرة ؛ لئلا يقع عند ضعيف الفهم غير هذا ، وهو معذور مسكين ، ومرادي فوق علمنا هذا إلا من فتح الله عليه بمعرفته .

* * *

﴿فصل﴾

(٧١)

ومن هنا كل علم لا يؤيده الكتاب والسنة ؛ فهو ضلال القاسية قلوبهم ، وأما نحن نحفظ من لا يفهم هذا العلم اللدني ، فلا نحرمه الوصول إلينا ؛ لأن الرحمة سبقت الغضب ، وكلامنا هذا لا يقيد بجهة ، قوله تعالى منزه : ﴿ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٥٥] ، ألا ترى أن موسى عليه السلام ؛ سمع الخطاب من الشجرة ولم يقيد بجهة ؛ والشجرة جهة ،

فبقرب[1] الخاطب الملكي من الخاطب الرباني ، في القبول ، ولكن ليست له تلك القوة قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٨] ، ﴿ إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩٥] ، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[سورة الشورى : آية ٢٥] ، ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[سورة غافر : آية ١٩] ، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾[سورة الطلاق : آية ٣] ، وآتى الله السبع [المثاني[2]] صاحب مفاتيح القلوب القاسية ، وهو ﷺ مظهر الكمال ، ومفيض الجلال والجمال ، فهو ﷺ شمس، فلا تزال ضاحية على الدوام ، لا يدخلها غيم السحاب ، فما[3] زال القلب يطالع ، كل الكمال عبارة عن خردل متفرق ، من حقيقة خاتم النبيين والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وقائد الغر المحجلين ، محمد ﷺ ؛ المجموع ﷺ وعلى آله وأصحابه القائمين عنه في أحواله ، والقانتين[4] بشأنه في أقواله وأفعاله ، وأشهد أن القرآن كلام الله ، وأن الحق كل ما تضمنه فحواه ، نزل به الروح الأمين ؛ على قلب خاتم المرسلين ، وأشهد أن الأنبياء حق ، والكتب المنزلة صدق ، والإيمان بجميع ذلك واجب قاطع ، وأن القبر والبرزخ وعذابه أو نعيمه واقع ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأشهد أن الجنة حق ، والنار والصراط والحساب يوم النشور حق ، وأشهد أن الله يريد الخير والشر ، وبيده الجبر والكسر ، والخير بإرادته وحكمه وقدرته ، ورضاه الحسنة بتأييده وهداه ، والسيئة مع قضائه بشؤم العبد واعتداه ، ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن

(١) في (ب) فتقربه .
(٢) ما بين القوسين في (ب) .
(٣) في (ب) وما زال .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : والقائلين بشأنه في أقواله وأفعاله .

سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[سورة النساء : آية ٧٩] ، ﴿ قُلْ كُلًّ مِّنْ عِندِ اللّهِ ﴾[سورة النساء : آية ٧٨] ، منه بدأ الوجود ، وإليه أمره يعود ، وإليه يرجع الأمر كله ، وهو اللطيف الخبير ، وكما أن الإنسان في العلم بالله فضّله على جنسه ، بقدر ما اكتسب وله يعد ذلك ، والاعتناء بالعلم مع التقوى والخشية والخوف والخشوع من خوف الله ، واقبل التحقيق واليقين ، ولكنه إلا بالإلهام والتوفيق ، لا يكاد الطالب لها والمسافر إليها أن يُهدى فيها إلى سواء الطريق ، يكون التحقيق ظاهر الإتقان ، وأهل التوفيق يسمحون بالسلوك على عمر رقائقها العالية ، ويجزي الصادقين بصدقهم الموفقين ، ويكون حصول المطالب للطالب ، ويطرح في قلوبهم العشق والمحبة ونارها وهي الأنس في خلواتهم ، فلا يكون عندهم من الغير والسوى محل ولا حس ، فتستقر في قلوبهم المحبة والشوق ، فلا تدخل عليهم النفس الأمارة ولا الشيطان ، ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾[سورة النساء : آية ٧٦] ، والنفس الأمارة إذا قابلها الخوف ؛ انهزمت جنودها وجنود الشيطان ، ودفع الخواطر ؛ ليثبت إخلاص المخلصين ، وإلا إنها[1] طريقة صراط دقيق وكؤودة صعباً[2] ، ما يقطعها إلا ضامرين الأحشاء الشُّعثاء[3] (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) ، في أويس ، وأمثاله كثير من أمة محمد ﷺ ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ ﴾[سورة البقرة : آية ١٥٨] ، وتعظيم الشعائر من تقوى الله سبحانه ، وها أنا لا أزال أكرع من دنّ القديم بكأس الاسم العليم ، وكنا بذلك الشرب فضائل الإيمان[4] والتسليم ، وخَمْرُهُ مسكرة للوجد القديم ، فلما ظهرت شمس الحقيقة ، والظُلَمْ مترادفة وليلها أسود ؛ فلا كان لها إلاَّ طمس كل[5] نجم زاهر

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : وإلاّ فإنها طريقة وصراط دقيق .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : صعبة .

(٣) لعلّها : إلاّ ضامري الأحشاء الشُّعثْ .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : في فضائل .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بِكُلِّ نجم زاهر ، فيكون كل ....

يكون كل شيء في محله ، وذكر الفتح لنا ؛ بمحو عين الأوصاف ، فلا نزال متكلمين على الحق ، وتعريفه بها ؛ أعني الحقيقة الذاتية ، فهي جَلِيَّة ، فلا أظهرنا وأبرزنا منها إلا بما يليق بأحوال الناس على قدر الفهم ، ولا نزال من جناها نملأ الكؤوس ، ومن برد مائها ماء الحياة ، فلا تزال متبرقعة ، مُتَلثِّمة[1] على مَنْ كان ماله فيها محل ، قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ [سورة الإنسان : آية ١] ، فأثبت لسان الحال بلطيف المقال ، وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله ، ويهنأ الأخلاء الأحبة الذي خصوا بها ، عليهم منا السلام والتحية والإكرام ، وهنا خمر ولا كأس ، والكأس مختوم ، وقوله : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ [سورة المطففين : آية ٢٦] ، فلما ظهرت على وجوه المتوجهين المخلصين ، فلهم الشأن ، قوله : (كل يوم هو في شأن) ، وكنا بالمعنى بين الحجر الأسود والصفا ، ولم نشهد بمكة بالحس ، فهو شهود كشفي جلي في ليلة عاشورا من المحرم ، وكنا تحت الميزاب أيضاً ؛ فأقبلت طوائف أهل الله ، أعني أرواح أحياء وأموات مشهورين ، وغير مشهورين من أهل الخمول، فكانت مخاطبة معنوية ربانية ، ملقحة لمن أقبل من الأحياء والأموات ، زادهم الله من فيض البحر المحيط ، جَلِيَّة خفية ، وهذه وجب إظهارها ؛ لأنها ثابتة على الشريعة ، وعاد لنا مكاشفات ما أمكن إظهارها ، ولا أُذِنَ من الحق في ظهورها ، وشيمتنا نحب الخمول ولا نحب الظهور ، إلا ما بدى من الحق الصرف ، وسمعنا وأطعنا وقد ظهرت لكثير من الأحياء ، منهم المحب المخلص الشيخ عبدالقادر الفاكهي ، وغيره من الأحياء ما أظهرناهم ، ولا حاجة لنا إلا ما أذن الحق لنا فيه ، ورضينا[2] ، وإبرازه وتصريحه أمر ، ولكن ما ظهر منه إلا قليل ، وإلا أَنَا وسيع ، ورحمتي وسعت كل شيء :

كأن لم يكن في مكة لي مسامري ... ولكن لشربي الكأس ما زال عامر

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : متلثمة على من لم يكن له معها محل .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ورضيناه .

يتيــه بهــا الســاقي علــيهم وإنمــا شـربت بكـأس الـدير خـرق السَّتائر
وقد فاحت النسمات من فيض سـرها وقـد عاشـت العشـاق فيهـا السـرائر
وحــازت مقامـات الكمـال بأسـرها وفــيض المواهــب للخلائــق ســاتر
وكـل محـب عـاش في طيب ذكرهـا ولا خـوف مـن نـار علـى كـل نـاظر
ولــو جمعــت أوصــافها لم تعــددت ولــو مطــرت أمطارهــا في العشــائر
واسمــع لقــولي يــا لبيــب وعرّجــا وكــن في حمانــا الرحيــب وهــاجر
فـلا زال بـرق الوصـل في شـعب عـامر ينــادي ويوصـل كـل بـدو وحاضـر
ألا فــانظروا ذاك الجمــال وحســنه واشـهد محاسـن ربـة الخـال نـاظر

فلما برز جماله ؛ برفع الحجاب وكشف النقاب ، والخمار والبراقع ؛فما بقي عليه حجاب ، وكان مستغرق بالشهود والعيان ، فكن مطمئن متأدب بآدابها ، مستمسك بعروتها التي لا انفصام لها ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *

﴿فصل﴾

(٧٢)

ونحن من شِيَمتنا نحب الستر عن الكشف الصريح ، ولكن دونه أهوال وصوارم بيض وأُسود[١] ، وحجاب غشام ، لا يلتفتون لعزيز أو ذليل ، وسمر الرِّماح ، ولا يزال البرق يلهب ، ولما هب ريح الوصال ، ورمقت[٢] الآمال ، والزم النظر بعينك إلى ضياء نوره ، فيهلك عنك حجب البعد والصد ومعارفه ، ولا يزال يطمس من المريدين ، ويظهر لهم ما يصلح لهم من الكشف من

(١) في الأصل ، واسْود ، ولعلّها : وأُسُود ، وفي (ب) : وسود .
(٢) هكذا في الأصل ، وفي (ب) وَرَمَتْ .

غير حركة ، إلا بأمر الشيخ المربي ، الملقح للمريد المخلص فيحصل له الفتح الجَلي من غير حس منه ، وكل حماهم ليس هو دارس ؛ لأنهم إذا دخلوا في جهة من جهاتهم شرقاً أو غرباً ، فيجب على كل مخلص التعظيم لها ، وهم يعطرونها بأنفاسهم ، ويذكر[1] في الحديث عن أنس رضي الله عنه ، قال : (كنت مع النبي ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية ، فجذبه أعرابي بردائه جذبة شديدة ، حتى أثرت الحاشية في صفحة عاتقه ، ثم قال : يا محمد احمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك ، فإنك لا تحمل من مالك ولا من مال أبيك ، فسكت النبي ﷺ ، وقال المال مال الله ، وأنا عبده ، ثم قال : ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي ، قال : لا ، قال : وَلِمَ ؟ ، قال : لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة ؛ فضحك النبي ﷺ ، ثم أمر ﷺ أن يحمل له على بعير شعير ، والآخر تمر)، ﷺ ، فهو سمّى نفسه الشكور ، قوله : (أفلا أكون عبداً شكوراً) ، قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : آية ٤] ، وكان صفته ذلك لعلو شأنه ، ورفعة مكانه ، المكان[2] العلو ، أنه رقى العرش بجسمه ، ولأنه ﷺ أعطي الوسيلة ولا وسيلته إلاَّ ربه ، وذكروا أعلى درجة في الجنة لا تكون إلا له ، فهذا علو المكان ، لأن ذاته هي المشار إليها بالحقيقة الإلهية ، والدليل على ذلك ظهور ذاته بالكمالات كلها ، حيث قال فيه : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [سورة التكوير : آية ٢٠ـ٢١] فالعنديةُ هذه مكانةُ والمكانة ، [فقد جمع رسول الله ﷺ ؛علو المكان والمكانة] فهو العلي[3] المطلق ، وهو معني بهذا الاسم ظاهراً وباطناً ، ومتصفاً بالكبرياء معناً[4] ؛لأن الله حقيقة ذاته ، وصفاته حقيقة ذاته[5] ، فهو الكبير المتعال ، ومعنى الكبرياء ، فهو

(١) في (ب) ونذكر .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : والمكان العالي .
(٣) ما بين القوسين ليست في الأصل ، وإنما في (ب) .
(٤) ما بين في (ب) وفي الأصل : معني .
(٥) في (ب) وصفاته حقيقة صفاته .

لأن[1] الله تعالى خلق جميع الموجودات منه ، فهو كل الوجود ، ولاشيء أكبر من كُلِّيَّةِ الوجود بأسره ، وجاءهم بالحق المبين ، ومنها أنه لمّا بُعِثَ ؛ ارتفع الخسف والمسخ من العالم به ﷺ ، فنزوله إلى صفة البشرية من أعظم رتب الكمال ، الجامع والختام ؛ لأنه بأمته رؤوف رحيم ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٥٦] ، قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : آية ١٢٨] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [سورة يوسف : آية ١٠٨] ، هذا خطاب جلي نص القرآن العظيم ، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۞ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ [سورة الحجر : آية ٨٧-٨٨] ، فخاطب الحقُّ سبحانه نَبِيَّنَا وحبيبنا رسوله خاتم النبيين ، محمد ﷺ ، فلا يزال ﷺ ، في حياته وبعد انتقاله من هذه الدار ؛ كل[2] رسول ونبي سابق قبل بعثه إلى الخلق أجمعين ، كافة الإنس والجن ، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، بلغوا أممهم ما أمرهم الحق به ؛ من الصحف والتوراة والإنجيل والزبور ، ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة ص : آية ٢٦] ، وابنه سليمان طلب ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ [سورة ص : آية ٣٥] وهو مظهر واحد ، إنه في الجسد مظهر من الجسد ، ومنهم من طلب لقومه المسخ والخسف والغرق والصيحة ، وقوم هود وصالح قومهم ثمود ، وعاد الريح سخرها عليهم سبع ليال ؛ فكانوا صرعى كأعجاز النخل ؛ فلما وقفوا في العرض الأكبر ، فكل منهم عليهم الصلاة والسلام ، طلب نفسي نفسي لا أسالك غيرها ؛ من أقاربهم ففروا إلى مولاهم ، فخافوا أن

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : هو أن الله .....

(٢) لعلّ معنى العبارة : فلا يزال ﷺ سابق لكل نبي ورسول في حياته وبعد انتقاله .

يهمهم شيء وحاشاهم ، هم من عنصر الرحمة فحقيقتهم مرحومين ، لمن[1] تبعهم من أهل الملل منهم عليهم الصلاة والسلام ، وسيدنا رسول الله ﷺ يقول : (أنا لها ، أنا لها ، أنا لها) فثبت فَرَحُ أهل الموقف الكل ؛ لأنه أعطاه الرضى نص القرآن ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[سورة الضحى : آية ٥] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، وأعطاه الوسيلة وهي رضاء الحق في أمته ، ويخلص بين الأمم ؛ من أمم أخوانه المرسلين عليهم السلام ، قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [سورة الرعد : آية ٧] ، واسمائه من اسماء الرحمة ، فهو عبدالله ومحمد وأحمد وطه ويس ، له الاسماء كلها ، فهو الجامع والخاتم ، والشاهد والمشهود والدال والمدلول عليه ، من فيض مواهب الحق ، وما طلب الحق من عبيده إلا أتباعه وامتثاله ، فهو نزول القرآن عليه هو القرآن ، والفرقان ، من الذات ، وغيرها[2] يستحقها إذ اندرج فيه جميع الحجج الشرعية ، فلذلك نهى عليه السلام كل أمته من الرهبانية ، والفرقان راجع إلى القرآن ، فهو لا يتضمن القرآن ، والقرآن هو غاية الكمال ، وخصوصية القرآن ؛ إلى الجامع للمعارف لفظاً ومعنى ، من كل وجه إلى محمد ﷺ ، الجامع لمراتب النبوة والولاية ، بتنصيصه من هذه الأمة ؛ التي هي خير أمة أخرجت للناس ، لجمعها خيرات سائر الأمم ؛ من المعارف والأحوال والأعمال ، فليس مثل محمد ﷺ وأمته شيء ؛ إذ خُصَّ بالقرآن الذي ليس كمثله شيء ، فصار بذلك مظهر ربه ، من حيث ليس كمثله شيء ، فجمع الكل بشأنه الكلي في أمر واحد هو محمد وأمته ومعرفته ودعوته الفرقانية ، فصار لها نور الجمعية .

* * *

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : مرحومين ، وراحمين لمن ......

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّه : وغيره .

﴿فصل﴾

(٧٣)

والتوحيد الذي هو أتم الأنوار المانعة للحجب ، ولا تنظر إلى ليل مغاربها ، ولا إلى التَّعاويق الحجبية الظلمانية ، وقد رفعها نور جمعيتنا لفظاً ومعنى ؛ من حيث المجموع ، ومن حيث كل جزء منه ، فإنه شبَّه ونزه في آية واحدة ؛ بل في نصف آية فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشورى : آية ١١] فَنَزَّه ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى : آية ١١] فَشَبَّهَ ، فهو جمع الظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، وارحل ولا تُنِخْ بين التنزيه والتشبيه ثانياً ، وهو واحد لا شريك له ، فرد لا ضِدَّ له ، أزلي لا أول له ، أبدي لا آخر له في ملكه وملكوته ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ، دعاهم ليغفر لهم ، أي يسترهم عن المظاهر السفلية ؛ إذ قد حجبهم الاشتغال ، ومن لم يحصل له شيء من حيث التنزيه ، ونفر عنه من حيث الانفصال ؛ ذلك الكشف بالكلية ، وهنا نقول لك : إنَّ الله أَيَّدَنَا وخَصَّنَا بعلوم تحير فيها العقول ، وقد خصَّ محمد ﷺ بجوامع الكَلِم ، وهو [غاية[1]] الكمال ، لقوله تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام : آية ٣٨] ، وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ [سورة الكهف : آية ١٠٩] ، والضعفاء من هذه الأمة أخذوا بمجرد الظاهر ، فكانوا عاكفين على القشر ، وتركوا اللب والجوهر ، فالعارف بالله ينظر إلى الكل فافهم واعلم فإنه مَزَلَّة القدم ، ونحن نطلب الستر أيضاً عن المحسوسات ؛ في ضمن طلب الستر عن المعاصي ، إشارتنا على ما ترتب على ذلك من التجلي التنزيهي ، وكشف المعاني المجردة تضمنت ما يفتح عليه بالستر عن المعاصي .

---

(١) ما بين القوسين في (جـ) وفي الأصل : غايته ، وفي (ب) : عليه .

* * *

﴿فصل﴾

(٧٤)

وأشرنا إلى نظر المعاني الذي في الأشباح ، وعليكم بالمعارف في طريقة أهل رتبة الكمال ، وأهل العقل المنزه عن الحواس ، فانتقل إلى ما فوقه من حضرة الذات ، ولا تسافر إلا إلى من عرف النفس ، فمن عرف نفسه ؛ عرف ربه ، والفائضةُ[١] على من عرف ربه ؛ إلا من فَهِمَ تنزيه الحق الصرف ، ولا يزالون الحفاظ في هذه الطريق ، الذي[٢] فيها قطاع الطريق . وأهل الكشف ونور الكشف الجلي ؛ هو من نتائج نور العقل الراجح ، قوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[سورة الحديد : آية ٧] إذ جعلكم منفقين من المعاني والتجليات ، ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً ﴾[سورة الإسراء : آية ٣] ، والعارف يجعل الله وَكِيلَه ، والوكالة تقتضي ملك الموكل ، وهنا عدم اختيارهم ، وعند العارف بالله الكامل[٣] ، نفع الله به ، قوله : ﴿ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾[سورة آل عمران : آية ٢٦] ، ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾[سورة الرعد : آية ٩] ، وهذا اصطلاحنا في هذا الفن ، وليس الخليفة[٤] أن يتصرف فيه عن اختيار نفسه ، لكنه مقام كامل ، [إذ[٥]] الخليفة إنما يملك هذه المعاني والتجليات ؛ إذا اتصف بها ، وهي من صفات الحق في المناجاة ، ملكي من ملكك ، وأنت ربي عليك توكلت ، وأنت العظيم في ملكك ، فلما صحّت معرفتي بك صح ملكك ملكي ، وأمرك

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : والفائضة على من عرف ربه ، إلاّ مِنْ فهْمِ تنزيه الحق الصرف .

(٢) لعلّها : التي .

(٣) في (ب) والعارف الكامل نفع الله به .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : للخليفة .

(٥) ما بين القوسين في (جـ) وفي الأصل ، (ب) : إذا .

أمري ، أنت الحق المعطي ، وأنا العبد المتلقي منك ، لأن العبد إذا تمّ متحققاً بصفاته ، ويتجلى[1] عليه بذاته ، ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ، وافهم مزلة القدم ، فإنه ليس المقصود منه ، لأن العبد يُصَيِّرُه مَالِكُه الحق تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ، والعبد إذا كان اتصف بهذه الصفات كان مالكاً لها ، وهو مِلْكٌ الله وحده لا شريك له ، وكلما ملك العبد العارف ؛ فهو ملك سيده ، وهذه صفات ملك الحق فالعبد لم يكن عبداً من جهة هذه الصفات ، إذ هو يتخلص بها عن مشاركة النفس في ربوبية ربه ، لكنه يناسب بها ربه ، فيكون سيداً لمن دونه ، بل يكون سيده مجيباً له في كل ما يريد منه ؛ بحيث لو أقسم على الله لأبره ، اللهم ثبت الأقدام [على المتابعة[2]] .

﴿فصل﴾

(٧٥)

فلما ظهر لنا نور التحقيق ؛ بالشكر في مقام الفناء ، إشارة إلى فائدة هذه الحيرة ، فالحائر يدور حول الجناب الإلهي ، لأنه وإن مشى تارة وقام أخرى ، فله الحركة الدورية حول جنابه بالفناء والبقاء ، فهو في ذلك [كالرحى حول القطب[3]] ؛ لأنه يعود حال البقاء إلى نفسه ، وحال الفناء إلى العدم الصرف ، من عرف[4] الحق رآه في كل شيء ، فكل[5] شيء فهو منه وإليه ، وبه وله ، فهو الكل على التحقيق ، وأثبت بقلبك يا متيقظ ، ولا تغفل ، لأن نوره مشرق في وجوده ، ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ، لا يشغله شأن عن شأنٍ ، فلا يزال بادي بالإحسان وخاتم به ،

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : تَجَلّى .

(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : التابعة .

(٣) ما بين القوسين في (ب) في الأصل : كالرحى في حول القطب .

(٤) في (ب) ومن عرف الحق .

(٥) في (ب) فكل شيء هو منه وإليه .

فشتان بين تجلياته ، فهي متفاوتة بين تجلي موجب للحجاب والعذاب ، ومتجلي[١] يكشف عما لا يتناهى من عجائب ذاته وصفاته ؛ فيشاهد منها ما يشاهد بالعناية ، قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [سورة غافر : آية ٧] ، فحملة العرش النفوس ، ومن حوله العقول ، وكان دعائنا بمزيد الستر بالفناء في الله ، والدعاء لا يكون إلا في رحمة الجميع ؛ لأنه في نص القرآن ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، جمع[٢] العوالم المخلوقات سماها وأرضها ؛ مشمول به ﷺ ، وكذلك نوح على نبينا وعليه السلام ، رجع في دعائه يقول : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [سورة نوح : آية ٢٨] ، تفسير لفظ نوح ، أي استرني واستر من أجلي ، يريد[٣] غاية للخفاء بمظاهر الانتقام ، إذ تخصيص كمال ظهوره بهذه المظاهر العادية الكاذبة ؛ قول بلا فعل ولا عمل ، وهي المظاهر القاصرة ، فوجب بهم المكر ؛ لكن الأمة المرحومة ما فيها مسخ ولا خسف ، وكل دعوة موجبة المكر للإجابة ، وقد وقعت في الدعوة المحمدية الداعي المحمدي فله الأمر السابق فيما يريد المكر ، في حق الأرواح ، وراء التنبيه المذكور ، لئلا يأمن ، والبؤس بالمكر في الإجابة لذلك .

واعلم أن الدعوة إلى الله في أمة محمد ﷺ نص القرآن : ﴿ أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ [سورة يوسف : آية ١٠٨] هي من حيث هويته ، أي تعينه للكل المشار إليه باسم الله ، فصار[٤] قربته[٥] رافعة المكر ، فصرح للمراد ، وفهمنا الذي يتضمنه اسم الله ؛ فكانت الدعوة إليه ، لكون العالم كله ؛ بذاته ، ومحشر الكل إليه ، وكون الدعوة المحمدية ، وكون النهاية كالبداية ، لأن

---

(١) في (ب) وَيَتَجَلّى بكشف مالا يتناهى من ......

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : جميع .

(٣) في (ب) ويدعى به للحظ بمظاهر الانتقام .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فصارت .

(٥) في (ب) قرينة .

العالم الكل كان تحت حيطة اسم إلهي ، أخرجه في ابتداء وجوده من ظلمة العدم إلى نور الوجود ؛ ولكن الرجوع إليه لا يمكن إلا باستحضار نور الفطرة ، قوله تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [سورة الإسراء : آية ٢٣] ، إذ خلقكم لعبادته ، ولابُدَّ منها ولابد من حصولها منكم ، قوله نَصُّ حَقٍّ : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ [سورة فاطر : آية ٣٢] ، قوله : المصطفين ؛ أي : المذكورين في آية الاصطفاء لأن الطغات سُمُّوا ظالمين ؛ لأنهم منعوا نفوسهم حظوظها وكلفوها أعمالاً ، واصطفاهم الله سبحانه وتعالى ؛ بالإطلاع على أسراره [التي[1]] ظهر بها في كثير وافهم ، ولا يطلع عليها أعني مشكاة النبوة إلا بطريق الوراثة ، المقتصد والسابق ، وإن شاركاه في هذه الولاية ؛ لأنه لم يعمل شيئاً لنفسه ، وكيف يُعطى[2] من الأحوال السنية ، والمقامات الفائضة العليِّة ؟! ، قوله تعالى : ﴿ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٢٢] ، وقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [سورة الشمس : آية ٩ـ١٠] ، فلا نهاية إلا ببداية ، ولا بداية إلا بنهاية ، ومن سلك وصدق وتوجّه وأخلص في إقباله بأمر شيخه وأستاذه ؛ فيكون[3] له الفتح الجلي ، وغيره مدعي حال ، وبرهان[4] بغير ذلك ، فهو ساحر كاهن كذَّاب ؛ كالسراب يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، وشرّعنا في ذكر الممكور بهم ، نسأل الله العافية ، لأن[5] ما يصح وتقبل عبادة الله ؛ وعاد في العبد توجه وميل إلى شيء من العادات ، فذلك عابد وثن ، مثله مثل العاكف على شرب الخمر المسكر ، والزنا والخطأ ، وَيَدَّعِي في الظاهر أنه ممن يسير على طريق الحق ، وهو كما قال : يقولون بأقوال الصالحين ، وإذا وقفوا على شيء من الشهوات الكبائر ؛ وثبوا عليها كوثوب الأسد على لحمته ، نسأل الله

(١) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : الذي .

(٢) في (ب) يعطي .

(٣) لعلّه : يكون .

(٤) لعلّه : والبرهان .

(٥) لعلّه : لأنه ما تصح .

العفو والعافية ، ومَثَّل الحق بهم ؛ ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾[سورة الجمعة : آية ٥] ، قوله تعالى : ﴿ بِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[سورة المائدة : آية ٧٩] .

* * *

﴿فصل﴾

(٧٦)

وأشرنا إلى ما كُنَّا فيه من العلم اللدني ، والمشرب الصافي الهنيء وافهم أن الدنيا مزرعة الآخرة ، وقد ضَمَّنّا الكلام في من كانت الدعوة إليه ، والأمر والنهي إليه ، فنطق الحق : ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[سورة يوسف : آية ١٠٨] ، وأتباع محمد هم الأنبياء المتقدمون عليهم الصلاة والسلام ؛ لأنهم الآخذون من مشكاته ﷺ ؛على بصيرة منهم ، فحال[1] المدعو أنهم لو خرجوا إليه بالاسم المدعو إليه الكائنُ ، وزعم أن[2] معه ؛لما يرى نفسه منعماً بأنواع النعم ، ولا يدري فيه من أسرار النقم[3] ؛ بل يرى أن تكليفات الأنبياء ، أنها في الحال ، ولا يصرف ما فيها من النعم في الحال ، فيكون الأمر في البداية والنهاية للأستاذ ، يأمر أهل البداية بما فيه مصالحهم ، وزهدهم وهداهم يكون في رضى الامتثال وحفظ الأدب الحقيقي ، ومن لم يكن في طائفة هذه الأستاذ والإمام ؛ فلا يكون متحقق كمال ظهوره بالمظاهر ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٩] . ونخصك بما هو غاية الكمالات غاية العقل ، ورد في

---

(١) في (ب) فحال المدعوا لهم لو خرجوا إليه بالاسم المدعوا إليه .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : أنه .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّه : ولا يدري ما فيه من أسرار النقم .

الحديث : (أول ما خلق الله العقل) فلا يمكن تأويله بعقل الأشياء ؛ لأنه إنما يخلق فيه بعد خِلْقَتِهِ بِمُدَدٍ عديدة ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾[سورة مريم : آية ٧١] ، فلا يجوزون بعدها على نار جهنم ، لطفاً من الله وعناية ؛لئلا يعذب عبده بعذابين ، ولا يَهُولُه بهولين ، أقام الإله هذه المَشَاق التي تَحْصُلُ عليه في الدنيا ؛ عوضاً من عذاب غيره في الآخرة ، ودلّ عليه الحديث المرويّ عن النبي ﷺ : (إن الحُمّى حظ كل مؤمن من النار) ، فإذا كانت الحُمّى تنزل مقام النار ، كيف لك بالمجاهدات والرياضات والمخالفات ؛ التي هي أشد من كل شديد! ، إلى أن تتزكى النفس على ذلك ، وعلى حمل ذلك ، سَمَّاها النبي ﷺ بالجهاد الأكبر ، وسمّى الضرب بالسيف جهاداً أصغر ، ولا يخفى أن الحُمّى أسهل من ملاقاة العدو ، والضرب والطعن والحرب ، وجميع ذلك جهاداً أصغر ، في جنب المجاهدات والمخالفات التي يقاسيها أهل الله ، واعلم أنه لما خلق النار من اسمه القهار ؛ جعلها مظهراً للجلال ، متجلي عليها سبع تجليات ، فصارت معاني تلك التجليات أبواباً لها ، التجلي الأول : يتجلى عليها باسمه المنتقم ؛ فانفتح منها وادٍ له ثلاثمائة وستون ألف درك بعضها تحت بعض تسمى لظى ، خلق الله نار هذا الوادي من كلمة المعصية والذنب ، فهذا الحديث فهو محل أهل المعصية والذنب ، الذي ليس للمخلوق فيه حق ، وهو يخالف أمر الله ، وفيه وعيد كالكذب والرياء والزنا واللواط وشرب الخمر ، وترك الأوامر المفروضة ، والتسهيل في حُرمات الله تعالى ، فهؤلاء هم المجرمون ، قال الله تعالى : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۞ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ ۞ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى ۞ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ۞ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾[سورة المعارج : آية ١١ ـ ١٦] ، عن طاعة الله ، وغفل عن ذكره ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾[سورة الإنفطار : آية ١٤] ، فالفجار هم الكاذبون في إيمانهم الطاغون الضالون المعتدون على

الناس ، والجحيم مسكن الظالمين ، الذين يظلمون الناس بغير حق ، والجنان الثمان لا يتناهى نعيمها وتعدادها لا يحصى ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر.

* * *

﴿فصل﴾

(٧٧)

وسر ما اقتضاه الأمر الإلهي ، والشأن الذاتي ، اعلم وفقك الله أن الله لما خلق النفس المحمدية من ذاته ، و ذات الحق جامعة للضدين ، فخلق الملائكة العليين ، من حيث صفات الجمال والنور والهدى ؛ من نفس محمد ﷺ ، كما سبق بيانه ، وخلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال ؛ من نفس محمد ﷺ ، وكان اسمه عِزازير ، عَبَدَ الله تعالى قبل أن يخلق الخلق بكذا وكذا ألف سنة ، وكان الحق قد قال له : يا عزازير لا تعبد غيري ، فلما خلق الله آدم عليه السلام ؛ أمر الملائكة له بالسجود ، والتبس الأمر على إبليس ، فظن أنه لو سجد لآدم ؛ كان عابداً لغير الله ، ولم يعلم أن من سجد بأمر الله تعالى ؛ فقد سجد لله ، فلهذا امتنع من السجود ، وما سمي إبليس إلا لنكتة هذا التلبيس الذي وقع فيه ، فافهم وإلا فاسمه عزازير ، وكنيته أبو مره ، فلما قال له الحق تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾[سورة ص : آية ٧٥] ، والعالون هم الملائكة المخلقون من النور الإلهي ، والذي يقتضيه الحقائق ، واعلم وافهم فيما في إبليس[١] من قبل طاعته للسجود لآدم إلا بسابقة الشقاوة ووقوع اللعنة عليه إلى يوم الدين ، وقال تعالى : ﴿ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٤] ، وجعل

---

(١) هكذا في الأصل ولعلّ العبارة : من عدم قبول طاعته للسجود لآدم .....

العداوة لآدم لشقاوته وَبُعْدِه وضِدِّه ، خلاف أمر الله في السجود ، نسأل الله العافية من الخذلان والحرمان ، فافهم فيما في هذه الأمة المرحومة ، فما بقي لها عدو ؛ إلا إبليس والنفس الأمارة بالسوء إلا ما[1] رحم ربي ، إن ربي لطيف خبير ، فانظر إلى ما أشير به عليك كن خالص في عبوديتك ، متجرد على قدم التجريد ، وَمَجَازُكَ الصراط المستقيم ، وهو طريق جادة بيضاء ؛ الذي تثبت عليها أقدام المؤمنين ﴿ لاَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، ﴿ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾[سورة البقرة : آية ١٥٧] ، ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[سورة الرعد : آية ٢٨] ، ﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾[سورة البقرة : آية ١٩٧] ، ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾[سورة الرعد : آية ٢٩] .

* * *

(١) في (ب) : إلاّ مَنْ .

﴿فصل﴾

(٧٨)

وكن مستغرق في باب عبوديتك وفنائك واستهلاكُكْ في طي معرفة الحقيقة ، الذي[1] هي أصل كل شيء ، ولا شيء [إلاَّ[2]]منها وإليها ، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[سورة فصلت : آية ٤٦] ، ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[سورة الأعراف : آية ٢٣] ، ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٨٦] ، ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩]. وما كان شيئاً سواه فهو الآن كما كان ، ولا وجود لما سواه بالحقيقة ، كما كان في الأزل والقدم ، كل يوم هو في شأن ولا شيء موجود فهو الآن كذلك كل يوم هو في شأن، ولا شيء ولا يوم كما لم يكن في القدم شيء ، ولا يوم موجود كما لم يكن في العدم شيء ، في وجود الموجودات وعدمها شيئان وإلاَّ للزم طويان ما لم يكن في أحديته ، قال ﷺ :(من عرف نفسه عرف ربه) ، فإنه ﷺ ؛ رأى أن لا شيء سواه ، ثم أشار إلى أن معرفة النفس هي معرفة الله تعالى ، أي أعرف نفسك أنك لست أنت ، ولكنك أعرف أن وجودك ليس بوجودك ، ولا غير وجودك ، فلست بموجود ولا بمعدوم ، وُجُوُدُكَ وَعَدَمُك وُجُودُه ، فإن رأيت الأشياء ـ بلا رؤية شيء مع الله آخر[3] ـ أنها هو ؛ فقد عرفت نفسك ، وأن معرفة النفس بهذه الصفة ، هي معرفة الله بلا شك ولا ريب ، ولا تركيب شيء من الحدث مع القديم ، وفيه وبه ، ومن أثبت أن لا غير سواه والشيء لا يصل إلى نفسه ، وافهم

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : التي .

(٢) ما بين القوسين في (ب) وغير موجود في الأصل .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : بلا رؤية شيء آخر مع الله .

صحيح ما أقول لك به ، أنه في الحقيقة لا وصل ولا فصل ، ولا بعد ولا قرب ؛ لأنه لا يمكن الوصال إلا بين الإثنين ؛ ولم يكن إلا واحد ، وهو سبحانه وتعالى منزه أن يكون له ضد أو نِد ، فالوصال غير الوصال ، والقرب غير القرب ، والبعد غير البعد ، يكون وصل بلا وصل ، وقرب بلا قرب ، وبعد بلا بعد ، وما ثَمَّ إلا هو سبحانه وتعالى ، منزه في ملكه وملكوته ، ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، وأن تجلى عليك توحيد المعنى ، التوحيد فناؤك عنك وعن الكون وعن الفناء ، فابحث على إقامة التوحيد ، كل ما سوى الحق باطل ، ولا تفهمه أي التوحيد ، التوحيد واحد ، قبل الأشياء ، والواحد في التوحيد أن يكون هو الناظر والمنظور ، فإن خاطبني وتَجَلَّى [عَلي[1]] فَكُلِّي نواظِر نَواطِق ، وإن هو نَاجَانِي لَبّيْتُه وكنت كُلِّي مسامع ، هذا لا يمكن إلا بعد الكشف الجلي ؛ يظهر مظهره من غير دهشة ولا يأخذه الوَجْد والصعقات والصيحات الخارجة عن طور التجلي ؛ عند حصول العرفان ، عرفت الله بالله لا بنفسك، وعرفت المسمى إِلاَّ واحد ، والحقيقة أن تطمئن أن اسمك محمد ، وهذا حتى عرفت أنك محمود ، خرَّجَك بالقرآن بالاسم المحمّد واسم المحمود[2] ، ارتفع عنك معرفتك ، وتعرف نفسك أنك محمود ، ولم تكن بمحمد إلا بالفناء عن نفسك وعن الفناء ، لأن الفناء يكون بعده إثباتاً وجودياً ، وَمَنْ أَوْجَدَ وُجُودَ ما سِواه ؛ فقد أشرك به تبارك وتعالى ، فما نقص من المحمود شيء ، ولا محمد فَنِيَ في المحمود ، ولا دخل فيه ولا خرج منه ، وحل محمود[3] في محمد ، فبقت معرفة المحمود نَفْسَه أَنَّه محمود ولا محمد ، محمد عرف نفسه بنفسه لا بمحمد[4] ، فإن محمد ما كان ، فكيف يعرف به شيئاً كائناً ! ، فإذا العارف والمعروف واحد ، والواصل

(١) ما بين القوسين في (ب) .
(٢) في (ب) باسم محمد واسم المحمود .
(٣) في الأصل : و حل محمود في محمد . وفي (ب ، جـ) ولا حل محمود في محمد .
(٤) في (ب) إلاّ محمد .

والموصول واحد ، والرائي والمرئي واحد ، فالعارف بلا صيرورة ، وجوده وجود الله ؛ بلا دخول وجوده في الله ؛ ولا خروج وجوده منه ، ولا كون وجوده معه ، وفيه الكشف التام ، وزوال الشكوك والأوهام ، الذي يرانا فنينا[1] فشاهدناه عياناً ، بالتجلي معرفة المراتب ، مشاهدة القلوب ؛ اتصالها بالمحبوب اتصال تنزيه ، لا اتصال تشبيه ، فكان بلا كون ؛ لأنك كنت هو ، ومشاهدة العيان النظر من غير تقييد بجارحة ولا بصر ، والرؤية صفة اشتراك ، وأنه كان ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، والقلب صفة خاصة لك ، تشهده بالبصيرة ، من حيث تشهد بالسر ، فيكون بصره الذي يبصر به ، وسمعه الذي يسمع به ، الحديث على تمامه ، وانجح المسألة بوصولك المكان ولا غيره محل ولا مكان ، قوله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ ﴾ [سورة الإسراء : آية ١٨] ، فهذا التجلي وإثباته على الفطرة ، والسعادة تجلي السبحات المحرقة ، ارتفعت الأنوار بهذا العلم ، وبها [سطعت[2]] على العارفين سبحات الكرم ؛ فرفع سلطان إحراقها قدم الصدق فمحاهم، فهم من وجه وما هم من وجه ، إذ لا ثبوت يكون في شهود إلا بوجود وجوده ، [وذلك بالفناء[3]] وفناء الفناء ، وذلك لعدم فهمهم عن قول النبي ﷺ ، ولظنهم ؛ وقعوا في الشرك ، وهنا إشارة إلى أطوار ، منها طور إلى نفي[4] الوجود ، وإلى فناء الوجود ، وطور إلى الفناء ، وطور إلى فناء الفناء ، وطور إلى المحو[5] ، فالعارف صفته ، والمعروف ذاته ، والواصل صفته ، والموصول ذاته ، والصفة والموصوف واحد ، فهذا بيان من عرف نفسه ؛ عرف ربه وافهم هذا المثال ، واعلم يا صادق ؛ أنه لا وصل ولا فصل ، وعليك أن تقوم في مقام العبودية الرقية المحضة ، فهذا مقام الولاية حضور

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّه : فينا .
(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل ، و(جـ) : سقطت .
(٣) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل و (جـ) : وذلك إلاّ بالفناء .
(٤) في (ب) بقاء الوجود .
(٥) في (ب) المحق .

البساط ، وذلك مقام الخلافة ، والتحكم والأعيان ، فاختر أي الجمعين شئت ، فجمعك بك أعلى ؛ لأنه شهودك عيناً ، وجمعك بك[1] غيبية غاية الوصلة ، والاتصال الذي يليق بالجناب الأقدس ، وجناب اللطيفة الإنسانية ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾[سورة الفتح : آية ١٠] ، دونك فاعتبر تجلي الفطرة ، اعلم أن الأشياء ملك لهذا المقام ، وكل ما سواه يكون في الفناء الكلي ، ومن صح له فنائه، وأثبت شيئاً سواه ؛ فقد أشرك به تبارك وتعالى ، أرشدهم الله وإيانا إلى سواء السبيل ، إن شاء الله تعالى .

* * *

﴿فصل﴾

(٧٩)

وعرّج على الأدب ولزوم الباب ، وإن قال قائل جهلاً بأنك غيرك أحسن ، وإن زال جهلك أثبتناك ، فوصلك هَجْر ، وَهَجْرُكَ وصل ، وبُعْدُكَ قرب ، فارجع من عقلك[2] ، وافهم إلى ما فهمناك إياه ، ويظهر لك من نور الكشف انكشاف ليل الظلم ، فنعرفك نفسك الواصل فهو الموصول ، وما وصل إليه غيره ، وما انفصل عنه غيره ، وافهم عني ذلك واسمع ، تخلص من شرك الشرك ، وإلا فلم تجد رائحة الإخلاص عن الشرك ، وأكثر العراف [الذين][3] ظنوا أنهم عرفوا أنفسهم وعرفوا ربهم ، وخلصوا من غفلة الوجود والعناء ؛ لا يقع لهم هذا إلى طريق الوصول ، وتمت كلمات ربك ، وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها معادات الولي ، قوله : (من عاد إلى ولياً ، فقد آذنته بالحرب) نسأل الله العافية ، وعندهم من ادّعى الولاية والكرامة ؛ بافتراء أمراً

---

(١) في (ب) : به .

(٢) في (ب) من غفلتك .

(٣) ما بين القوسين في (ج) وفي الأصل و (ب) الذي .

من علوم الدين ، ومن قال : أنا مؤمن أنا كافر[1] ، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ﴾[سورة الأنعام : آية ١١٥] ، أي : تصحيح الإيمان ، وقال عليه السلام : (أصبحتم في زمان كثير فُقَهاء يثبتون العلم ولا يثبتون العمل ، وامتازوا بنفوسهم وهواهم وباطلهم) الحديث ، (إذا رأيت شحاً مطاع ، وهوىً مُتَّبَعْ وإعجاب المرء بنفسه ، فعليك بخويصة نفسك ، وفر منهم كفرارك من الأسد) ، فظاهرهم ينطق بمظهر الخير ، وهم بخلاف ذلك ، ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾[سورة المنافقون : آية ٤] ، نسأل الله العافية من نظرهم ، ويحسبهم الظمآن ماءً ، مساكين ، ﴿ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[سورة النحل : آية ١١٨] ، والعارف يكون في مناجاته لربه ، ومشاهد حقيقة الإيمان في مناجاته ، ومشاهد من حيث إيمانه ، يكون همك هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، ونظرك في مشهدك ، وشهودك يكون نظرك فيه ، إنما هو بالله ، فإن الله هو المقصود ، الوجود والموجود هو ، والمعبود في كل شيء ، وهو الظاهر عند ظهور كل شيء ، وهو الباطن قبل فقد كل شيء ، وهو الأول من كل شيء ، وهو الآخر من كل شيء ، ومن أثبت عقليته مع علم الظاهر ؛ فهي قدح إيمانه ، وحقيقة نور العقل إثبات أحدية الحق وحده لا شريك له ، ولا ضد له ولا ند له ، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٨] ، فشتان بين العلمين والطريقين ، والمشاهد والمشهدين ، ولا هنا أثر ولا عين ، إلا عين [الوحدة][2] الذاتية ، وهو عين الهداية ، وهي سابقة السعادة الأبدية ، إلا إنه ليس كمثله شيء ، إن لم تكن تراه فإنه يراك ، اللهم أرزقك التقوى ، وإثبات قلبك الذي إذا صلح صلح سائر الجسد كله وضده .

---

(١) في (ب) فهو كافر .

(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : الواحدة .

* * *

﴿فصل﴾

(٨٠)

فنحن نضع هذا العلم اللدني ؛ لِلْقَلْبِ النُّورِي ، ومفارقين غير ذلك لما يفتح على قلبك ، أيها الطالب افهم المطلوب ، معرفة نفسك فيها معرفة ربك ، وما ذلك على الله بعزيز ، وهو بالإجابة جدير ، ولا نزال على صلاح خير الأديان ، هي القلوب الواعية ، وما للإنسان إلا قلب ، ونور ذلك كِسَاه ، ونور البقاء إثبات الفناء والعدم والبقاء من بقائك به ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، وافهم النظر[١] ، وكل شيء في العالم الكبير الأكبر ، ولابد من شهوده ، هذا الإحسان في كل شيء ، وكل حجاب ساتر عن مظهر سره الخفي ، وسر غمسه في البحر الأخضر ، فإذاً سر القدرة الإلهية قد مازجت بسره[٢] ، ثم بعد ذلك كشف له عن حضرة الديمومية ، وهي زيادة في الحِيرةِ الأبدية ، ولا نزال مقابلين الباب ، من عرف نفسه عرف ربه ، ﴿ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة الزخرف : آية ٤٣] ، ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾[سورة الشورى : آية ٥٣] ، ولهذا النبي ﷺ عرف ربه ، ابتداؤه انتهاء الصِّديقين ، وانتهاء الصِّديقين ابتداؤه ، وهو[٣] شتان ما بينهما ، الشوق إرادة المقصود ، والعشق هو الشوق ، فافهم ذلك ، لستر الاسم والمقامات مقام أعلى وأجل في الابتدائي والإنتهائي[٤] ، والعشق وصورته العشق ، ومعناه العشق ، ومقصوده وصل إلى انتهاء الكمالات كلها ، فسجدوا له[٥]

---

(١) هكذا في الأصل ولعلها : بالنظر .
(٢) هكذا في الأصل ولعلها : سرّه .
(٣) لعلّها : وشتان ما بينهما .
(٤) في (ج) الإبتداء والانتهاء .
(٥) لعلّها : فسجد له .

الملائكة أجمعين ، ونقول في ذلك إثبات الأركان ، المقام مشاهدة الاسم الذي بيده الختم الإلهي ، وكيفية فعله به في الوجود ، فبه ختم النبوة والرسالة والولاية ، وبه الختم على القلوب المعتنى بها ، فلا يدخل فيها كون بعد شهود الحق ، بحكم التحكم(١) والملك ، لكن يدخل بحكم(٢) الخدمة والأمر ثم يخرج ، وما وقع بعد هذا المقام ؛ من تعلق الخاطر بحب جارية أو غير ذلك ، فذلك بحكم الطبع من جهة السر الرباني المختوم عليه ، الذي هو بيت الحق ، ومقعد صدق ، ومن هنا هو أصل الحب في الكون مطلقاً ، غير أن أسرار العامة وإن لم يختم عليها بخاتم العناية ؛ لكن خُتِمَ عليها بغير ذلك ، فأسرار ذلك [أنك](٣) الصراط المستقيم ، وأنك السالك وفيك وإليك ؛ إذا حصل التحقيق ، تكون في فنائك ومطلبك وذهابك ، فبعد السحق والمحق بالحق والتميز في مقعد صدق لا تعاين سواك ، والعجز عن إدراك ذاك(٤) إدراك ، فهي إحدى المدركات ، وارجع إلى التجلي تحصر فيه الحقيقة المحمدية ، وهو التجلي من اسمه الجميل ، فقيَّد النواظر عن التصرف الذي لا ينبغي لها المدركات ، والله أعلم بالصواب وإليه أنيب ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

سأل بعضهم سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه : (ما الحقيقة ؟ فقال رضي الله عنه وكرّم وجهه: مالك والحقيقة ، قال : أَوَ لَسْتُ صاحب سرك ؟ ، فقال : بلى ؛ ولكن يرشح عليك ما يطفح مني ، فقال كُمَيل: أَوَ مِثْلُكَ يُخَيِّبُ سائلا ؟، فقال أمير المؤمنين : كشف سبحات الجلال من غير إشارة ، قال : زدني [فيه](٥) بياناً ، قال : محو الموهوم مع صحو المعلوم ، فقال : زدني [فيه](٦) بياناً

(١) لعلها: التحكيم .
(٢) في (ب) : تحكّم.
(٣) ما بين القوسين في (ب) . وغير موجود في الأصل ولا في (ج) .
(٤) في (ب ، ج) ذلك .
(٥) كلمة [فيه] التي بين القوسين في (ب) .
(٦) كلمة [فيه] التي بين القوسين في (ب) .

، فقال :هتك الستر ؛ لغلبة السر ، فقال : زدني [فيه][١] بياناً ، فقال : نور مشرق من صُبْحِ الأزل ، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره ، فقال : زدني فيه بياناً ، فقال : اطفِ السِّراج فقد طلع الصبح). قال العارف عن الشيء الثابت عن سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه ، فهو [في][٢] الحديث : (علي مِنِّي كهارون من موسى) ، (وأنا مدينة العلم وعلي بابها) ، وقال : (اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه) ، كما قال : (ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن) ، مَلَكَ هذا العرش جميع هذه اللطائف ، فيتصرف فيها ، ويحكم بحكم المالك في ملكه ، وتصرف الملك في ملكه، ألا وهو القطب تجلي الولاية به ، هو الفلك الأقصى ، القطب الأقصى[٣] ، من سَبَح فيه اطّلَعْ ، ومن اطَّلَعَ عَلِم ، ونقول في التوحيد : تَمَيُّز العبدِ من الرَّبِ ، وأن يكون عند التميز لا يصح أن يكون عبداً ، ولأن ما سواهم في ظلمة وعَمَى ؛ من حيث صرف وجهها للطبع الذي هو الظلمة العظمى ، والحب في الخلق على أصله في العالي والداني ، ولست وحب الله من هذا القبيل ، غير أن أكثر الناس لا يفرقون بين محبة الله سبحانه ، وبين ظلمة الطبع ؛ إلى معرفة الإحسان المقدس من ظلمة الطبع ، فكن في فنائك إلى معرفة الحق الصرف وما ذلك على الله بعزيز ، ولا تحيط به الأماكن فيه ، فيدركه الحس[٤] ،بل وجوده من ذاته لذاته ، عِلْمُ الأشياء من علمه لذاته ، جميع الأشياء[٥] ، لا يفوته شيء جل ثناؤه ، وتقدست اسماؤه ، ولا إله غيره ، جل وتعالى علواً كبيراً ، هنا التوحيد ؛ غض الطرف عن الأكوان ، بمشاهدة من هو منزه عن كل نقصان .

---

(١) كلمة [فيه] التي بين القوسين في (ب) .
(٢) ما بين القوسين في (ب) .
(٣) في (ب) هو الملك الأقصى ، القطب الأقصى ، والفلك .
(٤) في (ب) فتدركه بالحس .
(٥) هكذا في الأصل ولعلّها : يعلم جميع الأشياء .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

(٨١)

وشربنا من ماء التوحيد فوق الطاقة ، وافهم شربنا ومَا شربنا ، فعطشنا وما عطشنا ، فروينا وما روينا ، وسكرنا وصحينا ، وفنينا وبقينا ، وغبنا وشهدنا ، وعلمنا وعملنا ؛ فَسُدْنَا وسَعِدْنَا ، وهو شهود كل شيء في كل شيء ، وذلك بانكشاف التجلي الأول للقلب ، فيشهد الأحدية الجمعية بين الاسماء كلها ، ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾[سورة البقرة : آية ٣١] ، فقال للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ، [الاتصاف][1] بجميع الاسماء ؛ لاتحادها بالذات الأحدية ، واستتارها بالتعينات التي تظهر في الأكوان ؛ التي هي صورها فيشهد كل شيء في كل شيء . الفتح المطلق هو أعلى الفتوحات وأكملها، وهو ما انفتح على العبد من التجليات ، وتجلي الأحدية المحمدية ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، وتجلي الذات الأحدية ، والاستغراق في عين الجمع ؛ لفناء الرسوم الخلقية كلها ، والمشار إليها ﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾[سورة النصر : آية ١] ، الاتصال هو ملاحظة العبد بعينه ،فهذا العبد العارف بالله لا يزال حيث نفس الرحمن إليه على الدوام بلا انقطاع ، وانظر سائر الأعيان كلها من الله ، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[سورة الصافات : آية ٩٦] ، الحقيقة التي لا اسْتِطَاعْ معها للغير ، لا وجوداً ولا عقلاً ، وهذا لضيق عقولهم ، لا يعرف الله إلا الله، وأما بحسب ظهوره في جميع المراتب ، باعتبار الاسماء والصفات ، المقتضية للمظاهر المتناهية الاعتبار ، وهو السعة كما قيل شعراً :

لا تقـــــل دارهـــــا بشـــــرقي نجـــــد

---

(١) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : لإتِّصاف .

كـــــل نجـــــد للعامريّـــــة دار
فلـــها منـــزل علـــى كـــل مـــاء
وعلـــــى كـــــل دارس آثـــــار
فرقينـــا علـــى الـــبراق سمـــاءً
وشـــــهدنا مشـــــاهد الأنـــــوار
فاخترقنـــا كـــل الحجابـــات جمعـــاً
وبلغنـــا مقامـــاً شـــامخاً وأطـــوار
يـــا أهـــل دار العامريـــة خيّمـــوا
حـــول بـــابي تشـــهدوا الأنـــوار
واسمعـــوا نغـــم حاديـــاً بســـعاد
يـــا أهـــل ودي قـــد خرقـــت الســـتار
في ســـرادق جمـــال كـــل حماهـــا
قـــد كشـــفنا قناعهـــا والخمـــار
رق فيهـــا زجاجـــة رق خمـــر
فاســـكر الصـــب مـــن كرمهـــا الثمـــار

* * *

﴿فصل﴾

(٨٢)

ولما طلبنا العيان ، من باب الشهود ؛ فبرز المعنى بما يمكن إيضاحه ، وقبضنا عِنَانْ المظهر الجلي في ذلك ، فخذ ما ظهر ولا تسأل عن التبيين ، معناه ثقيل لا يحمله إلا أهله ، الذين عرفوه وفهموه فصانوه عن غير أهله ، لئلا يغلط فيها[١] غالط ، ويجهل فيها[٢] جاهل ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[سورة القيامة : آية ١٨-١٩] ، وليحصل للمقبل إلى هذا الباب الأعظم ، والمقام الأكرم ، ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ ﴾[سورة الأعراف : آية ٤٣] ، ﴿ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩٠] ، ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[سورة القصص : آية ٥٦] ، فالهداية الصرف من الحق إلى الرسول محمد ﷺ ، فطالب الرسول عمه أبا طالب بدخوله وإسلامه ومحبته إليه[٣] ، ليسلم لربه الحق الذي خلقه ، ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ ﴾[سورة الانفطار : آية ٨] ، وفهمنا بالباطن ، والمعنى في ذلك أن محمد ﷺ ، طَالبَ أبا طالب عمه من الرأفة والرحمة ، لا هو من حيث النسب والقرب . ولا يصح عليه اللعن ، ولنا مع الرسول محمد ﷺ أسوة حسنة لكافة المخلوقات ، الجن والإنس ، فثبت وصح ووجبت اللعنة على [أبي][٤] جهل ؛ لأنه قام لعداوة الرسول محمد ﷺ ، ولكن الرسول محله الرحمة الشاملة بالكل[٥] ، ولكن هي بالسابقة في الأزل ، في السُّعداء والأشقياء ، (هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء في

---

(١) في الأصل : فيها ، ولعلّه : فيه .
(٢) في الأصل : فيها ، ولعلّه : فيه .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : محبته له .
(٤) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : أبا جهل .
(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : للكل .

النار ولا أبالي) ، وقبض قبضتين ، وهم كهيئة الذر ، وصحة المواثيق لأهل السعادة ، وهي تثبت لأهل الشقاوة في الأزل ؛ بمظهر الله لنا هذا النبي محمد الخاتم للرسالة النبوة والولاية ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣١] ، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[سورة الحشر : آية ٧] ، والرسول محمد ﷺ ، هو العين الثابتة الذاتية ، وقد يطلق على كل ما تَكَثَّر من المقامات العلوية اللدنية ، والواردات الإلهية التي تطرد الكون عن القلب ، نور الأنوار ، وسر الأسرار ، وهو الحق الواحد القهار ، تعالى وجل وعلا ، النفس الرحماني هو الإضافي الوحداني بحقيقته ، المتكثر بصور المعاني ، التي هي الأعيان ، وَاحِدَتُها في الحضرة[١] الواحدية ، تسمى به ، ونسبتها بنفس الإنسان [المتخلق][٢] بصور الحروف ، مع كونه هو استدخال في نفسه ، وانظر إلى الغاية التي هي ترويح الاسماء الداخلة تحت حيطة الاسم الرحمن ، عن معبريها ، وهو تَكَوّن الأشياء فيها ، فكونها بالقوة ؛لترويح الإنسان بالنفس الساتر صور الأكوان ، لأنها مظاهر الاسماء الإلهية تعرف من خلقها.

* * *

﴿فصل﴾

(٨٣)

فلما تجلت لنا ستور المعاني والبوارق ؛ التي [تُطَهر وتعمر][٣] القلوب الخاربة ، وافهم مِنَّا واعلم ما ضمته ما تحت الستائر [٤]؛ من كنوز المسمى[١] الرقائق ، بالهيكل البدني الإنسان ،

---

(١) في (ب) واحد لها في الحضرة في :الحضرة الواحدية .

(٢) ما بين القوسين في (ب) . وفي الأصل و (ج) المتخَلف .

(٣) ما بين القوسين ليس في الأصل وفي (ب) تظهر وتَعْمُر ، وفي الأصل : تظهر وتعمه .

(٤) هكذا في الأصل ولعلّ العبارة : وافهم واعلم مِنّا ما ضمته مما تحت الستائر ، أو : ما ضممته تحت الستائر ، أو : ما ضمته الستائر .

المُرْخَاة مِنْ عَالِم الغيب والشهادة الكبير المتعال عز وجل ، سبحان من لا يعلم قدره غيره ، ولا يبلغ الواصفون صفته ، تبارك الله أحسن الخالقين ، تبارك الله أحسن الخالقين ، تبارك الله أحسن الخالقين ونفهمك سجود القلب هو فناؤه في الحق ، عند شهوده إياه ، بحيث أنه لا يشغل ولا [يصرفه] (٢) استعمال الجوارح ، عن التوجه الخالص ، الاتحادي إليه قولنا في التائية :

وحَجَّت ولبّت باعتمار ووقفة
إليها جباه الشكر يا صاح صَلّتِ

ولو أظهرنا علم سر الربوبية ؛ لبطلت (٣) معرفته به ما يتوقف عليه ، سر الربوبية هو ظهور الحق بصور الأعيان ، فهي من حيث مظهريتها الرب المشار إليه ، بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [سورة النحل : آية ٤٠] ، لا يعرف الحق إلا الحق ، ولا يحب الحق إلا الحق ، ولا يطلب الحق إلا الحق ؛ لأن ذلك السر هو الطالب للحق ، والمحب له والعارف له ؛ كما قال النبي ﷺ: (عرفت ربي بربي) ، سر العلم هو حقيقة العالم ، لأن العالم عين الحق في الحقيقة ، عَبَّرَةُ بالأعيان ، والأعيان معدومة بحالها في الأزل ، السرار (٤) انمحاق السالك في الحق ، عند الوصول التام ، وإليه الإشارة بقوله ﷺ :(لي وقت مع الله لا يسعني فيه غير ربي) الحديث ، وقوله ﷺ في الحديث القدسي: (أوليائي تحت قبابي ، لا يعرفهم غيري) ، اللهم أوسع ثم وسع القلب ،سعة القلب هي تحقيق الإنسان الكامل بحقيقة البرزخية الجامعة ، للإمكان والوجوب ، فإن قلب الكامل هو هذا البرزخ لها ، قال تعالى : (ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن) ، عالم الجبروت هو عالم الاسماء والصفات الإلهية ، عالم الملكوت وعالم الأمر

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : والكنوز المسمّى بالرقائق .
(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل ، (ج) ولا تصرفه .
(٣) في (ب) لتطلب .
(٤) هكذا في (أ ، ب ، ج) . ولعلّها : السِّر أو السّير .

وعالم الغيب الأرواحْ والروحانيّات ؛ لأنها وجدت بأمر الحق بلا واسطة مادة ولا مُدَه ، عالم الخلق وعالم الملك وعالم الشهادة ـ وهو[1] عالم الأجسام والجسمانيات ـ هو ما يوجد بعد الأمر بمادة ومدد ، ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾[سورة الإسراء : آية ٢٠] ، القادر من أشهده الله ذاته وصفاته واسمائه وأفعاله ، والمعرفة خَيَالٌ مُحْدَث ؛ غير الشهود من أطلعه الله[2] على ذلك ، لا عن شهود تعين من[3] العامة هم الذين اقتصر علمهم على الشريعة ، وتسمى علماؤهم علماء الرسوم . العنقاء كناية عن الهيولي ؛ لأنها لا تُرى كالعنقاء ، لا توجد إلا مع الصور ، فهي هكذا ، وافهم عين الحق . وعين الله وعين العالم هو الإنسان الكامل ، المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى ، لأن الله تعالى ينظره بنظره إلى العالم ؛ فيرحمه بالوجود ، قال الله تعالى : (لولاك ما خلقت الأفلاك) . والإنسان المتحقق بالاسم البصير ؛ لأن كل [ما يبصر ه في العوالم][4] من الأشياء ، فإنه يبصره بهذا الاسم ، عين الحياة وهو باطن الاسم الحي ، الذي من تحقق به ؛ شرب من ماء عين الحياة ، الذي من شرب منه لا يموت أبداً ، لكونه حياً بحياة الحق ، وكل حي في العالم ؛ فحياته بحياة هذا الإنسان الكامل ، لكون حياته حياة الحق ، الفرقان هو العلم التفصيلي الفارق بين الحق والباطل ، والقرآن هو العلم اللدني الجامع للحقائق كلها ، فرق الجمع هو تكثر الواحد ظهوره[5] في المراتب ؛ التي هي ظهور شؤون الذات الأحدية ، وتلك الشؤون في الحقيقة اعتبارات محضة ، لا تحقق لها إلا عند بروز الحق بصورها . صاحب الزمان ، وصاحب الوقت ، والحال هو المتحقق بجميع البرزخية الأولى ، فذلك له التصرف ، يتصرف في

---

(١) في (ب) هو ، وفي الأصل : وهو .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : غير شهود من أطلعه الله على ذلك .

(٣) في (ب) لا عن سهو يقين ، ولعل العبارة : لا عن شهود تَعَيُّن (أو) : يقين ، والعامة هم الذين . .

(٤) ما بين القوسين في (ب) . وفي الأصل : ما يبصر من العوالم .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بظهوره .

الزمان الأول واللاحق ، مظهر تجليه وهيكله الجسماني[١] ، والمشيئة يستند إليها كل شيء ، وهو المشيئة بواسطة الحق الصرف ، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، وكل يوم هو في شأن ، ولا تزال شمسه ضاحية باقية على الدوام ، تطرد الظلم وأهل العصيان ، وحقيقة هذا المقام ، أن الكل فيه والداخل فيه والخارج منه ، وفوق كل ذي علم عليم ، فَهْمُنا هذا العلم ليس هو من الكتب ؛ ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[سورة العنكبوت : آية ٤٩] ، وكان لنا التلقي للكلمات ؛ من الحق الصرف ، ولو لم يكن مَلَكٌ ووحي في هذا الوقت ، يكون عندنا علم إلهامي رباني ، فخاطب الحَقُّ : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾[سورة الأحقاف : آية ٣١] ، فلما كشف لنا من الأسرار الربانية ، وهي معاني عزيزة الفضل العظيم ، ضُنًّا ظهورها عن من لا يفهمها ، صيانة لها ، وأيّدنا من أخلص في المحبة إلينا ، فنُثبّت له نوراً في قلبه ، ويكون ممن أرشدناه وهديناه في طريق الهداية ، قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ ﴾[سورة الأعراف : آية ٤٣] ، وألقيت عليك محبة مني، ومن سبقت له المحبة منا إليه ؛ فهي غاية التوفيق والسعادة ، وصّرح بالاسم الأعظم إن كنت ذا فهم وعلم ، وإلا فدعه لأهله ؛ الذين رشحت عليهم أنفاس بدائع القرب ، ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾[سورة النجم : آية ٩-١٠] ، كن معنا بالأدب والتوجه الخالص ؛ تصل إلى الله في لحظة ، أو جلسة واحدة ، ولكن دونها سيوف قاطعة ، ورماح مارقة ، إلا من دعته إليها ، وتولته بالرضى وعين الرضى ، فرضانا برضى الحق ، عند التجليات الجمالية [تحق][٢] له المنة ، وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٦٤] ، فخذ من أنفاسنا العزيزة ، ما

---

(١) لعلّه : بمظهر تجليه في هيكلة الجسماني ، أو : مظهراً تجليه بهيلكه الجسماني .

(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : يحق .

يزكيك ويمنحك من الفضل العظيم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، ويختص برحمته من يشاء ، وصرّح وقل قد سبقت أنوارنا أذكارنا[1] .

* * *

﴿فصل﴾

(٨٤)

وافهم سريان بيان الكثرة ، والمقادير كلها عوارض ، فكما يتصرف منهم في الوهم فيها ؛ فكذلك في العقل صَرّفَ بالحقِ المتصرفُ بالحقائق ، يفعل ما يفعل في طور وراء طور الحس والعقل والوهم ، وسلط على العوارض بالتغيير والتبديل ، صورة الحق هو محمد ﷺ ؛لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية ، ويعبر عنه بصاد ، ولما لوّح إليه ابن عباس رضي الله عنه ، حين سئل عن معنى صاد ، فقال : (جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن) ، صورة الإله هو الإنسان الكامل ؛ لتحققه بحقائق الاسماء الإلهية القابلية الأولى ، وهي أصل الأصول ، وهي التعين الأول ، قابلية الظهور هي المحبة الأولى ، المشار إليها بقوله : (فأحببت أن أعرف) الدُّنو جمال المادة الوحدانية ، المسماة الفيض الأعظم المطلق ، المرتوق قبل خلق السموات والأرض ، المفتوق بعد تعينها بالخلق الثاني ، هو رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلمية الباطنة ، والمحبة الأصلية هي محبة الذات عينها بذاتها ، لا اعتبار أمر زائد ؛ لأنها أصل جميع المحبات الداخل والخارج فيه ومنه وإليه ، لكن لا حقيقة للخارج كالظل . والتمكين هو الكمون في شهود الحق من وجود الخلق ، والتلوين ظهور الخلق الساتر للخلق الحاجب للمشاهد من شهوده[2] ، وإنما

(١) في (ب) وقد سبقت أنوارنا أذكارها .

(٢) في (ب) : الساتر للحق الحاجب للشاهد من شهوده .

وصف بهذه السبعة قدرته تعالى ، فخلق خلقاً لا يتناهى من المخلوقات ، وبسط الوجود الإضافي على الكل ، ثم جعل شمس التمكين لصفوته عليه دليلاً ، أي شمس نور شهود الحق لأهل التمكين ؛ الذين هم صفوة الله ، أي : أصفياؤه المصطفون من عباده ، الذين صَفَتْ سرائرهم عن رؤية الغير ؛ لشهودهم الحق ، قوله تعالى : ﴿ يس ۞ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة يس : آية ١-٤] ، وهو الصراط المستقيم ، إثبات الدعوة على بصيرة للخلق أجمعين ، وهو صلوات الله وسلامه عليه ، تنقيته وتطهيره عن النقائص كلها ؛ لصفاء فطرته وبشريته ، الذي أقسم الله به في سورة يس ، مرموزاً بالإيماء إليه ؛ بذكر الحرفين الدالين على الوقاية والسلامة ، [المقتضيان][1] للكمال والتكميل ، على أنه أقامه تعالى [في][2] تبليغ الرسالة وأدائها ، والدعوة إلى الله على بصيرة ، مع ثباته على الصراط المستقيم ، وهذا من أجل المقامات وأصعبها ، ولهذا قال : (شيبتني سورة هود)، وذلك لقوله : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [سورة هود : آية ١١٢] ، فإن الدعوة إلى الله مع كون المدعو على الصراط المستقيم ؛ أمر صعب ، لا يمكن إلا إذا كان الداعي على بصيرة ، يرى أنه يدعوه من اسم إلى اسم ، وإذا زالت التفرقة ؛ لم يبق رسم ، والرسوم عندنا منفية فانية عدمية ، ومصير الوحدة ، : (كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان) ، وبِمُجْمَلِها وبمفصّلها التوجيه ، ﴿ وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾ [سورة البقرة : آية ١١٥] ، ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٨٠] ، شعراً :

فطاشت عقول من سنا برق ثغرها
مباسمها تسبي العيون الفواتر
منزهة في حسنها وجمالها

---

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل ولا في (ب) ولا (جـ) وفي الأصل : المقتضيات .
(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وليس في الأصل .

فهـي جامعـة الإحسـان والحـس كلـه
مبرقعـــة في خـــدرها والســـتائر

وكنـــا نســـامرها وطـــاب المســـامر

آخر :

ولاحـــت لنـــا نـــار الفريـــق ورامـــة
شـــهدنا محاســـنها ولبـــت وســـرت

خيـــام بـــدار العامريـــة والربـــا
شـربنا بكـأس الـدير أعـذب خمرتـي

فرقـــت زجاجـــات المـــدام وخمـــره
فلا يُعـرف إلاَّ صـحاء[1] منهـا وسـكرت

قوله تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾[سورة غافر : آية ١٥] ، فإن اعتبرت بذات التحت ، وذلك الإعتبار هو التنزيه الذاتي ، الذي يقابله في اصطلاحهم التشبيه الاعتباري ، واللذة بالمشاهدة ؛ لأن التجلي في الصور الروحانية ، فتأمل ما أقول لك به ، عافانا الله تعالى من عبيد المظهر أهل التخليط ، لأنهم عالقين في أهوية نفوسهم وحظوظهم الصُورِيَّة ، افهم الشيئيَّة في حِكَمْ إِلْهَامِيَّة ، لا سيما من ظهرت عليه [ذلة][2] العبودية ، وظهور فقرها الذاتي بشهادة ذاتية ، كما قال : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾[سورة مريم : آية ٩٣] ، ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾[سورة الروم : آية ٢٦] إلى غير ذلك من الآيات في القرآن العظيم .

* * *

---

(١) في الأصل : الإصحاء .

(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : ذل .

﴿فصل﴾

(٨٥)

ونحن ندعوا الناس من حضيض الكثرة ؛ إلى أوجِّ الوحدة ، بظواهر أقوالهم وأفعالهم ، ويجذبون جذبة من صَلُح منهم للارتقاء ، من أرض الفرق الأول على المعارج المنصوبة ، إلى اسماء الجمع بمغناطيس الهمة ، المستمدة من منبع القوة القدسية ، القائمة بالجمع الإلهي ؛ إلى مستقر المقربين في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الحج : آية ٦] ، وأن وجود كل ذي وجود من وجوده ؛ أنه يحي الموتى ، وأنه على كل شيء قدير ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ [سورة الحج : آية ٦٢] ، أي لا وجود له ، وقال : ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٤٤] فظهر الحق بعضه لبعض ، وحقيقته كل شيء من الحق إلى الحق ، والله لا إله إلا هو الحق المبين ، وفَّقك الله بوجوب وجوبه وجُودِهِ ، وبمفهوم حقيقته ، قد ملأ أركان الوجود كلها ، وشمل نواحي العالم ، وأطبق على أطباق الفكر ، فلم يكن للباطل من الوُجُودِ نَصِيبٌ ، ولا مِن الحقيقة حَظٌّ ؛ من حيث أن الحق الصرف أصل له ، من حيث هو ، ولما وجد ما لوجده[1] من الحق سواه ؛ أظهر للوهم ضداً هو الباطل ، تَمَيَّزَ عنه بالبقاء قبل الإنشاء من كلمة التوحيد ، قول[2] : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) ، وذلك توهم لا وجود له في الوجود البتة ، قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ

---

(١) في (ب) لوجوده .

(٢) في (ب) قوله .

الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[سورة الحج : آية ٦٢] ، ثم أن الله عز وجل وهو الواحد الحق ، فهو لا إله إلا هو ، ليس كمثله شيء له الكلمات التامات ، والحمد له والمجد له ، فَلِكَونِ الباطل في الأزل ، لا حقيقة لوجوده في الوجود ، قال الله : ﴿ أَلاَ إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ ﴾[سورة يونس : آية ٦٦]، وقوله تعالى : ﴿ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾[سورة النجم : آية ٣١] ، وافهم واعلم سِيَما حضرة الجمع ، وحضرة الوحدة الحقيقية هي الذات مع التعين الأول ، وحضرة الجمع وحضرة الوجود ، الحقيقة المحمدية هي الذات الأحدي ، اليقين هو شهود الحق حقيقة في مقام عين الجمع الأوحدية ، كَيما الخواص تخلِّص القلبَ عن الكونِ ؛ باستئثار المكون . اللبس هو الصورة العنصرية ؛ التي تلبس الحقائق الروحانية ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩] ، ومن لبس الحقيقة الحقانية بالصورة الإنسانية ، كما أشيرَ إليه في الحديث القدسي : (أوليائي تحت قبابي ، لا يعرفهم غيري) ، انظر هذا العلم اللدني ، يحتمل الإطلاق والتقيد. كل الوجود حقيقة واحدة ، ومن شاهد هذا المشهود ، وكان متحقق بالحق والخلق والفناء والبقاء ؛ بمحو العبودية ، ومحو عين العبد ، هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان ، فإن الأعيان شؤون ذاتية، ظهرت في الحضرة الواحدية ، وعين العبد باقية على عدمها ، فإن الإنسان الكامل باب اللَّحظ ، قال الله تعالى : ﴿ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾[سورة الأعراف : آية ١٤٣] ، قوله انظر استشهاد ، فلما كان التجلي الإلهي ؛ فما حمله موسى عليه السلام ، ولزم الأدب واستغفر ، والرسول محمد ﷺ ، ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾[سورة النجم : آية ٩ـ١٠] ، فناجاه : (التحيات لله سبحانك ما أعظم شأنك) ، فقال : (

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) ، (١)السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، [فوقفت](٢) الملائكة لازمين الأدب ، ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾[سورة الصافات : آية ١٦٤] ؛ فدخلوا رتبة الصالحين ، وتخلفوا الملائكة من رحمة الرسول محمد ﷺ ، وهو المحبوب عند ربه ، والمطلوب من الحق برضاه ، نص القرآن : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[سورة الضحى : آية ٥] ، فأعطاه الرضى في أمته ؛ بالشفاعة والنجاة لهم من مَهالِك عذاب الآخرة بالنار ، واسماء الله تسعة وتسعون اسماً ، مَن أحصاها ؛ دخل الجنة ، وجملة اسماء الله قد عَدَّهَا ﷺ ، اثنتي عشرة مائة ، جوامعها اشْتَملَ على معاني ما يكون ؛ بإحصاء جوامعه دخول الجنة ، فهي [مداخلة خلقاً رحمته] (٣) ومقصوده(٤) إحصائها ؛ توحيد جميعها . والرحمة مائة رحمة ؛ رحمة واحدة للخلق في الدنيا من المائة ، نص القرآن العظيم : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، وروي عن النبي ﷺ ، أنه قال(٥) : (مرضت فلم تَعُدني ، وسألتك فلم تطعمني) ، أشار إلى أن وجود السائِل ؛ وُجُودَهُ.

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

(٨٦)

---

(١) هكذا في الأصل ، فقال : (السلام ....) .

(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : فوقعت .

(٣) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : مداخلة خلق رحمته .

(٤) في (ب) ومقصود ولعلّها : والمقصود بإحصائها .

(٥) لعلّه : أنه قال حاكياً عن الله في الحديث القدسي .

البسط الأَبْيَنْ يعبر به عن الفيض ، الغوث هو واحد الزمان بعينه ؛ إلا أنه إذا كان يعطي الالتجاء إلى إغاثته(١) الفائضة هو ما يرد على القلب من ذلك [العالم](٢) بأي طريق كان من خطاب أو مثال ، العنقاء هو الهيولي الذي(٣) فتح فيه أجساد العالم ، الوَرَقَاءُ النفس الكلية وهو اللوح المحفوظ ، العُقَابْ القلم هو العقل الأول ، الغُرَاب الجسم الكلي(٤) ، الشجرةُ الإنسان الكامل ، السمسمة تدق عن العبارة ، والدرةُ البيضاء العقل الأول ، الزمردة النفس الكلية ، الحرف لفظ اللغة وهو ما يخاطبك به الحق من العبادات ، السكينةُ ما تجده من الطمأنينة عند نزول [الغيث](٥) ، التداني في معراج المقربين ، التدلي نزول بنزول المقربين ، ويطلق بارا نزول الحق إليهم عند التداني(٦) ، الترقي في الأحوال . وافهم واعرف نفسك السائل السائل(٧) ، بأي نظر إلى نفسه ، جميع المكروهات والمحبوبات ؛ فإذا رأينا مثلاً ؛ رأينا حقاً ، بل كلامنا مع من له بصيرة وليس بأكمه ، فمن لم يعرف نفسه فهو أكمه وأعمى ، وقبل ذهاب الأكمهية والعمى ؛لا يصل إلى هذه المعاني ، وهذه المخاطبة مع الله لا غير الله ، وخطابنا مع من له عزم وهمة في طلب العرفان ، ومن طلب معرفة النفس ، ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، تجلي إلى ورد الحقائق(٨) هي هذا التجلي ، إنما يتحقق به من ليس له مطلب سوى الحق ، من حيث تعلق الهمة ؛ لا من حيث الكشف ، والتعبير بالجمال المطلق ، فتبدوا الحقائق في أحسن

---

(١) في (ب) إعانته .
(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وليس في الأصل .
(٣) في (ب) : العنقاء هي : الهيولي التي فتح بها ....
(٤) في (ب) : الغراب الجسم الكلِّي هي الشجرة .
(٥) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل الغيب .
(٦) في (ب) التدلي .
(٧) في (ب) السائل سائل .
(٨) في (ب) : تَجَلّى ، ولعلّه : التجلي إلى ورود الحقائق .

صورة ؛ بأحسن معاملة ، بسلطان معرفة الحق ، هو النافذ(١) أمره بحكم ربه ، وما ذلك على الله بعزيز ، وانظر واسمع ما أقول لك به ، وهو الحق المبين ، ولهم ما يشاؤون عند ربهم ؛ إن كنت ذا فهم ، افهم الإشارات [بالمعنويات](٢) المعجونات بماء التوفيق ، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [سورة هود : آية ٨٨] ، اللهم أنعم علينا وعلى من أقبل إلينا بمعرفة النفس ؛ فتكون معرفة الحق . وسئل سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه حيث قيل له : يا إمام هل لك أن تعرفني بنفسي ؟ ، ولأن النفوس [أربع](٣) نامية نباتية(٤) ، ونفس حِسيَّة حيوانية ، ونفس ناطقة قدسية ، ونفس نورانية كلية ، فافهم الإشارة كفاية لك عن العبارة ، ونقول : يا متوجه إلى ربه يا مخلصاً في تحقيق عبوديته ، المنظوم في سلك العبودية الرِّقِّية المحضة ، ويكون في سلوك طريقة سلوك القلوب الواعية فالتصديق الحقيقي والغيبة عمَّا سواه(٥) ، ونجمعك بجوامع هممنا إذا صدقت وأقبلت ، فتنفتح لك أبواب منغلقه ، ومن كابد نفسه واستوت غيرته(٦) في طريق الهداية ؛ فَسَيُسَرَّج في قلبه سراج النور إلى مقصوده ، وهذا لك إذا صح فيك ، وأثبت وعرّج واشتاق إلى حضرة المقاصد كلها ؛ فتنفجر عليك ينابيع الحكم البالغة ، هي(٧) حقيقة معرفة السر الذاتي ، فاخرج من [دَهَشْ](٨) الكون والكائنات ، فكل ما سواه حقيقة في عدمه وفنائه ، فيعد طلب البقاء بالله سبحانه وتعالى بعد فنائه ، ورقى(٩) مراقي العزة ، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ

(١) في (ب) : فأحسن معاملة سلطان معرفة الحق ، ولعلّ العبارة : سلطان معرفة الحق هو النافذ أمره ...
(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : المعنويات .
(٣) ما بين القوسين في (ب) وليس في الأصل .
(٤) في (ب) ناهية ساهية .
(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : ويكون في سلوك طريقة سلوك أهل القلوب الواعية بالتصديق الحقيقي والغيبة عمّا سواه .
(٦) في (ب) عبرته .
(٧) هكذا في الأصل ، ولعلّها : التي هي .
(٨) ما بين القوسين ليس في الأصل ولا في (ب، ج) وفيها: دمش .
(٩) هكذا في الأصل و (ج) ولعلّها : وارقى .

يَعْلَمُونَ ﴾[سورة المنافقون : آية ٨] ، ولا تستكثر معرفة الوجود ، والكثرة جعلها[1] واحد ، قوله تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[سورة لقمان : آية ٢٨] ، فانطمست الكثرة والكل ؛ في هذا النفس ، وهي النفس الرحماني الذي دارت عليه الأفلاك ، وهو السر المحمدي ﷺ ، فإن كنت عارف ؛ فافهم هذا العلم والرمز والإشارة ، فخذ ما استطعت منه ، واطلب ربك[2] موجود في كل فطرة ظاهر[3] مع ستر البشرية ، والله سبحانه وتعالى في كبريائه ، وعَزَّ جَلالُه تعالى أن يوصف بوصف من الأوصاف ؛ بل هو منزه عن الأثر والعين ، (كان الله ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان) ، الحديث النبوي عليه الصلاة والسلام : (إن لم تكن تراه فإنه يراك) ، مقام الإحسان ، وهذا مقام حق ؛ لكنه متواري عن الجملة من المسلمين ، والنفس الرحماني للقاصد ؛ معراج التجلي ، الرافع لحجاب العلم ، الشاخص إلى روح المعاينة ، فهو معراج عرج بالقاصد إلى حضرة المقصود ، ومن فهم رسمه وعبوديته وفناءه وإن ظهر بالرسم ؛ فهو يفتخر به على الكون كله، لم ينطق بحاله ، بل كان [اخبارا][4] بالحق عن الحقيقة على ما هي عليه ـ لا فخراً ولا إظهاراً ـ بصدق المحبة والإتباع لسيد المرسلين ؛ بصحة المتابعة في قوله : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) . والله الموفق في اسماء الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا ﴾[سورة التوبة : آية ٤٠] ، فما فهم أبي بكر[5] مَعِيَّة الحقِ وقُرْبِه ؛ في تلك الساعة مع الحزن والخوف ، والرسول على نعمته وشرح صدره ، فلا عنده منهم مهمة ، ولا من الكل البتة ، وما خُلِقتَ الخلائق الكل الجن والإنس ، إلا من فيض مدده من الله سبحانه وتعالى ، ومحبته إليه ، فقال لنا :

(١) هكذا في الأصل ، ولعلها : اجعلها .
(٢) في (ب) ذلك .
(٣) في (ب) طاهر .
(٤) ما بين القوسين في (ب) . وفي (ج) راجياً ، وفي الأصل : راجياراً.
(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : أبوبكر .

(اعرفوني ؛ تعرفوا ربكم ، واسمعوني ؛ تسمعوا ربكم) ، فطلبنا العلم به مع الأدب ، والعلم بـه أن ينظر إلينا الله ، في كل ما يفتح عليه يبصره أو يسمعه[١] ، أو يعلمه بمطلب ربه ، الله سبحانه وتعالى فيه وبه ومعه ، وأن لا توهم[٢] ولا مَعِيَّة صحيحة ؛ قد نزهه عنها عُلُوُّ جده وشموخ عظمته ، فهمناه بخبره أولاً بكل ما يطلبه ، والله أعلم .

وتستقر اسماء الذات جل ذكره إلى حيث انتهى علمه بها ، والموجودات لا تستكثرها في طلب التعين[٣] ، فلا يشغل العارف شيء عن ربه ، وسنعرض الموجودين[٤] العلم والوحي وما يؤول إليه ، وعلى القول بالإجمال ذلك من أمور الدنيا والآخرة ، فذلك شيء له بعض المراد من عظم[٥] هذا الاسم العظيم ، وأن عنه انفتق العلم[٦] كله ، وَوُجِدَ الوجود أجمعه ، وقد نص على هذا في حكاية وعلم ، وقبلنا قول[٧] وجوده الظاهر في مظهر العبد في الصفات ، الاتصال[٨] يوجب شهود الحق، تفنى فيه الرسوم شيئاً فشيئاً في وجود الحق ، فَيُفْنِيْ اسمُهُ الظاهرُ ظاهرَ العبدِ ، واسمه الباطنُ باطنَهُ ، ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [سورة فصلت : آية ٥٤] ، ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سورة سبأ : آية ٤٧] ، ويفهم اللبيب ويعرف نهايات الخير[٩] في بدايات الأعيان ، أي غاية ما حصل له من المعارف ؛ بالعلم النقلي الحاصل والثابت ، مَنْ أَخَذَهُ يكون على الكتاب والسنة ، يعرف به بالصفاء[١٠] في مبادئ الأعيان بالفناء ، أي كل ما عرف من التصريفات الإلهية يراها عياناً ، حجاب

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها: يبصره أو يسمعه أو يعلمه .

(٢) في (ب) يوهم .

(٣) في (ب) العين .

(٤) في (ب) واستعرض الوجود العلم والوحي .

(٥) في (ب) يعظم .

(٦) هكذا في الأصل ، ولَعَلّه : العالم .

(٧) في (ب) قوله .

(٨) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فالاتصال .

(٩) هكذا في الأصل ، ولعلّها : الخبر .

(١٠) في (ب) بالصفات .

العلم يضمحل ؛ إذا نزل في علم الأعيان ، وانطوى حس التكليفات من الله على العبد ، لأنه رآها بعين الخَلْقيّة[١] ، فإذا صار الحق سمعه وبصره ؛ رآها بعين الحقيقة أفعالاً ، صادرة من الله يلتذ بها ، لأنها تجليات فعلية من الحق ، صادرة من الصفات الإلهية ، تجلت في صفات الصُّور ، وفيها تنزه حق الربوبية ، منزه في حقيقته ، فكون[٢] ما تجلى على العبد من ربه ، تجلى في عزه وبقائه ، وعظم سلطانه .

* * *

﴿فصل﴾

(٨٧)

والعبد مجلى التجلي الحق ، مع انمحاقه وفنائه في بقاء الحق عند تجليه في العبد ، وعَزَّ العبدُ بها؛ لمظهريته لها ، قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة المنافقون : آية ٨] ، وقول الحق : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[سورة طه : آية ٩٨] ، والاسم الأعظم ووصله به ، التوحيد يعرف بنفي الإلهية عمّا سواه ، وانتهائها[٣] بلفظ الحصر له (وحده لا شريك له) ، فقد فصّل بهذا الخطاب ما أجمل في الاسم ، وما أجمل في الخطاب فصّله في القرآن والوجود أجمع فافهم ، فإنه ملأ كل شيء وجوداً ، وكما أنه ليس يعزب عن علمه وقدرته ومشيئته مثقال ذرة في الوجود ، ولا أصغر من ذلك ولا اكبر ، كذلك لا يخلو من مكان في الحضور

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بالعين الخلقية .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فكل .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّه : وانتهاؤه .

والشهود ، وهو الحق المبين ، ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ٢٣] ، ولو أنهم طلبوه هاهنا لوجدوه حاضراً، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[سورة الحديد : آية ٤] ، ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[سورة سبأ : آية ٤٧] ، حاضر مشهود حقيقي ، لكنهم اعتقدوا البعد ، وسبق إلى أفهامهم مع الغفلة قطع المسافة ، ومن لم يعتقد ذلك المتقدم ذكره عقداً ؛ ربما حجب عن قرب وجوب وجوده فعلاً ، فهم يطلبون صانعهم والقائم عليهم في جميع شأنهم ، الذي به قوامهم ، وجمع[1] وجودهم ؛ فلا يجدونه ، وربما وجدوه فأهملوه ، وذلك حين تولتهم الغفلة ، وأذهلتهم عن حقيقة شهوده وكرم[2] حضوره ، فمن كان طالباً له حقيقة؛ فليطلبه في وجوده المتوالي ، وظهوره الواسع العميم ، فيطلبه في خِلقةِ نفسه ، وجميع ما خلقه من شيء من سماء وهواء ، وأفلاك ونجوم وبحار وأرض وجماد ونبات وحيوان ، وجزئيات الأزمان[3] ، واختلاف الليل والنهار ، وتفصيل ذلك على فصوله وآياته ؛ بمعهود ما في ذلك من النفع والدفع وبلوى وامتحان ؛ حتى يكون ما عدا ذلك آثار ، على ما يشاء من قبض وبسط ، فهو سبحانه وتعالى جل ذكره . وَنُعَرَّفُ شيء من ذلك[4] الآثار ، وحاشا أن تكون معرفتنا به من ذلك ، وذلك الوجه الذي نشأ التعريف به من نعم أو نقم ، قال الله تعالى عز من قائل : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ﴾[سورة النحل : آية ٥٣] ، فَذَكَرَ النعمة على تواليها وتتابعها ثم قال : ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾[سورة النحل : آية ٥٣] ، قال ذلك عز من قائل : ﴿ اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[سورة الرعد : آية ٢] المعنى ، ونظائر هذا كثير ، وكل شيء مطابق لما قاله في القرآن لمعاني ما جاء في الآيات المختلفات ، وهذا موضع الكتاب المبين

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وجميع .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وكريم .
(٣) في (ب) وجريان الأزمان .
(٤) لعلّها : من تلك .

، والله عز وجل كل الكل ، وإليه يرجع الكل مرشداً إليه ، ومعبر عنه ، وإلاَّختصار يوجب الاقتصار ، وإلا فالوجود واسع والمقصود أعظم .

* * *

﴿فصل﴾

(٨٨)

وهنا عليك بالاعتصام بالله ، وهو التوقي عن كل موهوم [أي عن كل ما سوى الحق ، فإن وجود الغير موهوم][١] لا تحقق له ، والتخلص عن كل شك باليقين العاني[٢] ، فالتردد من لوازم الشك ، ومن تحقق بالحق ومقام الشهود لا يَحُوم الشك حول مقامه ، قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾[سورة الذاريات : آية ٥٠] الفرار هو الهرب مِمَّا لم يكن إلى من لم يزل ؛ لأن هذا الفرار بالحقيقة هو الهرب من الغير والسوى إلى الحق ، والسالك الجاهل بهذا العلم [اللدني][٣] يقف على توهم وجود الغير ، ويرى استقلال الظل الخيالي بنفسه . الحقيقة الأزلية تنزهت أن تتصل بشيء أو تنفصل ، فإنها عين الاشياء وما عداها العدم الصرف ، فلا شيء غيره يتصل به أو ينفصل عنه ؛ فإن الاتصال والانفصال ، لعظم تفاوتها في الاسم والرسم في اللفظ والمعنى ؛ شيئان في العلة ، أي كلاهما علة ومرض لا له انتهاء على التشبيه ، والتشبيه في شهود الحقيقة الغير حتى الصفات التي هي اعتبارات أو نسب لا وجود لها في الخارج ، وكما قال سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : (كمال الإخلاصِ له ، نفيُ الصفاتِ عنه) ، ونقول : (عليك بإسقاط الهوى

(١) ما بين القوسين في (ب) وليس في الأصل .
(٢) هكذا في (أ ، ب ، جـ) ولعلّها: العَيَاني ، أو : الغاني ، أي : المغني .
(٣) ما بين القوسين في (ب) .

ومحبة المولى ، أَبَت المحبة أن تستعمل محباً لغير محبوبه) ، قوله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[سورة المائدة : آية ٥٤] ، ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾[سورة طه : آية ٣٩] . الباطن للطافته ، من قوله : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، والمُوصِل [للطائف النِّعَم](١) التي يحسن موقعها عند المُنْعَم عليه ، قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾[سورة الشورى : آية ١٩] ، أعني الظاهر المطلع على الأشياء ، فلظهوره بصورة الكل؛ قال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[سورة ق : آية ١٦] ، والاطلاع على الأحوال الكل(٢) ؛ ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[سورة البقرة : آية ١٨٦] ، الذي أظهر سرائر العارفين من كرائم الكَلِمْ هي المعارف والحقائق من الأسرار(٣) الإلهية المختصة بسرائرهم ، أي قلوبهم الصافية البالغة مبالغ الأرواح في الترقي ، وكمائم الحكم هي خزائن الاسماء الإلهية المتوسطة بين الذات الأحدية ومن أصحب الاستعدادات البشرية(٤)، وشبَّهها ترشيحاً لاستعارة الأمطار الإفاضية ، واللطف للحكمة ، وفيه إشارة إلى أنها مواهب كالمطر لا مكاسب ، وَأَلاح لهم لوائح القِدَم في صفائحِ العَدَمْ ، [أظهرت](٥) لهم أنوار القدم بالكشف وهو سُبُحَات وجهه الكريم ، الحَالَّة بالتجلي الذاتي الأقدس في حقائق الأعيان الثابتة في القدم ، فشبه أعيان العارفين قبل وجودها في عالم الشهادة المنتقش ؛ بالمعارف الكامنة في غيب الذات المتجلية بصورها ، ودلهم على أقرب السبيل ، هي طريق(٦) الأحدية السارية في الكل ؛ التي هي الصراط المستقيم المخصوصة بالرب ، وقوله تعالى حكاية

---

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل ، وفي الأصل : الموصل للطائف إلى النِّعَم .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : على أحوال الكل .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها: الذي أظهر من سرائر العارفين كرائم الكلم وهي المعارف والحقائق التي هي من الأسرار الإلهية .... ؛ أو لعل المقصود : أن سرائر العارفين هي من كرائم كلمات الله التي أظهرها .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : المتوسطة بين الذات الأحدية وبين أصحاب الاستعدادات ...

(٥) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : ظهرت .

(٦) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وهي طريق .

عن هود عليه السلام : ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة هود : آية ٥٦] ، ولا شك أنها أقرب الطرق إلى المنهج الأول ، أي التنزل في المراتب الذي[1] في الاتحاد ، بترتيب التعينات ؛ حتى اختفت الهوية الإلهية في الهوية البشرية ، فأقرب السبل هو رفع حجاب التعينات عن وجه الذات الأحدية ، السارية في الكل ؛ بالمحو والفناء في الوحدة ، حتى أشرقت[2] سبحات جماله فَتُحْرِقُ ما سواه ، كما [أشار إليه قوله][3] عليه الصلاة والسلام : (إن لله سبعين ألف حجاب) الحديث ، وفي كلام علي كرم الله وجهه : (الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة) ، ﴿ فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج : آية ٤٦] ، تأدبوا بآداب الروحانيين بين يدي الله سبحانه وتعالى ، ويودع سرائره ودائعه[4] في خلقه ، هم أمناء الله ، حافظين سرائره[5] ، حافظينها لا يحل لهم كشفها لغير أهلها ، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأول الآخر الظاهر الباطن ، يدل على شهادته عن عيان وكشف ذوقي فوق الشهادة الإيمانية العلمية .

* * *

﴿فصل﴾

(٨٩)

---

(١) لعلّها : التي .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : حتى تشرق .

(٣) ما بين القوسين في (ب) . وفي الأصل : كما أشار إليه وقوله .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها: أسراره وودائعه .

(٥) لعلّها : أسراره .

واعلم أن من جلس معنا ، وتوجه بحسن النية على بساط مجالسنا ومحبتنا أو ذكرنا ، أو تعرف بمعرفتنا ؛ نالته الوصلة والرِّفعة ، والعفو عنه في الجناية ومحو الجرائم ، جل ربنا أن يعصى عناداً ، أو أن يطاع استناداً ، وعندنا في القريب من أصحابنا[١] ؛ يُعطى ثلاثة أشياء : سلامة الصدر ، وسخاوة النفس وحسن الظن في عباد الله . والدنيا كل ما شغل عن الله ، والنفس عبارة عن كل حالة مذمومة. رفعنا عن المتوجه المريد المخلص التجليات والجليات ؛ وأدخلناه مقام الفناء ، وقبضناه قليلاً قليلاً ـ إلى اضمحلال الرسوم الخلقية ؛ في عين الحق ـ عن رؤية الخلق ، مع الحق بالحق ، في مقام البقاء بعد الفناء ؛ لقلة مقدارهم ، بحيث لا يحتجب الحق بهم ؛ لانعدامهم وكونهم صور صفاته واسمائه ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ۞ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً ﴾[سورة الفرقان : آية ٤٥ ـ ٤٦] ، أكتب يا فقيه الإشارة على ما هو ، وعاد لهم أسرار لا تباح . وصلوات الله وسلامه على نبيه الذي أقسم به في إقامته بحقه محمد وآله ، فهم أخص الشهود ، الخليفة[٢] بالصفوة ، وهو أصفى الأصفياء ، ذكره باسمه الصفي ، وصلاته إفاضته الكمال والخير التام عليه ، [وسلامه][٣] تنزيهه وتطهيره ، عن النقائص كلها ، لصفاء فطرته وسريرته ؛ الذي أقسم الله به في القرآن العظيم قوله : [لعمرك] يا محمد أي وحياتك يامحمد ﷺ ﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[سورة الحجر : آية ٧٢] ، معناه لولاك يا محمد ما خلقتُ خلقاً ولا فلكاً ولا سماءً ولا أرضاً ؛ إلا في محبتك ، وكذلك ما خلقت الجنة والنار إلا في محبتك ، فالجنة لمن اتّبَعَكَ ، وامتثل أمرك ، وانقاد بحبل امتثالك وشريعتك ، والنار لمن عصاك وخالف أمرك ، فصح العذاب عليه ؛ لأنه صد عن بابي ، وبابي بابك وأمري أمرك ، وأنت سمع

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : والقريب عندنا من أصحابنا .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّه : وهو الخليفة بالصفوة.

(٣) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : سلامه .

الكل ، وبصر الكل ، فلا تزال طوائف ملائكتي جنودك وتحت أمرك ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [سورة الحشر : آية ٧] ، وقوله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٣١] ، والذي أقسم الله به مرموزاً بالإيماء إليه ، فهو سيد المرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، نائب الكمال الكلي والتكميل ،على أنه أقامه تعالى في بدائع الرسالة وأدائها ، والدعوة إلى الله على بصيرة ، مع ثباته على الصراط المستقيم ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وهو طريق التوحيد الذاتي ، قوله تعالى : ﴿ يس ۞ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة يس : آية ١ـ٣] ، عليهم السلام ، حياة الوجود بحياته ، حضرته حضرة الجمع ، وهي حياة الحق ؛ لاضمحلال الرسم للعبد بالفناء فيه والبقاء به ، وبوجوده وحياته بحياته ، وشهود قيومية الحق للكل ؛ بحيث لا يرى شيئاً من الأشياء إلا وهو قائم بالله .

* * *

﴿فصل﴾

(٩٠)

وعليك بالجمع الأحدي ؛ بسقوط التفرقة وفناء الرسوم ، ومحو العلوم ، وأَزِلْ مسمى السوى ؛ ولم يجد صاحبه إلا الحق ، ولا يرى غيره ، وصحة التمكين فقد نفى رسم شهوده ، المستلزم لنفيه رسم الشاهد ، فلم يبق عند نفيه ورسمه ، والاعتدال بها بالبقاء التام ، أن لا يرى بالحق شهود الحق إياها ، فلا رؤية له ولا شهود ، ولا رسم بوجه من الوجوه بالغيبة عنها ، وشهود الحق فنائها فيه، وهو على ثلاث درجات : جمع علم ، ثم جمع وجود ، ثم جمع عين ؛ فأما جمع

العلم فهو تلاشي علوم الشواهد في العلم اللدني صرفاً ، فانتهى التلاشي ، التفاني[1] وصيرورتها لا شيء محض . وعلوم الشواهد علوم الاستدلال ؛ فإن الشـواهد فـي المصـنوعات مـن الأكـوان ، والآثار يستدل بها على الصانع ، وتفانيها في العلم اللدني ، وهو انطماسها وانمحاء رسومها ؛ عند تجلي العلم اللدني ـ أي علم الحق الأزلي ـ صرفاً خالصاً من شوب التلوين ؛ حتـى تظهـر تلـك العلوم ، وصاحب اللدني الحقي نازلاً بعلم دائماً إلهي بإلهـام الحـق[2] ، والتوحيـد الـذاتي ، فهـو الشاهد بنفسه لنفسه ، فلم يشهد أن لا إله إلا هـو غيـره ، فمـن تحقـق هـذا بـذوق شـهد التوحيـد بالحقيقة ، التوحيدُ : تنزيه الله عز وجل عن الحدث ؛ بتجرد التوحيد ، ليقصد تصـحيح التوحيـد ، وما سبق من حال ومقام ؛ فكله مصحوب بالعلل ، التوحيد : تنزيـه اللـه عـز وجـل عـن الحـدث مـُجَمَّل ، يتناول تنزيه[3] العقلاء من الحكماء والمسـلمين ، وتنزيـه العرفـاء مـن الموحـدين ، لأن جميع العقلاء أهل الفكر ؛ يدعون تنزيه الله عز وجل مع كونهم مقيـدين ، لأن العقـل لا يقـول إلا بالتعقيل ، ويثبتون الحق وينفونه عن الحق وينزهونه ، ونحن نقول والله أعلم : لا للحـدث ثبوتـاً أصلاً رأساً[4] ، وشهود التوحيد نفيه عن أصله ، فرحلنا إلـى أنـه شـيء واحـد ، الحـق تعـالى حـق توحيده الذاتي ، وما ثم إلا الأحدية الصرف ، ولا يدل عليها شاهد ؛ لفناء الكل في الشـهود الـذي هو عين الحقيقة ، فهو الدليل والمدلول ، والشـاهد والمشـهود ، ولا تسـتحقها وسـيلة ؛ لارتفـاع الوسائل عند إشراق نور الحقيقة ، وتنقطع عند تجلـي المسـبب ، فهـو اصـطفاء محـض ، وجـود صرف ليس للسكينة[5] فيه مدخل ولا مجال ، وكن من أهل أركان هذه المعرفة. مشاهدة القرب هو

---

(١) في (ب) : هو التفاني ، ولعلّ العبارة : بانتهاء التلاشي والتفاني ....

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : وصاحب العلم اللدني الحقي يتنزل دائماً بعلم إلهي بإلهام من الحق . وفي (ب) وصاحب اللدني الخفي نازلاً يعلم دائماً إلاّ بإلهام الحق .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : عن الحديث مجملاً ، ويتناول .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : أصلاً ورأساً .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : للكسب .

شهود كل شيء في كل شيء ، وذلك بانكشاف التجلي الأول للقلب ، تشهد الأحدية الجمعية بين الاسماء كلها ، اللهم أرزقني العلم اللدني ، والمشرب الصافي الهنيء ، يا وهاب يا غني ، اللهم أفض علينا من علوم الغيب والشهادة ، لأهل حضرتنا الشريفة الفانين في تحقيق الإرادة ، وأخرجهم من غفلة النسب والعمل(١) ، ونسبة المحبة لا تبدل ، والعمل إن لم يسلم من القوادح والرياء والسمعة ، لمظهر طلب المنزلة(٢) عند الخلق ؛ وإلا فهو عطب وكفر بالنعمة ، إن استند باستناده إلى علم الرقائق ؛ فهو كفر صرف ، وإن أسنده إلى الشريعة وهو موحد له حرمة لا إله إلا الله ، والتسليم أسلم ؛ لأنهم مساكين ، يظهرون محاسن أقوالهم وأفعالهم ؛ لتكون لهم المنزلة عند الخلق ، نسأل الله العافية من صفاتهم وذاتهم ، ونعلم علوم من كل فن ، لكن ما صح إظهار مساوئ الخلق ، والحق سبحانه سمّى نفسه الغفار والستار ، قال الله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[سورة الحج : آية ٦٢] .

* * *

﴿فصل﴾

(٩١)

والـمَعِيَّة بصفة وصفتين ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾[سورة طه : آية ٤٦] ، وَرُبَّ عبد أشهده معيته له مطلقاً : كقوله ﷺ لأبي بكر : ﴿ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا ﴾[سورة التوبة : آية ٤٠] ، ومعية الصفات عامة لجميع المخلوقات ، وإنما اختصاص الأنبياء والأولياء ؛ بالشهود والتأييد

(١) في (ب) : عن غفلة النّسب و العلم .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : لطلب مظهر المنزلة عند الخلق .

بالروح منها ، ونقول في مناجاة السلوك السَّابق في آخر قيام آخر الليل(١) ، ننطق ونقول : قال لـي ، وأعطاني ورضي عني ، وقلت له : نعم ، وقال : هذه المخاطبـة لخـواصٍ مـن المقـربين ؛ ولكـن للعامة نصيب ، لكن أنا شهدت ، وهم لا يشـهدون ، وافهـم أن لصـاحب جمـع الجمـع مـن كـل المقامات ورادات ، وفي كل الحضرات له مشاهدات ، ومن كل الاسماء عليه تجليات ، فإنَّا نتكلم بلسان الحقيقة مع الاستهلاك صرفاً ، وتارة بلسان الصحو صرفاً ، أو مـع شـيء مـن [السُـكر](٢) ، والحق تعالى ليس في ذاته سواه ، ولا في سواه ذاته ، وإن نطقنا في الحقيقة فهـو حـق ، وإن ظهـر الحق فيه فهو عبد محض ، فهو المحبوب المقرب ، فلما(٣) ذكرنا في أول هذا اللفظ العزيـز ، مـن بعضه لبعض(٤) .النور هو الوجود الخارجي المنسوب إليها ، فَبَيَّنَ ظلمـةَ عـدميَّتها ، النـورُ الظـاهر بصورها صار ظلاً ؛ لظهور الظل بالنور ، وعدميتِهِ في نفسه ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَـرَ إِلَـى رَبِّـكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [سورة الفرقان : آية ٤٥] ، أي بسط الوجود الإضافي على الممكنـات ، فالظلمـة الـذي(٥) بإزاء هذا النور هو العدم ، وكل ظلمة ؛ لعدم النور ، كما كان من شأنه أن يُنَوَّرْ ، ولهذا سمي الكفر ظلمة ؛ لعدم نور الإيمان عن قلب(٦) الإنسان ، الذي من شأنه أن يتنور ، قـال اللـه تعـالى : ﴿ اللّـهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٥٧] ، الظل الأول هو العقل الأول ؛ لأنه أول عين ظهرت بنوره تعالى ، وصلت الكثرة التي هي شؤون الوحدة الذاتية ظل الإله ، وهو الإنسان الكامل ، المتحقق بالحضرة الواحدية ، فهو الساري فـي جميـع الـذرات ، وهـو التوجـه

(١) في (ب) في قيام آخر الليل .
(٢) ما بين القوسين في (ب) . وفي الأصل ، (ج) : الشكر .
(٣) في (ب) : فما .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فمن بعضه لبعض .
(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : التي .
(٦) هكذا في الأصل ، ولعلّها : في قلب .

[الحُبْيِّ][1] المشار إليه في : (كنت كنزاً مخفياً لا أعرف ، فأحببت أن أعرف) ، فظهر بتجلي الحقائق ، وهي غاية الغايات ، ونهاية النهايات ، ومجمع البحرين ، ومقام قاب قوسين ، وحضرة جمعية الاسماء الإلهية . مقام الفناء المحض هي الحقيقة ، وهي طلوع الوجه الباقي ، حجب الصفات عنه لِتَفْني[2] سبحاتُ وجهه ما سواه فلا يبقى الإشارة إلى شيء ، كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦ــ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، ومِصْدَاق ذلك قوله ﷺ : (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ، ما انتهى إليه بصره من خلقه) ، قوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾[سورة النجم : آية ١٧] ، وسكت غيره ، ما قل منه بكثير[3] ؛ كما كان حال موسى عليه السلام عند قوله : ﴿ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٤٣] ، بالنسبة إلى حال محمد ﷺ ، عند قوله : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾[سورة النجم : آية ١٧] ، ولا يلزم من تجليه حصول الحقيقة ، كما قال بعضهم في هذا البيت شعراً :

شربت الحب كأساً بعد كأس
فما نفد الشراب وما رويت

وقلت أنا :

شربنا من شراب الأكرمينا
مداماً كأسه بحر الدراري

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل ، وفي الأصل : الحيي ، وفي (ب) : الحي .
(٢) في (ب) : وهي طلوع الوجه الفاني حجب الصفات عنه لِتَلَقِّيْ سبحات وجهه .
(٣) هكذا في الأصل ، ولَعَلّ العبارة : وسكَت غيرَهُ ما قَلّ منه ، (أي : من النور المشرق من سبحات وجهه عند كشف الحجب) بكثير ، أي : مِمّا أطاقه سيدنا محمد ﷺ وتحمله فما زاغ بصره . .

وبانـــت مـــن ســـرائرنا شمـــوس
تُغِيـــبُ الشـــمسَ في ضـــوءِ النهـــارِ

وغُصْـــنَا في بحـــار الســـرِّ الأكـــبر
وأُعطينـــا المعـــارفَ في الطـــواري

ونِلَنـــا في النهايـــة ســـر غـــامض
فـــلا ظهـــرت خفـــاه والســـراري

ولا زلنـــا مقـــام الصـــحو حتـــى
رأينـــا في الســـرائر كـــل ســـاري

حقـــائق كُـــلَّ كُـــلِّ الكـــلِ عنهـــا
بســـر غـــامض فـــوق الســـتاري

مناطقهـــا بســـر لـــيس فيـــه
ســـوانا في العلـــى أو في القـــراري

فليلـــي كلـــه نـــور وشمـــس
وســـكري دائمـــاً ليلـــي نهـــاري

﴿فصل﴾

(٩٢)

فافهم عين الجمع لفناء الرسوم ، فعلى قدر محو الرسوم يكون القرب ، وعلى بقائها يكون البعد ، فليس الحجاب إلا أنت ، فهي مثبتة فمتى فنيت ظهرت الحقيقة ، والحقيقة مظهرها إذا غابت بدت ، وإذا بَدَت غابت وهو سر خفي لطيف ومعنىً عظيم ، فلا نزال نطالع الجمع ؛ بفناء

الكل في عين الذات ، وهو المطلوب ؛ يعني بالشهود ، وانفراد الحق في كل ما يصدر عن الكون ، من الحركة والسكون والقبض والبسط ، فلا نرى شيئاً فيها من غيره ، ولا واسطة في وجودها ، بل نشهد ظهوره في صور المكونات ، فيحرك ما تحرك بانفراده ، ويُسَكِّن ما سكن وحده ، هو الباسط بالحركة والقابض بالسكون ، ونعرف أنه الـمُصَرِّف إلى التفرقة ؛ من يتأول منها ويميل إليها ، وإلى الجمع أي الحق ، وهو الحق المبين يهدي من يشاء ، إشارتنا إلى حضوره في جميع الموجودات ، ووجودِ كريمِ مُشَاهَدَتِهِ وَقُرْبِهِ من كل شيءٍ خَلَقْهُ ، وهو ما يخبر عنه نص القرآن العظيم ، قوله الحق : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٧] ، وقوله : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً ﴾ [سورة يونس : آية ٦١] ، والله سبحانه وتعالى هو شهود كل شيء قبل كل شيء ، وذلك بانكشاف التجلي ، وإذا عرفته كانت أنفاسك به ، وحركاتك له ، وإذا جهلته كانت حركاتك بك ، لأنك تشهدها منك صادرة ؛ بخلاف العارف بالله لا يشهد إلا الله تعالى فاعلاً . العابدُ مَالَهُ سكونٌ ، والزاهد مالَـهُ رغبـةٌ ، والصـديق مالـه ارتكـان ، والعارف ماله حول ولا قوة ولا إرادة ولا حركة ولا سكون ، فهو بالله ، و الموجود بالله ماله وجود مع نفسه ؛ لفنائه واستغراقه بالله ، الخلق حجاب وأنت حجاب ، والحق ليس بمحجوب عنك ، نظرك إلى وجودك وعلمك ؛ يحجبك عن ربك ، فشهدنا ما مَنَّ الله إلينا من إيجاد نعمه علينا .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

(٩٣)

وعليك أيها العبد الصادق ، افهم ما عليك من النعم والجود ، ومصدر كل علم الوحدة والتعين ، والوحدةُ اعْرِفْ مَصْدَرَها ، كان الله ولا مكان ، كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان ، ﴿ وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾[سورة البقرة : آية ١١٥] ، ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٨٠] ، ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾[سورة غافر : آية ١٥] ،جل وعلا فاقطع نظرك عن التعينات وتفصيلاتها ، فانهض إلى الحضرة الأحدية ، وإن كنت ذا عقل ولب ، فلا ترى سوى واحد ، فَانْفِ الأعداد وأثبت الوترية ، ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾[سورة الحديد : آية ٣] ، ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [سورة المجادلة : آية ٧] ، (إِنَّ اللهَ وَترٌ يحبُ الوِترَ) ، ومن شهد وحدانيته في نفسه ، ورجوع الأعداد إليه ؛ فقد وحده ، ولا ثم غيره ولا ثاني ، منزه عن المعية ، فليست مع شيء ، ولا معها شيء ؛ لكنه مع كل شيء بالصفات ، كما أنه واحد في ذاته ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾[سورة طه : آية ٤٦] ، كقوله ﷺ كما جاء في القرآن : ﴿ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا ﴾[سورة التوبة : آية ٤٠] ، والتفريد قال الله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[سورة النور : آية ٢٥] ، المسألة الغامضة هي نفي الأعيان الثابتة ، على عدمها مع الحق باسم النور ، أي الوجود الظاهر ، والأمر الذوقي الكشف من نور العقل والفهم والعقل الراجح . شمس الحقيقة هي تجليات الذات ، قبل الفناء التام ؛ في عين أحدية الجمع ، للربوبيةِ سِرٌّ لو ظهر ؛ لَمَا ضل أحد عن طريق الهدى

والامتثالَ للرسول محمد ﷺ ، ولو ظهرت لغاب العبد . السرار[1] انمحاق السالك في الحق عند الوصول التام ، وإليه الإشارة بقوله ﷺ :(لي وقت مع الله ، لا يسعني فيه غير ربي) ، الحديث ، وقوله في الحديث القدسي : (أوليائي تحت قبابي ، لا يعرفهم غيري) . سعة القلب تحقق الإنسان الكامل ؛ بحقيقة البرزخية الجامعة للإمكان لقوله : (أحببت أن أعرف) ، وهو الفيض الأعظم والمقام ، وهو جامع الحقائق المكنونة ، في الذات الأحدية ، [المتحقق][2] بشهود الحق في ظهور اسمائه ، وكشف أهل الشهود ، فأوله قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [سورة إبراهيم : آية ٤] ، والله على ما نقول وكيل ، والله المستعان ، وهو يهدي السبيل . ولا تسكن إلى مألوفات الطبائع ، لأنها تقطع صاحبها عن بلوغ درجات الحقائق ، وافهم هذا العلم ، مَنْ يَكونُ سُرُورُهُ لِغير الحق ؛ يورثه الهموم ، ومن لم يكن في خدمة ربه عز وجل ؛ فهو من أُنْسِهِ في وُحْشَة ، وقال : علامةُ الأُنس بالله ؛ أن تستوحش من جميع الخلائق ، إلا من أهل ولاية الله ، فإن الأُنسَ بأهل ولايته ؛ فهو[3] الأنس بالله ، والتصوف كله خلق حسن ، والخلق الحسن ؛ أن لا ترى قيمة لنفسك ، وما سَادَ مَنْ سادَ إلا ببذل النفس في الخدمة ، والخروج من كل خلق دني . وقال : أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه ، فلما تجلى لنا وجه ليلى بلا خمار ، وشهدنا حقائق وأسرار وعلوم لدنيّة . إن كنت ذا عين وعقل ؛ فما ترى[4] غير شيء واحد ، تشهد كل الأشياء نوريّة . رؤية الأشياء بعين الحق عن الحق ستائر في الممكنات ، وكعبة القلوب نفي الرسوم وفتح العلوم ، فانظر إليه به على انفرادته[5] . وقد بان لنا

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : السِّرّ ، أو السّير .
(٢) ما بين القوسين في (ب) . وفي الأصل : التحقق .
(٣) لعلّها : هو .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فلا ترى .
(٥) هكذا في الأصل ، وفي (ب ، ج) انفراداته ، ولعلّها : انفراده .

المستور وارتفع الستر ؛ وعند ذلك يستوي السر والجهر ، فلما غبنا عن الكل [بالفناء][1] ؛ تَبَقَّى واحد صمدٌ ، لا غير موجود إلا أنت ، يا عبد الحقيقة ، وكن عبد مخلص متجرد على طريقة الفناء الكلي ، فانظر إلى ما قلنا لك ، وأمعن النظر إلى حقيقة الذات الأحدي ، وهو [مقام][2] معرفة الإنسان الكامل ، المُكَمل قطب العارفين ، وإمام الموحدين ، وقرة عيون المحققين ، وارث الأنبياء والمرسلين.

* * *

﴿فصل﴾

(٩٤)

فلما أَبْرَزْنَا وَصْفَه إلى مقام الفناء الكلي ، وغِبْنَا عن فناءِ النفسِ ، وأثبتنا المحو ، وطالعنا رتبةَ المشاهدة والشهود ، ونحن لا نطلب في التوحيد دليلاً ، ولا في التوكل سبباً ، ولا للنجاة وسيلة للأسباب الظاهرة ، ولا نرى لغير الحق ثاني ولا أثر ، ولَـمَّا ذكرنا ما للتوكل[3] سبب لقوةِ اليقين ، والصعود إلى نور التجلي والعيان ؛ لما نشهد في التوحيد ، ليكون عندك أجلى من كل دليل ، فإن نور الحق لا يُدْرَكُ ؛ لشدة ظهوره وقوة نوريته ، والتوحيد تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الحدث مجملا ، يتناول تنزيه العقلاء من الحكماء والمرسلين ، وتنزيه العرفاء الموحدين ، ولا تُثْبِتْ الحدث والرسوم ، فكلها خيالات نزهات[4] ، وترى الحق عين الكل بحيث لا يكون في

---

(١) ما بين القوسين في (ب) . وفي الأصل : بالنفي .

(٢) ما بين القوسين في (ب) . وفي الأصل : المقام .

(٣) في (ب) : لما ذكرنا ما للتوكل سبب ...

(٤) هكذا في الأصل . ولعلّها : تُرّهات .

الوجود شيء غيره ،شهود الفردانية ، وهو[1] أن تشهد انفراد الحق تعالى بالوجود الحقيقي ، وأن الظل الممدود المنبسط على الأشياء ؛ إلى وجود الحق المتجلي في صور تعيناته الذاتية الأحدية ، أي الحق من حيث هو أول الأشياء في أزل الأزل . الاتحاد هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق ، الذي الكل به موجود بالحق، واتحد به الكل ؛ من حيث كون كل شيء موجوداً به ، معدوماً بنفسه ؛ لا من حيث أن له وجوداً خاصاً اتحد به ؛ فإنه مُحَالْ . الاتصال هو ملاحظة العبد عين ما اتصل بالوجود الأحدي ، ونفس الرحمن إليه على الدوام بلا انقطاع ؛ حتى يبقى موجوداً [به][2] بلا انقطاع ، الأعيان الثابتة هي حقائق الممكنات في علم الحق تعالى ، الإنابية[3] الحقيقة الذي يضاف إليها كل شيء من العبد ، كقوله : نفسي وروحي وقلبي ويدي . ألأَيْنِيَّة تحقق الوجود العيني ؛ من حيث رتبته الذاتية ، وافهم [إذا][4] سقطت الإضافية ؛ فهو عدم ، قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾ [سورة البقرة : آية ١١٥] ، وهو عين الحق المقيم بجميع الأشياء ، فمن رأى قَيُّومِيَّةَ الحقِ للأشياء ؛ فهو الذي يرى وجه الحق في كل شيء ، قال الإمام [جعفر الصادق ابن محمد][5] : (من عرف الفصل من الوصل والحركة من السكون ؛ فقد بلغ القرار من التوحيد) ، ويعبر بالوصل عن فناء العبد بأوصافه ؛ في أوصاف الحق سبحانه وتعالى . والجمع غاية مقام السالكين ، وهو طرف بحر التوحيد ، أي في غاية المقام[6] في السير إلى الله وفي الله ، كما ذكر ؛ لأنه بعد الترقي من الحضرة الواحدية للأحدية ، ولا مقام أعلى منه ، ثم بعد ذلك يكون السير بالله وعن الله ، ويكون التولي ، ولا شك أنه هذا المقام ؛ ولهذا يقال أن النبي مقام ولايته أعلى من مقام

(١) هكذا في الأصل . ولعلّها : هو .
(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وليس في الأصل .
(٣) في الأصل : الإيانيّه ، وفي (ب) : الإبانيه ، ولعلّها : الأَنَائِيّه ، أو : الأنانيّة .
(٤) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : إذ.
(٥) ما بين القوسين في (ب) . وفي الأصل : جعفر ابن محمد الصادق .
(٦) في (ب) : المقامات .

نبوته ، وروحها فوق حيثية نبوته ؛ التي هي ظاهر ولايته ، فإن مقام نبوته يكون حيث سيره عن الحق بالحق ، وفي هذا المقام سيره سير الحق ؛ فهذا أعلى ، ومعنى كونه طرف بحر التوحيد ؛ نهايته التي ليس بعدها شيء ، فإن سار في هذا المقام ؛ يكون سيره إلى الرجوع عن الحق إلى الخلق، فالعارف شهد الإخلاص بزوال الكثرة ، وبنفي إحساس الاعتلال(١) ، والبراءة من التلوين ، وصحة التمكين ، فقد نفى رسم شهوده المستلزم لنفيه رسم الشاهد ، فلم يبق بقية رسمه ، ولا اعتلال بها ، فالبقاء التام [أن](٢) يرى بالحق شهود الحق إياها ، فلا رؤية له ولا شهود ولا رسم بوجه من الوجوه الغيبية عنها(٣)، وشهود الحق فناؤها ؛ فهي لا شيء محضاً(٤) ، وبقوله لا تدرك منه نعت ولا مقدار ، ولا رسم معار ، والمح إليه من سار ؛ في عين الوجود المذكور في أنه بقوله ، وجود الحق وجود غير منقطع عن امتناع الإشارة سبحانه وتعالى ، كلما(٥) تحمله الإشارة بعين الشهود الأحدية الصرفة ، ذاتها بذاتها مع انتقال الإشارات ، وحقيقة التوحيد فهو الشاهد بنفسه لنفسه ، فمن شهد أن لا إله إلا هو ؛ فقد شهد التوحيد ، فالحقيقة تنزيه الله عز وجل عن الحدث .

* * *

﴿فصل﴾

(٩٥)

---

(١) في الأصل : بنفي أحساس ، في (ب) : ويبقى إحساس الإعتدال .

(٢) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : أي يرى .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بالغيبية عنها .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : محضى.

(٥) في (ب) : وكُلّما .

ونشير إلى ما أشاروا به العارفين ؛ لقصد التوحيد وتصحيحه وما سواه من حال أو مقام ، فكله مصحوب [بالعلل][1] والقوادح ، والميل إلى ظهوره عن الخلق ، نسأل الله العافية ، فهم أعني أهل هذا الطريق غارقين في بحار الغفلات ، فإن أثبتوا الحجة عليهم ؛ فهو شرك خفي ، وإن سلمنا لهم ، فحكمهم من عامة أهل لا إله إلاَّ الله ، فلهم حُرْمَة الإسلام ، ونص الحديث عنه ﷺ : (منعوا مني دمائهم وأموالهم ، وحسابهم على الله) ، إلا أن يقوموا بحقها ، فانظر إلى ما نشير إليك به ، ألزم حقيقة الظن الحسن في المسلمين الجميع ، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات : آية ٩٦] ، ونذكر في التوحيد الأول شهادة أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . التوحيد الظاهر الجلي ، الذي نفى[2] الشرك الأعظم ، وعليه نصبت القبلة ، وبه وجبت الذمة ، وبه حُقِنَتْ الدِّماء والأموال ، وانفصلت دار الإسلام ، من دار الكفر ، وصحت به الملة للعامة ، وإن لم يقوموا بحق الاستدلال ، بعد أَنْ سَلِموا مِن الشبهة والحِيرة والرِّيبَة ، فَصِدْقُ صِحَّتِ الشهادة ؛ صَحَّحَهَا قَبُولُ القَلبِ ، ويجب قبول التوحيد بالآذان السَّمْعِيَّة ، وهي أخبار الكتاب والسنة ، التي نسمعها من النبي ﷺ ، لقوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [سورة محمد : آية ١٩] ، وقوله : ﴿ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٤٦] ، و ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٨] ، وقوله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص] ، والثبات بالحقائق فهو توحيد الخاصة.

* * *

(١) ما بين القوسين في (ب) ، وفي الأصل : العلل .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ينفي .

﴿فصل﴾

(٩٦)

فلما ترقينا إلى مقام الكشف ، وتخلصنا عن مُنَازعةِ العُقولِ أَحْكَامَ الشرعِ ؛ لِعَمَاهَا عن حِكَمِها؛ واحْتِجَابِها بِقِيَاسَاتها ، وَرَحَلْنا إلى رتبة شهود الصرف الأحدي ، وفهمنا ما فهمنا من سوابق علمه اللَّدني ، من مظهرية نعمه في سابقة مواهبه اللدنية ، فلا رَقَينَا الحِجابات إلا بالإذن والتمكين واليقين ، بسابق علمه وقضائه ، من فيض وسع عطايا الحق لنا . ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [سورة الواقعة : آية ١٠ ـ ١٢] ، وثبت التصديق الإلهي من فيض جوده ، وقوله : ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ [سورة الإسراء : آية ٢٠] . الحمد لله الأحد المنزه عن الشريك المماثل[١] ، أي المنزه عن التعدد والتكثر فيه بحسب ذاته ، الوصفان شيئان لازمان ذاتيان له من غير اعتبار الغير ، فإن الأحدية تنفي اعتبار الغير ، حتى الصفات التي هي اعتبارات ونسب ؛ لا وجود لها في الخارج ، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : (كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه) . القيوم الصمد ، هما صفتان له بالنسبة إلى الخلق ، فإن القيوم هو المقوم لكل ما سواه ، فإقامته بالوجود[٢] حتى يكون به موجوداً ؛ وإلا كان[٣] عدماً محضاً ، وهو وصوله باعتبار وجود الكل به ، والصمد هو الذي يصمد إليه ، أي يقصد لِافْتِقار الكل إليه ، فهو وصوله اعتبار[٤] القدم الذاتي ، الممكنات بدونه ، الموجبُ احتياج[٥] الكل إليه ، ولهذا قيل الصمد الذي لا جوف له ، من قولهم مصمد ، فإن

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : الشريك والمماثل .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها: فإقامته الوجود .
(٣) لعلّها: لكان .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : باعتبار .
(٥) في (ب) : لاحتياج .

الممكن ليس إلا صورة في العلم ، ونقشاً خيالياً لا معنى له ، ولا حقيقة إلا هو سبحانه وتعالى قال الله تعالى : ﴿ أَوَلاَ يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً ﴾[سورة مريم : آية ٦٧] ، واعلم وافهم فلا يخرج في إطلاق التَّقَيُّدْ[١] ، فلا يقيده الإطلاق [بهذا][٢] المعنى ، والإطلاق التقييد ، ولا يخرج عن إحاطته ، ويعرف باسمائه أنه من حيث هو هو ؛ متعين أيضاً حال الحكم عليه بالتعين ؛ لقصور إدراك[٣]، لم تدركه إلاَّ في مظهر ، وسواء اعتُبِر المَظْهر في عَيْنِ الظَّاهِر أو غيره ، وحقيقةُ الخلقِ عبارة عن صورة العلم ، واعلم ترشد إن شاء الله تعالى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير. والله لطيف بعباده ، الباطن للطافته ، من قوله : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، فهذه أعظم نعمة ، وفضل وجود ، شكرنا نعمه ظاهرها وباطنها ، بحسب المنعم عليه ، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[سورة ق : آية ١٦] ، والإطلاع على أحوال الكمَّل . وُسِمَ عبدٌ بالسعادة ؛ عرف الحق وتواضع لأهله ، وإن عمل ما عمل ، وَوُسِمَ عبد بالشقاوة ؛ جحد الحق ، وتكبر على أهله ، وإن عمل ما عمل ، ثمرات القرب واللطف وكرائم الكلم من كمائم الحكم ، ثمرات الحقائق من الأسرار الإلهية[٤] المختصة بسرائرهم ، أي قلوبهم الصافية ، البالغة مبالغ الأرواح في الترقي ، وإن كنت ذا فهم اصحب[٥] الاستعدادات البشرية في سلوك أهل التقوى ، الذين مشوا على قسطاس أسنى الطريق ، فنالوا درجة أهلها على قدر الاستعدادات ، وإثبات الشريعة المطهرة هي الطريق .

❊ ❊ ❊

(١) في (ب) : التقييد.
(٢) في الأصل : بهذه ، وفي (ب) : فهذا المعنى .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : لقصور الإدراك لا تدركه إلاّ ....
(٤) في (ب) : ثمرات الحقائق الأسرار الإلهية .
(٥) في (ب) : أصحاب ، وفي الأصل : اصحب ؛ ولعل العبارة : وإن كنت ذا فهم ؛ اصحب الاستعدادات البشرية في السلوك ، أهل التقوى الذين...

﴿فصل﴾

(٩٧)

والصوفية المحققين للحقيقة ؛ ركوبهم ظهر الشريعة ، وهي شجرة نتائجها[١] حسن الخلق ، والزهد في الدنيا والضعف ؛ حيث لا يرى لنفسه قيمة ، مفتقر إليه في وجوده كلُّ شيء ، ليس بينه وبين الأشياء سبب إلا العناية ، ولا حجاب إلا الجهل ، قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام : آية ٩] ، والتَّلْبِيسُ والتَّخَيُّل ؛ لغاية قُرْبِه ودُنُوِّه ، وَفَرْطِ عِزِّهِ وَعُلُوِّه ، وعنايته في الحقيقة إضافته نوره الوجودي ؛ على من انطبع في مِرْآة عِلمه ، التي هي النسب بعلو نسبته[٢] ، والقرب هو برهان العيان ، عند أهل رتبة الإيمان الصرف ، وكما قال الصديق الأكبر : (العجز عن إدراك ذاك إدراك) ، إشارة لا يدرك[٣] الأبصار إلا هو جل سبحانه وتعالى ، البارئ علم لا جهل فيه؛ والعلم به جهلٌ لا علم فيه ، وهو غاية علم العلماء بجلاله وجماله ، فلا يقابلها إلا هو ، قيل للنبي ﷺ : أ رأيت ربك ؟ ، فقال : (نوراً إني[٤] أراه) فلا يزال حجاب العزة مسبولاً لا يرفع أبداً ، جَلَّ أن تحكم عليه الأبصار ؛ لأنها في مقام الحيرة ، وهنا نص قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ [سورة النجم : آية ٩-١٠] ، ولو أظهرنا وبيَّنا في هذا العلم اللَّدُنِّي ؛ لخشينا أن لا أحد يفهمه ويذوقه ، فنحن رَقَيْنَا منازل واصطفاء[٥] ، فلا يدركها إلا أهلها ، ورؤيته نَصُ الحديث عن عبدالله ابن عباس رضي الله عنه[٦] : أنه ﷺ رأى الحق بعين رأسه ؛ وهو صحيح لا شك فيه ، وكل مشهد لا يشهده منه ؛ سواه ، وكل من تكلم فيه ؛

---

(١) في (ب) شجرة الإيمان .

(٢) في (ب) : التي نسب تعلق نسبته .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : أنّه لا يدرك ....

(٤) لعلّها : أنّى ، أراه . كما ورد في البخاري والله أعلم .

(٥) في (ب٩) : واصطفينا ، ولعلّها : منازل اصطفاء .

(٦) في (ب) : عنهم .

فقد جهل ما تكلم فيه ، وقد أَثْبَتَ الرؤية في الدار الآخرة للربوبية ، وقال في هذا الدار فقال موسى[1] : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٤٣] ، وقال : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٤٣] ؛ فلم يحصل له مدخل إلى الألوهية ، بل قد نفى فقال : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، وأتى بالـْ[هو][2] ، وأثبت أنه لا يدرك ، وهو الصحيح ، قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[سورة القيامة : آية ٢٢-٢٣] ، وبها غلق الحجاب ، فقال : ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[سورة المطففين : آية ١٥] ، وقال ﷺ: (سترون ربكم كما ترون القمر) ، وفي حديث:(كما ترون الشمس)، ذكره مسلم في صحيحه ، قوله تعالى : ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ ﴾[سورة الفجر : آية ٢٢] .

* * *

﴿فصل﴾

(٩٨)

وافهم واعلم أنه لا إله إلا الله ، فهذه كلمة تدل على النفي والإثبات ، هو عين الإِثْبَات ، هو عين النَّافِي ، هو عين المُثْبِتْ ، وكلامنا من كلام الحقائق ؛ لا شيء معه ، ولهذا ما ألطف إشارات الشرع ؛ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ؛ بالشهود هو هو الهوْ ، والقلب والسمع ، كان الله ولا شيء معه ، وتَمَّمَهَا العلماء بالله ، فقالوا : وهو الآن على ما عليه كان ، فكان هو الهو ، وما ثَمَّ إِلاَّ هو ، ونحن موحدون ، وقد أثبت أَنَّ الحَالَ الحالَ ، والعينَ العينَ ؛ فما

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : على لسان موسى.

(٢) في الأصل : بالهو .

ثَمَّ إِلاَّ غَيْبٌ ظَهَرْ وَظُهُورٌ غَابْ ،ثُمَّ ظَهَرَ ثُمَّ غَابْ ، فلو اتَّبَعتَ الكتابَ والسُّنَة ؛ ما وجدت سوى واحد لا يُرى ؛ مَنْ ليس كمثله شيء ، من باب الحيرة ، قوله : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[سورة ق : آية ٢٩] ، الحيرة الإلهية ، فلا يزال العبد العارف بالله ؛ في حيرة ولكن يرجع إلى الصحو ولزوم الباب . آداب القلب علم الرقائق ، وما حَوَتْها من العلوم اللدنية ، وآداب الجوارح وهي تسعة ؛ الزم هذا الباب الواحد ؛ تنفتح لك أبواب السعادة ، فتكون في ظل سعدهم وكهفهم المانع ، وذلك من مواهبه العظيمة ، التي لا تحصى ولا يتناهى عَدَّهَا ، ومَن الْتَوَى بهذا الباب الأوحد ؛ تولته الأمداد(١) الربانية المعنوية ، من حضرة القدس الواحدة الأحدية ، وما ذلك على الله بعزيز ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . افهم ما أقول لك به ، وافهم الحيرة المذكورة ، وما ثَمَّ حيرة ، وكن في أعلى مذهب وأرفعه ، وخذ من الكتاب والسنة ، الحديث الصحيح : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ) ، وصح وعد الحق وثبت ، ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾[سورة النور : آية ٥٥] ، ورضي ﷺ من الحق بانختام النبوة والرسالة والولاية ، فهو ﷺ خاتم الأنبياء خاتم الأولياء ، وخاتم الأولياء خاتم الأنبياء ، ورضي الله عن الصحابة أجمعين ، وعن الأربعة الأعلام الفضلاء النجباء : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن الحسن والحسين ، المطهرين من الرجس ، وهم من ثمرة البضعة(٢) المحمدية عنه ﷺ : (فاطمة بضعة مني يفرحني ما يفرحها) ، ونضِدِّه ، قوله تعالى : ﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[سورة الشورى : آية ٢٣] ، يُعْتَقَدُ في أهل البيت ، أن الله تجاوز عن سيئاتهم ، لا بعمل عملوه ، ولا بصَالحٍ قَدَّمُوه ، وأَمْرُ

---

(١) في (ب) الإمدادات .

(٢) في (ب) وهم ثمرت البضعه .

الشريعةِ لا بُدَّ منه حُكْماً ؛ لكن قوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٣٣]، فمن أذهب الله عنه الرجس وطهره ، لكن نقول حكم الشريعة لابد منه ؛ لئلا يغتر جاهل منهم ، ونقول مثل رجل معه أولاد ، فأخذلهم معلم يعلمهم القرآن العظيم ، فإن استمعوا أمره ، فيكون محلهم الاستماع ، فإن لم يستمعوه كانوا في مقام العقوق ، وحكم الشريعة المطهرة المحمدية ، أنه ولو عقّ لم يخرج من نسب الوالد ، ولا من إرثه في الدنيا ، وانظر في ذلك ، إن كنت ذا فهم وعقل، من هنا ، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٣] ، وقال فيهم شعراً :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه
فلا تترك التقوى اتكّالاً على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارس
وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب

* * *

﴿فصل﴾

(٩٩)

وانظر وافهم ، ولا تأخذ بأقوال المجانين ، الذين غرتهم الأماني ، وهم في حظوظهم ، وهوى نفوسهم ، وحب الجاه وحب المنزلة عند الخلق ، يقولون ما لا يفعلون ، ويسمعون من أحكام الشريعة ، وهم بظاهره يقولون بامتثال الشرع ، ونقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، ورضي الله عن الصحابة أجمعين ، وتابعيهم وكل من سلك طريقتهم المثلى ، ورغب في الرفيق

الأعلى ؛ مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، الذي فضّل بالسر الذي وَقَرَ في صدره ، وعمر رضي الله عنه ؛ أَنْ جُعِل من المُحَدَّثِين ، وسماع سارية لَـمَّا دعاه عمرُ من مكاشفات القوم من الآيات ، مما حصل له من هذا الأمر الإلهي الرباني ، وخرق عادة في الأجسام ، إذ كان بينهما مسيرة أيام ، وكشف له من[1] عالم الأرواح ، ورأي اتصالها وبقية بعضها من بعض ، وأن ما بينهما افتراق ، وأن المقدمون[2] في الفضل الصحابة رضي الله عنهم ، ثم من تبعهم وتابع تابعهم ، وافهم الاتباع صفته الطاعة على أمر الله ورسوله ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[سورة الحشر : آية ٧] ، وحقيقة الطاعة : (مَنْ أطاعني في كل شيء ؛ أَطَعْتُه في كل شيء باجتهاده في كل شيء أطعته[3] في كل شيء ، وبان التجلي له في كل شيء ؛ حتى يراني في كل شيء) وهذه حضرة الفناء في المشاهد[4] ، في حق العوام ، وأما الخواص من الصديقين فطاعتهم ؛ بالتأييد منهم[5] بإقبالهم على كل شيء بحسن إثبات الإرادة لمولاهم في كل شيء ، الحديث النبوي عنه ﷺ : (أنا عند حسن ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء) ، ولا يُدْرَك ما قلناه مع ضُعفِ اليقين والإيمان ، وتقليد العلماء الأتقياء ، ﴿ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[سورة النساء : آية ٥٩] . الحقيقة المحمدية ، هي الذات مع التعين الأول ، فله الاسماء الحسنى كلها ، وهو الاسم الأعظم ، حقائق الاسماء ، لأنها صفات تميز بها الاسماء بعضها من بعض ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، فهو ﷺ صاحب الاسم الأعظم ، وله الربوبية المطلقة ، لذلك قال عليه السلام : (خصصت بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة) ، وهي مصدرة بقوله تعالى :

---

(١) في (ب) : عن .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : المقدمين.
(٣) في (ب) : أطلعته .
(٤) في (ب) : المشاهدة .
(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : لهم .

﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، فجمع عوالم الأجسام والأرواح كلها ، وهذه الربوبية إنما هي من جهة حقيقتها ، لا من جهة بشريتها ؛ فإنها من تلك الجهة عبد مربوب ، محتاج إلى ربه ، كما نبّه سبحانه وتعالى على هذه الحقيقة ، بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾[سورة الكهف : آية ١١٠] ، وبقوله : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾[سورة الجن : آية ١٩] فسمّاه عبدالله ؛ تنبيهاً على أنه مظهر لهذا الاسم ، دون اسم آخر ، ونبه بالجهة[1] الأولى ، بقوله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّـهَ رَمَى ﴾[سورة الأنفال : آية ١٧] ، فأسند رميه إلى الله تعالى ، ولا تتصور هذه الربوبية إلا بإعطاء كل ذي حق حقه ، وإفاضة جميع ما يحتاج إليه العالم ، وهذا المعنى لا يمكن إلا بالقدرة التامة ، والصفات الإلهية جمعيها ، فله كل الاسماء يتصرف بها في العالم ؛ بحسب استعدادهم ، ولما كانت هذه الحقيقة مشتملة على الجهتين الإلهية والعبودية ؛ لا يصح لها ذلك أصالة بل تَبَعِيَّة ، وهي الخلافة ، فلها الإحياء والإماتة ، واللطف والقهر ، والرضى والسخط ، وجميع الصفات ؛ تتصرف في العالم وفي نفسها وبشريتها اتصال منه بها[2] وبكاؤه عليه السلام ، وضجره وضيق صدره ، لا ينافي ما ذكرناه ؛ فإنه بعض مقتضيات ذاته وصفاته ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة ؛ في الأرض ولا في السماء ؛ من حيث مرتبته ، وإن كان قد يقول : (أنتم أعلم بأمور دنياكم) ؛ من حيث بشريته ، والحاصل إن ربوبيته للعالم ؛ بالصفات الإلهية ، التي له من حيث مرتبته وعجزه ومسكنته ، وجميع ما يلزمه من النقائص الإمكانية ؛ من حيث بشريته الحاصلة من التقيد والنزول إلى العالم السفلي ؛ ليحيط بظاهره بخواص العالم الظاهر ، وبباطنه بخواص العالم الباطن ؛ فيصير مجمع البحرين ، ومظهر العالمين ، ولا يزال مسافراً عن محو حجب الكثرة عن وجه

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : على الجهة .

(٢) في (ب) اتصاله منه لها ، ولعلّها : اتصالاً منه بها .

الوحدة[1] . نهاية السفر ؛ وصول العبد بالضدين ، الظاهر والباطن ، ليحصل أحدية عين الجمع ، والرجوع عن الحق إلى الخلق ؛ في مقام الاستقامة ، هو أحدية الجمع ، والفرق شهود اندراج الحق في الخلق ، واضمحلال الخلق في الحق ، حتى تُرَى العينُ الواحدة في صور الكثرة ، والصور الكثرة[2] في العين الواحدة ، المجالي الكلية والمطالع .

* * *

﴿فصل﴾

(١٠٠)

وانظر إلى حقيقة الحقائق ، ونهاية النهايات ، البرزخية الأولى ، ومجمع البحرين ، ومقام قاب قوسين ، وحضرة جمعية الاسماء الإلهية ؛ بمجلى عالم الجبروت ، وانكشاف عالم الملكوت ، والمدبرات السماوية ، والأرواح القدسية ، قوله تعالى[3] : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة : آية ٥٤] ، المحبة الأصلية هي محبة الذاتِ عينُها بذاتها ، لا باعتبار أمر زائد ؛ لأنها أصل جميع أنواع المحبات ، ومرتبة الأرواح المجردة ، ومرتبة النفوس العاملة ، فهي عالم المثال وعالم الملكوت ، ومرتبة عالم الشهادة ، ومرتبة [عالم][4] الصور الجامع ، وهو الإنسان الكامل ؛ الذي هو مجلى الجميع ، وصورة جمعيته ، وإنما قلنا أنها مرتبة أصلية ، ترتيب [هذه][5] المراتب منازلها ، وما عداها كلها مجالي باطنة وظاهرة ، ولا مَجْلى لأحدية الذات إلا الإنسان الكامل . الغيرُ ما

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : لمحو حجب الكثرة عن ..... أو : عن محو حجب الكثرة إلى وجه .

(٢) لعلّها : الكثيرة .

(٣) في الأصل : قولهم ، وفي (ب) : قوله تعالى .

(٤) ما بين القوسين في (ب) وليس في الأصل .

(٥) ما بين القوسين في (ب) وليس في الأصل ، ولعلّ العبارة : لترتيب المنازل منازلها .

يُعَبَّرُ [به][1] من ظواهر أحوال الناس في الخير والشر ، وما جرى عليهم في الدنيا ، وما انتقلوا عليه منها إلى الآخرة ؛ حتى تتبين عواقب الأمور ، ومعرفة الخفايا ، وما يجب عليه القيام به بالعمل له ، قال النبي ﷺ : (أُمرتُ أن يكون نطقي ذكراً وَهَمِّي فكراً ، ونظري عِبرة)، ونفس كل منها . [العبور][2] رؤية الحكمة في ظواهر الخليقة ؛ إلى رؤية الحكيم ، ومن ظواهر الوجود إلى باطنه ، حتى يرى الحق وصفاته في كل شيء ، قاب قوسين هو [مقام][3] القرب الاسمائي ؛ باعتبار التقابل من الاسماء ؛ في الأمر الإلهي ، المسمى دائرة الوجود ؛ كالإِبْدَاء والإعادة ، والنزول والعروج، والفاعلية والقابلية[4] ، فهو الاتحاد بالحق ؛ مع نفي التميز والتثنية[5] ، المعبر عنه بالاتصال ، والأعلى من هذا المقام والأدنى ، هو أحدية عين الجمع الذاتية ، المُعَبَّر عنه [بقوله تعالى: ﴿ أو أدنى ﴾][6] لارتفاع التميز والتثنيه الاعتبارية هنالك بالفناء المحض ، والطمس لكل الرسوم كلها . وكنا في البداية في السلوك ؛ في إثبات محو رسومنا ، ولا نرى مع وقتنا قرب ولا بعد ، ولا نرى الخلق ، وصفاتهم في ذمهم ومدحهم ، فرأينا الحق حقاً والباطل باطلاً ، ونفسي في تلك[7] في الفناء الكلي ، والعدم الكلي ، وافهم أن من أثبت نفسه ؛ نفى الله سبحانه وتعالى يقيناً ، وَبَقَّى لصورته هنا وهناك شيئاً سوى الله ، ومن أثبت الله ؛ نفى نفسه يقيناً ، فلم يبق لهذه الصورة هنا وهناك شيئاً سوى الله تعالى ، وهو عندنا جلي ، ولا نرى إلا الحق الصرف ، وما ثم إلا الحق ؛ لم

---

(١) ما بين القوسين في (ب) وغير موجود في الأصل ، أو لعل العبارة : الغير ما يُعَبّر عن ظواهر ......

(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل العبور . ولعل العبارة : كل منها بالعبور من رؤية الحكمة في ظواهر الخليقة إلى رؤية الحكيم .

(٣) ما بين القوسين في (ب) وليس في الأصل .

(٤) في الأصل : والعروج ، العروج والقابلية . وفي (ب) : والفاعلية والقابلية .

(٥) في (ب) التمييز و التشبيه .

(٦) ما بين القوسين في (ب) . وفي الأصل : المعبر عنه أو أدنى .

(٧) هكذا في الأصل ، ولعلّه : في ذلك .

يبق كائن ، فما ثم موصول ، ولا ثم بائن ، ولا تدرك الأبصار منه ؛ سوى الـذي تنزهـه عنـه عقـولُ ذوي الأمر ، فَمَـا ثَمَّ محبوب سواه .

* * *

﴿فصل﴾

(١٠١)

وفيما ذكروا من العارفين في سَلْمى ولَيْلى ، والحِمَى والرُّبَى[١] ؛ لستر هـذا السـر العظـيم ، الذي يوجب[٢] فيه الستر والصيانة لعزته ، وبرهان العيان[٣] ، مـا نـرى إلا العـين الواحـدة ، ورؤيـة المُحْدَثْ لا يمكن لنا ، [محال][٤] عن ذكر القديم ؛ لفناء المحدث عند تجلي القديم ، فالنظر إنمـا يكون إلى الوجود الإضافي ؛ في المُتعين بصُورِ الكون ، وفي الحقيقة بلحظ الحق بإشـراق النظـر عن أعين الأحاجب[٥] والرقباء ، هم أهل الحجاب ؛ فـإنهم يحسـبون أنـه فـي الكـون ، وهـو فـي الحقيقة بلحظ المكوِّنْ ، ولا ثم ظلمة ولا ضياء ، والضياء يمحو الظلم ، فشـهدنا وغبنـا ، وشـربنا وما روينا من خمر المدام ، ولا سكرنا ، وفنينا وغِبْنَا ، وفنينا وحيينا ورمقنا وطلبنا وما طلبنا ، وقلنا وما قلنا ، وسمعنا وما سمعنا ، ونطقنا وما نطقنا ، فهو السمع والبصر لنا ، ونحن في اسم كان وكُنَّا ، وأشرنا ونحن عَلِمنا وفهمنا ، ورقينا وما رقينا ، ونحن في محبة الذات ، ومزّقنا وتَهْتَّكْنَا ولا مزقنا ولا تهتّكنا ، وفنينا وبقينا ، وكم رأينا من عجائب الغيب لا ننطق [بها][٦] ، وهوينا وخلعنا العذار في الهوى ، وما ثم خلع عذار ، ولا هوى ، ولا نرى في العين إلا الواحد الأحد الصمد ، الذي لم يلـد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَـا لِشَـيْءٍ إِذَا أَرَدْنَـاهُ أَن نَّقُـولَ لَـهُ كُـن فَيَكُونُ ﴾[سورة النحل : آية ٤٠] ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . فلما أشرنا في هذا العلـم

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : والذكر من العارفين في سلمى وليلى والحِمى والرُّبى ؛ لستر هذا السر العظيم .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : يجب .

(٣) لعل العبارة : والبرهان في العيان ، وما نرى ....

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل : مجال ، ولعلّ العبارة : محال عند ذكر القديم .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : بعيداً عن أعين الحُجّاب والرُّقباء . أو لعل العبارة : بإشراق النظر عن الأعين . أو : عند العيان . ، الحجاب والرقباء هم أهل الحجاب ..... أو : باستراق النظر عن أعين الحجاب .

(٦) ما بين المعقوفتين في (ب) وليس في الأصل .

اللدني ؛ علوم غريبة غزيرة ، لا يفهمها ويعلمها ؛ إلا من أيَّدوه بروح منه ، ومن رشحت عليه أمطار الرحمة الواسعة الشاملة . للذي من ذكرته فهو سعيد[١] ، وما ثَمَّ إلاَّ من ذكرته ، قوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٥٦] فالمعرفة بالحق الصرف ، أوسع من الرحمة ، وفي الحديث الصحيح : (ما وسعني سمائي ولا أرضي ، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن) ، وليس هو كل مؤمن مطلق ، وإنما هو قلب الوارث المحمدي ، وقوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾[سورة الزخرف : آية ٥٩] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[سورة يوسف : آية ١٠٨] ، وخذ السر[٢] من واحد إلى واحد ، إجْلِس مجلس مَنْ جَمَعَ الكُلَّ ، وأَفْنَى الكل ، إلزم هذا الباب الواحد ؛ تنفتح[٣] لك الأبواب ، ولا تلتفت إلى الأبواب ؛ فلا يفتح لك الباب ، ﴿ فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ ﴾[سورة يونس : آية ٣٢] ، ﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾[سورة الإسراء : آية ٨١] ، ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[سورة النور: آية ٥٥] ، فالدليل لما قالوه من الحديث الصحيح ، النبوي عنه ﷺ ، أن أبوبكر[٤] الصديق استخلفه الله ، خلف رسول الله لرحمة الرسول بهم ، ورضي الله عنهم ، وكل الأشياء اخترعها بحكمته ، وقَدَّرَها بعلمه في غيب ذاته ، وهي مظهر خزائن مفاتيح أسراره ، ووهب لكل منها على حسب ما قُدِّر له ، وأمكنه من قِبَل استعداده ، فيما أمكن فيه وأحكم ؛ بإظهار ملابس اسمائه ، وأَنْجَحَ لكل صادقٍ مُقْبِل إليه من مَدَدِهِ السابق ، فسبحان الذي تجلى بذاته لذاته ، فأظهر آدم واستخلفه على مظاهر اسمائه ؛ المنعوتة

(١) هكذا في الأصل ، لعلّها : من ذكرته فهو سعيد .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وأَخْذُ السِّر .....
(٣) في (ب) : تفتح .
(٤) لعلّه : أبابكر .

بالعَالَم ، وأجمع فيه جميع الحقائق ، وهو مظهر اسم الله الجامع العزيز الأكرم ، حامل الألوية وأسرار العليم الأعلم ، فيدل به عليه فعّلم ، وصلى الله على من هو الاسم الأعظم ، الناطق بلسان مرتبته : (أنا سيد ولد آدم المبعوث بالرسالة إلى خير الأمم) ، قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[سورة آل عمران : آية ١١٠] ، وعلى الله وأصحابه المطهرين ، من العُرْبِ والعجم ، الرَّافِعين بأنوارهم أَسْتَاره الظُّلَم .

* * *

﴿فصل﴾

(١٠٢)

ولما أطلعني الله ، ورفع عن عيني كنه معرفته ، وأيدني بحقيقته ، ونقول لما انكشف لهم ـ أعني المحققين العارفين ـ مِنَ الأسرار والمعاني والدقائق ؛ يتجلى(١) الحق لهم من الحجب ؛ بالنور الموجب للظهور ، وأُطْلِعُوا على علوم ورموز ، وطلوع شمس الحقيقة من مغربها ، وبُروز شمس الربوبية من مشرقها ، وظهرت لنا بشائر ما يصلح إظهار شيء منها ، وخصصنا بخصائص لَدُنّيّة ؛ لمن امتثل(٢) بين أيدينا من المريدين ، [فكان](٣) لهم من الله الكريم فَضْلٌ من الرحمة الواسعة ؛ فلما حَارت أعين(٤) أهل البصائر والأبصار ، فتلألأت أنوار معانيها وفاضت عليهم ، وقوله : (هذه الرحمة التي وسعتكم) ؛ فَوُسِعُوا وأُدْخِلُوا دُخولاً ، قال تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : تجلّى .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : مَن امتثل .....
(٣) ما بين المعقوفتين في (جـ) ، وفي (أ ، ب) : وكان .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : مِمّا حارت له أعين ....

يُنفِقُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ٣]، وأَدَّى الشكر ، ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[سورة الضحى: آية ١١] ، فظهرنا ما ظهرنا به(١) ، من فيض الرحمة للطالب والقاصد المخلص ؛ إشارة لائحة من غير إنجاز ، وكلما نطقنا به في هذا الكتاب وغيره ؛على قواعد تتضح للناظر فيه ، ويعلم الباطل من الصواب ؛ فيحق الحق ويبطل الباطل ، من غير إشارة مِنَّا ، وفهّمنا وعَلَّمْنَا من له إخلاص وإقبال ، وفناء عن نفسه ، ليْسمَعَ عذبَ المنطق ويتقن(٢) ، فلما صح منه ذلك ؛ أظهرنا نوراً في قلبه ، من غير استعداد منه ، وحفظناه على الطريق القويم ، والتوفيق والعصمة ، بقوله : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾[سورة غافر: آية ١٥] ، وأمعن النظرَ في ذلك العلم ، والغَيرُ شبهةٌ وهمية ، وخيالات عدمية ، والله المستعان وعليه التكلان . وافهم مرتبة الاسم القابل ؛ الهيولي الكلية ، المشار إليها بالكتاب المسطور والرق المنشور ، ويقال للعقل الأول : روح القدس ، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (الإخلاص له نفي الصفات عنه) ، وتمييز الحقائق الإلهية ، بعضها من بعض ، فالحياة والعلم والقدرة ، وغير ذلك من الصفات ، يطلق على الذات فأبعد الأعْرَاض والحوادث ، وانظر معي إلى وجوه الاعتبارات ؛ تخلص من الشكوك والشبهات ، والحق بحسب كل يوم هو في شأن ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام :(سبحان من اتسعت رحمته لأوليائه ، في شدة نقمته لأعدائه ، واشتدت نقمته لأعدائه في سعة رحمته لأوليائه) ، وفي هذا سر قوله عليه الصلاة والسلام: (حُفَّتْ الجنة بالمكَارِه وحُفّتْ النار بالشهوات) ، ومن وجه يرجع التَّكَثُّر إلى العلم الذاتي ؛ لأنه علمه تعالى بذاته لذاته ، أوجب العلم لكمالات ذاته في مرتبة أحديته ، ثم المحبة الإلهية اقتضت [ظهور](٣) الذات بكل شيء منها ؛ على انفرادها ، مُتَعيِّناً في حضرته العِلمِيَّة الغيبية ، فيحصل

---

(١) في (ب) : فظهرنا بما ، ولعلّ العبارة : فأظهرنا ما أظهرنا به ..... ؛ إشارة من غير ......

(٢) في (ب) ويتيقظ ، ولعلّها : وَيَتَيَقَّنْ .

(٣) ما بين المعقوفتين ليس في الأصل . وفي الأصل : ظهورة . وفي (ب) : بظهور .

التكثر فيها ، والصفات تنقسم إلى : الحيطة[1] ، التامة ، الكلية ، الغيبية[2] ، مفاتيح الغيب وهي جامعة معاني معقولة ، في غيب الوجود الحق تعالى وتجلياته ، وليست الموجودات عينية ، لا تدخل في الوجود أصلاً ؛ بل الداخل فيه ما يعبّر من الوجود الحق ، في تلك المراتب من الاسماء ، فهي موجودة في العقل ، معدومة في العين ، ولها الأمر والحكم فيما له ، الوجود العيني باطن الشهود[3] ، وبصره عبارة عن تجليه ، وتعلق علمه بالحقائق على طريق الشهود ، فهي[4] عبارة عن التجلي ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[سورة يس: آية ٨٢] ، ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [سورة الأنعام: آية ٥٩] ، قال الله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۝ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾[سورة الجن: آية ٢٦-٢٧] ، وإليه أشار النبي ﷺ ، في دعائه بقوله : (أو استأثرت به في علم الغيب عندك) ، وكلها داخلة تحت الاسم الأول الظاهر والباطن ، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة البقرة: آية ٢٩] ، والاسماء الخارجة عن الخلق لا يعلمها إلا هو ؛ لأنه لا تعلق لها بالأكوان ومفاتيح الشهادة الخارج ، وقوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾[سورة الأنعام: آية ٧٣] ، وكلها داخلة تحت الاسم الآخر ، والله أعلم ، قال الله تعالى : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾[سورة البقرة: آية ٢٥٧] .

❊ ❊ ❊

﴿فصل﴾

(١) لعلّها : المحيطة .

(٢) في (ب) : العينيّة .

(٣) في (ب) : المشهود .

(٤) في (ب) : فهو .

(١٠٣)

وفهمنا من علوم الذات ، ومن علوم الصفات ، فلزم ما يجحد ما دون الحق ، شهود الحق عين الكل ، وحقيقة الحق بالحق ، ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَ ﴾[سورة السجدة : آية ١٣] ، وقوله : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[سورة القصص : آية ٥٦] ، فَسِرْ على ساق التجريد الكلي ، فهو الفناء عن الحس ، فلا يتبقى حس ولا رسم ، فلا موجود إلا هو وحده ، الدرجة الأولى فناء المعرفة في المعروف ، وهو الفناء ومحو العلم في غاية الشهود العيان في المعاين ، و افنِ الطلب في المطلوب ، وفناء الوجود ، وأهل التمكين يشهدون الحق ؛ في جميع الصور والمراتب ، فلا يحتجب[١] بالخلق عن الحق ؛ لفناء الرسوم الكل ، أعني الخَلْقِيّة ، فنحن لا نزال مطالعين الجمال ؛ بتجلي التمكين ، وكذلك ما هجم من تجلي الجلال[٢] المحرق ، قوله : ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٥٥] ، ابرز أيها العبد المخلص المتوجه إلى محو الرسوم والظلم ؛ إلى أعلى رتبة العارفين ، الذي[٣] تجلى عليهم مِنْ مِنَّة الله ومواهبه ومنحه ، فلا لهم وجود في صفاتهم ، إلى ما[٤] أبدى من التجلي الصرف ، في أوقات استحقاق المناجاة ، واستجاب[٥] الدعاء ، ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[سورة غافر : آية ٦٠] ، ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[سورة الأعراف : آية

(١) في (ب) : يحجب .
(٢) في (ب) : الجمال .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : التي .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : لِمَا أبدى لهم .
(٥) في (ب) : استحباب .

١٨٠] ، فصح عن الحق استجاب[1] دعائه ؛ لكن على مراده ، في الوقت الذي يريد ، لا في الوقت الذي تريد ، وربما يطلب العبد شيء من كسب الخيرات ، ولا له في طلبه فائدة ، قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ٢١٦] ، فلا يكن مع العبد في نفسه شيء من المطالب فربما لا يكون فيها فائدة ؛ ولكن لزوم العبد الآداب ، ووقوفه على الباب بسِرِّه وَحِسِّه ، فلا يزال في فناء الحس ؛ فيكون له من السر نصيب ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾[سورة فصلت : آية ٣٠-٣١] ، وإياك أن تطلب في التوحيد دليلاً ؛ فيكون التوحيد أَجْلَى من كُلِّ دليل ، فنور الحق لا يدرك لشدته وقوة نوريته ، ولا مؤثر إلا الله ، ورؤيتك الأفعال كلها منه [في كل شيء][2] ، فتتلاشى الأسباب [كلها][3] في المسبب ، وشهودك [لشهودك التأثير][4] منه في كل شيء ، وشهودك لشهود [التأثير][5] منه دون السبب ، ولا للنجاة وسيلة ، أي ولا تشهد للنجاة من العذاب والعقوبة[6] ، وتجرد من الأعمال الصالحة والحسنات ؛ فتكن مشاهداً السبق[7] الحق بحكمه وعلمه ، ووضعه الأشياء مواضعها ، وتعليقه إِيَّاهَا بزمان ما جاء في فنائها ، وإخفائها في رسومها ، وتحقق الكل ، واسلك سبيل إسقاط الحَدَثْ عن القِدَم ، هذا توحيد الخاصة ، الذي يعلم علم الفناء ، ويصير في عين الجمع ، وأَصَح طريق التوحيد[8] ؛

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : استجابت .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وليس في الأصل .
(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وليس في الأصل .
(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : وشهودك التأثر منه .
(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : التأثر .
(٦) في (ب) : ولا تشهد للنجاة والعقوبة .
(٧) هكذا في الأصل ، ولعلّها : لسبق الحق ....
(٨) هكذا في الأصل ، ولعلّها : طُرق . وفي (ب) : واضح طرق التوحيد .

فناء الرسوم ، فكل ما شممتم منه رائحة الوجود ؛ فهو للحق ، عَارِيِّه عن الغير[1] ؛ فيجب عليه ردها إلى مالكها ، حتى يصح التوحيد ، ويبقى الحق واحداً أحداً ، وهو الجمع وجمع الجمع ، فافهم وإذا كنت بعيد الفهم ؛ فلا تغتر يا متعلق بلا منازله ، فإن العقول الضعيفة إذا نزهت الحق أدّى [تنزيهها][2] إلى التعطيل ، كما يقول : أن الله تعالى ليس في جِهَةٍ ولا مكان ، وليس بجسم ولا جسمان ، ولا جوهر ولا عرض ، ولا متصل بشيء ولا منفصل ؛ فافهم منه التعطيل ، لضعف إدراك الفاهم ، وعدم اهتدائه ؛ لأنه تعالى لا يُقَيَّد بهذه القيود ، لإحاطته بالكل ، فتكون الجهات والجواهر والأعراض ، والأشياء كلها ؛ موجودة بالحق قائمة بقيوميته ، وهو عين الكل بالحقيقة لا شيء غيره ، فهو عين كل محدود باعتبار الحقيقة ، وعين كل متعين باعتبار التعين ، لا ينحصر في صورة ، ولا يقيد بعين ، بل هو منزه عن التقييد ؛ لكونه حقيقة الوجود ، من حيث هو وجود ، فليس إلا العدم المطلق ؛ الذي ليس في الذهن ، ولا في الخارج ، والإياس من إدراك كنهها ، وابتغاء تأويلها أي كُنه الصفة وتأويلها كذلك .

* * *

﴿فصل﴾

(١٠٤)

واذكر أن الحق لا يعرفه إلا الحق ، وما ثم إلا وجه الحق تعالى ، فليس الحجاب إلا أنت ، فمتى فنيت أيها العبد ؛ ظهرت الحقيقة ، فكن مطالع الجمع ، بفناء الكل في عين الذات ، وهو المطلوب ، أعني شهود انفرد الحق ، فلما لاح صباح المعرفة ؛ زالت ظلم الغفلات ، وحضرة

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : عاريّة للغير .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : تنزيها .

الجمع، وفناء الموجودات، ووجود كريم مشاهدته وقربه في كل شيء[1] خَلَقَه، وهو ما عبَّر عنه قولُه الحق: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة المجادلة: آية ٧]، وقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً ﴾ [سورة يونس: آية ٦١]، ونقصد إظهار المعنى حيث وقع العالم، هو الظل الثاني، وليس إلا وجود الحق الظاهر، بصور الممكنات كلها، وهنا افهم، فمن شهد الخلق لا فعل لهم؛ فقد فاز، وَمَن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز، ومن شهدهم عين العدم فقد وصل، سؤال الحضرتين، هو السؤال الصادر عن حضرة الوجود؛ بلسان الاسماء الإلهية من النفس الرحماني، ظهورها بصور الأعيان، وعن حضرة الإمكان للأعيان، شهادة ذاتية، قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾ [سورة مريم: آية ٩٣]، ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [سورة الروم: آية ٢٦]، وكُلَّمَا فَهَّمَنَا مِنْ أسراره، وعَلَّمَنَا في مرآتنا لنا خصوصاً، من وجُودِهِ وبِره سبحانه له[2]، ونخاطبه بما أفاضه علينا، وبفَرْقِ الجَمعِ بحسب [المِرآه][3] والناظرين أوصافهم، ولا نرى غير شيء واحد فيه؛ بالشكل من حضيض الكثرة، أي إلى أوج الوحدة؛ بظواهر أقوالهم وأفعالهم، أعلى المعارج، انظر إلى سماء الجمع بمغناطيس الهِمَّة، المستمدَّة من منبع القوة الصديقية، القائمة بالجمع الإلهي؛ إلى مسكن المقربين، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وقوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الحج: آية ٦]، فإنما جملة المخلوقات خلقها بالحق للحق، ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ

---

(١) في (ب): وقربه من كل شيء ....

(٢) في (ب): سبحانه وتعالى له .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب)، وفي الأصل اطْرآه.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة العنكبوت : آية ٤٤] ، فظهر الحق بعضه لبعض ، ودل عليه به ، ثم هو شيء لك ، فلا يحق في الدار الآخرة إلا الرؤية ، وإلاَّ ما عبر عنه قوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[سورة النور : آية ٢٥] ، فالتحقق حقيقته في جميع خليقته ، وافهم الإشارات شهادة الله عنه ، إذ حقيقة كل موجود الحق ، وإلا الحق قريب للمتفهم من الأشياء ؛ التي يُطْلب فيها الحق ، والله لا إله إلا هو الحق المبين ، ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[سورة الحج : آية ٦٢] ، انظر إلى الفيض الأعظم . عوالم اللبس هي جميع المراتب النازلة ؛ عن الحضرة الأحدية ؛ لأن الذات الأقدسية نُشِرَت بتَعَيُّنَاتِها فيها ، وتتصف بلباس الاسماء والصفات ،ثم بالصفات الرَّوحانِيّة والمِثَالية ، أي الحِسيَّة ، فتلبس بها العين الثابتة من حقيقة الشيء ، والحضرة العلمية ليست بموجودة ؛ بل معدومة فانية ، في علم الله تعالى ، والمرتبة الثالثة ، من الوجود الحقيقي ؛ عين الحق .

* * *

﴿فصل﴾

(١٠٥)

وعين العالم هو الإنسان الكامل ، المحقق المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى ؛ لأن الله تعالى ينظر بنظرِهِ إلى العالم فيرحمه بالوجود[1] ؛ كما قال : (لولاك ما خلقت الأفلاك) ، والإنسان

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فيرحم به الوجود .

المتحقق بالاسم البصير ؛ لأن كل ما يبصر من الأشياء[1] ، فإنه يبصره بهذا الاسم . عين الحياة هو باطن الاسم الحي ، الذي من تحقق به ؛ شرب من ماء عين الحياة ، الذي من شرب منه لم يمت أبدا ، فيكون حياته بحياة الحق[2] ، فكل حي في العالم ؛ فحياته بحياة هذا الإنسان ، لكون حياته حياة الحق ، الفتق ما يقابل الرتق من تفصيل المادة المطلقة ؛ بصورها المُوجِبة لظهور كل ما بَطَن في الحضرة الأحدية ؛ من الشؤون الذاتية الأحدية ، وتلك الشؤون ، فالحقيقة عند نزول الواحد الحق بصورها ، صاحب الزمان وصاحب الوقت[3] ؛ هي الحضرة الوحدانية ، المنعوتة بالفيض الأعظم المطلق ، المرتوق قبل خلق السموات والأرض ، المفتوق بعد تعيينها[4] بالحق . وافهم هذا العلم ؛ لأنه لا يفهمه ويذوقه إلا من يرشحه من الجمال ، وهو يصَلُ الفؤادَ ، والجمالُ المذكور هو الجمالُ المطلق ، وكل الجمال المطلق يعانق قلوب أولوا الألباب[5] ، وكنا في عالم الاستشهاد[6] ، قوله تعالى : ﴿ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٤٣] ، واللحظ في الحقيقة ؛ لحَظُ الحق ، وبإشراق النظر ؛ فناء ومحو الكائنات والصور ، فيالها من درجة عالية ، كم دونها سيوف قاطعة ، وبواتر تعشق الدم ، فلما استشرفنا على حقيقة الإنسان الكامل ، الجامع للمحامد ، وهو الذي أُوتِيَ جوامع الكلم ، محمد ﷺ ؛ الذي عَنَتْ لخصوصيته مُشْرقةُ الوجوهِ ، وسَجَدَتْ له الجباهُ ، صلاة دائمةً قائمة ، ما نطقت بمظهر الألسن ، وتحركت بالصلاة عليه الشفاه ، وسلم تسليماً عليه ، وعلى الذين اصطفى من كل حليم أواه . ونقول أن الله له الاسماء بمنزلة الذات ، يوصف فيه من الصفات ، وكل اسم فيه يندرج ومنه يخرج وإليه يعرج ،

---

(١) في (ب) : ما يبصر في العالم من الأشياء .
(٢) في (ب) : فيكون حياً بحياة الحق .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : على صاحب الزمان وصاحب الوقت .
(٤) في (ب) تعينها .
(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : قلوب أولي الألباب .
(٦) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وكنّى في عالم الشهادة .

وظهر في مواطن كثيرة لنا ؛ فلا نقول مشافهة ؛ بل هي أسرار غامضة ، ما يصلح إظهارها إلا للخواص ؛ من أصحابنا المريدين المخلصين، الفانين المنقطعين المهاجرين ، فلما حققنا هذا العلم ؛ نبهنا عليه من دقائق النفحات الـمُلَقِّحَات ، المُنْجِحَات للمطالب ، وأَبَحْنَا لهم المشارب اللّدُنِيّة ، وكل من أقبل إلى هذا الباب ولزمه وانطرح ؛ عاش بمعيشة أهل الذوق ، وتخصص(١) من السِّر كل على ما يفهمه ، ونَحْمِلُه عنه إذا ثَمَّ ثَقُلَ ما يَحْمِله.

﴿فصل﴾

(١٠٦)

وحقيقة الذات الأحدي ، هو الإنسان الكامل ، المعبر عنه عالم الغيب والشهادة المطلق ، عالم الشهادة لكل شيء ظل ، وظل الله العرش ، غير أنه ليس كل ظل منه العرش ، الأُلوهية ظل غير ممتد ؛ لكنه غيره ، ألا ترى الأجسام ذوات الظل المحسوسة ، إذا أحاطت بها الأنوار ؛ كان ظلها فيها ، والنور ظله فيه ، والظلمة ضيائها فيها ، ولما استوى الله على قلب عبده ؛ فقال : (ما وسعني سمائي ولا أرضي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن) ، حين استوى الاسم (الرحمن) على العرش المعروف الظاهر ، بالعرش الظاهر ؛ ظل الرحمن ، والعرش الإضافي ظل الله ، وبين العرشين في المرتبة ؛ ما بين اسم الله والرحمن ، وإن كان قد قال : ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾[سورة الإسراء : آية ١١٠] ، فلا يخفى ما بين كل وجه على حال ، ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، وقال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[سورة القيامة : آية ٢٢-٢٣] ، وهنا غَلْقُ الحجاب فقال

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ونُخَصِّص .

: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[سورة المطففين : آية ١٥] ، وقال عليه السلام : (إنكم ترون ربكم كما ترون القمر) ، وفي حديث : (كما ترون الشمس) ، رواه مسلم في صحيحه ، وقوله : ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ ﴾[سورة الفجر : آية ٢٢] ، والله الجامع المحيط ، قوله : ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾[سورة طه : آية ١١٠] ، وأُدْرِجْنَا في هذا الأمر . ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾[سورة محمد : آية ١٩] ، كلمة تدل على أن النفي هو عين الإِثْبَات ، هو عين النَّافِي ، هو عين المُثْبِتْ ؛ فإنه ما بقي إلا هو ، وما ألطف هذا العلم اللدني ، على أنه الشرع ؛ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . كان الله ولا شيء معه ، وما ثم ظهور سوى واحد ، ويؤيد ما ذكرناه في الله تعالى ، قوله ﷺ : (إنَّ لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، لو كشفها ؛ لأحرقت سبحات وجهه ، ما انتهى إليه بصره من خلقه) ، وافهم التنزيه ، ومرتبة الألوهية ، وهي ثابتة شرعاً ، بعد تقرير الحق ، ونفي المشابهة والمساواة ، ومرتبة الإشارة ، قوله : ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ٨٩] ، و ﴿ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٥٥] ، و ﴿ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[سورة المؤمنون : آية ١٤] ، والله أجل وأكبر أن يوصف بوصف ، منزه لأهل الكشف الجلي ، لإثبات(١) جمعيته للحق ، مع عدم الحصر ، وهي مفاتيح الغيب . وافهم الإنسان الكامل ، هو الذي يستحق الاسماء الذاتية ، [والصفات](٢) الإلهية ؛ استحقاق أصاله ، والملك(٣) ؛ بحكم المقتضي(٤) الذاتي ، فإنه المُعَبَّر ملك حقيقة العبارات ، والمشار(٥) إلى الحقيقة .

---

(١) في (ب) : الإثبات .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : وصفات الإلهية .

(٣) هذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : يستحق الاسماء لذاته والصفات الإلهية والملك استحقاق أصاله .

(٤) في (ب) : المقتضى .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : فإنه المعبر المالك لحقيقة العبارات والمشير إلى الحقيقة .

واعلم وافهم أن الله تعالى حي عليم ، قادر مريد ، سميع بصير متكلم ، وقابل الهوية بالهوية ، أوجب الحقُ الحكمَ على نفسه ؛ أن لا يرى الاسم (الله)(١) اسماؤه وصفاته ، إلا في الإنسان الكامل ، الإشارات أن لا يرى في الوجود إلا الإنسان ، وهو معنا قوله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[سورة الأحزاب : آية ٧٢] .

❊ ❊ ❊

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : أن لا يُرى الاسم (الله) الجامع لاسمائه وصفاته إلاّ في الإنسان الكامل .

﴿فصل﴾

(١٠٧)

وتحقيق الحقيقة ، أن الحق هو الظاهر والعَالَم الاتحاد(١) ، وهو شهود الوجود الحق الواحد المطلق ؛ الذي الكل به موجود بالحق ، متحد به الكل ؛ من حيث كون كل شيء موجود به ، معدوم بنفسه ، لا من حيث أن له وجود خاص ، اتحد به [فهو مُحَال](٢) ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾[سورة لقمان : آية ١٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾[سورة البقرة : آية ٢٦٩] ، ﴿ الله لطيف خبير ﴾ ، ﴿ وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ﴾[سورة الأنعام : آية ٣] ، ﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٤٩] ، في علمه بهم ؛ فإن العلم يتبع المعلوم ، ثم السِّر ـ الذي فوق هذا ـ والتمكين عليه دليلاً ، أي شمس نور شهود : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، نَبّه اللهُ تعالى بقوله : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ على أن ليس غيره سواه ، ولا يدركه غيره ؛ بل مدركه هو اللهُ ، فلا غيرهُ إلا هو ، فهو المُدْرِكْ فَنَزِّه الحق ؛ بلا شك ولا ريب ، واجعل حقيقتك بعد فناء نفسك مظهر الغيب ، وعطاءه لنا مِنْ مدد الجود والكرم ؛ بلا ريب ولا سبب . فلما ثبت عندي الفناء يقيناً لا محل له(٣) ، ولا يبقى أيضاً عندنا حسب ؛ بل هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، ولا نرى غير الله ، وقد

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : هو الظاهر والعالم بالاتحاد بلا اتحاد .

(٢) ما بين المعقوفتين ليس في الأصل ، وفي الأصل : محال .

(٣) لعل المقصود بقوله : (لا محل له) : أي لا محل للفناء بعد الفناء . وهو المعبّر عنه بقولهم : فناء الفناء .

عرفنا النَّفْسَ ، وغِبْنَا عن وُجُودِها ، قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] ، والمكاشفات عندنا [ليس][١] محل فافهم ، فإن لم تفهم ؛ ما شممت رائحة التوحيد .

وافهم علم في هذه الدائرة المدوّرة ، لا خارجها ولا داخلها ، ابتداء الدائرة انتهاؤها ، وانتهاؤها ابتداؤها ، وهذا علم لدني ذوقي في معرفة فناء النفس ، والسير في الوجود في معرفة نفس النفس ، الوجود في هذه المنزلة صفة سوى تُبْدِي[٢] الطريق ؛ ولكن لا يعرف ولا يعلم ويرى[٣] وجوده ؛غير الله سبحانه ، فمتى وصل نفسه ـ أي وجوده ؛ عرف ربَّه بلا شك ولا ارتياب ، قال النبي ﷺ : (من عرف نفسه عرف ربه) ، والنبي ﷺ عرف نفسه في الإبتداء ، وسلك الطريق بالمعرفة ؛ ولهذا ابتداؤه انتهاء الصديقين ، وانتهاء الصديقين ابتداؤه ؛ لأنهم عرفوا الابتداء في الانتهاء. وصاحب الشوق متى وصل إلى الانتهاء ؛ يرى شوقه عشقاً ، ويعرف كل وجود[٤] العشق . ولكن لم يكن يعرفه ، ولا شم رائحة الوصول قط ؛ مَنْ رَجَعَ عِشْقُه إلى شيء من المخلوقات تفاوتاً ، ولا يرجح[٥] نَفْسَه بالوصول ؛ من حيث عَادُهْ يحس بالذم والمدح من المخلوقين ، صار ساقط الهِمَّة ، ما لَهُ شمّه من الحقيقة ، ولا يُفَرَّقْ بينه وبين الحيوانات والجمادات ، ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [سورة الفرقان : آية ٤٤] ، نسأل الله تعالى العافية والسلامة ، من حالهم[٦] أهل المداهنة في الدين ، وهم ما لهم نظر ، ولا لنا في ذكرهم مجال ، إلاَّ نخشى على[٧] المؤمن الصادق ، لا يسمع لأحد منهم ، وحاشا من صحت له الإرادة ؛ أن تأخذه الترهات من أهل التلبيس

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : لا لها محل .

(٢) في (ب) : تبدأ .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ولا يرى .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وجوه.

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ولا يُرَجّي .

(٦) هكذا في الأصل ، ولعلّها : من حال أهل المداهنة ....

(٧) في (ب) : ولا نخشى ، ولعلّ العبارة : إلاّ أنّنا نخشى على المؤمن الصادق .

الذين خدعهم الشيطان الملعون ، وهنا : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾[سورة النساء : آية ٧٦] ، وأَنْجِحْ طِلْبَتَك ومَقْصُودَك ولا يَغُرَّكَ ، المغرور المخدوع ؛ قد حرم لَذَّات الإرادة ، والخصائص فيها لأنها النعمة ، فلله الحمد على ما أهدى من النعم ، وأَبْرَز بمنح العطايا والمواهب والكرم ، وفاضت من أمداد الله سبحانه وتعالى ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾[سورة الإسراء : آية ٢٠] ، فَتَلَقَّ وَجِدْ يا مخلص[1] في الصدق ؛ تكون معنا في درجة الصديقين ، فيهناهم الفناء في هذه الطريق . وأما النفس الناطقة القدسية فلها خمس قوى : علم ، وعمل ، وذكر ، وفكر ، وخيال ، ولها خاصيتان : العباره ، والتمييز ، وليس لها انبعاث ، وأما النفس النورانية الإلهية فلها خمس قوى : تأييد ، وخطوة ، ورفعة ، وتنبيه ، ووحي ، ولها خاصيتان : النزاهة والحكمة ، وافهم في هذا العلم اللطائف ؛ التي يقوم بها الإنسان فهي ثلاث : عقل ، ووَهْمٌ ، وحِسْ ، فالعقل يقوم به الإنسان ، ومن هنا العقل يدرك الأشياء من عللها ، ويعبر عنها قبل كونها ، والوهم يدرك الأشياء من صورها ، والحس يدرك الأشياء ؛ لإحاطته بالأماكن ، والله سبحانه وتعالى يُدْرِك ولا يُدْرَك ، يُدْرِك الكُلَّ مِن الأشياء ؛ بل وجوده من ذاته لذاته ، علم الأشياء من علمه لذاته ، فَخلق ما عَلِم ، فَعِلْمُه محيطٌ بجميع الأشياء ، لا يفوته شيء ، جل ثناؤه وتقدست اسماؤه ، ولا إله غيره تعالى علواً كبيراً .

❊ ❊ ❊

---

(١) في الأصل : فتلق وجد يا مخلص .

﴿فصل﴾

(١٠٨)

وحقيقةُ التوحيد غَضُّ البَصَرِ عن الكون ؛ بمشاهدةِ من هو مُنَزَّهٌ عن كـل نقصـان ، ونفـس الرحمن المشار إليه بقوله : (إني لأجد نفس الرحمن من قبـل الـيمن) ، والـنفس الأول للغيـوب سراجٌ ، أي الذي يَغَارُ على المحبوب حين(١) الاستتار ؛ سراج ، لأنه يشـتاقُ عِنـدَ لُقْيَـاهُ الجمـالَ ، [ويغلب](٢) عليه الحزن والطلب و[الشوق](٣) ، فيجوز إلى حضرة المحبوب المطلـوب ، ويغيـب عن كل ما سواه بجمع همته(٤) ويصدق ؛ فتتضح قوة الغيره ، وإنْ كَانَ نَفَسُهُ سِراجاً ، يهتدي بنـوره إلى مقصوده ، وإنْ نَطَقَ بجماله ؛ كان إخباراً بالحق عن الحقيقة على ما هي عليه ، وقوله : ﴿ إِنَّمَـا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[سورة طه : آية ٩٨] ، هذا موضـع الكتـاب المبـين ، والعَالَم والاسماء الحسنى ، لمن استرشد كل معلم منها فأرشده . والله عز وجل كل الكل ، وإليـه يرجع الأمر كله ، وكل مرشد إليه ، ومُعَبَّرٌ عنه ، والاختصار يوجب الاقتصـار ومـن حيـث تجلـي الأحدية ؛ ما ثَمَّ وصف ولا اسم ، ومن حيث تجلي الواحدية ؛ ما ثَمَّ خلق ، يَظْهَرُ سُلطَانُها بصـورة كل مُتصور في الوجود ، ومن حيث الربوبية خلق وحق ؛ لوجود الحق ووجود الخلق ، ومن حيث تجلي الإلوهية ؛ ليس إلاَّ الحق وصورتُهُ الخَلق ، وليس إلاَّ الخلق ومعناه الحق ، وهذا مـن حيـث اسمه الظاهر والباطن ، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة البقرة : آية ٢٩] ، قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَـرَ الإِنسَـانُ أَنَّـا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ ﴾[سورة يس : آية ٧٧] ، وقوله : ﴿ أَوَ لاَ يَذْكُرُ الإِنسَـانُ أَنَّـا خَلَقْنَـاهُ مِـن قَبْـلُ وَلَـمْ يَـكُ

(١) في (ب) : عين الاستتار سراج .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : أو يغلب .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : والتشوق .

(٤) في (ب) : بجميع همته ، ولعلّها : بجمع هَمِّهِ .

شَيْئاً ﴾[سورة مريم : آية ٦٧] ، الاسم الباطن لِلَطَافَتِه من قوله : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] وَاللَّطَائِفُ هي أَنْعُمُ اللهِ اللَّطيف الخبير بعباده(١) ، الظاهر الجلي المظهر للمظاهر ، المُطَّلِع على الأشياء؛ لظهوره بصورة الكل ، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[سورة ق : آية ١٦] ، والمنهج الأول في تقرير الطرق إلى الله سبحانه وتعالى ونَحَّى(٢) حجاب التعين عن وجه الذات الأحدية ، السارية في الكل ؛ بالمحو والفناء في الوحدة ؛ حتى يشرق جماله فيحرق ما سواه . وأمناء الله سبحانه وتعالى ؛ عندهم أمائن لا يحل لهم كشفها لغير أهلها ، ومن جلس معنا على بساط فاقه ، ملتوي فينا وراض عَنَّا ، رَفَعْنَاهُ في مَحلِّ العفو ، على ما سبق عليه من القضاء والقدر ؛ يكون كَأَهْلِ التخصِيص ، ولا يكون له استناد لشيء من الطلبات ؛ كالأجر والثواب وخوف العقاب ، فنتولاه بمحض الجود ، ومحيناه الرؤية الغير(٣) بتجلي الشهود ، اسمه النور ، فهو له دليلاً ؛ لأنا أدرجناه في مقام أهل الفناء فذكرنا(٤) ، اندراج المخلص معنا يكون بالأدب والامتثال ، يكون حُكْمُ الجَميع المُعْتَبَر ؛ اعتِبَارُ الحَقِيْقَةِ الوَاحدة ، فحكم باب الجمع شيء واحد ، حقيقة صدق ، وأمعن النظر في هذا الرمز والخطاب ، فبعضه جلي ، وبعضه خفي ، وسريانه كسريان الوجود المطلق بالحق في الأشياء ، قوله : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ ﴾[سورة الزمر : آية ٦٨] ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦-٢٧] ، وذلك يكون بزوال التعينات الخَلْقِيَّة ، وفَنَاء وجه العبودية في وجه الربوبية ؛ كانعدام تعين القطرات عند

(١) في (ب) : لعباده .
(٢) في (ب) : ونحن حجاب التعيين . ولعلّها : وَنَحّي .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ومحينا عنه رؤية الغير بتجلي الشهود .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : لأنّا أَدْرجنا في مقام أهل الفناء فَذُكِرنا ، واندراج المخلص معنا يكون بالأدب .

الوصول إلى البحر ، وذوبان الجليد بطلوع شمس الحقيقة ، قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠٤] ، [يزيل][١] عنها التعين السماوي ؛ لترجع إلى الوجود المطلق ، بارتفاع وجوده [المقيد][٢] ، وقال تعالى : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [سورة غافر : آية ١٦] ، يشير إلى ظهور دولة حُكْم المَرتبة الأَحَدِيَّة .

* * *

﴿فصل﴾

(١٠٩)

واعزم وانهض ، وأمعن النظر أن ترى[٣] شمس العيان ، فشمرنا في هذا الزمان والدهر ، ولا رأينا زمان ولا دهر ، [ولا لنا حساب][٤] في الأعوام والأيام ، ونحن ـ من الحق من فيض فضله وجوده ـ في تبديل الصفات البشرية ؛ بالصفات الإلهية دون الذَّات ، يكون الحق سبحانه حينئذ سمعه وبصره ؛ كما نطق به الحديث ، ويتصرف في الوجود ، بما أراد الله ، ولا يزال في الشوق والمكابدة والمعاني[٥] ، وتَجِدُ دليلاً واضحاً على حقيقة ما قلناه .

وافهم فمظاهر الحق لا تُعَدْ ، والحق فيها فلا يُحَدْ ، إن بَطَنَ العبدُ فهو حق ، أو ظَهَرَ الحقُ فهو عبد ، وافهم حقيقة الشيء بذاته وصفاته ، على ما هي عليه بِعَيْنِهِ ، لا بصورة زائدة مثله ، هذا

(١) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : تزيل .

(٢) ما بين القوسين في (ب) وفي الأصل : المقيدة .

(٣) هكذا في الأصل . ولعلّها : كي ترى .

(٤) ما بين القوسين في (ب) . وفي الأصل : ولا لنا لا حساب .

(٥) هكذا في الأصل . ولعلّها : والمُعَانَاه .

إدراك العرفان ، واحترز عن إدراك العلم ؛ بقوله للعين : الشيء ، فإن العلم إدراك الشيء ؛ بصورةٍ زائدةٍ مِثْلَه ، في ذات المدْرِكْ ؛كَمَا رَسَمَ العلماء بالله [وصول صورة](١) وصوله الشيء في النفس بالمعرفة ، اتحاد العارف بالمعروف(٢) ؛ لكونهما شيء واحد ، وكون ذات المعروف(٣) في العارف ، فلا تَعرِفُ الشيءَ إلاَّ بَما فِيكَ مِنهُ ، أو بما مِنْهُ فِيكْ ، فالمعرفة فيه ذوق ، والعلمُ حجابٌ ، فسبحان من احتجب عن الخلق لِشدةِ ظهوره ، واخلع النعلين في التجريد عنهما ؛ لتبقى الحقيقة بانفرادها مجردة ؛ عن رسوم الغيرية التفريد(٤) ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[سورة النور : آية ٢٥] ، قوله : ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ ﴾[سورة المائدة : آية ١٥] ، فهو النور بدليل نص الكتاب ، وكذلك الهادي ، قال الله : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة الحج : آية ٥٤] ، وقد ذكر أيضاً في حقه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة الشورى : آية ٥٢] ، فجعل الهدايتين الإلهية والمحمدية ، في هذين الإثنين ؛ إلى محل واحد ، كما جعل هدايته كهدايته ، فهو الهادي وهو النور ﷺ، وأما اسمه البديع فإنه ﷺ كان متحققاً بهذا الاسم ، وقد ابتدع واخترع من عجائب القدرة ؛ ما يعجز الكون عن الإفصاح به ، والكتب مَشْحُونَةٌ بذلك ، وأما اسمه الباقي فإنه كذلك ، لأنه ﷺ لم يمت ، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٦٩] ، فإن كان الشهداء أحياء ، فما قولك في سيد الشهداء ﷺ ! ؟ ؛ وقد مات مسموماً شهيداً ، ولمعرفة عمر رضي الله عنه لهذا السر ؛ فإنه عند وفاة رسول اللـه

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : وصوله الشيء .
(٢) في (ب) : اتحاد العارف بالمعرفة .
(٣) هكذا في الأصل . ولعلّها: المعرفة .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بالتّفْريد .

ﷺ ، قال : (إن من قال أنَّ محمداً مات ؛ ضربت عنقه) ، فَلَّما نَبَّهَ بأن رسول الله ﷺ لم يمت ؛ إنما انتقل من دار إلى دار ، خير منها ﷺ .

* * *

﴿فصل﴾

(١١٠)

واعلم أن أول وصف يتصف به العبد ، من صفات الرب ؛ فهو وصف البقاء ، فإذا اتصف بهذه[١] ، وبقي باقياً بالله ، اتصف بعد ذلك بما شاء الله تعالى [به][٢] ، من صفات ربه ، هكذا جرت سنة الله في خلقه ، فيكون سيد المصطفين متحققاً بهذا الاسم ﷺ ، وأما اسمه الوارث فإن رسول الله ﷺ ، هو الوارث الأكمل ، الذي يرث الكمال الإلهي ، وتحققه[٣] به ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠٥] ، فإنه يعني أرض الخلافة الإلهية ، المُعَبَّر عنها بالاتصاف بالأسماء والصفات ، كان أكثر ما يقول : (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) فهو ﷺ خاتم المرسلين ، وخاتم النبيين ، وخاتم الأولياء والصالحين ؛ بجميع الخلائق أجمعين ، وفي ذلك الحديث الذي أوردناه في أول الكتاب ، قوله : (كنت كنزاً مخفياً لم أعرف ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفْ ، فخلقت الخلق وَتَجَلَّيْتُ عليهم ، فبي عَرَفُونِي) ، وجميع العلماء المحققون اجتمعوا[٤] على ما ذكرناه ؛ في كتبهم .

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّه : بهذا الوصف .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وليس في الأصل .

(٣) في (ب) : ويحققه ، في (جـ) : وتحقق .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : أجمعوا .

واعلم أن الله سبحانه وتعالى لَـمَّا أرادَ إظهار ذاته ، بِمَالَهُ مِنْ ذَاتِهِ وصِفَاتِهِ ، ولم يكن معه موجوداً سواه ؛ تجلى في نَفْسِهِ لنَفْسِهِ ، والدليل على ذلك قوله : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾[سورة الجاثية : آية ١٣] والعِلْمُ كله منه ، فنقول من حيث المجاز ، وإن شئت قلت من حيث اقتضاء المقام ؛ ليكون القول حقيقة ، وإن شئت قلت من حيث التقسيم ، العَالَم غير الله ، وصفاتُ اللهِ مُنَزَّهَة عَن صفات العَالَم ، فلا يُشْبِهِ العَالَمَ بوجه من الوجوه ، ولا بينه وبين العالَم نسبة[١] ؛ لأنه القديم الواجب بذاته ، والعالم محدثٌ ، ومُفْتَقِرٌ إلى الله ، جل وعلا أن يوصف بوصف ، أو يُعْلَمْ كُنْهَهُ إلاَّ هُوَ ، وهو الله الذي لا إله إلا هو الأول الآخر ، الظاهر الباطن ، وهو بكل شيء عليم . وهو ﷺ كلمةُ التوحيد؛ بوجودِ الغَيْرِيَّة ، والأمر بخلاف ذلك ؛ لأنه ﷺ هو السَّمِيُ بالله ، والدليل على ما قلناه ، قوله تعالى في القرآن العظيم ، الذي هو كلام الله : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[سورة التكوير : آية ١٩ـ٢١] ، وكل من فَهِمَ وتَأَمَّل هذه الآية ، وقَوْلَه فيه : (مطاع ثَمَّ) ؛ فافهم هذه الإشارة العظيمة ، وقوله في هذا الحديث : (جَعَلْتُ الأرضَ لَكَ طَهُوراً ولأمُتِكْ) ، والأرضُ عبارة عن النفس البشرية ؛ التي بلغت [منه][٢] في غاية الطهارة ، حين قال له الله : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾[سورة النجم : آية ١٧] ، وقد صُعِقَ موسى مِنْ تَجَلي الربوبية ، وقيل في إبراهيم : ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾[سورة الصافات : آية ١٠٥] على ظاهرها كذلك ، وأما في الأنبياء قد ظهرت البشرية ، من شأنها[٣] التعين بالصعقة أو أخذ الرؤيا على ظاهرها للبشرية ، عليهم الصلاة والسلام ؛ إلا محمداً ﷺ ، فإن بشريته معدومة لا أثر لها ؛ بخلاف غيره ، والأنبياء والأولياء وإن زالت عنهم البشرية ، فإنما زوالها عبارة عن استِتارها ؛

---

(١) في (ب) : شبه .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : منها .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ومن شأنها .

كما [تستتر][1] النجوم عند ظهور الشمس ، فبشرياتهم وإن كانت مفقودة في العين ؛ فهي موجودة في الحكم حقيقة ، وبشريته ﷺ معدومةٌ ، مفقودةٌ بالكُلِّيَة الكامل[2] والحاصل لمحمد ﷺ ، إنما هو كما ينبغي لله تعالى ، فمعرفة محمد ﷺ لله تعالى ؛ عِبارة عن معرفة الله لنفسه ، ومعرفة الأنبياء والأولياء والملائكة كلهم ؛ إنما هي على قدر قَوَابِلِهِمْ ، لا على قَدْرِ الله ؛ ولذلك بُعث ﷺ ، إلى كافة العالم بشيراً ونذيراً ، لأنه جمعَ المعارفَ وانْفَرَدَ بِها ، ومقامُ الجمعيةِ ليست إلاّ للهِ وحدَهُ ، فهو عَرفَ اللهَ بمعرفةِ الله ، فتَحَقّقَ بمقام الجَمعِيّة لم يتحقق بها غيره من الأنبياء ، قال : (نصرت بالرُّعبِ من مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً ، وترابها طهوراً ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغنائم ، ولم تحل لأحدٍ قَبلِي ، وأُعطِيتُ الشفاعةَ ، وكان النبي يُبعثُ إلى قومهِ خاصة ؛ وبعثت أَنا إلى الناس عامة) ، وفي رواية : (بعثتُ إلى الأحمر والأسود) ، يعني الإنس والجن ، ذلك جمعيته بالحقائق من المحلِ الذاتي ، المعبر عنه بالحقيقة المحمدية في اصطلاح القوم ، فافهم نص القرآن : ﴿ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[سورة يونس : آية ١٠٨] ، ﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ ﴾[سورة الأنعام : آية ٥] يعني محمد ﷺ ، وقد ذَكرَ أكثرُ علماء الشريعة قالوا[3] : إن الحق هنا ضد الباطل ، قال الله تعالى : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾[سورة النساء : آية ٨٠] ، وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾[سورة الفتح : آية ١٠] ، واسمه الرحيم ، محمد ﷺ ، فقال في حقه : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾[سورة الأحزاب : آية ٤٣] ، اسم ذاتي كما سبق ، وقال : ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ ﴾[سورة المائدة : آية ١٥] ، يعني محمد ﷺ ، وقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[سورة القلم : آية ٤] ، ولهذا قال الصديق الأكبر : (العجز عن إدراك ذاك الإدراك إدراك) ، وقال سيد المقربين المحققين مِنِ الأنبياء وخاتم

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل تستر .
(٢) هكذا في الأصل . ولعلّها : الكاملة .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فقالوا .

النبيين : (لا أحصي ثناء عليك) ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩١] يعني المقربين والمرسلين ، ومن دونهم من الأنبياء والصديقين ، وسائر عباد الله من المؤمنين والكافرين ، فافهم (فالكل)(١) في هذه الآية ، ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ؛ بل هو فوق ما عَرَفُوه ، وَوَرَاءَ ما قدروه به فافهم ، قال الله تعالى : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[سورة القلم : آية ١] ، وكَنّى به عن اللوح المحفوظ ، فهو كتاب الله الذي قال فيه : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[سورة الأنعام : آية ٣٨] ، وكِتَابُه كَلامُهُ ، وهو ﷺ جامعُ المحامدِ كُلِّها ، ومبادئ السعادة الأبدية ، وكان أتم طريقه الكشف ، وهو الأَكْمَلُ بالذاتِ ، ولا أكملَ مِن نبينا محمد ﷺ ؛ إذ كان نبياً وآدمُ بينَ الماء والطين ، توسل به ، فَأَصْلُ الرسائل(٢) هي الصلاة المقيدة ، له مزيد في تحصيلها ؛ إذ لا نهاية لمراتبه ، الصلاة وُصْلَة وقُرْبٌ من خزائن الجُودِ والكرم ، ومن هنا هذا السر ما تَسْتَحِقُّهُ قَابِلِيّة ، فمظهره من غير زيادة ولا نقصان ، فَأَعطى كل ذي حق حقه ، هو الذي تجلى في المظاهر ؛ على الترتيب اللائق بالعلم الإلهي، وأَعْطَى كل ذي حق حقه ؛ بحسب ما يقتضي من الظهور والبطون ، فافهم وتأمل من الورد(٣) والمصدر ، وقال تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ : (كنت كنزاً مخفياً) ؛ معناه الوحدة ، (فأحببت أن أعرف) ، بحسب(٤) (أن أعرف) ، يعني باسمائي ، والمحبة له ﷺ ، هي الواسطة بين الكنزية والظهور ، وكان الحبيب المخلوق منها ﷺ ؛ واسطة بين الله وبين خلقه ، وتلك هي الوسيلة الكبرى، التي لا تكون إلا لرجل واحد ، وهو خاتم النبيين محمد ﷺ ، وقائدهم عَظُمَ بالجلال من صفاته ﷺ ، وعَزّ بالكبرياء من خصوصياته العظمة ذاته ، والعِزّة صفاته ، فكنهه غريب المثال ، ونعته المحيط بالكمال ، فهو الكبير المتعال ، وفي الحديث النبوي إشارة

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) . وفي الأصل : في الكل .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : الرِّسالات .
(٣) في (ب) : المورد ، ولعل العبارة : وتأمل في .....
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بِحِسَاب أن أعرف . يعني : بحساب عد الجُمل .

ظاهرة في ذلك حيث قال عن الله عز وجل : (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ؛ حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها) ، هذا حديث طويل، إنما ذكرنا بَعضَه ، وهو حديث صحيح ، متفق على صحة إسناده ، فالسمع والبصر من جملة قوى الإنسان الباطنة ، واليدُ والرِّجل نَفْسُ جَارِحَة الإنسانِ الظاهرة ، فهو الظاهر منك ، وهو الباطن ، فاعرف به نفسك ؛ تكن عالماً ، ولا تعرفه بنفسك ؛ تكن جاهلاً ؛ والله الموفق وعليه التُّكلان.

* * *

﴿فصل﴾

(١١١)

قال الله تعالى : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[سورة يونس : آية ٦٢] ، فالله ولي العالم ، والإنسان الكامل ولي الله ، وصفة الولاية هي عبارة عن مرتبة التصرف الكلي ؛ في الوجود من غير مانع ولا عجز ولا نيابة ، بل تصرف المالك في ملكه ، وهو الإمام القطب الأكبر الغوث الجامع رضي الله عنه ، وهو ﷺ جامع الحَقِّيَّة والخَلْقِيَّةِ ، والحمد هو عبارة عن تجليه ، بجميع تلك الاسماء والصفات ؛ التي جمعها اسم الله ، فبهذا حصلت المناسبة الكلية بين اسم الله وبين الحمد ، فالحمد هو مقام النبي ﷺ ، وإلى ذلك أشار بقوله : (وله لواء الحمد والله هو المحمود) ، وهو صفة المصطفى المعبر عنه في اصطلاح القوم ؛ بالحقيقة المحمدية . اسمه المعيد هو الذي أخفى حكم الكثرة ، فَحَكَمَ الكثرةَ في الأحدية المحضة ؛ حتى لا يظهر فيها خَلْقٌ ولا حَقْ ، ولا صِفة ولا نَعتْ ، ولا اسم ولا رسم ؛ بل ذات مجردة لا ظهور فيها ولا بطون ، ولا

نسبة ولا إضافة الصفة إلى الذات ، والاسم إلى المسمى ، والعلم إلى المعلوم ، والعالم إلى العلم ، والعلم إلى العالم ، والمتعين إلى مرتبة التعيين ، ولهذا قال العارف بالله تعالى : (النهاية هي الرجوع إلى البداية) ، يعني نهاية الإنسان الكامل ؛ يرجع إلى التجلي الأحدي ، الذي هو مجمع البحرين ، وحضرة الجمع وحقيقة القدرة قوة ذاتية عظموتية ، لا يعجزها أمر البتة ، قال الله تعالى في الإنسان الأكمل ، والنظام الأعظم قوله : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾[سورة المؤمنون : آية ١٤] وكل العالم بأسره يتبدل في كل آن ، لورود التجلي الحاصل في ذلك الآن ؛ بحكم ذلك التجلي ، فالعَالَم على الدوام مخلوق خلقاً جديداً ، وله حقيقة التعظيم الإلهي ، المتجلي بنظر الجلال والإكرام ، عظيماً معظماً ، فلما تحقق المتحققون هذا المقام والختام ، وهو الفَردُ الذي صحت له العظمة من ربه ، العظمة الإلهية ، فَعَظَّمَتْهُ الموجودات بالضرورة ، وقال للسماء والأرض (ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا : أتينا طائعين) ، فافهم ، ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾[سورة الأحزاب : آية ٤٣] ، فقد ذكرنا في صدر هذا الكتاب ، كتاب المعراج . وهو ﷺ كان ، واسمه مالك الملك ؛ فإنه ﷺ كان متحققاً بهذا الاسم ، موصوفاً بصفة المِلْكِيَّة الوجودية ، والدليل على ذلك أن الله خلق العالم من أجله ؛ فهو مالك العَالَم ، وسَيِّده ، وقد قال : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) ، وقد سخر الله العالم لآدم وأولاده ، فقال : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾[سورة الجاثية : آية ١٣] ، فهو سيدهم ، فهو سيد الأشياء في القِدْم ، دليل واضح أن المِلْـكَ للعبد لا يوجد إلا على اتباع[1] ، والخدمة للمتبوع المَالِكْ ﷺ ، وأما اسمه ذو الجلال والإكرام ، فإنه ﷺ كان متحققاً بهذا الاسم ، ولجلالة قدره لم يسعه نبي مُرْسَل ، ولا مَلَكٌ مُقَرّب كما حكي في قوله : (لي وقت مع الله لا يسعني فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب) ؛ فإن قلت صح أن النبي المرسل والملك المقرب ؛ وَسِعَا

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : الاتباع .

الحقَّ تعالى ، لذلك قال : (ووسعني قلب عبدي المؤمن) ، ولم يسعا رسول الله ﷺ ، قلنا اعلم أن وُسْعَ المَلَكِ المقرب ، والنبيِّ المرسلِ ؛ للحقِّ تعالى ؛ إنما هو على مقدارهم لا قدره تعالى ، وَوُسْعَ رسول الله ﷺ على قَدْرِ الله ، فلهذا عجزوا عن وسع رسول الله ﷺ ، وهذا مقام الجلال والإكرام ؛ أَنْ يَسَعَ الأنبياءَ ولا يَسَعُهُ شيء ، وهو مظهرية الإنسان للحق ذاتاً وصفاتاً واسماءً وأفعالاً . وافهم ما أشير به عليك ، تَحَققْتُ العلمَ بالوصول إلى التحقق ؛ بما هو له ظاهراً وباطناً ، لكن هنا التوفيق السابق ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، والله الموفق وهو المستعان ، وافهم إذا صح لك المشهد الحقيقي أن شاهده لك من حيث الظاهر ، أنك إذا قلت للجبال الراسيات زُوْلِي زَالَتْ ، ولم تلبث نَفَسَاً .

* * *

﴿فصل﴾

(١١٢)

ولما نشرنا في هذا[1] المعاني ، وثبت ذلك من المَلِكْ المهيمن ، إن طلبنا منه مطلب ؛ فيكون بإذن الله ، في أسرع من طرفة عين ، وما ذلك على الله بعزيز ، ولم نبسط في ذلك ، إلاَّ أنا نُحِبُّ أَنَّ المريدَ المخلصَ الصادق يطمئنُّ قلبُهُ وينشرح صدرُه ؛ لأَنَّا نُدْرِكْ لَهُ فَوقَ مُرَادِهِ ومَطْلَبِه ، ولو جعلناه يَطلبُ لِنَفْسِهِ ؛ فيكون طلبهُ قاصراً[2] في طِلْبَتِهِ ، لكنه عندنا في مقام الفناء الكلي ، وإليه يرجع الأمر كله ، وإليه المصير . وعلِمنَا وفَهِمْنَا عُلوماً ؛ يعز إدراكها لذوي العقول والألباب ،

---

(١) في (ب) : هذه .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّه : لكان طلبه قاصراً .

وأولوا النهى والعقول الراجحة طَمِعَتْ مَعَنَا ، ما أمكن ظهوره[1] ، لما شاهدنا الأسرار القدسية ، ومفاتيح الأنوار الإلهية .

وافهم الصَبرُ على الأحوال المقدرة ، وحَمْدُ العاقبةِ والشكرِ ، ولُزُومِ الأفعال الطَّيِّبَةِ ؛على الكتاب والسنة ، قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ۝ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ١٥٥ـ١٥٧] ،فَبَشَّرَ اللهُ الصابرينَ بجميع الجزاء مِنه إليهم ، وهي الصلاة والرحمة مِنهُ عَليهم ، وأخبر أنهم المهتدون زيادةً في البشارةِ ، وإمعاناً في الفضل ، فقال تعالى : ﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ ؛ ﴿ فمن يهدي الله فلا مضل له ﴾ ، وكما قال عز وجل : ﴿ مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٨٦] ، قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾[سورة الطلاق : آية ٣] ، ودليل قوله : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[سورة الزمر : آية ١٠] [وهو الكريم المنَّان المعطي بغير حساب][2] ، وكيفية الوصول إلى التجلي الصمداني ، وما تَضَمَّنَه من الحقائق . وافهم الستور تختص بالهياكل البدنية الإنسانية ؛ المُرْخَاةُ من عَالَم الغيب والشهادة ، وحقيقتك تتجلى بالاسماء والصفات ؛ كما هي لذاتك حكم[3] الأَصَالةِ والمِلْكِ ، لا بالتبعية ولا بالنظر إلى حقيقة ؛ بل نسبة الكمالات كلها [إليك][4] ؛ كنسبة الصفات إلى الذات ، ولم تزل[5] مسايراً هذا المعنى ؛ حتى تفقده ولا تجد سواك ، وحينئذ ينكشف[6] لك في باطنك ،

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بما لا يمكن ظهوره ممّا شاهدنا من الأسرار . ...
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) وليس في الأصل .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بِحُكْمِ .
(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) .
(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ولا تزال .
(٦) هكذا في الأصل ، ولعلّها : يكشف .

عن مواقع نجوم الأزل ؛ من سَمَاءِ عِلَّة العِلَلْ ، بلا واسطة اسم ولا صفة ولا نسبة ؛ بل هو وجودك ـ لمعانيك الباطنة ـ في كل موجود سواك ؛ فإذا وجدتَ ذلكَ مِنْكَ لَكَ فِيكَ ؛ فأنت المُرَادُ الواحد ، وإذا [عثرت][1] على كيفية التجلي من الحق بصفاته ؛ فتح لك باب إلى تلك الحكمة ، من حيث الذوق . واعرف وافهم أن كل الأولياء وصلوا إلى القَدَرْ ؛ فوجدوه صَمْتاً فوقفوا ، إلاَّ أَنَا ، فانفتح لنا[2] فيه روزنة ، فولجت فيها ؛ فَدَفَعْتُ القَدرَ بالقَدَرِ ، فإن للحق كمالات لا يعرفها غيره ، وإن تجليه الذاتي لا يسعه الوجود بأَسْرِه ، فلا يظهر بكمالهِ إلاَّ لِذَاتـهِ ، وفي علمه لا يطيقُ الوجودُ ، كَمالَ ظهورِهِ بالكُنْهِ والذَّات ؛ بل ولا بِكَمالِ الاسماء ، ومن هنا سر جليل لو وقعت عليه ؛ لعرفت الأمر الذي لا تسعه العبارة ولا تحمله الإشارة؛ ومنها ما يمكن ظهورها في العالم ؛ بضرب من الحكمة ، فأتِ البيوتَ من أبوابها . الكبريت الأحمر إعلم أن ذلك هي[3] المشار إليها بجميع تلك الكمالات ، ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [سورة فصلت : آية ٣٥] ، إشارة في سرٍ ، ما تحمله العبارة ، والشأن العلي أنه أستاذك[4] ، والسؤال عن الفرق بين حالك وحالي ، هو التجلي الذاتي ؛ في معدن الجمال والجلال بهذا الخطاب ، ففتح في الأفق الأعلى ذلك الباب ، فَوَلَجْتُ في عَالَـمَيّ : برق لاح ونسيم فاح . يا هذا ما لم تَذُقْ لَذَّةَ السَّلْطَنَةِ الرَّبّانِية والعلوم اللدنية ، والأذواق والمشارب الهنيَّة ؛ التي تأتي بغتة ، فلما بَرَزَتْ طَالَعْنَا فيها من جمال الذات ، وسرايان الحقيقة مع اللطف ، وارتقينا إلى مقام الشهود ، فهو المقام[5] بكل شيء ، والمحيطُ به سبحانُه ، والساري في كل مشهد ، والشهود والشاهد تعالى هو الوجود[6] الواجب الوجود ، الممكن على

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) . وفي الأصل : أعثرت .

(٢) في (ب) : لي .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّه : هو المشار إليه ......

(٤) في (ب) : والمكان العُلى أنه استأذنك .

(٥) في (ب) : القائم .

(٦) في (ب) : الموجود .

الإطلاق، من حيث هو حِسٌّ ومَعْنى وجوهر وعرض، ومركب وبسيط، والمُمْكِنُ وإنْ تَلَوَّنَ ظُهورهُ وتَعَدَّدَ[1] أموره؛ راجع إلى عين النور الأصلي، والطاهر الكلي، وهو سِرُّ الأبدي الأحمدي المحمدي، المنطوي في أطوار مراتب الإظهار لكمال دوائر الأنوار، فأولُ تَطَوّرَاتِهِ، بعد انبِجَاسِه من عين غيب لاَهُوتِهِ؛ بالدرة المعلومة، ثم بحر ثم من زبداً، ثم زرعنا ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾[سورة طه : آية ٥٥]، ومن أنفاسنا النفيسة الطيبة العزيزة:

(١) في (ب) : بِعَدَدِ ، هكذا في الأصل . ولعلّها : وتعددت في (ب) : الظاهر هكذا في الأصل . ولعلّه : السِّر الأبدي .

فهـو غايـة الإحسـان والحسـن كلـه
ففيـه انطـوى صـور الجمـال بـلا حـد
بـه جفـت أقـلام الكتـاب وانمحـت
فـلا عـاد رسـم فيـه عنـدي ولا حـد
معاهـد لنـا في شـعب عـامر والربـا
وسفح من الوادي فبي قد صفى الورد(1)
فطبـت بسـاحات لليلـى ورامـة
بـذا ظبيـة الـوادي بالوصـل تشـهد
وقـد تم قصـدي عـن بانـات الحمـى
وقـد بـان لـي وجـه الغزالـة الأملـد
فصـرح بـإسمي في حماهـا وحبّـذا
فهـو بغـيتي بـل والمنـى هـذا الأمجـد
فهـو واحـد في حسـنه وجمالـه
وبـه قـد تسـاوى عنـدي القُـرب والبعـد
فمـا هنـد مـا سـلمى ومـا ريـم رامـة
وأهـل الحمـى والكـأس يـا سـعد أسـعد
وكـم بـت سـامر مـن سُـلَيما عجائـب
فَعَـرِّسْ بعـرش الاسـتوى بـي ترشـد
ركوبي بُراقي في سُرائي لحضرةٍ
وفي قـاب قوسـين دُنـوي وأسـند
وامـنحني في قـول كـن بالبشـائري
وضـمن قلـبي بالرضـى منـه سـرمد

---

(1) في (ب) : الود .

ولا زالــت الأمــداد تجــري بأســرها
علــى ســائر الأقطــار والســر يشــهد

ورَقَّــتْ زجاجــات المــدام وخمرهــا
وقــد ســكر الخمــار والحــان والعــود

فمــن لم يكــن في ذا الشــراب منــادمي
وإلا إن[1] عمــره ضــاع في غايــة البعــد

هنيئــاً لمــن كــان حاضــر ديرنــا
يعــم مــن الكــأس الــرحيم بــلا مــدّ

ومِــنْ أَنَّــةِ العــود الــرخيم بأنــة
بأوتارهــا نغــم فمــا نغــم العــود

محيــا حماهــا دارســاً ظَــلَّ موحشــاً
أنســه وأحيائــه مســربلة الســعد

وقــد أنعمــت في فَــيٍّ بــارد ظلــها
وقــد أنعمــت بالوصــل منهــا وبالمــد

❊ ❊ ❊

(١) في (ب) : وإلا فعمره .

﴿فصل﴾

(١١٣)

وذكرنا في العقل الأول اشتماله على جميع الخلائق[١] ، العالم صَوَّرَهَا على طريق الإجمال ؛ عَالَمٌ كُلِّي يُعْلَمُ به الاسمُ الرحماني ، والنفسُ الكلية ؛ لاشتمالها على جميع الاسماء ؛ اشتمل عليه العقل الأول، علامة الاسم الإلهي ، وأول حضرة الغيب المطلق عالمها عالم الأعيان ، وعالمها عالم الإنسان الكامل ، في الجميع سريانه فيها ، فعالم الملك مظهر الغيب المضاف إلى تسميته ، وقد يقال للعقل أم الكتاب ؛ لإحاطته [بالأشياء][٢] إجمالاً ، والنفسُ الكلية الكتاب المبين ؛ فيها عِلْمٌ متفاضل لا يعرفه إلا أهله ، لكن ينفتح لمن له صدق التوجه والإخلاص في طريقهم ، واعتبار أحوالهم ، وقد محوا وأثبتوا ، ولا هُنَا محو ؛ لأن المحو من الاستعدادات الشخصية ، وتعود إلى الأصلية ، طورها الأفلاك والفلكية المعدة لتلك الذوات ، والمَاحِي والمثبت والفَعَّال لما يشاء وأمثالها ، والإنسان الكامل كتاب جامع [لهذه][٣] الكتب المذكورة ؛ لأنه نسخة العالم الكبير ، قال العارف بالله الرباني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

دوائك فيك وما تشعرُ
وداءك منك وما تبصر
فلا حاجة لك من خارج
وفكرك فيك وما تفكر

---

(١) في (ب) : الحقائق .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) . وفي الأصل : الأشياء .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : لهذا .

وأنــــت الكتـــــاب المـــــبين الـــــذي
بأحرفـــــــــه يظهـــــــــر المضـــــــــمر

وقال رضي الله عنه وكرم الله وجهه :

أنـــــا القـــــرآن والســـــبع المثـــــاني
وروح الـــــــــروح لا روح الأوانـــــــــي
فـــــؤادي عنـــــد مشـــــهودي مقـــــيم
يشـــــاهده وعنـــــــدكم لســـــــاني

فمن حيث روحه وعقله كتاب عقلي سُمِّيَ بأم الكتـاب ، ومـن حيـث قلبـه كتـاب اللـوح المحفوظ ؛ التي لا يمسها ويدرك أسرارها ومعانيها(١) إلا المطهرون مِنَ الحجبِ الظلمانية ، ومـن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات ، فهي الصحف المكرمة المرفوعـة لا يمسـها إلا المطهـرون ، وما ذكرنا من الكتب هي أصول الكتب الإلهية ، ونفس الرحمن [إلى](٢) العبد المخلص بلا انقطاع ، وإسقاطُ كلِّ إضافةٍ في العـالم يردهـا [إلـى](٣) الميثـاق الأول ، وحقيقـة الإضـافي الوحـداني ؛ الحقيقة المتكثرة بصور المعاني وهي الأعيان ، تكون في الحضرة الواحـدة ، تكـون إلـى حضـرة الشهود للتجلي . نفس الرحمن هو الذي وجد به الكل ، فيظهـر لأهـل البصـائر الكشـف الجلـي الرباني ، ومنها مشاهدات غيبية ، ومشاهدات البرزخ ، فعلم ما يكون في العالم الدنياوي(٤) . فـلا(٥) غرض في ذلك عند الخواص الأكابر العارفين ؛ لأنهم علـى بسـاط الحـق ، وفـي مشـيئة الحـق ، ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة الرحمن : آية ٢٩] ، ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّـهُ ﴾ [سورة الإنسان : آية ٣٠] ،

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعله : الذي لا يمسه ولا يدرك أسراره ومعانيه إلاّ المطهرون .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : إلا .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : إلا .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وعلم ما يكون ....

(٥) هكذا في الأصل ولعلّها : ولا غرض .

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[سورة فصلت : آية ٤٦] ، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ﴾[سورة فصلت : آية ٤٦] ، ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۞ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾[سورة البروج : آية ١٢-١٣] ، وفي المعنى من اشتباه السابقة تبيانٌ لِلْعَالِمِ الفَطِنِ ، وموجود مستبصر[1] للكل ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا ﴾[سورة غافر : آية ٥٩] ، ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[سورة طه : آية ١٥] ، ونحن نَدُلُّكَ من الآيات الدالة عليها ، وندلك بطلوع شمس الذات الأحدية ؛ من مغرب المظاهر الخلقية ، وانكشاف الحقيقة الكلية ، وظهور الوحدة التامة ، وانقهار الكثرة ، كقوله : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ، وما نخص به من الموحدين[2] ؛ من الفناء في الله والبقاء به ، قبل وقوع حُكْمِ ذلك التجلي على جميع الخلائق ، وتسمى القيامة الكبرى ، ومنها ما لا يصح كشفها وإظهارها ، لصيانة أسرارها الغامضة اللدنية ؛ من مظهر الروح الأعظم ، الذي في الحقائق هو البرزخ الإنساني ، مظهر الذات الإلهية .

* * *

﴿فصل﴾

(١١٤)

فَلِمَا ذكرنا في بيان هذا العلم اللدني ، ومظهر المعاني ؛ فامْحُ [الموهوم][3] ، وأثبت المعلوم ، وحقيقة التوحيد إثبات الأحدية ، فَلَّما[4] صح إثبات التوحيد الأحدي ؛ فظَهَرَ[5] نُورٌ

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : موجود مستبصر للكل .

(٢) في (ب) : وما يخص ، ولعل العبارة : وما نخص به إلا الموحدين من أهل الفناء ......

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : الوهوم .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ولَمّا .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ظهر .

مُشرقٌ من صَبْحِ الأَزَلْ ، فتلوح(١) بروق المعارف . وَطَلَبُ مقامِ الولايةِ الذي هو مقام الفناء في الذات الأحدية ؛ دليل(٢) لا يُرْتَقَى إلا لصاحب الاستعداد الكامل ، بقائد نور التوفيق والهداية ، وسَابِقُ سَابِقَةِ العناية . فَلَمَّا ظَهَر لنا ، وأُطْلِعْنَا على أسرار مِن هَدَايَا الرحمنِ الرحيمِ ما يليق الكمال به(٣) ، وطالعنا من الحقائق المصونة والخزائن المكينة المكنونة ، وحق الاستغراق في الذات الأحدية لم يكن له وجود ، لأن بحر التوحيد لم يطفح منه شيء ، إذا كان في مقام الولاية ، مستغرقاً في مقام الجميع(٤) ؛ لم يرشح إليه شيء ، فكان علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - يقومُ في مقام البقاء بعد الفناء ، موجوداً بالوجود الحَقَّانِي، ممتلئًا بالنور الأحدي ، كما وصفه النبي ﷺ ؛ بأنه ممسوس في ذات الله ، يطفح ذلك النور عند قيامه بحق العبودية ، فلما بان مظهر نور الوجه من الجمال ، وهو صفة الجمال من غير إشارة ، أي بلا إشارة، وهو مقام الفناء المحض ، أي الحقيقة هي طلوع الوجه الباقي ؛ بكَشْف حُجُبِ الصفات عنه، فتحرق سبحاتُ وجههِ ما سِوَاه ، فلا تبقى الإشارة [إلى شيء](٥) ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٦-٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، مقام الإخلاص الذي [أشار](٦) إليه ، بقوله رضي الله عنه : (كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه) ، فصار علمه غيباً(٧) ، وعين حقاً(٨) ، وتوحيده شهوداً وعياناً ؛ لا علماً وبياناً ، ومن استقوى على قلبه سلطان العشق ؛ نفى الوهم وطرد جنود الهوى والنفس الأمارة . قوله : ﴿ مَا زَاغَ

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فلاحق .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّه : جليل .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : مما يليق من الكمال به .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها الجمع .
(٥) ما بين المعقوفتين ، في (ب) ، وفي الأصل : إلا شيء .
(٦) ما بين في (ب) ، وفي الأصل : أشارة .
(٧) في (ب) : عينا .
(٨) كذا في الأصل ، ولعلّها : وعينُ حقٍ .

الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾[سورة النجم : آية ١٧] ، حصول الحقيقة ، فلما شربوا من كأس الحُبِّ كأساً بعد كأس [فلا نفذ](١) الشراب ولا رَوينا منه ، فكلما شربنا من كأس المحبة ؛ ظهر العطش ، فلما استزاد البيان انتهى إلى رتبة الكمال والنهايات . في غلبةِ السِّرِ ، قوةُ الجذبِ نور الذات(٢) ؛ إلى الحضرة الأحدية ، التي هي منشأ الاسماء والتوحيد ، وذلك النورُ هو العَيْنُ الكَافُوري ؛ الذي هو مشرب المقربين خاصة ، فلا يبقى مع هذا الجَذبِ والشرابِ الحَقَّانِي لِلْغَيْرِ عَيْنٌ وَلاَ أَثَرْ . ولما كان كُمَيْل عارفاً بأنه مقام التوحيد والفناء في الذات ، وإن كان مقام الولاية ليس مقاماً تاماً ؛ لأن صاحبه لا يصلح للهداية ، والكميل(٣) لما لم يرجع من الجمع إلى التفصيل ، ومن الوحدة إلى الكثرة ، ولم يصل بعد إلى مقام الصحو بعد السكر ، ولَمْ يُحَصِّلْ مقامَ الاستقامةِ ، المأمورُ بها النبي ﷺ ؛ [بقوله تعالى](٤) : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[سورة هود : آية ١١٢] ، فَاسْتَوضَحَ واسْتَزَادَ ، فقال : (نور يشرق من صبح الأزل ، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره) . اللهم أشرق نور الوجه من أزل الأزل ، اللائح على مظاهر صفات الحق وذاته ؛ [في](٥) أعيان الموجودات ومُسَمَّاهَا . وحقيقة شهودها ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[سورة الصافات : آية ٩٦] ، وصورته أن ترى الأشياء التي انطوت فيه ، الذي هو العالم الكلي ، والنور المحمدي الأصلي المُسْتَبِد باسم الخلافة ؛ عين ظهور الأفعال حقيقة على الفَعَّالْ(٦) ، ثم استهلاك شاهدك فيه كذلك على الدوام ؛ ليصير ذلك سجية لك أيها السالك ، وتوحيد تجلي الصفات ؛ فَتَسْتَخْرِجُ ـ من خزائن الاسماء المُتَجَلِّى بها ـ المُسَمَّى على مقتضى صفاته القائمة بذاته ، وهي تنقسم إلى : صفات فعلية ، وصفات ذاتية ، وهي الحياة والعلم ،

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : لا نفد .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : قوة الجذب من نور الذات .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وكُمَيل .
(٤) ما بين المعقوفتين ليس في الأصل ، وفي الأصل : قوله :
(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : هي .
(٦) هكذا في الأصل ولعلّها : تدل حقيقة على الفعال .

والقدرة والإرادة ، والسمع والبصر والكلام ، وما سوى ذلك فِعْليٌ ؛ مثل : الخالق البارئ المصور ، وجميع ذلك بالنسخة الكاملة الإنسانية ؛ وحقيقتها اللطيفة الناسوتية ، التي طوى فيها جميع التجليات من صفاتٍ وأفعال وذات ، بِعَدَ دْ كل ذرة من مجموعها مادةُ العالم ، ثم أُلْزِمَت بوجود الصفات المرتبة فيها ؛ إذ هي حَيَّة عَظِيمة قَدِيرَة مريدَةٌ متكلمة ، سميعة بصيرة ، فالأولُ الباطنُ سارٍ في الظاهر الآخر ، ثم ذلك ظهور الذات المتبرقعة ؛ بتجلي النور الوجودي ، القائم بها ، وهي تنقسم إلى تعرفات سر خفي[١] . التجلي الذاتي ، استهلاك الكل في عين واحدة[٢] الجمع المطلقة ، المجردة عن النعت ؛ التي هي عينها غيبها ، وغيبها عينها ، وملكوتها شاهدها ، وشاهدها ملكوتها ، وملابسها لوابسها ، ولوابسها ملابسها ، المتسمية باسماء هِيَ هِيَ ، ولا هي هي ، وعارفها معروفها ، وحضرتها حاضرها ، تنفي أضدادها[٣] ، راجعة إليها ، تَمَيُّزُهَا سَقَطَ بِها ، فلا هِيَ إلاَّ هِيَ ، إلاَّ غاية[٤] مشهد العارفين ، المُسْتَهْلَكِينَ في عين مَعْرُوفِهِم ، وهذا التجلي غاية التجليات ، ومنتهى مرام أهل المقامات ، وصاحبه هو العارف الواصل ، والكامل هو الحكيم ، والحكيم هاهنا حكيمان ، حكيم كامل ، وحكيم أكمل ، فالحكيم الكامل حكيمٌ عارفٌ بوجهِ ظهورِ الحَقِّ ، في مظاهر الجلال نعوت[٥] القهر ، من الحضرة الإلهية ، والجمال نعوت الرحمة والألطاف وسريان الروح الأصلي .

* * *

(١) في (ب) : بعرفان ، سر خفي .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلّها : وحدة الجمع .

(٣) في (ب) : تبقى امدادها .

(٤) في (ب) : غاية مشهد العارفين ......

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها: في مظاهر الجلال بنعوت القهر من الحضرة الإلهية ، والجمال بنعوت الرحمة ....

﴿فصل﴾

(١١٥)

والحقيقة سلب أوصافك منك بأوصافه ، بأنه الفاعل بك فيكِ منك لا أنت ، ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ [سورة هود : آية ٥٦] ، وإذا أَمْسَكَتْ الغفلةُ عين القلبِ ؛ لم يدخل فيه اليقين ، اللهم ارزقنا كمال اليقين والثبات في الدين ؛ على الامتثال بما جاء به الرسول محمد ﷺ ، فكن متابعاً له بالمحبة والذوق في أقواله وأفعاله . ولا تزال تقدح[١] من نار الندامة المجردة ، ونفي الكون عن باب القلبِ وعن القلبِ، وهنا افهم التجريد التفريد وقوفك مع الحق اللطيفة ، وكل إشارة رقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة ، وقد يطلق بها[٢] . النفس الناطقة تلبيةُ الحق لعبده بِسَبَبٍ وَتَعَيُّنْ[٣] ؛ بسبب الرياضة ، رياضةُ الأدب وهو الخروج عن طبع النفس ، ورياضة القلب وهو صحة المراد به ، وبالجملة عن تهذيب الأخلاق النفيسة[٤] ، المجاهدة حمل المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال . فلما اضمحلت النفس والرياضات ؛ فكان القلب غائب عن كل حس ومحسوس[٥] ، فلا يكون إلا بمشاهدة محبوبه ، كان المحبوب ما كان الزمان . السلطان ، الزاجر الواعظ الحق في قلب المؤمن[٦] ، وهو الداعي ، وبعد ما ينكشفُ غيمُ الحجبِ عن عَينِ القلب ؛ فانبسطت على[٧] العبد العارف بالله الحقائق ، فلما[٨] ظهرت ولمعت الأنوار

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ولا نزال نقدح ......

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : التجريد والتفريد هو وقوفك مع الحق ، اللطيفة إشارة لطيفة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة ، وقد تنطلق بها العبارة .

(٣) في (ب) : لعبده تسبب وتعيين بسبب الرياضة.

(٤) كذا في الأصل ، ولعلّها : النفسيّة بالمجاهدة وحمل المشاق ......

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : كان القلب غائباً عن كل حس ومحسوس .

(٦) هكذا في الأصل ، ولعلّها : هو الزاجر الواعظ في قلب المؤمن .

(٧) هكذا في الأصل ، ولعلّها : انبسطت على ......

(٨) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وظهرت ولمعت ....

الكشفية من رقائق أنوار التجلي ، وعند الأكثرين مقام نقص ، وهو عندنا هو أكمل المقامات ، وحال العبد في ذلك قوله : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة الرحمن : آية ٢٩] ، ورغبة القلب في الحقيقة هو رغبة السِّرِ في الحَق ، وتحقيق أمر السبق . المكر تتابع النِّعَم مع المخالفة ، وإبقاء الحال مع سوء الأدب ، وإظهار الآيات والكرامات من غير أمرٍ ولا حَد . الاصطلام(١) نعت وله يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه . الغُرْبَةُ تُطلق بآثار مفارقة الوطن ، في طلب المقصود ، ويقال به عن الحال من حقيقة التفرد فيه . ورحلنا إلى دار البقاء من دار الدنيا الفانية ، رمقنا الوحدانية [والإيمان](٢) قوله تعالى : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة يونس : آية ٦٢] ، ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [سورة فصلت : آية ٣١-٣٢] ، وافهم.

* * *

﴿فصل : في عقيدة جامعة﴾

(١١٦)

أشهدكم على نفسي بعد شهادة الله عز وجل وملائكته ، ومن حضر من الروحانيين ، أو سمع أني شهدت قولاً وعقداً أن الله تعالى إله واحد لا ثاني له ، منزه عن الصاحبة والولد ، مالك لا شريك له ، مَلِك لا وزير له ، صانع لا مدبر معه ، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده ، فكل موجود مفتقر إليه في وجوده ، فالعالم كله موجود به ، وهو موجود بنفسه ، لا افتتاح لوجوده

(١) في (ب) : إلاّ اصطلام نعت .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وليس في الأصل .

ولا نهاية لبقائه ، بل وجوده مستمر مطلق قائم بنفسه ، ليس بجوهر متحيز فيقدر لـه المكـان ، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فتكون له الجهة ، مقدس عن الجهات والأقطـار ، مرئـي الذات بالقلوب والأبصار ، استوى على عرشـه كمـا قالـه ، وعلـى المعنـى الـذي أراده ، كمـا أن العرش وما حواه به استوى ، وله الآخرة والأولى ، وليس له مَثَلٌ معقول ، دلـت عليـه العقـول ولا يحده زمان ، ولا يقله مكان ؛ بل كان ولا مكان وهو على ما عليه كان ، خلـق الممكـن والمكـان ، وأنشأ الزمان ، وقال : أنا الحي الذي لا يؤده حفظ المخلوقات ، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها ، مِنْ صنعه المصنوعات ، تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها ، أو أن تكون بعده أو قبله ؛ بـل يقـال كان ولا شيء معه ، فهو القيوم الذي لا ينام ، والقهـار الـذي لا يُـرام ، لـيس كمثلـه شـيء ، خلـق العرش وجعله حد الاستواء ، وأنشأ الكرسي وأوسـعه الأرض والسـماء ، اختـرع اللـوح والقلـم الأعلى ، وأجراه كتاباً في خلقه بعلمه ؛ إلى يوم الفصل والقضاء ، ابتدع العـالم فخلقـه علـى غيـر مثال سبق ، وخلق الخلق الذي خلق ، أنزل الأرواح في الأشباح ، وجعـل هـذه الأشـباح المنزلـة إليها الأرواح في الأرض خلقاً ، وسخر لنا ما في السموات وما في الارض جميعاً منه ، فما تتحرك ذرة إلا به وعنه ، خلق الخلق من غير حاجة إليهم ، ولا موجب أوجب ذلك عليه ، لكن علمه على بيان ، فخلق ما خلق ، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصـدور ، كيف لا يعلم شيئاً وهو خلقه وقَدَّرَه ، من الطينة المذكورة ؟ ! ، فكيف لا يعلـم غـوامض خـواطر مخلوقاته وهو اللطيف الخبير ؟ ! ، علم الأشياء قبل وجودها ، ثم أوجدها على حـد مـا علمهـا ، فلم يزل عالماً بالاشياء ؛ لم يتجدد له علم [عند](١) حدوث الأشـياء بعلمـه . أَتْقِـنْ الحـق وأَمْعِـنْ

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وليس في الأصل .

النظرَ الصحيح ، والاتِّفاق على أهل التحقيق[1] ، فهنا يقول قائلهم: فهو عالم الغيب والشهادة ، فتعالى عما يشركون ، فَعَّالٌ لما يُريد ، فهو المريد للكائنات في عالم الأرض والسموات ، ولم تُبْرِزْ قُدْرَتُهُ شيئاً حتى أَرَادَهُ ؛ كما أنه لم يُرِدهُ سبحانه وتعالى حتى عَلِمَهُ ، إذ يستحيل في العقل أن يُرِيدَ ما لا يَعلَمْ ، أو يفعلُ المختارُ [المتمكِّن][2] من ترك ذلك الفعل ؛ الذي لا يريده ، كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير هي ، كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها ، فما في الوجود طاعة ولا عِصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا حَرْ ولا بَرد ، ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فَوت ، ولا نهار ولا ليل ، ولا اعتدال ولا ميل ، ولا بَر ولا بحر ، ولا شفع ولا وتر ، ولا جوهر ولا عرض ، ولا صحة ولا مرض ، ولا فرح ولا ترح ، ولا روح ولا شبح ، ولا ظلام ولا ضياء ، ولا أرض ولا سماء ؛ إلا بإرادته ، لا معقب لحكمه ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، ويضل من يشاء ، ما شاءَ كان ، وما لم يشاء لم يكن ، ويتعبر[3] الإرادة المنزهه الأزلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان ، فلا مُرِيد في الحقيقة سواه ، إذ هو القائل سبحانه : ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[سورة الإنسان : آية ٣٠] . وأنه سبحانه وتعالى كما عَلِمَ وَحَكَمَ وَأَرَادَ ، فَخَصَّ وَقَدَّرَ ؛ كذلك يسمع وَيَرَى ما تحرك أو سكن أو نطق ، في العالم الأسفل والأعلى ، لا يحجب سَمْعَهُ البُعْدُ فهو القريبُ ، ولا يحجب بصرَهُ القربُ فهو البعيدُ ، يسمع كلامَ النَّفْسِ في النَّفْسِ ، وصوت المُمَاسَّة الخَفِيَّةِ عند اللَّمسْ ، ويرى السَّواد في الظلماء ، والماء في الماء ، لا يحجبه الامتزاج ، ولا الظلمات ولا النور ، وهو السميع العليم ، تَكَلَّمَ سبحانهُ لا عن صوتٍ مُتَقَدِّمْ ، ولا سكوتٍ مُتَوَهَّمْ ؛ بكلامٍ قديمٍ

(١) هكذا في الأصل ، : ولعلّها : على ما اتفق عليه أهل التحقيق .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) . وفي الأصل : الممتكن .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وتعتبر .

أزلي ؛ كسائر صفاته من علمه وقدرته ، كلَّمَ به موسى عليه السلام ، سَمَّاهُ التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل من غير حروف ، ولا [أصوات](١) ولا نغم ولا لغات ؛ بل هو خالق الأصوات والحروف ، وكما أن ذاته لا تصل [إليها](٢) الزيادة والنقصان ، فسبحانه سبحانه عظيم السلطان ، قديم الإحسان ، جسيم الامتنان ، كل ما سواه عن جوده فائض ، وفضله وعدله الباسط والقابض ، كَمَّلَ صُنْعَ العالمِ وأَبْدَعَهْ ؛ حين أَوْجَدَهُ واخْتَرَعَهْ ، لا شريك له في مُلْكِهِ ، ولا مُدَبِّر معه في ملكه ، إن أَنْعَمَ فَنَعَّمَ فذلك فَضْلُهُ ، وإن أَبْلَى وعَذَّبَ فذلك عَدْله ، لم يتصرف في ملك غيره ، فينسب إلى الجور والحيف ، ولا يتوجهُ عَلَيهِ لِسواهُ حكمٌ ؛ فيتصف بالجَزَعِ لذلك والخوف . كل ما سواه تحت سلطان قهره ، ومتصرف عن إرادته وأمره ، فهو المُلْهِمُ نفوسَ المكلفينَ التقوى والفجور ، وهو المتجاوز عن سيئات من يشاء ، والآخِذُ بها من يشاء [هنا](٣) وفي يوم النشور . لا يحكم عَدْلُه في فَضلِه ، ولا فَضْلُه في عَدلِهِ ، أخرج العالم قبضتين ، وأوجد لهم منزلين ، فقال : (هؤلاء في الجنةِ ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أبالي) ، ولم [يعترض عليه معترض](٤) هناك ولا هنا ، إذ لا موجود كان ثَمَّ ، فالكل عن تصريف اسمائه ؛ فَقَبْضَةٌ تحت اسماء بلائهِ ، وقَبْضَةٌ تحت اسماء آلائهِ ، ولو أراد سبحانه وتعالى أن يكون العالم كله سعيداً لكان ، أو شقيا [لكان](٥) لَمَّا كان في ذلك : كُلُّ يوم هو في شأن ؛ لكنه سبحانه لم يرد ، فكان كما أراد ، فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد ، فلا سبيل إلى [تبديل](٦) ما حَكَمَ عليه القديمُ ، وقال تعالى في الصلوات الخمس ، وهي خمسون : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [سورة ق : آية ٢٩] ؛ في مُلْكِي وإنفاذ مشيئتي .

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : الأصوات .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : إلى .
(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وليس في الأصل .
(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : يتعرض عليه متعرض .
(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : كان لما كان .
(٦) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : تبدل .

وهذه الحقيقة عزيزة عَمِيَتْ عنها البصائرُ ، ولم تعثر عليها الأفكار والضمائر ، إلا بفضلٍ إلهي ، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[سورة الصافات : آية ٩٦] ، ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ٢٣] ، ﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٤٩] . وها أنا أُشْهِدُ اللهَ وملائكتَه وكتبه ورسله وجميع خلقه ؛ أنِّي عَرفْتُه به جَلَّ وعَلاَ أن تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ، وَأُشْهِدُهُ سُبْحَانَه وتعالى وإِيَّاكُمْ على نَفْسِي ؛ بالإيمان لمن اصطفاه واختاره واجْتَبَاهْ وأعطاه ، وارتضاه من وجوده(١) ، سيدنا محمد ﷺ ؛ الذي أرسله إلى جميع الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلغ ﷺ ، ما أُنْزِل إليه من رَبِّه ، وأَدَّى أمانَته ونَصَحَ أُمتَه ، ووقف في حجة وَدَاعِه ، على كل من حضر من أتباعه ، وخطب وذَكَّرْ ، وخوّف وحَذَّر ، وبشّر وأَنْذَر .

* * *

﴿فصل﴾

(١١٧)

وافهم أن كُلَّ أستاذِ زمانٍ ؛ عينُ النورِ الأصلي ، المُسْتَأْثرُ باسم الخلافةِ ، رحمةً للعقول ؛ لضعفها عن شهودِ النورْ ، مِنْ حيث هُوَ هُوَ ، فإذا أَتْمَمْتَ ما بين حِكَمِهْ وَرَسْم عِلْمِه(٢) ؛ ولابد من شهودك(٣) الموجود المُتَمَكِّنْ ، على ما تقدم من حقيقته ؛ التي هي النور الأصلي ، جامعاً له في الإنسان الكامل ، المكمّل الموسوم بالخلافة المحمدية ؛ حتى يكون ذلك سَجِيَّتُه ، بحسن سيرتهِ

---

(١) في (ب ، جـ) : من جوده .

(٢) لعلّ المراد هنا : بحكمه الطريقه ورسم علمه الشريعه وحينها لا بد من شهود الحقيقة .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فلا بُدَّ من شهودك .... الخ .

وأخلاقه النفيسة المحمودة ، فتكون نَفْسُهُ مندرجة تُرَابِيَّة ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات : آية ٥٦] . فافهم وأَحْكِمْ إذا وَصَلْتَ إليه ؛ليكونَ الحكيم الكاملُ أَمَامَكْ ، ولا تزال واقفاً على وجه الحكمة ، في ظهور كل صفة ، هي عين[١] ظهور الحق ؛ على ما تقتضيه الاسماء ، التي تجلى بها المسمى[٢] ، ويؤمنه بخزائن[٣] علمه المكنونة المصونة ، المالك[٤] السابح في بحار طِمْطَام كل شيء هالك إلا وجهه ؛ راكب سفنَ النجاةِ ؛ بإتباع الشريعة المشروعة ، ولابد من الإتيان بواجباتها المفروضة ، وسننها المندوبة ، وكل ما أحبه وأشار به ؛ يكون على الرأس والعين ، ولابد من محبته المحبوبة ، قوله: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [سورة المائدة : آية ٥٤] ، ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [سورة طه : آية ٣٩] ، ولابد من [هذا][٥] المشهد ؛ مشهدُ العارفين المُسْتَهْلِكين في عين مَعْرُوفِهم ، ولا نزال طالبين المزيد والمنافع ؛ بِمَنِّه وكَرَمِهِ وجُودِه ، لا رَبَّ غَيْرُه .

* * *

﴿فصل﴾

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : التي هي عين .....الخ .

(٢) في (ب) : تجلى بها المتجلّي .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : على خزائن ....

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فيصير المالك السابح .....

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وليس في الأصل .

(١١٨)

ولما فهمنا من علوم وفنون ، وما استوعبت اللفظ ، وهو من فَضْلِه وجُودِه مَفْهُوم ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾[سورة إبراهيم : آية ٢٠] ، ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[سورة آل عمران : آية ٧٤] ، فلا نذكر في هذا الكتاب إلا ما كان مفهوم عند كل من ينظر فيه ، وأما قليل الفهم في العلم اللدني فَإِنَّه يَحْتَارُ فيه ، ويعتاص عليه ، وهو معذور ؛ لأن الدَّرَجات العالية لا يَرْقَاها أهل الدرجات السَّافلة ، فانهض إلى ما سَطَّرْنَاه وأمليناه من المعاني العزيزة[١] ، والمراقي الفوقية ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] . وأوردنا فيه من العلوم اللدنية التي هي تندرج في تُرَابِيَّةِ الجسم ، وهي سفينة القلب [التي][٢] إذا صلحت صلح الجسد كله أَلا وَهيَ القلب ، فلما كان ذلك في الكتاب مسطورا[٣] ؛ ثَبتَ ذلك في القلب المُنَوَّر طالع التنزيل في أفق سماوات الأسرار الطَّاوِي قوابلَ الطالب ؛ فيكون إذا اعتبرت هي من حيث هي ، فلا هنا وصف ولا صفة عند الكملاء بالهوية[٤] . وحقيقة[٥] الحقائق إذا اعتبرت فهي مجردة عن الصفات الزائدة ، وهي متعلقة باللطف والرحمة ، تكون وتعود من الصفات الجمالية ، فكيفية رجوعها[٦] إلى حقيقة واحدة هي الذات الأحدية ، وأيضاً ولابد[٧] من معرفة طريق السلوك إلى الله

(١) في (ب) : الغزيرة .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : الذي .
(٣) في (ب) : المسطور .
(٤) في (ب) : إلاّ صفة عند الكملاء بالهوية .
(٥) في (ب) : فصل : وحقيقة .
(٦) في (ب) : وكَيفيّة ، ولعلّها : فيكون رجوعها إلى ..... الخ .
(٧) في (ب) : على هكذا في الأصل . ولعلّها : وأيضاً لا بد .

والمجاهدة ؛ لِتَخْلِيصِ النَّفْسِ عن مضايق القيود الجزئية(١) ، [وإيصالها](٢) إلى مبدئها ، واتصافها بنعت الإطلاق ، ولا يعرف الفائدة إلا أهل الذوق والكشف الجلي ، ولا يحتاج إلى بسط كلام فيه ، يكون غامض خفي لطيف ، وهي ضياء شمس الحقائق ، وهم لا يزالون على السلوك وحفظ الآداب ، وكذلك مَتْبُوعُهُم في أحسن سِيرة ، وحفظ آداب الجوارح ، وآداب القلب لابد من ذلك ، فكان كل شيء(٣) منه تابع أحسن طريقة ، قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٣١] ، ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [سورة يوسف : آية ١٠٨] ، وكل من لم يرق هذا الأمر ؛ فيكون(٤) قاصر في هِمَّتِه وعَزْمِه . ومِنْ مُطَلقِ الرُّبُوبِيَّةِ ، ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾ [سورة النجم : آية ٤٢] ؛ نَبَّهَ على أن غاية(٥) الغاية ؛ التي هي غاية الغايات ، وليس بعدها إلا [تفصيل](٦) درجات الأكملية ، التي لا تقف على حد ولا غاية ، وقد أشار ﷺ إلى ما ذكرناه في بعض مُنَاجَاتِه ، فقال : (أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك) ، أي لا أَبْلُغ كل ثناء(٧) فيك ؛ فجمع فيه التَّنْبِيهَ على تَعَذُّرِ الإحاطةِ ، بين التصريف(٨) بانتهائه ؛ في معرفة الحق إلى غاية الغايات ، هذا كالتفسير للآية المذكورة وهي قوله : ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾ ، وفي الأحاديث تنبيهات

---

(١) في (ب) : عن المضايق والقيود الجزئية .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : وإيصاله .
(٣) في (ب) : فصار ، ولعل العبارة : فصار كل منهم تابع لأحسن طريقه .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : يكون .
(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : على أنّها غاية .
(٦) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : تفضيل .
(٧) كذا في الأصل ، ولعلّها : الثناء .
(٨) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : فجمع فيه بين التنبيه على تعذر معرفة الحق وبين التعريف بانتهائه في معرفة الحق ..... الخ .

وعلوم كثيرة ؛ تشير إلى ما ذكرناه ـ في هذا الكتاب ، من تتبعها[1] بعد التيقظ والتفهم ، وكل ما ذكرناه فهو من صحيح الحديث النبوي ﷺ ـ واضحاً جلياً كالشمس الضاحية ؛ والأعمى أعمى ، والأَكْمَهُ أَكْمَهْ ، والأَصَمُّ أَصَمْ . وأكثر ما نأخذ من القرآن العظيم ، ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام : آية ٣٨] ، وقد نبه أهل الله العارفين في المحبة ، الفانين في الإرادة ، وافهم من توفيق[2] الموفق ، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ ﴾ [سورة هود : آية ٣٨] هو مقام الكمال ، وهو التجلي الذاتي ، وهو مقام التوحيد الأعلى .

* * *

﴿فصل﴾

(١١٩)

ونقولُ هذه التَّجَلِّيَات لا تكون إلاَّ بَغْتَةً ، وكان فِي بعض اللَّيَالي ظهر علينا وَارِدَاتُه[3] . مَنْ لم يَذُقْ هذا المَشْهَد ؛ لم يكن في امْتِثال الوراثة المحمدية ، ولا عَرَفَ سِرَّ قوله عليه الصلاة والسلام : (لي وقت لا يسعني فيه غير ربي) ، ولا سر قوله : (كان الله ولا شيء معه) ، ولا سر قوله : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [سورة القمر : آية ٥٠] ، ولا يَعْرِفُ سَرَّ مبدءِ اللهِ الإِيجادَ ، ولا زمانَ موجود[4] ؛ كما أنه ما ذاق هذا المشهد . وقد كان علم الأعيان ثابتة[5] ، فحقيقة الحق منزه

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّه : لمن .

(٢) في (ب) : وافهم في ذوق الموفق . ولعلّ العبارة : والفهم من توفيق الموفّق .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : وكان قد ظهرت علينا وارداته في بعض الليالي .

(٤) هكذا في الأصل . ولعلّه : ولا زمانَ إيجاد .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّه : ثابت .

، وما ثم غير الحق ، وهو الحق المبين ، والنصر المبين ، علم[1] الأَسْرَار لاَ يقدر قَدْرَهُ إلا الله سبحانه وتعالى . وَهَا أَنَا أُشِيْرُ على المتوجهين ؛ إلى أسنى طريق سلوك العارفين أهل رتبة الكمال ، فلما ثبت سلوكهم على معراج الطريقة السَّنِيَّة ، وختم الله لهم بالحُسْنَى ، وقوله تعالى عن نَبِيِّهِ هودٍ عليه السلام ، قال لقومه المكذبين برسالته: ﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[سورة هود : آية ٥٤] ، وأشهد عليه السلام قومه ـ مع كونهم مكذبين به ـ على نفسه ؛ بالبراءة من الشرك بالله ، والإقرار بالوحدانية ، لَمَّا علم عليه السلام أن الله تعالى سَيُوقِفُ العَالَم كُلَّهُ بين يديه ، ويسألهم في ذلك الموقف العظيم الثَّقِيل ، حتى يؤدي كُلُّ شاهدٍ شهادَتَه ، ويؤدي أمانته ، والمُؤَذِّنْ يشهد لهُ مَن سَمِعَهُ إلا الشيطان فَيُسْمَعُ له صُراخٌ حتى لا يسمعَ نِدَائَهُ ؛ فيلزمه أن يشهد له ، فيكون مِن جُمْلَةِ من سَعَى في سعادتهِ ، وهو لا شك عَدُوٌ محضٌ ، ليس له إِلَيْنَا خير البَّتة ، لعنه الله ، وإذا كان العدو لابد أن يشهد لك ؛ بما شهدت به على نفسك ، ومن هو على دينك[2] . وافهم لا رَادَّ لأمره ، ولا مُعَقِّب لِحُكمه ، يؤتي الحكمة من يشاء ، ويؤتي المُلكَ من يشاء ، وينزع الملك ممَّن يشاء ، ويعز من يشاء [ويذل من يشاء][3] ، ويهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن ، وكل موجود مفتقر إليه ، وهو الحي الذي لا يؤده حفظ المخلوقات ، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها ، مِنْ صُنْعِهِ المَصْنُوعات ، تعالى أن تَحُلَّهُ الحَوادثُ ، كان الله ولا مكان ولا زمان ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ، مُنَزَّهٌ عن الحُلُولِ والمُمَاسَة ، سبحانه وتعالى في قِدَمِه وَعِزِّهْ .

* * *

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : عالم .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : فيكف بمن هو على دينك ؟ ! .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) وليس في الأصل .

﴿فصل﴾

(١٢٠)

وافهم أن لله تعالى مواهب جعلها [أصولاً](١) للمكاسب ، ومن وهبه عقلاً ؛ ليس عليه سبيل، فهو من أعظم التأييد والتوفيق ، فالتقوى الإنقياد إليه ، في جميع أموره(٢) ، اعلم وافهم ، فلا نزال في زيادات الكمال ، ومعرج(٣) على قانون الصراط المستقيم ، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾[سورة آل عمران : آية ٧] ، وأعظم الإفهام من القرآن العظيم ؛ إلى النبي ﷺ ، قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ۝ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً ﴾[سورة الفرقان : آية ٤٥ـ٤٦] ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً ﴾ [سورة الفرقان : آية ٤٧] ، وفي هذا تفاوت بين الخِطَابَين ؛ بحسب تفاوت المتخاطبين(٤) ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[سورة الأنبياء : آية ٣٠] ، أعرض عنهم الخطاب(٥) ؛ فنفى عنهم ما ليس في حَالِهِم رُؤْيَتَهُ ، ﴿ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾[سورة البقرة : آية ٩٣] ، فَلَمَّا عَصَوا ؛ أعرض وجه(٦) الخطاب عنهم ، نسأل الله العافية ، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[سورة الصافات : آية ٩٦] . فأظهرنا في هذا الكتابِ عظيمَ النفعِ في الفهم ؛ لمن استوضح بيانه ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[سورة القيامة : آية ١٨ـ١٩]

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : حصولاً .
(٢) كذا في الأصل ، ولعلّها : في جميع الأمور .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ومعراج .
(٤) كذا في الأصل ، ولعلّها : المُخَاطَبين .
(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : أَعْرَضَ بالخطاب عنهم .
(٦) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : بوجه .

، افهم يا من هداه الله إلى طريق الهداية والعلم ، الله تعالى أن جمع ثناءه العظيم كله ـ عن شأنه العظيم ـ جمعاً في السبع المثاني ، والقرآن العظيم ، وأم الكتاب ، وكنزها تحت عرشه ؛ ليظهرها في الختم عند تمام أمر الحق ، وظهور بادي[1] الحمد ، محمد ﷺ ، لأنه تعالى يختم مما يعيد ، ولم يظهرها قبل ذلك ؛ لأن ظهورها يُذْهِبُ وَصْفَ الخَلْقِ ، ويمحو كُفْرَهُمْ ، ولا يُتِمُّ بيانُ القولِ إلا قائمُ شهود بيان الفعل ؛ لِيَتِمَّ الأَمْرُ سَمْعَاً ومَرئَى[2] ، وإن ربك هو الفتاح العليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والحمد لله رب العالمين ، والحمد لله الذي أنزل القرآن[3] ؛ على أحرفه السَّبْعَة إحاطة وكمالاً ، وتولَّى جمعه فهماً وقراءةً ومَقَالاً ، وأقام به حُكْمَ الدِّين ، وخَلَقَ الدُّنْيَا ، وخَلَقَ النَّفْسَ وَأَدَّبَهَا الرَّبُ ، وحمد الله تفصيلاً وإجمالاً وجعل الصلاةَ عِلْمَهُ وفهمه ، وهداه ظهور التقوى منالاً ، وفك عمَّن رضي عنه ـ أن يسعه بعبارة تدبيره[4] ـ أقفالاً ، وَعَلَّمَهُ بعد التَّزْكِيَةِ كِتَابَهُ وحِكْمَتَهُ ما لم يكن عَلِمَ[5] ؛ إتماماً لنعمته وإفضالاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في شيء مِنْ مُلكِ الدُّنْيا ، ولا في تَمَلُّكِهَا وتَدْبِيرها ، ولا في أمرٍ مِنْ أمرِ العُقْبَى، وفضلها وشفاعتها وتقديرها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، الذي بيّن خاصّ سنته ؛ من تلكَ الحروف وأَعْلاَهَا ، وبِعَامِّ شِرْعَتِهِ أَنْزَلَها وَأَدْنَاهَا ، وَسِعَة حقيقته البيضاء النَّقِيَّة[6] ما [بين][7] ذينك الحرفين ، فما أوضحها وأجلاها ، فالقول بالأكثر خصوصاً تعريفه بها ، وتنبيهه لها[8] . وافهم شرفه إيثار المأثور عنه ﷺ ، المتحقق من حيطة علمه ، ومعنى حكمه حين سَمَّاهَا ، وهن ثلج[9] برد

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وَمُظْهِرُ بِدَايَةِ الحمدِ .
(٢) في الأصل : مراءً ، ولعلّها : ورؤيةً .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : والحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن على أحرفه السّبعة إحاطة وكمالاً .... الخ .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بسعةِ عبارته وتَدَبُّرِه .
(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : يَعْلَم .
(٦) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وسعة مَحَجّته البيضاء النقية من ذينك الحرفين .... الخ .
(٧) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وليس في الأصل .
(٨) في (ب) : تشبهه لها .
(٩) في (ب) : وهو ثلج ....الخ .

صافي نوره ، فجزاه الله عنا ما هو أهله ، أفضل ما جزى نبياً عن أمته ، وصلى الله عليه سيدنا محمد وسلم ، وعلى آله وصحبه وتابعهم بإحسان وإيمان ؛ صلاة تَعُودُ على الخَاص والعام ، وهو العروة الوثقى لمن استمسك بها .

وافهم القرآن منزل عند انتهاء الخلق ، وكَمَالُ الأمرِ بهِ ، فكان المُتَخَلِقُ به جامع الإنتهاءِ في كل خُلُقِ وكمالِ أمرٍ ، فذلك هو ﷺ ، تفصيل القرآن مجمع ، وهو الجامع الكامل ؛ ولذلك كان خاتماً ، فكان كِتابه خاتماً ، وبدا[1] المِعَادُ مِن حَدِّ ظهوره ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ [سورة البروج : آية ١٣] ، فإن في إصلاح هذا الجمع ، مع التلاق[2] التي قد خلق في الأولية ، بدأ بها[3] وتمت عنه غاياتها ، لقوله ﷺ : (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[4] ، وهي صلاح الدين والدنيا والمعاد ، الذي[5] جمعها في قوله ﷺ : (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي) ، وفي كل صلاح إقدام وإحجام ، فَتَصِيرُ الجوامع الثلاثة ستةً مفصلات ، وهي حروف القرآن الستة ، التي لم يبرح مُسْتَزِيدَهَا مِن رَبِّهِ حَرْفاً حَرْفاً ، فَلَمَّا استوى بالستةِ ؛ وَهَبَهُ رَبُّهُ حَرفاً جامعاً سابعاً فرداً لا زوج له ، فتم إنزاله على سبعة أحرف ، هي ما فسرها ﷺ ، الحديث الوارد المعبر عنه بطلبها الحديث ، وفي بيانه ﷺ شفاء العَيِّ ، وَثَلْجُ اليقين ونور البصيرة ، مبين المثل الأعلى ، ومظهر الممثول ، حرف الحمد الخاص ، محمد ﷺ ، كتاب محمد ، وهو حرف المثل ، وعن جمعه وكماله ، هو جمعه لمحمد في قلبه ، وقرأته على لسانه ، وبيانه في ذاته ، وَعَنْهُ ظَهَرتْ عليه خَواصُ خَلْقِهِ الكريم وخُلُقِهِ العظيم ،

(١) في (ب) : وبذا ، ولعلّها : بدْءُ .
(٢) في (ب) مع التلاقي ، ولعلّها : مع الرتق .
(٣) في (ب) : بذاتها .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّ الحديث : (إنما بعثت ....) الخ .
(٥) لعل الصواب : التي .

وصفاء العقل وبيانه وحي النبي ، وإلهام الولي ، وحرف الحمد سابعها هو محمد ﷺ ، فإن أضيف الحمد المطلق إلى الاسم الجامع ؛ وهو الله سبحانه وتعالى ، والحمد لله مطلقاً من غير تقييد تعريف الجامع بحمده ، لله يكونُ بِذَاتِهِ ، والمترتبة بوجوده ، أو بأحدية جمع المرتبة والوجود ، وأحدية جمع الجمع ، فمرتبة الحق الألوهيه ، ووجوب الوجود الذاتي ، والفضل والتأثير والسلطان ، ومرتبة الخلق العبودية والافتقار والانفعال والتَّأَثُّرْ ، وامتثال الأوامر والنواهي ، وتَعَيُّنْ ـ الوجود في كل مرتبة الكبير ـ عند أهل الطريق ؛ بظهور الحقيقة الإنسانية فيه ، ولهذا الاشتمال فظهور[1] الأسرار الإلهية كلها فيها دون غيرها . افهم الحقيقة المحمدية هي الذات مع التعين الأول ، فله الاسماء الحسنى كلها ، وهو الاسم الأعظم ، حقائق الاسماء هو تعينات الذات الأحدي؛ الجامعة لجميع الحقائق كلها ، لذلك قال ﷺ : (أول ما خلق الله نوري) ، وأراد به العقل ، ثم صوّرَهُ في باقي العقول والنفوس الناطقة الفلكية ، وغيرها في صورة[2] الطبيعة والهيولي الكلية ، والصور الجسيمة[3] والبسيطة والمركبة جميعها ، وأشخاصها مظاهر رقائق الاسماء ؛ التي تحصل من اجتماع بعضها مع بعض ، وأسرارها لا تتناهى ، وَهُنَّ هُنَا سر قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾[سورة الكهف : آية ١٠٩] ، والكلمات أعني كلماته تعالى ؛ هي أعيان الحقائق ، وتكون تظهر منه كل حين صفةٌ منها ، فهو مظهر الصفة في ذلك الحين ، كما أن في الشخص الإنساني تارة مظهر الرحمة ، وتارة مظهر النقمة ؛ باعتبار ظهور الصفتين فيه . وافهم الحقيقة الواحدة وأفرادها المتبوعة ، ويكون مشتملاً عليها من حيث المرتبة الإلهية ، اشتمال كل المجموعي على الأخرى ؛ التي هي عليه باعتبار

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : ولهذا والاشتمال ظهرت الأسرار .... الخ .

(٢) في (ب) : صور .

(٣) في (ب) : الجِسْمِيّة .

الأول ، وإذا علمت هذا ؛ عَلِمتَ أن [حقائق العالم][(١)] في العلم، والعين الواحدة كلها مظاهر للحقيقه الإنسانية ؛ التي هي مظهر الاسم (الله) ؛ فأرواحها أيضاً جزيئات الروح الأعظم الإنساني ، [سواء][(٢)] كان روحياً ملكياً عنصرياً[(٣)] وحيوانياً ، وصورها صور الحقيقة ، ولوازمها لوازمها ، وذلك يسمى العقل ؛ مِن كونِ الله تسمى بالولي الحميد.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : الحقائق العلم .
(٢) ما بين المعقوفتين ليس في الأصل ، وفي الأصل : سوى .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : أو عنصرياً وحيوانياً .

﴿فصل﴾

(١٢١)

ولما كان ظهور ولاية خاتم الرسل ؛ على يدي خاتم الأولياء ، بإبراز أسرار ما في نبوته بحسب الإمكان ، قوله عليه السلام : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه) ، وليست كل مشاهدة أن لا ترى في كل شيء إلا الله ، وليس في كل شيء إلا الحق ، فتساوي المعارف فيها تفاوت ظهور وبطون ، وفوق كل ذي علم عليم ، والعارف بالله لا يزال في الصعود عن التعلق بالشواهد ، وذلك الصعود أن لا يشهد في التوحيد دليل ؛ فيكون التوحيد عندك أجْلى من كل دليل ، فإن نور الحق إنما لم يُدْرَكْ لِشِدَّتِهِ ، وقوة نُورَانِيَّتِهِ ، فسبحانه وتعالى علواً كبيراً ، فسبحان الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ومظهر الاسم (الله) ، الجامع لهذه الاسماء ، هو الإنسان الكامل الحاكم على العوَالِم كلها ، وعالم المثال مظهر الاسم المُتَوَلِّد ؛ من اجتماع الظاهر والباطن ، وهو البرزخ بينهما ، والأحرف الغالية[1] مظاهر أمهات الاسماء ؛ التي تشتمل الاسماء الأربعة عليها ، والمتوسط مظاهر الاسماء التي دونها في الحيطة والمرتبة ، ومِنْ فَهْمِ هذه المظاهر ؛ يَحْصُلْ[2] اسماء متعددة ، والاقتداء بِهَدْيِهِ ﷺ ، كما أن هَدْيَه ونوره سابقٌ مع الأنبياء ، مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ عليهم[3] ، فهو محمد ﷺ ، وثبت التصديق ، وبرهان الحجة البالغة ، ومن حيث الحجة البالغة تكون في إطلاق الحمد ، قوله تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾[سورة النساء : آية ٦٥] ،

---

(١) في (ب) : العاليه .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : تحصل .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : إليهم . أو لعل العبارة : فمبعثه عليهم من قبل .

وهذه حقيقة انقياد الباطن ، ويطلق على الدين أَمْرَ النبي؛ الذي ينقاد إليه أهل الدين كلهم ، وهو الشرع الموضوع لذلك ، والذي من[1] عند الله ، فهو الشرع الذي انقياده إليه ، فالدين الانقياد فلله الحجة البالغة في علمه بهم ، إذ العلم يتبع المعلوم ، ويؤيد ما ذكرناه قول أمير المؤمنين وَلِيُّ الله في الأرضين ، ورئيس الموحدين ، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في خطبة كان يخطبها فقال : (أنا نقطة باء بسم الله الرحمن الرحيم ، أنا جنب الله الذي فرطتم فيه ، وأنا العرش ، وأنا الكرسي ، وأنا القلم واللوح المحفوظ ، وأنا السموات السبع والأرضون) ، إلى أن صحى عليه السلام في أثناء الخطبة ، وارتفع عنه تجلي الوحدة ، ورجع إلى عالم البشرية ، وتجلى له الحق بحكم الكثرة ؛ فَشَرَعَ معتذراً ، فأقر بعبوديته وضعفه ، وانقهاره تحت أحكام سلطان الحق ، وانقهاره أيضاً تحت أحكام الاسماء الإلهية ، فلذلك قيل أن الإنسان الكامل يسري ، ولا بد أن يسري في جميع الموجودات ؛ كسريان الحق فيها ، وذلك في السَّفَر الثالث ؛ الذي من الحق إلى الخلق بالحق ، وعند هذا السفر يتم كماله ، وبه تحصل له الحقيقة ، فسبحان من دَبَّر كل شيء بحكمته ، وأتقن ما صنع برحمته ، ولكل قوم هاد ، ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[سورة فاطر : آية ٢٤] كما قال في النبي ﷺ : ﴿ إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ ﴾[سورة فاطر : آية ٢٤] إلى أن يختم بظهور خاتم الأولياء ، وهو الخاتم للولاية ، المطلقة ؛فإذا كَمُلَت هذه الدائرة أيضاً ؛ وَجَبَ قيامُ الساعةِ ، باقتضاء الاسم الباطن .

❊ ❊ ❊

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّه : والذي هو من عند الله

﴿فصل﴾

(١٢٢)

فلما أفاض الله سبحانه وتعالى علينا تعليم(١) ؛ من خزائن العلوم اللدنية ، وأجاب [دعانا لَمَّا دعيناه](٢) في طاعة الله تعالى ، وكنا نمكث في الرياضات ، وإن ظَهَرَ مِنَّا عِلْمٌ ؛ فهو لأهْلِهِ ، فهو الذي يعلمه وأقام بظاهره ، فلا يزال سامياً إلى مطالع مطالب الكُمَّل من العارفين ، والقَصْدُ والطَّمَعُ في ذلك ما يحتوي عليه كتاب ، وهو في المقام العلوي(٣) ، والحمد لله الذي بوجوده أظهر الوجود ، ولا يمكن أن يُكَيَّفْ أو يُفْهَم ؛ إلا لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وهذا العنصرْ أَعظمُ موجودٍ في العالم ، المشار إليه من غير ترتيب ، ولا متقدم فيه ولا متأخر ؛ بل هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، فالسعيد مَنْ سَمع الدُّعَاءَ فأجابه ، على مقتضى طِلْبَتِهِ ، والشيم المرضية ، طريقة الفحول والأفراد ، فظهر النور الأعظم ، والمظهر الأكمل الأفخم وبانت عليهم زواجر الكرم ، وتاج مملكة التمكين ، فهم أهل الِهمَمْ العَلِيَّة ، فالعارفُ سلك(٤) طريق صفاتهم ، ولا يبرح رامقاً طامعاً في الفضائل والجود ، فكانت السَّابِقةُ في حَلبةِ التوفيق ، وما توفيقي إلا بالله . وافهم بحر حقائق الرحمانية(٥) ؛ بساحل الرقائق الإمكانية ، زُبْدةُ كَلِمة خُلاصة الكَلِمة الإنسانية ، مَالِكُ مَمْلَكَةِ المَوْجُودِات الأكوانية ، المُسْتَخْلفُ الخُلَفَاءَ في مرتبة القطبيةِ السُّلْطَانية ، سَيِّد من عطف عليه(٦) اسم العالم ، الموجود في أعلى المراتب بين الماء

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : علماً .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : وأجاب دعاه لما دعاه .

(٣) في (ب) : وهو المقام العلوي .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : فالعارف من يسلك طريق ..... الخ .

(٥) في (ب) : الرّوحانيّة.

(٦) هكذا في الأصل ، ولعلّها : سيِّد ما انعطف اسم العالم .

والطين (آدم) ، صاحب لواء الحمد محمد رسوله الأعظم وعبده المُكَرَّم ، ﷺ ، ورضي الله عن أكمل الكملاء بعد سائر الأنبياء ، الإمام الأعظم بالتحقيق في حلبة التوفيق ، الفائز بالأكملية في كل خُلُقٍ أَنِيق ، المكنى بعتيق ، أبي بكر الصديق ، وعن القطب الأكبر ، والكبريت الأحمر ، والعلم الأخضر ، الذي هَدَمَ أركان الباطل ، أبي حفص عمر ابن الخطاب ، وعن جامع القرآن ، وسيد الأقران ، الشهيد المظلوم ، ذي النورين عثمان بن عفان ، وعن الولي الأعظم ، والصهر الذي هو الأخ وابن العم ، باب مدينة العلم ، قطب مدار التحقيق ، فلك درجات سماء القُرْبَةِ والتَّصْدِيق ، والمُتَّصِفُ بالأوصاف السَّنِية ، والمُتَخَلِّق بالأخلاق العَلِيَّة ، شيخُ شيوخِ الصُّوفِية ، المرشد للطالب ، أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب ، وعن بقية العشرة الكرام البررة ، وعن كافة الآل والأصحاب ، ومن هو في مقامهم من الأولياء والأقطاب، والأفراد والأنجاب ، السابقين إلى الجَنَاب ، واللاحقين بهم في الصورة والمعنى إلى يوم المآب ، وشَرِّفْ وعَظِّمْ ، ثم صلِّ وسَلِّمْ ، واسلك طريقه القويم ، وصراطه المستقيم ، والحَقُّ تعالى يقول : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٢١] . ولا تزال راجعاً إلى معرفة الحق(١) ، وافهم واعرف أن محمداً ﷺ ، هو النسبة التي بين الله وبين عبده قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٠٧] ، [وهي](٢) الرحمة التي عمت والإشارة رحمته وسعت(٣) كل شيء ، يعني أن محمداً ﷺ ، هو الواسع في كل ما يطلق عليه ، وذكر في آخر الآية ، ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٥٦] ، فنبهنا على أنه من اتبع النبي ﷺ في طريقه المخصوص به دون سائر الأنبياء ، فسوف يلحق بمقامه المحمدي ، وهو معنى

---

(١) في (ب) : نفسك .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : ونفى .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : والإشارة في رحمته التي وسعت .....الخ .

قوله : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ ، أي يصيرون بالرحمة ، وهو ﷺ الرحمة الخاصة والرحمة العامة ، فظهر كل شيء في مرتبته ، ولذلك سبقت رحمة الله غضبه ، فلله الحمد قبلُ وبعدُ ، وإليه يرجع الأمر كله ، فسبحانه وتعالى عَمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً ، فله الاسماء الحسنى ، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، وهو على كل شيء قدير ، وأحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عددا ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، ولا رَادَّ لأمره ، ولا مُعَقِّب لحُكمه ، والله خلقكم وما تعملون ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، أَلا له الخَلقُ والأمرُ تباركَ الله رب العالمين ، قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [سورة الرحمن : آية ٢٦ ـ٢٧] ، فلا وجود ولا موجود في الحقيقة إلا هُوَ وحده ، والكُلُّ خيال زائل ، وتوهم باطل . افهم اضمحلال التلاشي والتفاني هو أن تُفْنِي ما سوى الحق في الحق عِلماً ؛ أعني أن تعلم أن الحق هو عينُ الوجود ، من حيث هو وجود كل شيء ؛ فيكون ما عداه العدم المطلق ، شهود الحق هو عين الكل فيجد الحق بالحق عين الكل ، فلا يبقى لغير الحق رسم ولا موجود إلا هو وحده.

* * *

﴿فصل﴾

(١٢٣)

الدرجة الأولى فناء المعرفة في المعروف ، وهو الفناء علماً ، وفناء الأعيان في المعاين[١] ، الإخلاصُ من شهود الثنويّه ـ إذ الثنويه إثبات موجود غير الحق ـ وهو لا يرى شيئاً موجود غير

(١) في (ب) : المعاني .

الحق[1] ، إذ الكل معدوم في شهود[2] موجود بالحق ، فلا موجود في الحقيقةِ وشهودِ الحقيقة إلا واحد، والفناء عن إحساس الاعتدال[3] والتباعد في عين إحساس رسمه ؛[إذ قد فنى رسمه في صفات][4] في صفات صور من بيانها المذكورة ، وثبت أنها حق الربوبية ، فإنها صور تجليات أفعال الحق . وصفاته واسمائه وذاته ؛ ظهرت باسمه النور ، وهو وجنود الظاهر مُظْهِرْ[5] العبد بالصفاء الاتصالي ـ بواجب مشهود الحق من هذه الرسوم ـ شيئاً فشيئاً في وجود الحق ، فَيُفْنِى اسمه الظاهر ظاهرَ العبدِ ، واسمهُ الباطنُ بَاطِنَهُ ، إنه بكل شيء محيط ، وهو على كل شيء شهيد ، ويعرف ويفهم نهايات الخير في بدايات العين[6] ، إلى أسنى غاية ما حصل له من المعارف النقلي[7] ، الحاصل من الكتاب والسنة ، فهي القانون الثابت على مسلك أهل طريقة أهل الله ، المخلصين في مَبَادي الأعيان بالفناء الكلي ، فلا طريق إلى هديهم ، وهدايتهم سواها قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾[سورة الأعراف : آية ٤٣] ، ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[سورة الواقعة : آية ١٠ـ١١] ، ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[سورة المطففين : آية ٢٦] ، وما أُجْمِلَ في خطابه فَصَّلَهُ في سائر القرآن ، والوجود أجمع ، فافهم واعلم عَلَّمَكَ اللهُ من عِلمه ؛ أن الغفلةَ قطعت بالأكثرين[8] عن معرفة الله عز وجل ، وما قطع بأكْثر المنقطعين إلى طريق المعرفة ؛

---

(١) في (ب ، جـ) : التنويه ، وفي الأصل : الثنوية ، ولعلّها : والخَلاَصُ من شهود التثنية ــ إذ التثنية إثبات موجود غير الحق ــ بأن لا يُرى شيئاً موجوداً مع الحق .

(٢) في (ب) : شهوده .

(٣) في (ب) : الأغلال ، ولعلّ الصواب : التّعَدُّدْ .

(٤) ما بين المعقوفتين ، في (ب) . وفي الأصل : والتباعد في عين إحساس رسمه في صفات صور .....الخ .

(٥) في (ب) : وهو وجود الظاهر مظهر العبد بالصفات ، الاتصالي يوجب ..... الخ .

(٦) في (ب) : المعاني .

(٧) هكذا في الأصل . ولعلّها : النّقْلِيّة الحاصلة .

(٨) هكذا في الأصل ، ولعلّها : الأكثرين .

إلاَّ كثرة تَعَرُّفِهِ إليهم وَقُرْبِهِ منهم لِلُزُومِ مشاهدته ، وعُمُومِ حُضوره ، كما ليس يعزب عن علمه وقدرته ومشيئته مثقال ذرة في الوجود ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، وَمَنْ طَلَبَهُ بِهِ ؛ حَصَلَتْ المعرفةُ لَهُ ، والشهود خاصاً ، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [سورة الحديد : آية ٤] ، ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٧] ، وأما أهل الغفلة فإنهم اعتقدوا البعد ، وسَبَقَ إلى أوهامهم ـ مع غفلتهم ـ بُعْدُ المسافة[١] ، ومن اعتقد ذلك عقداً ؛ رُبَّمَا حُجِبَ عن قرب وجوب وجوده فعلاً ، فالحذر من الخُلْطَةِ بهم ، والمقاربة لهم ، والمحو والفناء عنهم ، فتشهد ما خفي عَنكَ مِنْ مظاهر الاعْتِصَام ، وبالله التوفيق .

* * *

﴿فصل﴾

(١٢٤)

فَلَمَّا فنينا عن كل موهوم ، نخلصك[٢] من لوازم الشكوك ، فلله الحمد والمنة فلا يحوم حائم حول ما ذكرناه من أهل الغفلة ، وافهم فكل من أخلص في طريقتنا هذه الصعبة ؛ التي هي مطلب أهل المعرفة ، والهرب من الغير إلى الحقيقة واقع في نظرنا ، واعلم أن من جلس معنا بتحقيق العبودية الرِّقِّيَةِ المحضةِ على بساط فاقةٍ ، وَرَضِيَ عَنَّا رَفَعْنَاه ، فَلَمَّا فَتَحَ باب عطاياه على عبده ؛ فوجب الشكر لنعمته عليه ، فكيف معرفة الحق ، وفناء النفس ؛ كيف يشهده الغير ؟ ! فَمَنْ

(١) في (ب) : قطع المسافة .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : تَخَلّصْنا .

شَهِدَ الغير لم يكن من أهل المعرفة بالحق ، وَمَا هُنَا غير . واطلب رضاك عني[١] في الفَاقَةِ ساعة واحدة فهي خير لك من عبادة سبعين سنة صيامها وقيامها ، وافهم إذا تَقَرَّب النَاسُ إليَّ[٢] بكثرة الأعمال ، تَقَرَّبْ إليَّ[٣] أنت بالرضا في الأفعال ، وليس أهل العفو على الجناية ؛ كَأَهْلِ التَّخْصِيص والعِنَاَية ، جل ربنا أن يُعْصَى عِنَاداً أو أن يُطَاع استناداً . ومن أخلاق الأولياء سلامة الصدر ، وسخاوة النفس ، وحسن الظن في عباد الله ، فانظر وافهم إشارات واضحات ، وعبارات بينات ، قوله : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[سورة العنكبوت : آية ٤٩] ، انظر في هذا الباب ، حيث يقول : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[سورة طه : آية ٩٨] ، وتدبر في هذا الاسم الأعظم ، وأصله التوحيد ، عرف[٤] أن الإلهية تنفي ما سواها ، وانتهاؤها بلفظ الحصر له وحده ، لا شريك له عز وجل ، ما عَرَّفَ من التعريفات الإلهية بالخبر ؛ تَرَاهُ عياناً ، فيضمحل ويزول حجاب العِلْم بنور العَيَان ، ويطوي حِسِّيَّةَ التكاليف في الأزل ؛ حقيقةُ رؤيتها تكليفاً من الله على العبد ؛ لأنه رآها بعين الخَلْقِيَّة ، فإذا صار الحق سمعه وبصره ؛ رآها بعين الحقيقةِ أفعالاً صادرة من الله تعالى ، يتلذذ بها لأنها تجليات فعلية من الحق ، صادرة من صفات الإلهية الاتصالية والانفصالية .

* * *

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّه : عنه .

(٢) لعلّها: إليه .

(٣) لعلّها : إليه .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : واعرف .

﴿فصل﴾

(١٢٥)

ولما بينا ما يناله السالك الصادق ، المخلص بالفناء الكلي ، فيحصل له ذوق العارفين فافهم ، ولما كانت لنا روايات[١] مع النبي ﷺ ، فطلبنا ورد المحققين والمحبة لله ، ووقوع[٢] القلب مع تلذذاته ؛ فقال : (عليك بذلك)[٣] ، فأخذنا من قوله : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ، وكنا نقول في صفة[٤] : وُسمَ عبد بالسعادة بمعرفة الحق ، ولابد من التواضع لأهله ، وإن عمل ما عمل ، ووُسِمَ عبدٌ بالشقاوة ، نسأل الله العافية من ذلك الصَّدِّ والبُعْدِ ، فهو عبدٌ جَحَدَ الحَقَّ وتكبر على أهله ، وإن علم ما علم[٥] . والباطنُ لِلَطَافَتِه ، ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٠٣] ،أي المُوصِلُ اللطائِفَ ، أي النِّعم التي بحسب موقعها عن المُنْعَمْ عليه ، في قوله : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾[سورة الشورى : آية ١٩] ، القريب الجلي الظاهر المُطَّلِع على الأشياء ، فلظهوره بصورة الكل ، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[سورة ق : آية ١٦] ، فافهم غرائب كرائم المعارف ، والْـمَحْ محاسن ما أسدى إليك من سائر اسمائه جل ذكره ، أو تعرفه به[٦] من ذلك الوجه ؛ الذي به منشأ التعريف من نعم أو نقم ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[سورة النحل : آية ٥٣] ، فذكر النعمة على تواليها وتتابعها ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ

---

(١) في (ب) : رُؤْيَاتْ .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّه : وَوُلُوع .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : لك ذلك .
(٤) لعلّها : صفات .
(٥) في (ب) : عمل ما عمل .
(٦) في (ب) : تعرف به ، ولعلّها : أو تَعَرُّفُهُ بها .

تَجْأَرُونَ ﴾ [سورة النحل : آية ٥٣] ، وقال عز من قائل : ﴿ اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [سورة الرعد : آية ٢] ، المعنى ونظائر هذا كثيرة ، فاهرب من مجالس المغرورين ؛ فإنهم في بحور غفلاتهم ، وحُبِّ دنياهم ، الجيفة المستجلبة للجاهِ ، والمنزلة عِندَ الخلقِ، فكيف يغفل عمَّن[1] هو صانعه وقائم به وبجميع وجوده ؟ ! وربما وجدوه فأهملوه ؛ حين أذهلتهم حجب الغفلات ؛عن حقيقة شهوده وكريم حضوره ، فَمَنْ كان طَالباً له ؛ فليطلبه في وُجُودِهِ المُتَوالِي، وظُهورِهِ الواسع العميمِ في خلقة[2] نفسك .

* * *

﴿فصل﴾

(١٢٦)

فَلَمَّا قصدنا[3] لِلْمُتَوَجِّه هدايته وإصلاحه ؛ فأيدناه بتحقيق عبوديته ، وفناءه عن نفسه وهواه ، فَكُنَّا معه في الحركات والسكنات ؛ لئلا يأخذهُ هوى نفسه ، والنفس عبارة عن كل خُلق مذموم ، قاطع عن طريق المحققين العارفين بالله نفع الله بهم ، فإنما نطقوا[4] العلماء بما نطقوا به ؛ لقصد تصحيح التوحيد وما سواه من حال أو مقام ، فكله مصحوب بالعلل ، وكلها إشارات في هذه الطريق السَّنِيَّة ، والمقصد العالي وهو التوفيق ، وما دون ذلك من الأحوال والمقامات ؛ فكله مصحوب بالعلل لا صحة لها ؛ لِبَقَاءِ الرسوم فيها ، إنما نطق من نطق فيها ، أن يكون[5] قصده على

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فكيف يغفل العبد عمّن هو .... الخ .

(٢) في الأصل : خلقت نفسك ؛ ولعلّها : في خِلقةِ نَفسِه .

(٣) لعلها: فلما كان قصدنا للمتوجه.

(٤) لعلّها : نطق .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : كي يكون ....الخ .

معنى ، إِنَّ كل[1] ما نطق به العلماء ، وأشار إليه المحققون ؛ بقصد تصحيح التوحيد وما سواه من الأحوال والمقامات ، فَكُلُّهُ مصحوب بالعِلل ، لا يخلو منها ؛ يعني أن التوحيد بالعلم لا يَخْلُصُ مِنَ العِلَل فلا يكون ؛ إلاَّ العلم اللدني الذوقي فلا تسعه العبارات ، ولا تحيط به الإشارات ، ولا تَفِي ببيَانِهِ الكلمات . والعللُ في الجهل ، والغفلةُ في الجهالات . عن التوحيد كن في الصعود من منازعات العقول ، وعن التعلق بالشواهد ؛ وهو أن لا تشهد في التوحيد دليلاً ، ولا في التوكل سبباً ، ولا للنجاة وسيلة . إسقاطُ الأسباب[2] الظاهرة ، في الحقيقة أن لا مؤثر إلا[3] الله سبحانه وتعالى ؛ لأن نور الحق إِنَّمَا لم تُدْرِكُه لشدته وقوة نُوريَّتِه ، ولا في التوكل إلا قوة يقينك ، أن لا مؤثر[4] إلا الله ، ورؤيتك الأفعال كلها منه ، فتتلاشى الأسباب في المسبب ، وشهودك في شُهودِهِ . التَّأثُرُ منه دون سبب ولا للنجاة وسيلة ، أي ولا تشهد للنجاة من العذاب والعقوبة والطرد وسيلة ؛ من الأعمال الصالحات ، ووضعه الأشياء ، فكن مشاهد السبق[5] الحق لحكمه وعلمه ، واسلك سبيل إسقاط الحَدَث ؛ الذي هو بحكم الفناء ، ويصفوا[6] في علم الجمع ؛ تكون شاهداً أن الحق سابق بعلمه على الأشياء بما هي عليه ، وحكمه تعالى على الأشياء تابعاً لعلمه ، وكذا سَبَقَ بِعلْمِهِ وتَقْدِيرِهِ الأشياءَ ؛ على ما هي عليه في الأزل ، فلا يكون إلا ما حكم به ، وبما سبق بعلمه وتقديره ، فتكون الأشياء على مقتضى سابق عمله ، ووضعه الأشياء . والحضرة الأحدية لا نعت لها ، وكلما نُعِتَ فهو من الحضرة الواحدية ، تَوْحِيدُهُ إِيَّاه تَوْحِيْدُه ؛ أي توحيد الحق ذاتَه بذاتِهِ ، وهو توحيده الحقيقي ، ونعت من ينعته لأحد ، أي وَصْفُ الذي وَصَفَهُ ، هو أنه مشرك حائد عن طريق الحق .

---

(١) لعلها : فإن ....الخ .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : أسقط الأسباب .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فالحقيقة لا مؤثر ....الخ .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فلا مؤثر .

(٥) كذا في الأصل ، وفي (ب) : فكن مشاهداً لسبق الحق لحكمه وعلمه .

(٦) كذا في الأصل ، ولعلّها : واصفوا .

ما تَنْعَتهُ ؛ لأنه أثبت النعت[1] ، ولا نعت ثَمَّه ، وأثبت اسمه بإثباته النعت ، ولا اسم لشيء في الحضرة الأحدية ولا أثر ؛ لأنه لم يكن أحدية ، وانظر لقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ؛ كيف ابتدأ بالإشارة في عين الحقيقة بقوله: (كشف سبحات الجلال من غير إشارة) ، وهو محض تنزيه الذات عن التعدد بالاسماء ، وأكده بقوله: (صحو المعلوم مع محو الموهوم) إشارة منه لنفي الرسوم كلها ؛ في أحديتها ، وَصَرَّح بذلك في قوله : (جذب الأحدية بصفة التوحيد) ، ثم ختم بقوله : (نور مشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره) ؛ لبيان معنى الفرق في عين الجمع ، وهو بعينه معنى أحدية الفرق والجمع ، قول سيدنا علي كرم الله وجهه : (محو الموهوم مع صحو المعلوم) ؛ فأشار رضي الله عنه بالأول ، أَنَّ التَّلْوِين بحسبان وجودِ غيرِهِ بالتعميم ؛ وليس وجوداً لغيره فافهم ، وافهم نور العشق الحفيل ، والحب الذاتي ، حتى بلغ صاحبه مقام الإخلاص ، الذي أشار بقوله رضي الله عنه : (كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه) ، إلى آخره عيناً وعينه حقاً ، فتوحيده شهوداً وعياناً ؛ لا علماً وبياناً ، ولم يفي سلطان العقل والوهم بطردها عن طريق الحق ، عَرَّف السَّائِلَ أن ذلك لا يكون إلا بظهور سلطان العشق ، وما ثَمَّ إلا الأحدية الصِّرفة ، ولا يدل عليها في ذلك شاهد ؛ لفناء الكل في المشهود ، الذي هو عين الحقيقة ، فهو هنا الدليل والمدلول ، والشاهد والمشهود ، فلا تسعها وسيلة ؛ لارتفاع الوسائل عند إشراق الحقيقة ، وتَقَطُّعْ الأسبابِ عند تَجَلِّي المسبب ، فهو اصطفاء محضٌ ، وَجُودٌ صرفٌ ، ليس للكسب فيه مَدْخَلْ ، فأول أركان هذه المعرفة مشاهدةُ القرب بمحو الرسوم ؛ فعلى قدر محو الرسوم ؛ يكون القرب ، وعلى قدر بقائها ؛ يكون البعد ، ليس الحجاب إلاَّ أَنْتَ ، فمتى فَنِيْتَ ؛ ظَهَرَتْ الحقيقةُ .

(١) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : ولا تنعيّه ، لأنه إثباتٌ للنعت ، ولا نعت ثمه .

❋ ❋ ❋

﴿فصل﴾

(١٢٧)

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ١٠٧] إعلم أن هذه الرحمة التي عَمَّتْ جميع الموجودات فإليها الإشارة بقوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٥٦] يعني أن محمد ﷺ هو الواسع لكل ما يطلق عليه اسم الشَّيْئِيَّة من الأمور الخَلْقِيَّة ، فلأجل ذلك ذكره تعالى في آخر الآية ، فقال : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[سورة الأعراف : آية ١٥٦] تنبيهاً على أنه خاتم النبوة والولاية ؛ أي تصيرون ، فلا تَكُنْ مِمَّنْ لا يثبت الاقتداء[1] والامتثال بشريعته المطهرة ، فمن لم يكن في تلك ، وإلا فهو من الغافلين الجاهلين[2] ، قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ﴾[سورة آل عمران : آية ٣١] ، فما بعد هذا الإتباع مقام أعلى منه . وانظر وافهم إلى ما أشير عليك به ؛ تكن من المقربين ، إلزم [عمل] البر ، فهو إلا كسير وهو قوله فيما نطق به العارف بالله الكامل : (من أطاعني في كل شيء أَطَعْتُهُ في كل شيء) ، باب التجلي له[3] في كل شيء ، وافهم الطاعة الصحيحة المشاهدة في حق العوام ، وأما الخواص من الصديقين ، فطاعتهم بالإشارة منهم ، بإقبالهم على كل شيء ؛ لأنها [ثبتت][4] فيهم حُسْنُ الإرادة لمولاهم . في سلوكهم على معراج أسنى طريقة القوم أهل الكمال ،

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : لا يثبت في الاقتداء .... الخ .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فمن لم يكن في تلك فهو من الغافلين الجاهلين ....الخ .

(٣) في (ب) : بأن أتجلّى له في كل شيء .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) . وفي الأصل : تثبت .

فهم أهل حضرة الوصل والاتصال ، فلا يرون لأحدٍ فعل من الأفعال ، ولا حركة في طاعتهم إلا بما أيدهم الله به ، ونفى عنهم النفس والهوى ، وكيد الشيطان الرجيم ، فهم في تحقيق عبوديتهم ، يرون قربه إليهم ، من كل شيء[1] ، لا يخافون فقر الدنيا الفانية الحقيرة ، ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ ﴾[سورة النساء : آية ٧٧] ، فإنهم قد صَفَتْ قلوبهم وسرائرهم ، فَهُمْ في لَذَّاتِ نِعَمِ القلب المنور ، وتَوَالَتْ عليهم المعاني ، وورد عليهم من فيض الحضرة المقدسة ما لا يقدر قدره ، ولا يفهمه ويعرفه إلا أهله ومستحقيه ، ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾[سورة الفتح : آية ٢٦] ؛ لأنه قد تولاَّهم بمكارمه وإحسانه واصطفائه ، فهم في أَدَقِّ طريق صراطه المستقيم ، وإنما الشأن كل الشأن في فهم التحقيق ، وصحة ما ذكرناه في الحقيقة الإمكانية ، وظاهر الوجود بحكم تلك الحقيقة الإنسانية ؛ ليست إلا تعيناً بتعين الاعتبار ، حقيقتها علمي[2] ، بعقل إلهي للصورة الإنسانية ، بحسب ما هي عليه في جميع وجوداتها ؛ من وُجُودَينِ : وُجودٌ على[3] روحي ومثالي وحسي ، وكذا جميع الحقائق الممكنة ، وكلما[4] سوى هذا ـ باعتبارات العلم جملة وتفصيلاً ـ عدم ، باق على عدميته ، مَا ظَهَرَ ، ولن يظهر أبداً ، وأثبت له الوجود العلمي ، وذلك الوجود هو عَيْنُ العلم لا غيُره، ولا زائد عليه عن العلم المحقق[5] ، وأما وجوده الخارجي ، فوهم وخيال ، وَإِنَّمَا الظهور والوجود للحق تعالى ؛ فليس غَيرُهُ تعالى ظاهراً ولا موجوداً أبداً ، كما كان أزلاً ، وحُكْمُ الجسم ليس له وجودٌ في الخارج ؛ عن إيراده وعقليته ، ليس لوجود الأعيان وجود في الخارج عنه ، وَمِنْ هُنَا

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : يرون أنه أقرب إليهم من كل شيء .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : ليست إلاّ تعيُّناً يتعيَّنُ باعتبار حقيقتها العلمية بعقل إلهي للصورة الإنسانية .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وجود أعلى روحي وجود مثالي حِسِّي .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : وكل ما سوى هذا ـ باعتبارات العلم جملة وتفصيلاً ـ عدم .
(٥) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ولا زائداً عن العلم المحقق .

حُكْمُ الوجود ؛ إنما هو نفي الوجود عَمَّا سوى الله تعالى ، والعوالم كلها مظاهر وحدانيته بالتجليات ولا موجود إلا هو ، ولا وجود إلا له ، وتلك التعينات ومصدرها[1] الوحدة ، (كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان) ، ومجملها ومفصلها التوحيد ، وفيه المشرق والمغرب ، ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾[سورة البقرة : آية ١١٥] ، وله الاسماء الحسنى ، رفيع الدرجات ذو العرش . والاعتبار هو التنزيه الذاتي ، الذي يقابله الشُّبَه الاعتبارية ، ونشير به أنه كمال المعرفة ؛ وليس هو الشيئية الذي ذكرناه[2] ، فمن تجلى له في الصور المعنوية ؛ فنيت[3] عنه الرسوم ، افهم ذات الشيئية[4] هي حكم الصفة الإلهية ، ومن حيث صورته المعبرة ، ذات الشيئية في حكم الماهية[5] ؛ لا سيما وقد شهدت الكمالات الإلهية ، بل مطلق الكمالات ، بل وما شَمِل المظاهر العلوية والسفلية ؛ من ذل العبودية ، وظهور فقرها الذاتي ؛ شهادةٌ ذاتِيَّة ، قوله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾[سورة مريم : آية ٩٣] ، ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾[سورة الروم : آية ٢٦] ، وغير ذلك من الآيات ، وكل علم يعلمه العارف ، لا يراه في مرآة الحق ، إلاَّ في مرآة العبد ، فصارت الأشياءُ منه بُدُوّاً[6] وختماً ، ووفاءً وإحساناً ، وعين العقل النوري ، فلا يرى إلا عين واحد فيه الشَّكْل ، فاخرج من حضيض الكثرة إلى أَوْجِّ الوحدة ؛ تظفر بالوطر من مقصودك ، وهو سبحانه وتعالى جل وعلا هو الحق ، وأَنَّمَا يدعون من دونه هو

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : التّعيُّنات مصدرها الوحدة .
(٢) لعلّها : التي ذكرناها .
(٣) في (ب) : ثبتت.
(٤) في (ب) : أن الشيئيّة .
(٥) في (ب) : ذات التشبيه في حِكم إلهيه .
(٦) لعلّها : بِدْءً .

الباطل ، وأن الله هو العلي الكبير ، ثم إن الله عز وجل الواحد الحق ، قال الله تعالى : ﴿ أَلا إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة يونس : آية ٥٥] ، وقوله في تمام الحكمة : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [سورة النجم : آية ٣١] .

* * *

﴿فصل﴾

(١٢٨)

وكيمياء الخواص تَخَلُّصُ القَلْبِ عن الكونِ ؛ باستئثار[١] المُكَوِّنْ ، انظر اللبس والصورة العنصرية ؛ التي تلبس الحقائقَ الروحانية ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩] ، فكن محققاً بالحق وشهوده ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى ﴾[سورة الأنفال : آية ١٧] ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[سورة المجادلة : آية ٧] ، والأشقياء أثبت عليهم الحجة بالكفر الجلي ، ليحق عليهم العذاب الأَبَدِي ؛ لأنهم مِنْ قَبْضَةِ الشقاوة ، نسأل الله العافية ، قوله تعالى : (هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أبالي) ، فألزمه القضاء على ذلك ، وقبضة السعادة سبقت لهم في الأزل ، وهي مثال الذر ، قوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى ﴾[سورة الأعراف : آية ١٧٢] ، وهو عهود ومواثيق في الأزل ، والسابقين الأنبياء والأولياء والمؤمنين كلٌّ على ما أَيَّدَهُ اللهُ

---

(١) لعلّها : بإثار .

به ، (وَمَا مِنَّا إلا لَهُ مقام معلوم) ، قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[سورة طه : آية ١١٤] ، ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ ﴾[سورة الأعراف : آية ٤٣] ، فكذلك صحت الهداية لهم من السابقة ، وتأمل ما سطرناه في هذا الكتاب الجليل العميم نفعه ، فافهم مقتضى بيانه ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، فتحقق بالثبات على الفطرةِ والسعادةِ ، تجلي السبحات(١) المحرقة ارتفعت الظلم ، وسطعت على العارفين سبحاتُ الكرم ، فَرَفَعَ سلطانَ إحراقِها قَدَمُ الصِّدْقِ فَمَحَاهُمْ ؛ فَهُمْ مِنْ وَجْهٍ ومَا هُمْ مِنْ وَجْهٍ ، لأَنَّ لا ثُبُوت ، فتكون في شهوده ؛ أي بوجودِهِ وُجُودُه ، ولو اجتمعت عين الله في نظرةٍ ، نظر الله بلا كَيْفِيَّة ، لاَ هُوَ هُوَ بتعينك أو علمك أو فهمك ، كان وهمك وظنك أولى منك ؛ بل هو هو بعينه وعلمه ورؤيته . مقام الإحسان الحديث : (إن لم تكن تراه فإنه يراك) ، والكَشْفُ التَّامُ زَوالُ الشكوكِ وَوَهْمُه . وهذه اللُّقْمَة لمن له خُلُق واسع من الكونين ، وَتَعْرفُ وجودَهُ بوجودِهِ وتدرك وجودَهُ بِوُجُوْدِهِ ؛ لا كَيْفِيَّةٍ ورؤية ومعرفة(٢) ، وبلا وجود حروف الصورة . إدراكُ الرؤية في المعرفة(٣) ، فَكَمَا أَنَّ وجوده بلا كيفية تقدس أن يكون متصفاً بهذه الأشياء ، وكَلامُنَا مع مَنْ له بصيرة ، وليس بِأَكْمَهٍ ، ومَنْ لم يعرف نَفْسَهُ ؛ فهو أَكْمَه ، قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[سورة الإسراء : آية ٧٢] .

* * *

﴿فصل﴾

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بتجلّي السبحات المحرقة ارتفعت الظلم و سطعت .... الخ .

(٢) لعلّها : ووهمها ، في (ب) : فلا كيفيه ولا رؤيه ومعرفه .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : إدراك الرؤية بالمعرفة .

(١٢٩)

الذات الأحدية وحقيقة الحقائق ؛ لا يتوقع له الوصول[1] ، بها الموجب للسعادة العُظْمَى ؛ التي هي فوق سعادة الدارين . فيحصل في مظهر الحقيقة كتم الأسرار الإلهية عن الأغيار ، قيل مَنْ عَرفَ الله سبحانه كَلَّ لسانه ، والباطن المعنوي بالسر المصون ، لا نخفيه عن المخلص الصادق ، الفاني في إثبات الإرادة . وأَرْبَابُ السلوك نؤيدهم بطريقنا ، فقد تكون للجالس مَعَنَا نظرة تغنيه وتهديه إلى أسنى طريق السعادة ، وعندنا[2] أدب قلب وجوارح فقط ، لا ساعة ولا نفس من الأنفاس، وما ذلك على الله بعزيز ، وهو بالإجابة جدير . ومن جهة إثبات أرواح المقربين ، إلى مراتب الصديقين ، وشمس روحي يقيني لم يكن يغب فيه[3] ، وفيه تفاوت ، ومنهم مَنْ عَقْلُهُ يهدي بنورِهِ الطالبين ، والسالكين من المؤمنين بالأنبياء عليهم السلام ؛ المصطفين أي الذين اصطفاهم واجتباهم في سابق قدمه وأزله ، ومن وقع على الوجه الذاتي الأحدي ، والمراد فهم الخصال المحمودة المشكورة ، والأخلاق المرضية ، فظهر وبان على لساني ؛ ما يُنْجِحُ لِكُلِّ طالبٍ مَطْلَبَهُ ، وقصده ومراده، قوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة الأحقاف : آية ٣١] ، وقوله : ﴿ وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[سورة فصلت : آية ٣٤]، والطريق السنية الصدق والإخلاص الكلي والمحبة ، وَأَقْبِلْ على الاستعداد والهداية ؛ في العلم اللدني . وافهم الهداية في الأزل، وقال عليه السلام : (إن الله خلق الخلق في ظلمة ، ثُمَّ رَشَّ عليهم من ضِيَاءِ نوره ؛ فمَنْ أصابه من ذلك النور فقد اهتدى ، ومن لم يصبه ، فقد ضل وغوى) ؛ ولكن هوى النفس الأمارة بالسوء ؛ شَمِلَتْ جميع جهات القلب ،

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : لا يتوقع الوصول إليها .

(٢) في (ب) : وهي عندنا أدب قلب وجوارح فقط ، ولعلّها : وهي عندنا أدب قلب لا جوارح فقط ؛ فلا ساعة ولا نفس من الأنفاس إلاّ وفيها أدب.

(٣) في (ب) : وشمس روح يقيني لم يكن نعت فيه .

فأعمت القلب ، وجعلته في ظلمات بعضها فوق بعض ، ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[سورة النور : آية ٤٠] ، وكيف السالك إذا اجتنب[١] هوى النفس كيف يرقى مراقي العارفين ؟ !؛ لأنها طريق صعبة ، ما ينالها المجتهد بجهده ؛ إلا إذا تبرأ من حَوْلِ حَضِّهْ وهَواه وحُجُبِهْ والموانع من الوجهِ بحال[٢] . وجامعة الخصال المحمودة الصدق ، وكان الصدق طريقة المخلصين ؛ لأن الصادق يصدق في مكاشفاته وفي مناماته ، لا يدخله كيد الشيطان ، ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾[سورة النساء : آية ٧٦] ، والذي يُوْصِلُكَ بنظرِهِ إليك ؛ في نظره تكون فيها[٣] السعادة . فافهم شهود الحق لأهل التمكين ؛ الذين هم صفوة الله ، وأصفياءه المصطفون من عباده ، الذين صفت سرائرهم عن رؤية الغير ؛ شهود الحق[٤] ، المتجلي باسمه النور دائماً ، فلا يزال ينتقل من درجة إلى درجة ، ومن مقام إلى مقام ، وَنَفْيِ ظِلِّ التفرقة ؛ التي هي عند المحجوبين طريقهم . ونحن نشير إلى مقام الفناء ، لاضمحلال الرسوم الخلقية الجميع ، في عين الحق ، عند رؤية الخلق ؛ في الحق ، في مقام البقاء في قلةِ[٥] مِقْدَارِهِمْ ، بحيث لا يَحْتَجِبُ الحقُّ بهم ؛ لانعدامهم بذواتهم ، لكونهم[٦] صور صفاته ، وَخُذْ من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾ [سورة الفرقان : آية ٤٥] ، لا بحسب التفسير ولسان العبارة ؛ بل بحسب التأويل ، ولسان الإشارة ، على ما هو عليه ، وفوق كل ذي علم عليم . وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [سورة الرحمن : آية ٢٦ ـ ٢٧] ، وفي هذا علمُ : سبقت رحمته

---

(١) هكذا في الأصل ، وفي (ب) : إذا ما اجتنب . ولعلّها : إذا لم يتجنب .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : ..... وحُجُبِه والموانع من كل وجه بحال .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : فنظرته تكون فيها السعادة .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بشهود الحق المتجلّي باسمه النور دائماً .
(٥) في (ب) : لِقِلَّةِ .
(٦) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وَلِكَوْنِهِمْ .

غضبه ؛ ليحكم على من وصل إليها ، وأنها في الغاية وقعت ، والكل سالك إلى الغاية ، فلابد من الوصول إليها ؛ أي الرحمة ، ومفارقة الغضب ، فيكون الحُكْمُ لَهَاَ فِي كُلِّ واصلٍ إليها ؛ بحسب ما يقتضيه الحال ، فَمَا ثَمَّ إلاَّ ما ذَكَرْنَاه ، فاعتمدوا عليه ؛ تَأتيكمُ المواهبُ والمِننُ في ما تَلَوْنَاه عليكم وأيدناكم به ، إلى حضرة الوصال والنوال ، فَكُلُّ ناطقٍ فيها هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، والباطن بالتدبير ، وهو بكل شيء عليم ، فهو على كل شيء شهيد ؛ ليعلمَ من شهودٍ لا مِنْ فَقْدٍ ، فذلك أعلى علم الأذواق لا عَنْ فِكر ، وهو العلم النافع الصحيح ، وما عداه فحدس وتخمين ؛ ليس بعلمٍ أصلاً . وَأَعْظَمُ عذابٍ ونَصَبٍ من بَعُدَ عن الحقائق[1] ، أن يدركها على ما هي عليه ، يكون[2] بإدراكها في محل القرب ، فكل مشهود قريب من العين وإن كان بعيداً بالمسافة؛ فإن البَصَرَ يتصل به من حيث شهودِهِ ، أو يتصلُ المشهودُ بالبصر كيف كان ، فهو قريب بين البَصَرِ والمُبْصِرْ ، ولهذا كَنَّى أيوبُ بالمَسِّ ، فأضافهُ إلى الشيطان مع قرب المس ، فقال : البعد مِنِّي[3] قَرُبَ . وافهم العين الذاتية مع إثباتها ؛ أي ثبوت أحكامها : البعيدُ والقريبُ ، واعلم أن سِرَّ الله في أيوب الذي جعله عِبْرَة لَنَا ، وكتاباً مسطوراً جاء إلينا ، تَقْرَأُهُ هذه الأمة المحمدية ؛ لِيُعْلَمَ ما فيه فيلحقه [بصاحبه تشريفاً][4] لها ، فأثنى الله عليه ؛ أعني على أيوب بالصبر مع دعائه في رفع الضر عنه ، فَعَلِمْنَا أن العبدَ إذا دَعَا اللهَ في كشف الضُّرِ عَنْهُ ؛ لا يقدح في صبره ، وأَنَّه صابر وأنه نِعمَ العبد ، كما قال الله : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص : آية ٣٠ وص٤٤] ، أي رجّاع إلى الله ، لا إلى الاستناد فيه ، والحق يقول ذلك عنه بالسبب ، لأن العبد يستند إليه ؛ إذْ الأسبابُ المزيلةُ [لأمرٍ ما][5] كثيرة ، والمسبب وَاحِدُ العَينِ ؛ فَرُجُوعُ العبدِ إلى الواحِدِ العَينِ ؛ المزيل[1] بسببه ذلك الألم ؛

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : لمنْ بَعُدَ عن الحقائق وأراد أن يدركها على ما هي عليه .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بل يكون إدراكها في محل القرب .

(٣) هكذا في الأصل ، لعلّها : البعيدُ مني .

(٤) ما بين المعقوفتين ، في (ب) ، وفي الأصل لصاحبه ، لشريفاً .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) . وفي الأصل : الأمر ما .

أَوْلَى مِنْ الرُّجوعِ إلى سَبَبٍ خاصٍ ، ربما لا يوافق ذلك عِلْمَ اللهِ فيه ، فَعَمِلَ أَيوبُ بحكمِ اللهِ فيه بالصبر ، والصبرُ حَبْسُ النفس عن الشكوى عند الطائفة ؛ وليس ذلك عندنا بِحَدٍ للصبر ، وَحَدَّهُ(٢) ترك الشكوى وحَبسُ النَّفْس ، وهنا يفهم الرِّضاء بالقضاءِ ، والصبرُ عن الشكوى لغير الله لا إلى الله ، فصححه(٣) الطائفة في نظرهم أن الشاكي يقدح بالشكوى ، بالرضى بالقضاء ؛ وليس كذلك ، فإن الرضى بالقضاء لا يقدح فيه الشكوى(٤) بالمقضي ؛ بل ينبغي له ـ عند المحققين ـ أن يتضرعَ ويسألَ الله تعالى في رفع الضر ، لأن في ترك الدعاء مقاومة لِلْقَهْرِ الإلهي ، ومن علم ذلك ذوقاً من ربه(٥) ، والحق قد وصف نفسه بأنه يُؤْذَى ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٥٧] ، فأيُّ أَذَى أعظمُ مِنْ أَنْ يبتليكَ ببلاءٍ عند غفلتكِ عنه ، أو عند مقام إلهيٍ لا تَعْلَمُه ؛ لترجع إليه بالشكوى ، فيرفعه عنك ، فيصح الافتقار الذي هو حقيقتك ؛ هذا معنى رَفْعُكَ عَنِ الحَقِّ الأَذَى، بالدعاء في رفعه عنك ، إذ أنتَ صورتُه الظاهرة ، وافهم قوله : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [سورة غافر : آية ٦٠] ، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [سورة هود : آية ٨٨] ، ﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٧٣] .

* * *

﴿فصل﴾

(١٣٠)

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : المُزالُ .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بل حَدُّهُ .

(٣) في (ب) : فصححت ، ولعلّ العبارة : فَصَحّ في نظر الطائفة أن الشاكي تقدح شكواه في الرضاء بالقضاء ؛ وليس كذلك .

(٤) لعلّها : لا تقدح فيه الشكوى ......

(٥) لعلّها : فَمِن ربِّه .

صح عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : (من رآني فقد رآني حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بي) ، وفي رواية : (لا يتكون بتكويني) . أي ليس في قوته أن يتظاهر بصورتي ، ولا يتمكن من التَّرَائِي للأُمَّةِ بها، والتَّكَوُّنْ هو التكليف[١] في الشخص ؛ أن يكون[٢] على صورته ﷺ ، قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة الشورى : آية ٥٢] ، وافهم فناء علماً في فناء العيان في المعاين ، وهو الفناء جحداً[٣] ، وفناء القلب في الوجود وهذا الفناء فناء معاينه ، والتعريج على مدارج الوسائل التي هي شهود تجلي الحق في الأزل ؛ بصور الأعيان وأخواتها ، حتى يتحقق أن جميع ما يجري على الخلائق ، هي صور مَعْلُومَاتِهِ ، التي تجلى بها في الأزل ، فيتخلص من القيود عن الطلب بِعِلْمِهْ . مَا يَطْلُبُهُ إنما قُسِمَ له في الأَزَلْ ، لم يتخلف عنه البَّتة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى ﴾[سورة الأنفال : آية ١٧] ، إثبات للدلالة فناء[٤] رسم النبي في الحق بالكلية ، فَكُلَّمَا صَدَرَ عنه فِعْلُ الله ، [وهو][٥] معنى الجمع ،وهو إسقاط التفرقة وقطع الإشارة ، وشخص عن الماء والطين ، فَيُعَدُّ عينُ التمكين ، والبراءة من التَّلْوِين ، والخلاص من شهود الثنويه: الماءُ والطينُ ؛ بشهود عينه في عين الحق ، وعُلُو درجته عن رسم المخلوقين ، والماء والطين عبارةٌ عن المخلوقين ، فقد ذهب عن رؤيتها بعد صحة التمكين ؛ بشهود الحق في جميع الصور والمراتب ، [فلا يَحْجب بالخلق عن الحق][٦] لفناء الرسوم الخلقية في شهوده فلا ، بل إلى الحق متقلباً في صور الأكوان معيناً بتجليه[٧] رسومها ، بل يراها صور تجلياته ، وفي مقام البقاء بعد الفناء[١] يرى

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : التّكَيُّف .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : بأن .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّه : وافهم الفناء قسمين ، فناء علم وهو فناء العيان في المعاين ، وهو الفناء جحداً ، وفناء القلب في الوجود ، وهذا الفناء فناء معاينه .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : إثبات لِلدّلالَةِ على فناء رسم النبي في الحق بالكلية .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) وفي الأصل : وهي .

(٦) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : فلا تحتجب بالخلق عن الفناء .

(٧) هكذا في الأصل ، ولعلّها: مُعَايِناً بتجليه رسومها .

الرسوم قائمة بالحق ، موجودة به . ومعنى البراءة من التلوين ، لأنه لا يرى لهم وجود . غير الحق ؛ حتى يقع عليه اسم السِّوى[٢] ، والتلوين إثبات السوى ، والخلاص عن شهود الثنويه ، إذ الثنويه إثبات وجود غير الحق ، وهو لا يرى شيئاً موجوداً غير الحق ، إذ الكل معدوم في شهوده ، موجود بالحق ، فلا موجود في شهوده بالحقيقة إلا واحد . والتنافي من إحساس الاعتدال[٣] ؛ أي التَّبَاعدُ عن إحساس رسمه ، إذ فني رسمه حال الفناء فلا يَحُسُّ به ، وخلع من الوجود عِلَّتَهُ . والنظر في البقاء التام ؛ أن يرى بالحقِّ ، شهودَ الحقِّ إِيَّاها ، فلا رؤية له ولا شُهودْ ولا رَسْم بوجهٍ من الوجوه ؛ بالغيبيةِ[٤] عنها ، وشهود الحق فنائها فيه . والجمع على ثلاث درجات : جمعُ علمٍ ، ثم جمع وجودٍ ، ثم جمعُ عين ؛ فأما جمع العلم تلاشي[٥] علوم الشواهد في العلم اللدني صرفاً ، والتلاشي هو التفاني ، وصيرورتها لا شيء محض ، وعلوم الاستدلالات ، فإن الشهود لهذا العلم اللدني الخفي ؛ بل لا يعلم دائماً إلا بِعِلْمِ الحَقِّ العالمْ المُطْلَق أبداً فيكون فناؤه شهوده في شهود الحق ، الشاهد في الشهود عيناً . الدرجة الثانية من بابه بقوله[٦] : لا يدرك له نعت ، ولا مقدار ولا رسم مقام . والمح إليه في عين الوجود ، المذكور في بابه بقوله : وجود الحق وجود غيره منقطعاً عن امتناع الإشارة[٧] ، المذكورة في باب الأحدية الصرفة ، ذاتها بذاتها ؛ مع انْتِفَاءِ الإشارات ، وكُلَّمَا شُمَّ مِنه رائحة التعدد الاعتباري ؛ في عين الأحدية حقيقة ، وقوله : [حقاً] صفة محذوفة [مصدر أي][٨] التلاشي في كل ما تحمله الإشارات ؛ في ذات الحق ، تلاشياً حقاً ؛ يعني بالحقيقة غاية مقام

---

(١) في (ب) : الفناء بعد البقاء .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : غير وجود الحق ، حتى يقع عليهم اسم السّوى .

(٣) في (ب) : الاعتلا.

(٤) كذا في الأصل ، ولعلّها : الغيبة .

(٥) لعله : فهو تلاشي .

(٦) في (ب) : وبقوله .

(٧) في (ب) : وجود الحق وجود غير منقطع عن امتناع الإشارة .

(٨) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : مصداري .

السالكين ، وهو طرف بحر التوحيد ؛ أي غاية المقامات : السيرُ إلى الله ، [وفي اللـه كمـا ذُكـرَ][1] ويكون التَّوَلِّي ؛ لأنه بعد الترقي من الحضرة الواحدية إلى الأحدية، ولا مقام أعلى منه ، فقال ذَلِك لِكَوْنِ السَّير بالله وعن الله ؛ ويكون التولي ولا شك أن هذا المقـام أعلـى مقـام ، ولهـذا يقـال أن النبي مقام ولايته أَعْلَى من مقام نبوته ، التي هي ظاهر ولايته ؛ يَعْنِي أن حَيْثِيَّة ولايته التي هي بـاطن نبوته وروحها ؛ فوق حيثية نبوته التي هي ظاهر ولايته . ومن هنا افهـم أن العلـم اللـدني لا تسـعه العبارة ولا تُفْهِمْهُ الإشارة ، وعند التجلي قال عليه السلام :(جَفَّ القلمُ بما هـو كـائن) ، قولـه[2] : (رفعت الأقلام وجفت الصحف) ، وقوله : (واعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك) ، وفي الموجودات ما تقتضيه حقائقها ، فمن اقتضت حقيقته السعادة ؛ فقد آمَنَهُ من الشقاوةِ ، ومن اقْتَضَتْ حَقيقتهُ الشقاوة ؛ فقد آمنه من تغييره عن مرتبته . لأنه لو غَيَّرَه بما لا تقتضيه حقيقته ؛ لم يكن مُطِيعَاً لكمال وجوده ، فـأعطى سـبحانه كُـلَّ موجـودٍ مـا اقتضـتْ حقيقـة ذلـك الموجود ؛ ولو لـم يكـن ذلـك لـم يكـن مقسـطاً ، تعـالى اللـه عـن ذلـك ، ﴿ وَمَـا رَبُّـكَ بِظَـلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [سورة فصلت : آية ٤٦] ، وهو المقسط والمعدل ، وهو عـين الجـود والفضـل ، لأن بـه أعطـى الموجودات مراتبها ، فلو لم يكن كذلك ؛ لعدمت المراتب ، وبذلك حصل الكمال ، لأنـه لـو لـم يُعْطِي الأشقياءَ شَقَاوةً لحقيقة ذواتهم ؛ لَكَانَتْ مرتبةُ الشقاوةِ معدومةً من الوجود ، وكان الموجود حينئذ ناقصاً مرتبة من المراتب ، ولا حَقِيقةً من الحقائقِ إلاَّ وَقد أَوْجَدَها في مرتبتها ومحلها ؛ كما ينبغي ، فلم يترك شيئاً من الوجود ، فلا أَكْمَلَ من هذا الوُجُودِ ، وهذه [هي][3] الملكية للحق تعالى ، فافهم إن كنت مِمَّنْ يَفْهَمْ ، وإلاَّ فَدَعْهُ لأهله ، يكون المؤمن نسبته من الإيمان الذي أعنيه ، وإليـه

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وليس في الأصل .
(٢) لعلّها : وقوله : (
(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) وليس في الأصل .

الإشارة في قوله عليه السلام : (المؤمن مرآة المؤمن) ، وقوله : (أنا من الله والمؤمنون مني) ؛ يعني : أَيْ والمؤمنون بالله ، أُعِيْنُهُمْ مِنِّي ، يعني : حقيقتي هو الله ، وأنا حقيقتي مِن الله ، حقيقة ذكره ﷺ المؤمنون[1] ؛ دون غيرهم مِنْ سائر الموجودات ، ولو كان هو حقيقةُ الكُلِّ ، لأن المؤمنين ظهرت عليهم آثار الأعمالِ ، بخلاف غيرهم ، فَخَصَّهُم في هذا الحديث دون سواهم ، فهو حقيقة الجميع ، والله حقيقتهُ ، وقوله عليه السلام : (كل ميسر لما خلق له) .

* * *

﴿فصل﴾

(١٣١)

وَلَمَّا [طوى][2] بساطَ الأكوانِ عُلُواً ، ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أَدْنَى ﷺ وعلى سائر الأنبياء ، قال عليه الصلاة والسلام : (لا أُحْصِي ثَنَاءً عليكَ ، أنت كَمَا أَثْنَيْتَ على نفسك) ، يعني أي لا أحصي ثناء بما يقابل به نعمتك[3] ؛ التي أنعمت بها عَلَيَّ ، من عَظِيمِ ذاتك ، وكريمِ صِفَاتِك . وقوله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[سورة غافر : آية ٦٠] فأظهرنا الفقر والفاقة ، لا لما طلبناه منه ، ولا لعدم حصوله ، فقد سبق عطاءه لَنَا في أزله وقدمه ، فَلَمَّا فهمنا ونظرنا من ظاهر صِفاتِه ومِنَحِهِ ومواهبه لنا ؛ فلا أحصينا شُكْرَ نِعمه الظاهرة والباطنة ، قال : ففزنا[4] وربِّ الكعبة ؛

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : للمؤمنين .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : انطوى .
(٣) في (ب) : ثناءً يقابل به نعمك .
(٤) لَعلّها : فُزْنَا .

في خبر أهل الكساء الصحيح ، ليس يخفى ما ذكرناه عند المحققين ، وهو عبارة عن قَبولِ القلبِ ؛ يكون علمك فيه ، وسعيك إليه عيناً وذوقاً وصفاتاً . وارحل إلى ميقات العارفين المحققين للأشياء ، وجعلنا كل شيء موضعه من الترتيب الإلهي ، وفي هذا المظهر كل زيادة بلا نقصان ، وَتَيَمُّمُكَ لها علماً وعيناً إدراكياً حقيقياً تفصيلياً جُمَلِياً ؛ لا بوجه ولا بنسبة ، ولولا المحبة ؛ لَما كان هذا الظُهور ، ولولا الظهور ؛ لَمَا عُرِفَ اللهُ تعالى ، وإلى ذلك الإشارة ، بقوله : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[سورة المائدة : آية ٥٤] ، معنى[١] : يحبهم بوجود أحديته في كثرتهم ؛ لِيَعْرِفُوه ويُحِبُّوه بوجود كثرتِهم في أحديته ، فيعرفهم بما عرفوه بالكمال ، فهو الجامعُ لَهُم الصفاتِ المتضادة بكماله ، والرابط بين الصفاتِ بِذَاتِهِ . فوصف الوحدة وذاته على ما هي عليه في الوحدة ؛ التي لا تَعْدُوا الكَنْزِيَّة ، التي لا تظهر بالتعريف ؛ بل هي على ما هي عليه من زوال التكثير ، فَالمَحَبَّةُ هي الواسطةُ بين الله وبين خلقه ، بين الكنزية[٢] والظهور ، ولذلك كان الحبيب المخلوق منها ﷺ واسطة بين الله وبين خلقه ، وتلك هي الوسيلة الكبرى التي لا تكون إلا لرجل واحد وهو محمد ﷺ ، ﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[سورة الأنعام : آية ١٤٩] ، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة النور : آية ٣٥] ، وَكُنْتُ سمعه وبصره ، ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[سورة غافر : آية ١٦] ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[سورة القصص : آية ٨٨] ، وتأمل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[سورة الشورى : آية ١١] ، وافهم قوله : ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ﴾[سورة الأنفال : آية ٨] ؛ إشارة اعترافي بالعجز والتقصير ، وإقراري بأنه العليم الخبير . ولما كانت هذه الأسرار مُوقَفَه على معرفة [قواعد][٣] وأُصُولاَت[١] مراتب ، فكلها مظاهر الحق ،

(١) لعلّها : المعنى .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وبين الكنزية والظهور ؛ إشارة إلى الحديث القدسي : ((كنت كنزاً .... فأحببت .)).

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : قواعده .

وبه ومنه وإليه . الاتحاد هو شهود الوجود الحق المطلق ، الذي به الكل موجود بالحق فافهم ، وأصل الوحدة المقابلة لها ، وعين[٢] ذاتها الأحدية الاسمائية المقابلةُ للكثرة ، التي هي ظل تلك الوحدة الأصلية الذاتية أيضاً عينها مِنْ وجهٍ كما سَنُبَيِّنُهُ إن شاء الله تعالى . وهو نور محض لأنه ظاهر بذاته ، وَمُظْهِراً لغيره ، إذ به تُدْرَكُ الأشياءُ كلها ، ومُنَّور سماوات القلوب والأرواح[٣] وأرض الأجسام لا نهاية موجودة توجد وتحقق هو له ، ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الحديد : آية ٣] والرَّازقُ ذلكَ العلمَ اللدني ، ومُنِيلُ الارتفاع عند إشراق نور أنوار الحقيقة ؛ فهو اصطفاءٌ محضٌ وجُودٌ صِرفٌ ، وأسرار لا نزال في كتمها ، والصعود إلى ذلك هو ؛ فإن العلم حجاب عن تجلي وصول المعلوم ، وطالع الجمع وفناء الكل في تجلي الذات الأحدية ؛ المعبر عنه : ﴿ أو أدنى ﴾ ، فاقطع النَّظَرَ عن قَيدِ الوهمِ والحجابْ .

* * *

﴿فصل﴾

(١٣٢)

الكشف لغةً هو رفع الحجاب وكشف القناع ، افهم العيان [والمشاهدة للأعيان الثابتة][٤] في الحضرة العلمية الإلهية ، الحقائق والأعيان ،.واعلم أن المراتب في طريق السماع ، سماع كلام الله عز وجل بغير واسطة ؛ كسماع الحق نبينا محمد ﷺ في معراجه ، وفي الأوقات التي

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : وأصول .

(٢) في (ب) : وهي عين ذاتها .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعل العبارة : والأرواح وأرض الأجسام لا نهاية لها موجودة بوجوده وتحققه هو لها .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل و (ج) : والمشاهد للعيان الثابتة .

أشار إليها بقوله : (لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل) ؛ وكسماع موسى عليه السلام كلامه ، ثم سماع كلامه بواسطة جبريل عليه السلام ، كسماع القرآن العظيم ، ومنبع هذه المكاشفات هو القلب الإنساني بذاته وعقله المنور العلمي ، المستعمل بحواسه الروحانية ، فإن للقلب عيناً[١] وسمعاً وبصراً وتلك من الحواس ، كما أشار بقوله : ﴿ فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[سورة الحج : آية ٤٦] ، وقوله : ﴿ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾[سورة البقرة : آية ٧] ، وانتقل إلى حضرة العلم الإلهي . فلما ذكرنا في اسمه المجيد ، الذي عَظُمَ بالجلال من صفاته ، وكَبُرَ بالكبرياء من خصوصياته، العَظَمَةُ ذَاتُه ، والعِزَّةُ صِفَاتُه ، وكُنْهُهُ عَزِيزُ المِثال ، ونعته المحيط بالكمال ، وهو الكبير المتعال ، تَجَلَّى بصفات الكبرياء والعظمة بالذات له ؛ من غير علة ولا منازع . ويُطْلَقُ الشهيد على الشاهد ، ويصح أن يطلق الشهيد على المشهود ، وهو جميع الوجود ، ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾[سورة البروج : آية ٣] ، وَلِذَا [أَشَارَ][٢] عيسى عليه السلام بقوله : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[سورة المائدة : آية ١١٧] ؛ إشارة إلى أَنَّهُ عَينُهُ ، يعني كُنْتُ ظَاهِراً ، وكُنْتُ شَاهِداً عليهم ، وأنت المَشْهُود؛ وذلك عالم الغيب والشهادة ، والغيب هو الاستتار . وافهم فإني ما أقول إلا بما يقال لي به ، ولله الحمد والشكر على إسبال نعمه ظاهرة وباطنه ، ﴿ أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[سورة الزمر : آية ٣] ، ﴿ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ ﴾[سورة الشورى : آية ٥٣] ، قال الله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[سورة الرحمن : آية ٢٩] ، والتجلي الذاتي العام هو الشامل للتجليات ، الجَامِعُ لها ، فنسبة ما أقبلت[٣] التجليات إليه ، نسبة أمواج البحر إلى البحر ، فالبحر لا

(١) في (ب) : عينان .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : إشارة .
(٣) في (ب) : قبلت .

يتغير أبداً ، والأمواج يقع فيها التغير ؛ بِهَيَجَانْ وسُكون وظهور وبطون ، وكل ذلك من شئون البحر ، وإذا وجد شئونه ؛ صح أنه لا يتغير أبداً ، [لأن][1] كل شيء يكون التلوين في شأنه ، فبقي التلوين عليه في شأنه ، وهو عدم تلوينه عَمَّا كان عليه ، فافهم الإشارة ، ولا ترجع إلى العبارة ، قوله : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾[سورة القمر : آية ٥٠] ، وقد شاهدنا طرفاً من ذلك البحر المعنوي ، ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[سورة ق : آية ٣٧] ، وهو في هذا الوجود في قبضه الوجود الحق ، من جميع الوسائط ، حتى يصل العارف في طرفة عين، أو طرفة العين[2] ، وبالعكس في طرفة العين ، فافهم هذا العلم ، ونحن نخفي أَكْثَرَهُ ؛ خشيةً على ضعيف اليقين ، أو يكون قليل الفهم ؛ فيزل ويغلط ، ﴿ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[سورة التوبة : آية ٣٢] . لأن رؤيتنا من حيث مظهريتها خفيةٌ لطيفة .

* * *

﴿فصل﴾

(١٣٣)

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ ﴾[سورة الأنبياء : آية ٥١] ، وأعني بالمعارف التَّلَقِّي أخذه ما يرد عليك[3] من الحق . التولي الرجوع إليه الخروج[4] من الخلق بنعوت الإلهية . المَخْدَعُ سَتْرُ القطبِ عن الأفراد الواصلين . والحجابُ كُلُّ ما سترَ مطلوبَكَ عن

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) وغير موجود في الأصل .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّها : أو أقل من طرفة العين .

(٣) في (ب ، ج) : عليه ، ولعل العبارة : والتلقي أخذك ما يرد عليك من الحق .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : والخروج من الخلق بالنعوت الإلهية .

عينك ، التوى له الاتحاد[1] ، وتصير الذاتين واحدة ، ولا تكون إلا في العدد ، والعلم علم التفصيل . الأَنَانِيَّةُ قولك : أَنَا النُّونُ عِلْمُ الإجمالِ . الهَوِيَّةُ الحقيقةُ في عالم الغيبِ . وَأَسْنَدَ [الكمال][2] إلى القديمِ ، والنقصانَ إلى الحدث ، ثم قال : ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[سورة النساء : آية ٧٩] ، وحقيقة الأمر رجوع الأمرين إلى الذات الإلهية ، وإلى هذا المعنى أشار بقوله : ﴿ قُلْ كُلًّ مِّنْ عِندِ اللّهِ ﴾[سورة النساء : آية ٧٨] ، فافهم قوله : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾[سورة الإنفطار : آية ١٣ ، وسورة المطففين : آية٢٢] ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾[سورة المطففين : آية ٢٦] . وافهم أنما الخاتمة على قَدْرِ السَّابقة ، فليس هي على مظهر الأعمال الظاهرة ، وأشار عليه السلام بقوله : (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة) إلى آخره مفهوم ؛ ولكن عند الصديقين من العارفين الكُمَلاءِ ، أن الخَاتِمةَ غيرُ مقصورةٍ على الأعمال ؛ وإنما قوة الإيمان بخاتمته ، خاتمة خير ، لأنه من فيض الإيمان ، وقد ورد ما يؤيّد هذا في السُّنةِ ، وقد يموت الرجل وهو من أهل الجَنَّةِ ، ولم يكن له عملاً من أعمال أهلِ الجنةِ ، في الدرج ، يستحق بتلك الأعمال دخول الجنة ؛ جنة المجازاةِ[3] ، والعكس في أهل النار ، فكل ذلك علم على قدر القوابل ، وهذا وَرَدَ عن رسول الله ﷺ ، في حق وَلَدِهِ إبراهيم ، لما توفي قبل [إفطامه في حال رضاعه][4] : (أن الله يَخْلُقُ له مُرْضِعَةً في الجنة) ، افهم ما أشار إليه في هذا الحديث واعرف ما قلناه ، فالمقسط هو الذي يعطي القوابل حقها ، في كل وقت ، ما[5] يقتضيه الوقت لتلك القابلية ، وذلك الوحدة في كلمة التوحيد لوجود الغير به ، والأمر خلاف ذلك ؛ لأنه ﷺ هو السَّمِيُّ بالله ، والدليل على ما قلناه قوله تعالى في كلامه : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ ذِي

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّها : التَّوَلِّيْ له بلا اتحاد وتصير الذاتين واحدة .
(٢) ما بين المعقوفتين في (ب ، جـ) ، وفي الأصل : الكُمَّلْ .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّ العبارة : ولم يكن له عملاً من أعمال أهل الجنة ـــ في الدرج ـــ يستحق بها دخول الجنة ؛ جنة المجازاة .
(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : قبل إفطامه في حالة رضاعه .
(٥) لعلها : بما يقتضيه .

قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[سورة التكوير : آية ١٩ـ٢١] وكيف من تأمل هذه الآية ، وقوله فيه أنه : ﴿ مطاع ثَمَّ ﴾ ؛ يعني في المقام[1] العندية ؛ بالنور المعبر عنه في الآية ﴿ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾[سورة التكوير : آية ٢٠] ؛ فَاغْنَمْ هذه الإشارات العظيمة ، وقوله في الحديث : (وَجَعَلْتُ لك الأرض مسجداً وترابها طهوراً) ولأُمَّتِك ،عبارة عن النفس العنصرية البشرية ؛ التي بلغت منه غاية الطهارة والكمالات . فلما ذكرنا فيما ظهر من أسرار صاحب السعادةِ الكبرى . والعبدِ الكاملِ من أهل إخلاص التوحيد ، فإنه يشهد كمالاته المعنوية[2] ؛ على حسب مظهره وبها يتصف ، وبها يشهَدْ الملكوت ويشهده في الأفق الأعلى ، ثم يشهده في الأفق المبين ، فإذا شهده في الأحوال ؛ انطبع بالخاصةِ[3] المحمدية في قابلية الولي هذه كمالات محمدية من المقام المحمدي ، فيها كمل في وجوده ؛ ومن لم يَرَ رسول الله ﷺ بالأفق الأعلى [والمستوى][4] الأزهى لم يكن من أهل المقام المحمدي ، ولم يتحقق بالكمال الأزلي ، فكل من رآه في ذلك المقام ؛ فإنما يراه على قدر قابليته بِعَيْنِه [لا][5]على ما هو عليه محمد ﷺ ، وذلك من اتصافه بصفات الله تعالى المعبر عنها بقوله : (لا يعلم ما هو إلا هو) فافهم ، فإنه جامعٌ لمحاسن الأخلاق حاوياً لها على الاطلاق ، وقول عائشة رضي الله عنها : (كان خُلُقُهُ القرآنُ ، يغضب لغضبه ويرضى لرضاه) ؛ برهانٌ وشاهدٌ لصحة قولها : (كان خُلُقُهُ القرآن)، والقرآن صفات الله تعالى ؛ فصفات الله تعالى [صفاته][6] واسماؤه تعالى اسماؤه ، وحقيقة ذلك من المشاهدات فوق ذلك ، وأظهرنا منه ما يليق بالمتوجه الصادق ، فإنا شاهدناه محققاً ، بأن له ﷺ فوق ذلك ، مِمَّا لا يمكن شرحه وبيانه إجمالاً

---

(١) في (ب) : المقام العبدية . ولعلّها : في مقام العندية .

(٢) في (ب) : المعلومه المعنوية .

(٣) ولعلّها : انطبع بالخاصة المحمدية ــ على حسب قابلية الولي لهذه الكمالات المحمدية ــ من المقام المحمدي ؛ وفيها كمل في وجوده .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : المستولى .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وليس في الأصل .

(٦) ما بين المعقوفتين في (ب) . وليس في الأصل .

وتفصيلاً ، فإن كنت مِمَّنْ لم يفهم مِنْ ذَلك العلم اللدني ؛ فَكُنْ مُقَلِّدْ ومُصَدِّقْ ، وقد سبق بيانه أول الكتاب ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[سورة التوبة : آية ١٢٨] ، وقد نزل عليه جبريل عليه السلام فخيّره بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عَبداً ؛ فاختار العبودية ﷺ ، لما كان [متحققاً بالملكية](١) ؛ فنزل فيها إلى مقام العبودية كمالاً وتمكيناً . وقد أخذ الله العهد على الأنبياء ، قوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[سورة الأنفال : آية ٣٣] ، فهو سَلاَمُهُ مُحْضٌ ، فلما بَانَ لنا من الأمر الرفيع المنيع الوسيع الواسع ، وَجَثَوتُ ــ في حضرة الحقيقة الجامعة للكل ـ بين يديه ، وكُنْتُ مُنَادِماً ، وجلست في أُنسِ مطالعها(٢) ، ولاحَتْ لي عليَّ بوارق مباسمها ؛ في أَرَقِّ من النسيم(٣) ؛ إذ يسري في الليل البهيم ، فلا يكون في ذلك الدرجة العالية إنسان الوجود(٤) إلاَّ عين الباطن المعبود ، ومدرجة الحقائق والدقائق . وافهم اللاهوتي وحافظ العلم الناسوتي ، وظهر في كل معنى ، وأيضاً ظهر في معنى الخلق ؛ في كل صورة ، وافهم من سكن جَبَل (ق) قاف ومحل الأَعْرَافْ ، والواقف في كل وقت على مبدأ الكمال ، وخِتَامُهُ(٥) مجمع البحرين ، [فَحَطَطْتُ] رِحَالِي لَدَيه [وفتحتُ] أسماع قلبي إليه ، فقابلته بالسلام عليه ، فَحَيَّانِي(٦) تحية الأُنس والحقيقة العالية . وافهم الصورة المحمدية ﷺ ، وأنها النور التي خُلِقَتْ بِهِ الجنة والجحيم ، والمَحْتَدُ الذي وُجِدَ به العذابُ الأليم ، وشمس اليقين في هذه [الصور؛ ليس تخفى](٧) علينا من شموسِ شوارِقها ولموع بوارقها ؛ ولا تظهر شمسها إلا عند

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : متحقق بالملائكة .
(٢) في (ج) : مطالعتها .
(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّها : كأَرَقِّ من النسيم .
(٤) هكذا في الأصل ، ولعلّها : في تلك الدرجة العالية إنسان في الوجود ؛ إلاّ عين الباطن المعبود .
(٥) في (ب) : وخاتمة .
(٦) في (ب) : فَحَياتِي .
(٧) ما بين المعقوفتين في (ب) . وفي الأصل : الصورة ليس يخفى .

عَارِفِيْهَا ؛ ولا تخفى التجليات على أهل القرب ، وهي ساطعة عند ذوي الألباب وأولي النهى ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾[سورة العنكبوت : آية ٤٣] ، والمُقْتَفُونَ الآثارَ في هذا السر المحمدي ، (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ) ، فلما ثبتت لهم السنة البيضاء ؛ غابوا عن عالم الأكوان فظهر لهم الغيب المسمى[١] ؛ فصار غيبهم شهادة وأنفاسهم عبادة ، هؤلاء أوتاد الأرض ، القائمون لله بالسُّنة والفرض . المقام المحمود الذي أوعده[٢] الله به ، واعلم أن الصورة المحمدية لَمَّا خَلَقَ اللهُ منها الجنةَ والنارَ وما فِيْهِمَا من نعيم المؤمنين ، وعذاب الكافرين ؛ خَلَقَ اللهُ تعالى آدمَ عليه السلام نتيجةً[٣] مِن تلك الصورة المحمدية ، فلما نزل آدمُ من الجنةِ؛ ذهب حياة المصور بذاته في الجنة ؛ لمفارقة [عالم][٤] الأرواح ، وأن آدم عليه السلام لما كان في الجنة لا يتصور شيئاً في نفسه ؛ إِلاَّ وَأَوْجَدَهُ اللهُ له في حِينِهِ وجميعُ من يدخل الجنة يتم له ذلك ، ولما نزل آدم عليه السلام إلى دار الدنيا ؛ لم يبق له ذلك ، لأن حياة الصورة التي في الجنة كانت بنفسها ، وحياتها في الدنيا بالرُّوح ، فهي ميتة لأهل الدنيا ؛ إلا من أحياه الله تعالى بحياته الأبدية ، ونظر إليه بما نظر به إلى ذاته ، وحققه باسمائه وصفاته ؛ فإنه يكون من القدرة في دار الدنيا ؛ ما سيكون لأهل الجنة في الدار الآخرة ، فلا يتصور شيئاً في نفسه ؛ إلا وأوجده الله له تعالى في حِينِهِ ، فافهم ما أشرنا إليه لك[٥] ، فإن من عرف ما رمزناه فيه[٦] ؛ ظهر لديه ما نكتُمُهُ عنه ـ في الوجودِ ـ ونُخْفِيه ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . وافهم واصرف وجه قلبك إلى مشاهدة [العالم][٧] العلوي ؛ الذي هو منزه عن القيد والحصر ، لا إلى العالم السفلي

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّه : المُعَمّى .

(٢) في (ب) : وعده .

(٣) في (ب) : فسبّحَهُ .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) . وفي الأصل : علم .

(٥) لعلّها : أشرنا به لك .

(٦) لعلّه : ما رمزنا به .

(٧) ما بين المعقوفتين في (ب) . وفي الأصل : العلم العلوي .

الطبيعي ؛ الذي هو تحت [الأسر](١) ، وافهم نقطة عليها دائرة الوجود ، فكنتَ أنتَ العابدُ والمعبود أنت النور ، أنت الظهور ، وظهورٌ لا يحتاجُ إلى دليلٍ ولا بيان ، وسماع الخطاب ، يعلم العبدُ أنه كلام الله ، وصَعَدَ(٢) به إلى سدرةِ المنتهى ، فكان قاب قوسين أو أدنى.

* * *

﴿فصل﴾

(١٣٤)

ولما اطَّلَعْتُ على سر القدر المحجوب المصون ، فنقول للشيء حينئذٍ كن فيكون ، وذلك الله(٣) الذي أمره بين الكاف والنون ، تجلى الله عليه بالصفة الرحمانية ، وذلك بعد أن ينصب له عرش الربوبية فيستوي عليه ، ويوضع له كرسي الاقتدار ، تحت قدميه ، فتسري رحمته في الموجودات وهو قدسي الذات قيومي الصفات ، يتلوا من الآيات : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[سورة آل عمران : آية ٢٦-٢٧] ، كل ذلك في عالم غيبه ، منزه عن شكه وريبه ، معايناً لما له في حقيقته ، وهذا هو الفرق بين الصفتين والذاتين ، وافهم الذات الأحدي المخاطَب في الذات(٤) ، وافهم ما تقتضيه حقائقها الذاتية ، واعلم أن كماله غاية لا نهاية لها ، فهو سبحانه وتعالى يدرك بماهيته ماهيتَهُ ، وماهيتُهُ غير مُدْرَكَة ، وأن لا غاية لها في حقه

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) . وفي الأصل : تحت الأسرار .

(٢) في (ب) : ومن صَعَدَ به إلى سدرة المنتهى .

(٣) في (ب) : وذلك الذي أمره . ولعلّها : وذلك بفضل الله الذي أمره ...... الخ .

(٤) في (ب) : فهو المخاطب للذات في الذات .

وفي حق غيره ، يعني إدراكها بعد ما يدركها ، وشمول ظُهوره لبطونه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا ﴾[سورة طه : آية ١٤] ، عز وجل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾[سورة الحجر : آية ٨٧] ، فافهم الرحمة التي وسعت كل شيء ؛ لأنها سبقت الغضب ، فكان إيجاد العالم رحمة لهم خاصة وعامة، مع إنه أوجدهم منه وفيه ، إذ كانوا موجودين في علمه ، فكانت بداية العالم منه رحمة بهم ، لقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾[سورة الجاثية : آية ١٣] ، وآلَ أَمْرُهُم إلى الله في الآخرة ، قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾[سورة النجم : آية ٤٢] . وافهم عبارة ما بَيَّنَّاه في تجليات الحق الاسمائية النفسية(١) ؛ تجليه في مشهد واحد ، كما أن الولاية [عبارة](٢) عن تجلي إلهي ؛ فيه تظهر الكمالات الإلهية ، لاقتضاء المجد والكبرياء ، والمجد بَيَّن فيه ما في الموجودات ، فارجع إلى العجز ؛ فالعجزُ عن إدراكِ الإدراك إدراكٌ ، وفيما قاله سيد المرسلين كفاية قوله : (لا أحصي ثناءً عليك) ، وإليه أشارة في قوله عليه السلام : (إن حبل الله متين)(٣) ، فتأمل وافهم ، الصفة إلى الذات ، والاسم إلى المسمى ، والعلم إلى المعلوم والعلم إلى العالِم ، والمتعين إلى مرتبة التعين .

* * *

﴿فصل﴾

(١٣٥)

(١) في (ب) : والنفسيه .

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) . وغير موجود في الأصل .

(٣) للتأكد من نص الحديث ، لعلّه : (أنا حبل الله المتين).

النهاية هي الرجوع إلى البداية ؛ يعني نهاية الإنسان الكامل ، يرجع إلى التجلي الأحـدي ، الذي هو مجمع البحرين وحضرة الجمع ، وهذا تأويل التجلي ، هو الذي(١) يتجلى فـي نظـره إلـى الوجود ، لعدم الوجود ، بأمره دفعة واحدة ، فحياة الوجود بنظر الله إليه والنظر المحض لـه ، فـي حضرة لا ينسب فيها الوجود والعدم ولا حضرة فافهم ، وقد بيّنا لمن له فهم وتصديق ؛ بما يعـزا(٢) عن إدراك أهل العقول والفكر ، وعلومنا مخفية مكنونة عزيزة ، فما أظهرنا منها على هذا النمط إلا المأذون لنا فيه؛ بالوضع في القدر [المذكور](٣) ، وبه يكون لمن له الهداية ، وكن صـاحب الآداب والعقل ، وهو رتبة العارفين الكمل ، ولا يكـون مـن العقـل الـرزين إلاَّ الصـبر الجميـل ، قولـه : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ﴾ [سورة المعارج : آية ٥] وتلقينا حكم القضاء بالتعظيم(٤) ، وبه رضى حلمك على الظالمين ؛ فَتَّتَ أكباد المظلومين ، فهذه من سعة الجود والفضل والحلم ، في الآخرة دار العاقبة ، وأثبتنا أخلاق ومناطق فيها لمن سمعها ، فيتمثل إلى أعلـى مقـام أُوْلِـي النُّهَـى المَاسِـكين بعـروة الوثقى(٥) ، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[سورة الحجرات : آية ١٣] ، وندخل [بها](٦) جنـان الخلـد فـي حِزبك ﴿ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[سورة المجادلة : آيـة ٢٢] ، وافهم قوله : ﴿ لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَـزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَـدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : آيـة ١٠٣] ، أَحَلَّنَـا اللـهُ دار الكرامة والرضوان ، وحَالَ بيننا وبين دارِ سرابِيلُها من قطران ، وَجَعَلَنَا من العِصَابَةِ [التي](٧) أخذت الكتب بالأيمان ، وممن انقلب من الحوض وهو ريان ، وثقل له الميـزان ، وثبـت علـى الصـراط

(١) في (ب) : وأمّا التجلي هو .... الخ .
(٢) كذا في الأصل ، ولعلّها : يَعز .
(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) وغير موجود في الأصل .
(٤) في (ب) : بالتسليم والرضى حلمك عن الظالمين .
(٥) في (ب) : بعروة التقوى . ولعلّها : بالعروة الوثقى .
(٦) ما بين المعقوفتين في (ب) وليس في الأصل .
(٧) ما بين المعقوفتين في (ب) ، وفي الأصل : الذي .

القدمان(١) ، إنه المُنْعِمُ بالإحسان ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، وصلى الله على من اصطفاه واختاره واجتباه من وجوده ، ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً ، تم الكتاب والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، ولما انتهى الكتاب أشرنا على حسب الإمكان والتوفيق والرشاد والسداد والله ولي التوفيق والرشاد(٢) والإسعاد ، وصلَّى الله على خاتم الرسل والأنبياء ووارثيه الكمل في خصوص ختميته ، وخَصَّهُ بالوسيلة والمقام ؛ الذي فتح على يديه أبواب خزائن الكرم والجود ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

تم الكتاب بعون الله ، والحمد لله رب العالمين ، الذي بنعمته تتم الصالحات ، وكان الفراغ من تصنيف هذا الكتاب الجليل القدر ، العميم النفع ، الذي لم ينسخ على منواله ، ولم يسمح الدهر بمثاله ، يوم الثلاثاء آخر شهر ذي الحجة الحرام سنة ٩٩٠ تسعين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، غفر الله لكاتبه ، وقارئه وسامعه ، ومالكه ورزقهم الصحة للإرادة والعبودية ، آمين .

  

(١) لعلّها : القدمين .

(٢) في (ب) : والإرشاد .